

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

# نهضة الأديب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الخامس

المتأخرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م

جزء  
معين التاريخ  
لأهل التاريخ

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية

# مجلد سہم

السفر الخامس

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للنویری

(تابع) أخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية الى العربية  
ومن أخذ عنهم ومن أشتهر بالغناء

صفحة

١	... .. ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم
٩	... .. ذكر أخبار علوية
١٣	... .. ذكر أخبار معبد اليقطيني (صوابه : القطني)
١٧	... .. ذكر أخبار محمد الرف
١٩	... .. ذكر أخبار محمد بن الأشعث
٢١	... .. ذكر أخبار عمرو بن بانه
٢٢	... .. ذكر أخبار عبد الله بن العباس الربيعي
٣٠	... .. ذكر أخبار وجه القرعة
٣٢	... .. ذكر أخبار محمد بن الحارث بن بسخر
٣٣	... .. ذكر أخبار أحمد بن صدقة
٣٥	... .. ذكر أخبار أبي حشيشة
	... .. ذكر أخبار القيان وأول من غنى من النساء ومن أشتهر بالغناء منهن
٣٧	... .. في الإسلام

صفحة

٤١	... .. ذكر أخبار جميلة (مولاة بنى سليم)
٥٠	... .. ذكر أخبار عَزَّة الميلاء
٥٢	... .. ذكر أخبار سلامة القس
٥٨	... .. ذكر أخبار حَبَابَة
٦٤	... .. ذكر أخبار خُلَيْدَة المكية
٦٥	... .. ذكر أخبار مُتَمِّم الهاشمية
	ذكر أخبار ساجى جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ( فى الأغانى طبع
٦٩	... .. بلاق : شاجى )
٧٠	... .. ذكر أخبار دُقَاق
٧١	... .. ذكر أخبار قلم الصالحية
٧٣	... .. ذكر أخبار بصبص جارية آبن نفيس
٧٥	... .. ذكر أخبار جوارى آبن رامين (وهن سلامة الزرقاء ، ورُبَّجَّة ، وسُعدَة)
٧٨	... .. ذكر أخبار عنان جارية الناطفى
٨٣	... .. ذكر أخبار شارية جارية إبراهيم بن المهدي
٩٠	... .. ذكر أخبار بَذَل
٩٣	... .. ذكر أخبار ذات الخال
٩٥	... .. ذكر أخبار دنانير البرمكية
٩٧	... .. ذكر أخبار عَرِيب المأمونية
١١٥	... .. ذكر أخبار محبوبة
١١٨	... .. ذكر أخبار عُبَيْدَة الطُّنبورية

## الباب السابع :

فما يحتاج إليه المغنى ويضطر الى معرفته ، وما قيل فى الغناء وما وصفت

به القيان ، ووصف آلات الطرب ... .. ١٢٠



صفحة

ذكر ما يحتاج اليه المغني ويضطر الى معرفته وما قيل في الغناء والقيان	
من جيد الشعر	١٢٠ ... ..
ذكر ما قيل في وصف آلات الطرب	١٢٦ ... ..

## القسم الرابع :

في التهاني والبشائر والمراثي والنوادر والزهد والتوكل والأدعية وفيه	
أربعة أبواب	١٣٠ ... ..

## الباب الأول :

في التهاني والبشائر	١٣٠ ... ..
ذكر شيء مما هنيئ به ولاية المناصب	١٣٠ ... ..
ومما هنيئ به من اتصال بزوجة ذات جمال وحسب وأصالة وأدب...	١٣٤ ... ..
ومما هنيئ به من رزقه الله ولدا وزاده به قوة وعددا	١٣٥ ... ..
ومما هنيئ به في المواسم والقُدوم	١٣٨ ... ..
ومما قيل من شواذ التهاني وهي الجمع بين التهئة والتعزية، والبشارة	
والتسلية	١٣٩ ... ..
ذكر نبذة من التهاني العامة والبشائر التامة	١٤٣ ... ..
ومما قيل في التهاني بالفتوحات وهزيمة جيوش الأعداء	١٤٨ ... ..

## الباب الثاني :

في المراثي والنوادر	١٦٧ ... ..
ذكر شيء من المراثي والنوادر	١٧١ ... ..
ومما قيل في شواذ المراثي	٢٢٠ ... ..

## الباب الثالث :

في الزهد والتوكل	٢٣٣ ... ..
ذكر بيان حقيقة الزهد	٢٣٤ ... ..

صفحة	
٢٣٦	وأما العلم الذى هو المثمر لهذا الحال
٢٣٨	وأما العمل الصادر عن حال الزهد
٢٤٠	ذكر فضيلة الزهد وبغض الدنيا
٢٤٥	ذكر بيان ذم الدنيا وشيء من المواعظ والرقائق الداخلة فى هذا الباب
٢٥٩	ذكر بيان الزهد وأقسامه وأحكامه
٢٦٣	ذكر بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
٢٧٥	ذكر بيان علامات الزهد
٢٧٨	ذكر ما ورد فى التوكل من فضيلته وحقيقته
٢٧٨	أما فضيلته
٢٧٨	وأما حقيقته
٢٨١	ذكر بيان أعمال المتوكلين
٢٨١	أما جلب النافع
٢٨٤	وأما حفظ النافع
٢٨٤	وأما دفع الضار عن النفس والمال
٢٨٥	وأما إزالة الضرر

## الباب الرابع :

٢٨٧	فى الأدعية
٢٩٠	وأما ما ورد فى نفع الدعاء ودفعه للبلاء
٢٩٠	وأما ما ورد فى الإلحاح فى الدعاء وهيئة الذلة والإنابة
٢٩١	وأما ما ورد من كراهية استعجال الإجابة ورفع البصر والسجع فى الدعاء
٢٩٢	وأما ما ورد فىمن تجاب دعواتهم
٢٩٣	ذكر الأوقات التى تُرجى فيها إجابة الدعاء
٢٩٥	ذكر دعوات ساعات الأيام السبعة

ذكر ما يدعى به في المساء والصباح والغدق والرواح والصلاة والصوم	
والجماع والنوم والورد والصدّر والسفر والحضر وغير ذلك...	٣٠٧
فأما ما يقال عند المساء والصباح	٣٠٧
وأما ما يقال عند النوم	٣٠٩
وأما ما يقال عند دخول المنزل والمسجد والخروج منهما	٣٠٩
وأما ما يقال عند النداء	٣١١
وأما ما يقال عند الدخول الخلاء	٣١١
وأما ما يقال عند الوضوء وغسل الأعضاء	٣١١
وأما أدعية الصلاة	٣١٣
وأما ما يدعى به في نفس الصلاة	٣١٣
وأما ما يدعى به بعد التسليم	٣١٦
وأما ما يقال عند رؤية الجنازة والتلقين والدفن	٣١٨
وأما ما يقال عند زيارة القبور	٣١٩
وأما ما يقال عند الإفطار من الصوم والأكل والشرب	٣٢٠
وأما ما يقال عند لباس الثوب واللباسه وعند النظر في المرأة والتسريح	
وفي المجلس	٣٢١
وأما ما يقال في المرض والرقى والأوسواس والحريق	٣٢٢
وأما ما يقال عند دخول السوق وشراء الجارية والدابة	٣٢٤
وأما ما يقال عند هبوب الرياح وفي الرعد والمطر	٣٢٥
وأما ما يقال في الخوف والشدائد	٣٢٦
وأما ما يقال في الغضب والفرع	٣٢٧
وأما ما يقال في السفر وركوب الدابة والسفينة ودخول القرية	٣٢٧
وأما ما يقال في الزواج والجماع	٣٣٠
وأما ما يقال في قضاء الدين ونجاح الحوائج	٣٣٠

وأما ما يقال في رد الضالة ... .. ٣٣٢

ذكر ما ورد في أسماء الله الحسنى والأسم الأعظم ... .. ٣٣٣

كيفية العلم والعمل بأسماء الله الحسنى وخاصة كل اسم منها وترتيب ذلك إلى عشرة أنماط ... .. ٣٣٤

النمط الأول ... .. ٣٣٤

النمط الثاني ... .. ٣٣٤

النمط الثالث ... .. ٣٣٥

النمط الرابع ... .. ٣٣٦

النمط الخامس ... .. ٣٣٧

النمط السادس ... .. ٣٣٧

النمط السابع ... .. ٣٣٨

النمط الثامن ... .. ٣٣٩

النمط التاسع ... .. ٣٤٠

النمط العاشر ... .. ٣٤٠

وأما ما ورد في الأسم الأعظم ... .. ٣٤٠

صورة ما ورد بآخر الجزء الخامس في الأصليين الفتوغرافيين ... .. ٣٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

①

## ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم

هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلى، وقد تقدم نسبه فى أخبار أبيه . وكان الرشيد يولع به فيكنيه أبا صفوان . قال أبو الفرج الأصفهاني فى ترجمة إسحاق : وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحله من الرواية ، وتقدمه فى الشعر ، ومزله فى سائر المحاسن أشهر من أن يدل عليها بوصف . قال : فأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه ، فإنه كان له فى سائر أدواته نظراء وأكفاء ولم يكن له فى هذا نظير . لحق بمن مضى فيه وسبق من قد بقى ، وسهل طريق الغناء وأنارها ، فهو إمام أهل صناعته جميعا وقُدوتهم ورأسهم ومعلمهم ؛ يعرف ذلك منه الخاص والعام ، ويشهد له به الموافق والمفارق . على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدّهم بغضا له لئلا يدعى إليه ويسمى به . وكان المأمون يقول : لولا ما سبق على السنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليت القضاء بحضرتي ، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة . وقد روى الحديث ولقى أهله مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة [ وهشيم بن بشير ] وإبراهيم بن سعد وأبى معاوية الضرير وروح

(١) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « المجالس » .

(٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « لولا ما سبق إسحاق على السنة الناس وشهرته ... الخ » .

(٣) زيادة عن الأغاني .

آبن عبادة وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز . وكان مع كراهته للغناء أضيق خلق الله به وأشدّهم بخلا على كل أحد حتى على جواريه وغلماؤه ومن يأخذ عنه منتسبا إليه ومتعصبا له فضلا عن غيرهم . قال : وهو صحّح أجناس الغناء وطرائقه وميزها تميزا لم يقدر عليه أحد قبله .

- وقال محمد بن عمران الجرجاني : كان والله إسحاق غرّة في زمانه ، وواحدا في عصره .  
 علمها وفهما وأدبا ووقارا وجودة رأي وصحة مودة . وكان والله يُخرس الناطق إذا نطق ، ويُحير السامع إذا تحدّث ، لا يملّ جلسه مجلسه ، ولا تمجّ الآذان حديثه ، ولا تنبو النفس عن مطاولته . إن حدثك أهلك ، وإن ناظرك أفادك ، وإن غناك أطربك . وما كانت خصلة من الأدب ، ولا جنس من العلم يتكلم فيه إسحاق فيُقدم أحد على مساجلته أو مناوآته فيه .

- حكى أبو الفرج عن إسحاق قال : دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ .  
 وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشرا عن يمينه وعشرا عن شماله . فلما دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته . فقال المأمون : أسمعت خطأ ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال لإبراهيم بن المهديّ : هل تسمع خطأ ؟ قال لا . قال : فأعاد على السؤال ، فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وإنه لفي الجانب الأيسر . فأعاد إبراهيم سمعه إلى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما في هذه الناحية خطأ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، مُر الجوارى اللاتي على اليمين يُمسكن ، فأمرهنّ فأمسكن ، ثم قلت لإبراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فتسمع ثم قال : ما هاهنا خطأ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، يُمسكن وتضرب الثانية ، فأمسكن وضربت الثانية ، فعرف إبراهيم الخطأ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هاهنا خطأ . فقال المأمون عند ذلك

لإبراهيم بن المهديّ : لا تُمارِ إسحاق بعدها ، فإن رجلا عرف الخطأ بين ثمانين و ترا وعشرين حلقا لجدير ألا تماريه ، قال : صدقت .

وقال ابن حمدون : سمعتُ الواصل يقول : ما غنّاني إسحاق قطّ إلا ظننتُ أنه قد زيد في ملكي ، ولا سمعته قط يغني غناء ابن سريج إلا ظننتُ أن ابن سريج قد نُشر ، وإني ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضرا ، فيتقدمه عندي بطيب الصوت ، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُ أنه يتقدمه ينقص . وإن إسحاق لنعمةٌ من نعم الملوك التي لم يُحظَّ أحد بمثلها . ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يُشترى لأشتريتهنّ له بشرط ملكي .

وحكى عن أحمد بن المكي عن أبيه قال : كان المغنون يجتمعون مع إسحاق وكلهم أحسن صوتا منه ولم يكن فيه عيب إلا صروته فيطمعون فيه ، ولا يزال بلطفه وحذقه ومعرفة حتى يغلبهم جميعا ويفضلهم ويتقدم عليهم . قال : وهو أول من أحدث المجتث ليوافق صوته ويشاكله بخاء معه عجا من العجب ، وكان في حلقه نُبُو عن الوتر .

وحكى قال : سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والأدب والرواة لا مع المغنين ، فإذا أراد الغناء غناه ، فأجابه إلى ذلك . ثم سأل بعد مدة طويلا أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء فأذن له ، قال : فكان يدخل ويده في يد قاضي القضاة يحيى بن أكرم . ثم سأل إسحاق المأمون في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة ، قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ هذا يا إسحاق ! وقد اشتريت منك هذه المسئلة بمائة ألف دينار وأمر له بها .

وكان لإسحاق مع إبراهيم بن المهديّ مخاطبات ومنازعات ومحاورات بسبب الغناء، وكان الرشيد ينصر إسحاق على إبراهيم أخيه . من ذلك ما حكاه إسحاق قال : كنت عند الرشيد يوما ، وعنده ندماءؤه وخاصته وفيهم إبراهيم بن المهديّ ؛ فقال لي الرشيد : غنّ :

شربتُ مدامةً وسُقيتُ أخرى \* وراح المنتشون وما آنتشيتُ ٥

فغنيته . فأقبل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي : ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت . فقلت له : ليس هذا مما تعرفه ولا تحسنه ، وإن شئت فغنه فإن لم أجذك أنك تخطئ فيه منذ آبتدائك إلى آتتهائك فديّ حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتى وصناعة أبي ، وهى التى قزبتنا منك وآستخدمتنا لك فأوطأتنا بساطك ، فإذا نازعنا أحدٌ بغير علم لم نجد بُدا من الإفصاح والذب ، فقال : لا غرو ولا لوم عليك . وقام الرشيد ليول ، فأقبل إبراهيم بن المهديّ عليّ وقال : ويحك يا إسحاق ! أتجترئ عليّ وتقول لي ما قلت يا آبن الفاعلة ! لا يَكْنِي . فداخلى ما لم أملك نفسى معه ، فقلت له : أنت تستمنى ولا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك لقلت لك : يا آبن الزانية كما قلت لي يا آبن الزانية . أو ترانى كنت لا أحسن أن أقول : يا آبن الزانية ! ولكن قولى فى ذمك ينصرف كله إلى خالك الأعلم<sup>(١)</sup> ، ولولاك لذكرتُ صناعته ومذهبه — قال إسحاق : وكان بيطارا — قال : ثم سكت ، وعلمتُ أن إبراهيم سوف يشكونى إلى الرشيد ، وسوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه ، فتلافيتُ ذلك بأن قلت : إنك تظن أن الخلافة تصير اليك ، فلا تزال تهتدنى بذلك وتُعادي نى كما تُعادي سائر أولياء أخيك حسدا<sup>(٢)</sup>

(١) الأعلم : الذى بشفته العليا أو فى جانبها شق . (٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصل :

« أن الخلافة لك ... » .



له ولولده على الأمر! وأنت تضعف عنه وعنهم، وتستخف بأوليائهم شقياً، وأرجو  
 ألا يخرجها الله من الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها . فإن صارت إليك — والعياذ  
 بالله تعالى من ذلك — فخراً على حينئذ العيش! والموت أطيب من الحياة معك،  
 فأصنع حينئذ ما بدالك! قال: فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه وقال:  
 يا أمير المؤمنين، شمتني إسحاق وذكر أمي وأستخف بي . فغضب وقال لي: ويلك!  
 ما تقول؟ قلت: لا أعلم، فسأل من حضر. فأقبل على مسرور وحسين فسألهما عن القصة  
 فجعلتا يخبرانه ووجهه يربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة فسرى عنه ورجع لونه،  
 وقال لإبراهيم: لا ذنب له، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، إرجع إلى موضعك  
 وأمسك عن هذا . فلما آنفض المجلس وأنصرف الناس أمر الرشيد بالآ أبرح . وخرج  
 كل من حضر حتى لم يبق غيري، فسأ ظني وهمتني نفسي . فأقبل عليّ وقال:  
 يا إسحاق، أتراني لم أفهم قولك ومرادك! قد والله زنته ثلاث مرات! أتراني لا أعرف  
 وقائعك وأقدامك وأين ذهبت! ويلك لا تعد! حدثني عنك لو ضربك إبراهيم  
 أكنت أقتص لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل! أترأه لو أمر غلماناه فقتلوك  
 أكنت أقتله بك! فقلت: والله يا أمير المؤمنين، قد قتلتني هذا الكلام، وإن بلغه  
 ليقتلني، وما أشك أنه قد بلغه الآن . فصاح بمسرور وقال له: عليّ بإبراهيم فأحضره،  
 وقال لي: قم فانصرف . فقلت لجماعة من الخدم — وكلهم كان لي محباً وإلى مائلاً  
 ولي مطيعاً —: أخبروني بما يجري؛ فأخبروني من غد أنه لما دخل عليه وبخه  
 وجهه وقال له: أأستخف بخادمي وصنيعتي وأبن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي  
 في مجلسي! وتقدم عليّ وتستخف بمجلسي وحضرتي! هاه هاه! وتقدم على هذا  
 وأمثاله! وأنت مالك وللغناء! وما يدريك ماهو! ومن أخذك به وطارحك إياه حتى  
 نتوهم أنك تبلغ منه مبلغ إسحاق الذي غدى به وعلمه وهو من صناعته! ثم تظن أنك

٥

١٠

١٥

٢٠

- (١) تُخَطِّئُهُ فِيمَا لَا تَدْرِيهِ ، وَيَدْعُوكَ إِلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ فَلَا تَتَّبِعْ لَذَلِكَ وَتَعْتَصِمْ بِشَتْمِهِ !
- هَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى السَّقُوطِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ وَسُوءِ الْأَدَبِ مِنْ دُخُولِكَ فِيمَا لَا يَشْبَهُكَ ،
- وِغَلْبَةِ لَذَلِكَ عَلَى مَرْوَةِكَ وَشَرَفِكَ (٢) ، ثُمَّ إِظْهَارِكَ إِيَّاهُ وَلَمْ تُحْكَمْهُ ، وَآدَعَائِكَ
- مَا لَا تَعْلَمُهُ حَتَّى يَنْسَبَكَ إِلَى إِفْرَاطِ الْجَهْلِ . أَلَا تَعْلَمُ ، وَيَحْكُ ، أَنَّ هَذَا سُوءُ أَدَبٍ
- وَقَلَّةُ مَعْرِفَةٍ وَقَلَّةُ مَبَالَاةٍ بِالْخَطَا وَالتَّكْذِيبِ وَالرَّدِّ الْقَبِيحِ ! ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ الْعَظِيمِ
- وَحَقِّ رَسُولِهِ وَإِلَّا فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْمَهْدِيِّ إِنْ أَصَابَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ أَوْ سَقَطَ عَلَيْهِ حَجَرٌ مِنَ
- السَّمَاءِ أَوْ سَقَطَ مِنْ دَابَّتِهِ أَوْ سَقَطَ عَلَيْهِ سَقْفُهُ أَوْ مَاتَ بَخَاةٍ لِأَقْتُلَنَّكَ بِهِ . وَاللَّهِ !
- وَاللَّهِ ! وَلِلَّهِ ! فَلَا تَعْرِضْ لَهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ! قُمْ الْآنَ فَأَخْرُجْ ، فَخَرَجَ وَقَدْ كَادَ يَمُوتُ . فَلَمَّا
- كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ وَابْرَاهِيمَ عِنْدَهُ [فَاعْرَضَتْ عَنْ إِبْرَاهِيمَ] بِفَعْلٍ (٣)
- يَنْظُرُ إِلَى مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَضْحَكُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ مُحِبَّتَكَ لِإِسْحَاقَ وَمِلَّكَ إِلَيْهِ
- وَأِلَى الْأَخْذِ عَنْهُ ، وَإِنْ هَذَا لَا يَجِيئُكَ مِنْ جِهَتِهِ كَمَا تَرِيدُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَرْضَى ، وَالرِّضَا
- لَا يَكُونُ بِمَكْرُوهِ ، وَلَكِنْ أَحْسِنُ إِلَيْهِ وَأُكْرِمُهُ وَأَعْرِفُ حَقَّهُ وَبِرَّهُ وَصِلَّهُ ، فَإِذَا فَعَلْتَ
- ذَلِكَ ثُمَّ خَالَفَ مَا تَهْوَاهُ عَاقِبَتَهُ بِيَدٍ مُسْتَطِيلَةٍ مُنْبَسِطَةٍ وَلِسَانٍ مُنْطَلِقٍ . ثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ
- إِلَى مَوْلَاكَ وَأَبْنِ مَوْلَاكَ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ ، فَقَمَمْتُ إِلَيْهِ وَقَامَ إِلَيَّ وَأَصْلَحَ الرَّشِيدُ بَيْنَنَا .
- قَالَ أَبُو الْقُرْجِ : وَكَانَ إِسْحَاقُ جَيِّدَ الشَّعْرِ ، كَانَ يَقُولُ الشَّعْرُ وَيَنْسِبُهُ لِلْعَرَبِ .
- فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

لَفَظَ الْخَدُورُ إِلَيْكَ حُورًا عَيْنًا \* أَنْسَيْنَ مَا جَمَعَ الْكَأْسُ قَطِينًا  
فَإِذَا بَسَمْنٍ فَعَنْ كَمَثَلِ غَمَامَةٍ \* أَوْ أَقْحُوَانِ الرَّمْلِ بَاتَ مَعِينًا  
وَأَصَحُّ مَا رَأَتْ الْعَيُونُ مُحَاجِرًا (٥) \* وَلَهَنَ أَمْرَاضُ مَا رَأَيْتَ عَيُونًا

- ٢٠ (١) فِي الْأَغَانِي : عَلَيْكَ . (٢) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْ دُخُولِكَ فِيمَا لَا يَشْبَهُكَ  
ثُمَّ إِظْهَارِكَ إِيَّاهُ وَغَلَبْتَ لَذَلِكَ الْخ » . (٣) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصْلِ : « وَأَنْتَ أَعْلَمُ  
وَلَا تَعْرِضْ لَهُ » . (٤) زِيَادَةٌ عَنِ الْأَغَانِي . (٥) كَذَا بِالْأَغَانِي ، وَفِي الْأَصْلِ : « جَوَارِحًا » .

فكأنما تلك الوجوه أهله \* أقرن بين العشر والعشرين  
وكأنهن إذا نهضن لحاجة \* ينهضن بالعقدات من يثرينا  
وأشعاره في هذا النوع كثيرة .

روى عن الأصمعي قال : دخلت أنا وإسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما على  
الرشيد فرأيناه لقس النفس<sup>(١)</sup> ، فأنشده إسحاق :

وأمره بالبخل قلت لها أقصري \* فذلك شيء ما إليه سبيل  
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى \* بخيلا له حتى الممات خليل  
وإني رأيت البخل يزرى بأهله \* فأكرمت نفسي أن يقال بخيل  
ومن خير حالات التي لو علمته \* إذا نال خيرا أن يكون ينيل<sup>(٢)</sup>  
فعالي فعال المكثرين تجملا \* ومالي كما قد تعلمين قليل  
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى \* ورأى أمير المؤمنين جميل<sup>(٣)</sup> !

قال : فقال الرشيد : لا تخف إن شاء الله ، ثم قال : لله در أبيات تأتينا بها ما أشد  
أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقل فصولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم . فقال له  
إسحاق : وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلام آخذ الجائزة !  
فضحك الرشيد وقال : أجعلوها مائة ألف درهم . قال الأصمعي : فعلمت يومئذ أن  
إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني .

قال أبو عبد الله بن حمدون : سأل المتوكل عن إسحاق ، فعرف أنه كُفّ وأنه بمنزله  
ببغداد ، فكتب في إحضاره . فلما دخل عليه رفعه حتى أجلسه قدام السرير وأعطاه

(١) لقست نفسه (من باب فرح) : غتت وخبتت . (٢) كذا في الأغاني وكتب الأدب .  
وفي الأصل :

ومن خير حالات الفتى قد علمته \* إذا نال خيرا أن يقال نبيل  
(٣) كذا في الأغاني : وفي الأصل : « لا كيف إن شاء الله » .

مُخَذَّة وقال : بلغني أن المعتصم دفع إليك في أول يوم جلست بين يديه مُخَذَّة ،  
وقال : إنه لا يستجلب ما عند حرّ مثل إكرامه . ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم ؛  
فأمر أن يُسَقَى . فلما شرب أقداحا قال : هاتوا لأبي محمد عُودا ؛ بخىء به فاندفع  
يغنى بشعره :

٥ ما علّة الشيخ عيناه بأربعة \* تغرورقان بدمع ثم ينسكب  
قال ابن حمدون : فما بقي غلامٌ من الغلمان الوقوف <sup>(١)</sup> [ على الخير ] إلا وجدته  
يرقص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل ؛ فأمر له بمائة ألف دينار . ثم آنحدر المتوكل  
إلى الرقة وكان يستطيها لكثرة تغريد الطير فيها ؛ فغنّاه إسحاق :

أَنْ هَتَفَتْ وَرَقَاءُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى \* على فنن غصّ النبات من الرُّندِ  
١٠ بكيت كما يبكي الوليد ولم تزل \* جليداً وأبديت الذي لم تكن تُبدى  
فضحك المتوكل ثم قال : يا إسحاق ، هذه أخت فعلتك بالوائق لما غنيتها  
بالصالحية :

طَرِبْتُ إِلَى أَصَيْبِيَّةٍ صَغَارِ \* وذُكّرني الهوى قربُ المزار <sup>(٢)</sup>  
فكم أعطاك لما أذن لك في الانصراف ؟ قال : مائة ألف دينار ؛ فأمر له  
بمائة ألف دينار وأذن له بالانصراف <sup>(٣)</sup> . وكان آخر عهده بإسحاق . توفي بعد ذلك  
بشهرين . وكانت وفاته في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين . وكان  
يسأل الله تعالى ألا يبتليه بالقولنج <sup>(٤)</sup> لما رأى من صعوبته على أبيه ، فرأى  
في منامه كأن قائلاً يقول له : قد أُجِبت دعوتك واست تموت بالقولنج ولكمك

(١) زيادة عن الأغاني . والخير : اسم قصر بسر من رأى بناء المتوكل ونفق على عمارته أربعة

٢٠ آلاف ألف درهم . (٢) في الأغاني : ” درهم “ .

(٣) عبارة الأغاني : « وأذن له بالانصراف إلى بغداد . وكان هذا آخر عهدنا به لأن إسحاق الخ »

(٤) مرض يصيب المعدة يعسر معه خروج الثفل والريح .

تموت بضدّه ، فأصابه ذرّب في شهر رمضان ، فكان يتصدق في كل يوم يمكنه صومه بمائة درهم ، ثم ضعّف عن الصوم فلم يطّقه ومات في الشهر . ولما نُعي إلى المتوكل غمّه وحزن عليه وقال : ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته . رحمه الله تعالى .

### ذكر أخبار علّويه

هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيف . وجدّه سيف من الصّغْد الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عفّان وأسترق منهم جماعة اختصهم لخدمته وأعتق بعضهم ولم يُعتق الباقين فقتلوه . قال أبو الفرج الأصفهاني : وكان عليّ هذا مغنياً حاذقاً ، ومؤدّياً مُحسّناً ، وصانعاً متقناً ، وضاراً بامتناد ، مع خفة رُوح وطيب مجالسة وملاحة نوادر . وكان إبراهيم الموصليّ عالمه وخرجه وعُنَى بتحذيقه جدّاً ، فبرع وغنى لمحمد الأمين وعاش إلى أيام المتوكل ومات بعد إسحاق الموصليّ بيسير . وكان سبب وفاته أنه خرج عليه جربٌ ، فشكاه إلى يحيى بن ما سويه ، فبعث إليه بدواء مُسهلٍ وطلاء ، فشرب الطلاء وأطلى بالدواء ، فقتله ذلك . قال : وكان علّويه أعسر ، فكان عوده مقلوب الأوتار : البَم أسفل الأوتار كلها ثم المثلث فوقه ثم المثني ثم الزير ؛ فكان عوده إذا كان في يد غيره يكون مقلوباً ، وإذا أخذه كان في يده اليمنى وضرب باليسرى فيكون مستوياً . وكان إسحاق يتعصب له في أكثر أوقاته على مُحَارِق . وقال حماد ابن إسحاق : قلت لأبي : أيّما أفضل عندك مُحَارِق أم علّويه<sup>(١)</sup> ؟ فقال : يا بنيّ ، علّويه أعرقهما فهماً بما يخرج من رأسه ، وأعلمهما بما يغنيه ويؤدّيه ، ولو خُيرت بينهما من يطارح جوارى<sup>(٢)</sup> ، أو شاورني من يستنصحنني لما أشرت إلا بعلّويه ؛ لأنه يؤدّي

٢٠ (١) في الأصل : « أر » . (٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « خيرني » .

(١) [و] إذا صنع شيئاً صنعه صنعةً مُحْكَمَةً ، ومُخَارِقَ اِتِّمَكنَهُ من حَلَقِهِ وكَثْرَةَ نَغَمِهِ لا يُقْنَعُ بالأخذ منه ، لأنه لا يؤدي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنيه مرتين غناءً واحداً لكثرة زوائده فيه ، ولكنهما إذا اجتمعا عند خليفة أو سُوقَةٍ غلب مُخَارِقُ على المجلس والجائزة بطيب صوته وكثرة نغمه .

وقال أبو عبد الله بن حمدون : حدثني أبي قال : اجتمعت مع إسحاق يوماً في بعض دُور بني هاشم ، وحضر علويه فغنى أصواتاً ثم غنى من صناعته :  
وَنَبَّئْتُ لَيْلَى أَرْسَلْتُ بِشَفَاعَةٍ \* إِلَى فَهَلَا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا !

فقال له إسحاق : أحسنت أحسنت والله يا أبا الحسن ! أحسنت ما شئت ! فقام علويه من مجلسه فقبل رأس إسحاق وعينه وجلس بين يديه وسرّ بقوله سروراً كثيراً ،

ثم قال : أنت سيدى وأبن سيدى [وأستاذى] وأبن أستاذى ، ولى إليك حاجة .  
قال : قل ، فوالله إنى أبلغ فيها ما تُحب . قال : أيماً أفضّل أنا عندك أم مُخَارِقُ ؟  
فإنى أحب أن أسمع منك فى هذا المعنى قولاً يُؤَثِّرُ ويحكىه عنك من حضر ، فشرّفتى به .  
فقال إسحاق : ما منكما إلا مُحْسِنٌ مُجَلِّ ، فلا تُرد أن يجرى فى هذا شىء . قال : سألتك بحقّ عليك وبترّبة أبيك وبكل حقّ تُعْظِمُهُ إلا حكمت ! فقال : ويحك ! والله لو كنت أستجيز أن أقول غير الحق لقلته فيما تحب ، فأما إذ أبيت إلا ذكر ما عندى ، فلو خيّرت أنا من يطارح جوارى وَيُغَنِّينى لما اخترت غيرك ، ولكنكما إذا غنيتما بين يدى خليفة أو أمير غلبك على إطرابه وأستبدّ عليك بمجائزته . فغضب علويه وقام وقال : أوف من رضاك وغضبك !

وكان الواثق بالله يقول : علويه أصحّ الناس صنعة بعد إسحاق ، وأطيب الناس

صوتاً بعد مُخَارِقُ ، وأضربُ الناس بعد زَلْزَل وملاحظ ، فهو مُصَلِّ كلّ سابق نادر

(١) زيادة نراها لازمة . (٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : "وصلى" . (٣) زيادة من الأغاني .

وثاني كل أول، وأصل كل متقدم . وكان يقول : [غناء] <sup>(١)</sup> علويه مثل نقر الطست  
يبقى ساعة في السمع بعد سكوته .

وقال عبد الله بن طاهر: لو آقتصرت على رجل واحد يغنيني لما آخترت سوى  
علويه ؛ لأنه إن حدثني ألهاني ، وإن غناني أشجاني ، وإن رجعت إلى رأيه كفاني .  
وقال محمد بن عبد الله بن مالك : كان علويه يغني بين يدي الأمين ، فغني في بعض  
غنائيه :

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ \* وَشَفْتَ أَنْفُسَنَا مَا تَجِدُ

وكان الفضل بن الربيع يضطغن عليه شيئا ، فقال للأدين : إنما يعترض بك  
ويستبطئ المأمون في محاربتك إياك ، فأمر به فُضِرَ بنمسين سوطا وجُرَّ برجله حتى  
أُخْرِجَ ، وجفاه مدة ؛ حتى سأل كوثرا أن يترضا له فترضا له ورده إلى الخدمة وأمر  
له بنخسة آلاف درهم <sup>(٢)</sup> . فلما قدم المأمون تقرب إليه بذلك فلم يقع له بحيث يحب ،  
وقال : إن الملك بمنزلة الأسد أو النار فلا تتعرض لما يُغضبه ، فإنه ربما جرى منه  
ما يُتلفك ثم لا يُقدِر بعد ذلك على تلافى ما فرط منه ؛ ثم قُرب من المأمون بعد ذلك .

قال علويه : أمرنا المأمون أن نباكره لنصطبج ، فلقيني عبد الله بن إسماعيل المراكبي  
مولى عريب فقال : أيها الظالم المعتدي ، أما ترحم ولا ترق ! عريب هائمة من الشوق  
إليك تدعو الله وتستحكه عليك وتحلم بك في نومها في كل ليلة ثلاث مرات . قال  
[علويه : فقلت أم الخلافة زانية] ومضيت معه . فحين دخلت قلت : أستوثق من  
الباب فإني أعرف الناس بفضول الحجاب ؛ وإذا عريب جالسة على كرسي تطبخ  
ثلاث قدور من دجاج . فلما رأته قامت فعانقتني وقبلتني وقالت : أي شيء تشتهي ؟

٢٠ (١) زيادة عن الأغاني . (٢) في الأغاني : « دينار » .

فقلت : قَدْرًا من هذه القدور؛ فأفرغت قَدْرًا بيني وبينها فأكلنا ، ودعت بالنبيذ  
فصبّت رطلا فشربت نصفه وسقتني نصفه؛ فما زلتُ أشرب حتى كدت أن أسكر.  
ثم قالت : يا أبا الحسن ، غنيتُ البارحة في شعر لأبي العتاهية أعجبنى ، أفتسمعه<sup>(١)</sup>  
وتُصلحه ؟ فغنت :

- عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ \* صَفَا لِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طَوْعَ يَدِيهِ  
وَأَنَّى لِمُشْتَاقٍّ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ \* يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ  
فصيرناه مجلسنا . وقالت : قد بقي فيه شيء ؛ فلم أزل أنا وهي حتى أصلحناه .  
ثم قالت : أَحَبُّ أَنْ تَغْنَى أَنْتِ أَيْضًا فِيهِ لِحْنًا ففعلتُ ، وجعلنا نشرب على اللحنين<sup>(٢)</sup>  
ثلاثًا . ثم جاء المُجْتَابُ فكسروا الباب وأستخرجوني ، فدخلت على المأمون فأقبلت  
أرقص من أقصى الإيوان وأُصْفِقَ وَأُغْنِيَ بالصوت ؛ فسمع المأمون والمغنّون ما لم  
يعرفوه فاستطرفوه ، وقال المأمون : آدُنْ يَا عَلُوِيَّه وَرَدِّدْهُ ، فردّدت عليه سبع مرات .  
فقال لي في آخرها عند قولي : ” يروق ويصفو إن كدرت عليه “ : يا علويّه خذ  
الخلافة وأعطني هذا الصاحب .

- وقال علويّه : قال إبراهيم الموصليّ يوما : إني قد صنعت صوتا وما سمعه مني  
أحد بعدُ ، وقد أحببت أن أنفعلك به وأرفع منك بأن ألقيه عليك وأهبه لك ، ووالله  
ما فعلت هذا بإسحاق قط ، وقد خصصتُك به ، فأنتحلّه وآدعه ، فلست أنسبه إلى  
نفسى ، وستكسب به مالا . فألقى على :

- إِذَا كَانَ لِي شَيْئَانِ يَا أُمَّ مَالِكٍ \* فَإِنَّ لِحَارِي مِنْهُمَا مَا تَخِيرَا  
فأخذته عنه وآدعته ، وسترته طول أيام الرشيد خوفا من أن أتهم فيه وطول  
أيام الأمين ، حتى حدث عليه ما حدث وقدم المأمون من نخراسان ، وكان يخرج

(١) كذا بالأغاني ؛ وليس في الأصل همزة الاستفهام . (٢) في الأغاني : « ملأ » .



إلى الشَّماسِيَّة فيَتَزَّه، فركبت يوما في زُلَّالِي<sup>(١)</sup> وجئت أتبعه، فرأيت حَرَّاقَةَ عليّ بن هشام، فقلت للملاح: أطرَح زُلَّالِي على الحَرَّاقَةِ ففعل، وأستؤذن لي فدخلت وهو يشرب مع الجوارى، وما كانوا يحبون جوارِيهم، فغنيته الصوت فاستحسنه جدًا وطرب عليه، وقال: لمن هذا؟ فقلت: هذا صوت صنعته وأهديته لك ولم يسمعه أحد قبلك، فأزداد به عجبًا وطربًا، وقال للجارية: خُذِيه عنه، فألقيته عليها حتى أخذته، فسُرَّ بذلك وطرب، وقال لي: ما أجَد لك مكافأة على هذه الهدية إلا أن أتحوّل عن هذه الحَرَّاقَةِ بما فيها وأسلمه إليك، فتحوّل إلى أخرى وسلّمت لي بنحزانتها وجميع آلاتها وكل شيء فيها، فبعت ذلك بمائة ألف وخمسين ألف درهم، وأشترت ضيعتي الصالحية.

وقال علّويه: خرج المأمون يوما ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رُقعة بخطه وهي:

خرجتُ إلى صيد الظِّباء فصادني \* هناك غزالٌ أدعج العينُ أحورُ  
غزالٌ كأنَّ البدرَ حلَّ جبينه \* وفي خده الشَّعْرَى المنيرة تَزهَرُ  
فصاد فؤادى إذ رماني بسهمه \* وسهم غزالِ الإنس طرفٌ ومُحَجَّرُ  
فيا من رأى ظبيًا يصيد، ومن رأى \* أخا قَنَصٍ يُصطادُ قهراً ويُقَسَّرُ

قال: فغنيته فأمر لي بعشرين ألف درهم<sup>(٢)</sup>.

### ذكر أخبار معبد اليقطيني

قال أبو الفرج: كان معبد هذا غلاما مولدا من مولدى المدينة، أخذ الغناء عن جماعة من أهلها، واشتراه بعض ولد عليّ بن يقطين. وأخذ الغناء بالعراق عن إسحاق وأبن جامع وطبقتهما، وخدم الرشيد ولم يخدم غيره من الخلفاء، ومات في أيامه.

(١) زلال (على وزن غراب مضاف الى ياء المتكلم) : ضرب من سفن دجلة كالحرّاقة والطيار.

(٢) فى الأغاني : « عشرة آلاف » .

وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة . وروى أبو الفرج الأصفهاني حكاية عنه أحببت أن أذكرها في هذا الموضع ، وهي ما رواه بسنده إلى محمد بن عبد الله بن مالك الخزازي ، قال حدثني معبد الصغير المغني مولى علي بن يقطين قال : كنت منقطعا إلى البرامكة أحدثهم وألزمهم . فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذ أتاني آت فدق بابي ، فخرج غلامي ثم رجع إلي فقال لي : على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك ؛ فأذنت له ، فدخل شاب ما رأيت أحسن وجهاً منه ولا أنظف ثوباً ولا أجمل زياً منه من رجل دَنيف عليه آثار السقم <sup>(١)</sup> [ظاهرة] . فقال لي : إني أحاول لقاءك منذ مدة ولا أجد إلى ذلك سبيلاً ، وإن لي حاجة . فقلت : وما هي ؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي فقال : أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحنا تغنني به . فقلت : هاتهما ، فأنشدني :

والله يا طرْفِي الجاني على بدني \* لتُطْفِنَ بدمعي لوعة الحزن  
أولاً بوحنٍ حتى يحجبوا سَكَنِي \* فلا أراه وقد أُدْرِجْتُ في كَفَنِي <sup>(٢)</sup>

قال : فصنعت فيه لحناً ثم غنّيته إياه ، وأغمّي عليه حتى ظننته قد مات ، ثم أفاق فقال : أعد ، فديتُك ! فناشدته الله في نفسه وقلت : أخشى أن تموت ؛ فقال : هيات ! أنا أشقى من ذلك . وما زال يخضع لي ويتضرّع حتى أعدته ، فصعق صعقة أشد من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد فاضت . فلما أفاق رددت عليه الدنانير فوضعها بين يديه ، وقلت : يا هذا ، خذ دنانيرك وأنصرف عني ، قد قضيت حاجتك وبلغت وطراً مما أردته ، ولست أحب أن أشرك في دمك . فقال : [ يا ] هذا ، لا حاجة لي في الدنانير ، وهذه مثلها لك ، ثم أخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي وقال : أعد الصوت علي مرة أخرى وحلّ لك دمي ! فشهرت نفسي في الدنانير ،

(١) زيادة عن الأغاني . (٢) كذا في الأغاني ، وفي الأصل : « أولاتوجن » ولا معنى له .

وقلت : لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط . قال : وما هي ؟ قلت :  
أولاهن أن تقيم عندي وتتحرم بطعامي . والثانية أن تشرب أقداحا من النبيذ <sup>(١)</sup> تطبب  
قلبك وتسكن ما بك . والثالثة أن تحدثنى بقصصتك . قال : أفعل ما تريد . فأخذت الدنانير  
ودعوتُ يطعائم فأصاب منه إصابة مُعَدَّر ، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحا ، وغنيته  
بشعر غيره في معناه وهو يشرب ويبكى ، ثم قال : الشرط أعزك الله ! فغنيته صوته  
بفعل يبكى أحرَّ بكاءٍ وينشج أشدَّ نشيج وينتحب . فلما رأيت ما به قد خفَّ عما  
كان يلحقه ورأيت النبيذ قد شدَّ قلبه ، كررت عليه صوته مرارا . ثم قلت : حدثنى  
حديثك ، فقال : أنا رجل من أهل المدينة خرجت متزها في ظاهرها وقد سال العقيق  
في فتية من أقراني وأخذاني ، فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسن  
حجرة <sup>(٢)</sup> منا ، وبصرت منهن بفتاة كأنها قضيب قد طله الندى ، تنظر بعينين ما آرتد  
طرفهما إلا بنفس من يلاحظهما . فأطلنا وأطلن حتى تفرق الناس ، وأنصرفن  
وأنصرفنا وقد أبقيت بقلبي جرحا بطيئا أندماله ، فعدت إلى منزلي وأنا وقيد ، وخرجت  
من الغد إلى العقيق وليس به أحد فلم أر لها ولا لصواحبها أثرا ، ثم جعلت أتبعها  
في طرق المدينة وأسواقها ، وكانت الأرض أضمرت فلم أحس لها بعين ولا أثر ، وسقيمت  
حتى آيس منى أهلي . وخلت بي ظئري فاستعلمتني حالي وضمنت لي كتمانها والسعي  
فيما أحبه منها ، فأخبرتها بقصتي ، فقالت : لا بأس عليك ، هذه أيام الربيع وهي سنة  
خصب وأنواء وليس يبعد عنك المطر ، ثم هذا العقيق فتخرج حينئذ وأخرج معك  
فإن النسوة سيجئن ، فإذا فعلن ورأيتها أتبعها حتى أعرف موضعها ثم أصل بينك  
وبينها وأسعى لك في تزويجها . فكأن نفسي آطمأنت إلى ذلك ووثقت به وسكنت  
إليه ، ففقيت وطمعت وتراجعت إلى نفسي . وجاء مطر بعقب ذلك وسال العقيق

(٧)

(١) في الأغاني : « تشد » . (٢) ناحية . (٣) كذا بالأغاني . وفي الأصل : « طريق المدينة » .

ونخرج الناس وخرجت مع إخواني إليه ، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه ، فما كنا والنسوة إلا كفرنسي رهان ، فأومأت إلى ظئري فجلست ، وأقبلت على إخواني فقلت : لقد أحسن القائل :

رمتني بسهم أقصد القلب وأنثت \* وقد غادرت جرحاً به وندوبا

فأقبلت على صواحباتها وقالت : أحسن والله القائل ، وأحسن من أجابه حيث يقول :

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا \* نرى فرجاً يشفي السقام قريباً

- فسكتت عن الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها ، وعرفت ما أرادت . ثم تفرق الناس وأنصرفنا ، وتبعته ظئري حتى عرفت منزلها ، وصارت إلى فأخذت بيدي ومضينا إليها ، فلم نزل نتلطف حتى وصلت إليها ، فتلاقينا وتزاورنا على حال مخالسة ومراقبة ، حتى شاع حديثي وحديثها وظهر ما بيني وبينها ، فحجبها أهلها وسدوا أبوابها ، فما زلت أجهد في لقاءها فلا أقدر عليه ، وشكوت ذلك إلى أبي لشدة ما نالني وسألته خطبتها لي . فمضى أبي ومشيخة أهلي إلى أبيها فخطبوها ، فقال : لو كان بدأ بهذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأضعفته بما آلتس ، ولكنه قد فضحها فلم أكن لأحقق قول الناس فيها بتزويجه إياها ، فأنصرفت على يأس منها ومن نفسي .
- قال معبد : فسألته أن ينزل بجواري ، وصارت بيننا عشرة . ثم جلس جعفر بن يحيى ليشرب فأتيته ، فكان أول صوت غنيته صوتي في شعر الفتى ، فشرب وطرب عليه طرباً شديداً ، وقال : ويحك ! إن لهذا الصوت حديثاً فما هو ؟ فحدثته ، فأمر بإحضار الفتى فأحضر من وقته ، وأستعاده الحديث فأعاده ، فقال : هي في ذمتي حتى أزوجه إياها ، فطابت نفسه وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح ، وغدا جعفر إلى الرشيد فحدثه الحديث ، فعجب منه وأمر بإحضارنا جميعاً فأحضرنا ، وأمر بأن أغنيته الصوت

فغنيته إياه وشرب عليه وسمع حديث الفتي؛ فأمر من وقته بكتاب إلى عامل الحجاز  
بإشخاص الرجل وأبنته وجميع أهله إلى حضرته؛ فلم تمض إلا مسافة الطريق حتى  
أحضروا. فأمر الرشيد بإحضار أبي الجارية إليه فأحضر، وخطب إليه الجارية للفتى  
وأقسم عليه ألا يخالف أمره؛ فأجابه وزوجها إياه؛ وحمل الرشيد إليه ألف دينار  
لجهازها وألف دينار لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألف دينار ولى بألف دينار، وأمر  
جعفر لي وللفتي بألف دينار. وكان المديني بعد ذلك من ندماء جعفر بن يحيى.

### ذكر أخبار محمد الرف

هو محمد بن عمرو مولى بنى تميم، كوفي المولد والمنشأ. والرف لقب غلب عليه.  
وكان مغنيا ضاربا صالح الصنعة مليح النادرة. وكان أسرع خلق الله أخذا للغناء  
وأصحهم أداء له وأذكاهم. وكان إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثا أداه لا يكون بينه  
وبين من أخذه عنه فرق فيه. وكان متمصبا على ابن جامع مائلا إلى إبراهيم الموصلي  
وأبنة إسحاق، وكانا يرفعان منه ويقدمانه ويأخذان له الصلات من الخلفاء. وكانت  
فيه عريضة إذا سكر. فعربد بحضرة الرشيد مرة، فأمر بإخراجه ومنعه من الدخول  
إليه وجفاه وتناساه. قال أبو الفرج: وأحسبه مات في خلافة الأمين.  
ومن أخباره في جودة الأخذ وسرعة الحفظ ما رواه حماد بن إسحاق عن أبيه قال:  
غنى ابن جامع يوما بحضرة الرشيد:

جَسُورٌ عَلَى هَجْرَى جَبَانٌ عَنِ الْوَصْلِ \* كَذُوبٌ عِدَاتٍ يُتْبِعُ الْوَعْدَ بِالْمَطْلِ  
مُقَدِّمٌ رِجْلٍ فِي الْوَصَالِ مُؤَخَّرٌ \* لِأُخْرَى يَشُوبُ الْجَدَّ فِي ذَاكَ بِالْهَزْلِ

(١) ورد في أكثر أصول الأغاني المخطوطة والمطبوعة «الرف» بالراء المهملة، وورد في بعض المواضع

من أصول الأغاني «الزف» بالزاي المعجمة.

يَهْمُ بِنَا حَتَّى إِذَا قُلْتَ قَدْ دَنَا \* وَجَازِبْنِي عِطْفَاهُ مَالٌ إِلَى الْبُخْلِ  
يَزِيدُ آمْتِنَاعًا كَلِمًا زِدْتُ صَبُوءَ \* وَأَزْدَادَ حِرْصًا كَلِمًا ضَنْقًا بِالْبَذْلِ

فأحسن فيه ما شاء وأجمل ، فغمزت عليه محمد الرف وفطن لما أردت ،  
وآستحسنه الرشيد وشرب عليه وآستعاده مرتين أو ثلاثا . ثم قمت إلى الصلاة  
وغمزت الرف بخاءني ، وأومأت إلى مُحَارِقٍ وعلويه وعقيد بخاءوني ؛ فأمرته بإعادة  
الصوت فأعاده وأداه كأنه لم يزل يرويه ؛ ولم يزل يكرره على الجماعة حتى غنوه . ثم  
عدت إلى المجلس ؛ فلما انتهى الدور إلى آبتدأت فغنيتها قبل كل شيء غنيته . فنظر  
إلى ابن جامع محددا طرفه ؛ وأقبل على الرشيد وقال : أكنت تروى هذا الصوت ؟  
قلت : نعم ياسيدي . فقال ابن جامع : كذب والله ما أخذه إلا مني الساعة .  
فقلت : هذا صوت أرويه قديما ، وما فيمن حضر [أحد] <sup>(١)</sup> إلا وقد أخذه مني . وأقبلت  
عليهم فقلت لهم : غنوه ؛ فغنّاه علويه ثم عقيد ثم مُحَارِق . فوثب ابن جامع بفلس  
بين يديه فخلف بحياته وبطلاق أمراته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال وما سُمِعَ به  
قبل ذلك الوقت . فأقبل الرشيد على وقال : بحياتي آصدقني عن القصة ، فصداقته ،  
بجعل يضحك ويصفق ويقول : لكل شيء آفة ، وآفة ابن جامع الرف .

قال إسحاق بن إبراهيم : كان محمد الرف أروى خلق الله تعالى للغناء وأسرعهم  
أخذًا لما سمعه ، ليست عليه في ذلك كلفة ، إنما يسمع الصوت مرة واحدة وقد أخذه .  
وكنا معه في بلاء إذا حضر ، فكان كل من غنى منا صوتا فسأله عدوله أو صديق بأن  
يلقيه عليه فيبخل ومنعه إياه وسأل محمد الرف أن يأخذه فما هو إلا أن يسمعه مرة  
واحدة حتى أخذه وألقاه على من سأله . قال : وكان أبي يُبرّه ويصله ويُجديه من

(١) زيادة من الأغاني .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « وكل من غنى الخ » .

كل جائزة وفائدة تصل إليه . وكان محمد الرفّ مُغَرِّى بآبن جامع خاصّة من بين المغنّين لبخله ، وكان لا يفتح آبن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه وصغى بسمعه إليه حتى يحكيه . وكان في آبن جامع بخلٌ شديد لا يقدر معه على أن يُسَعِّفه بِرّ ورفد . وساق نحو ما تقدّم إلا أنه قال : إن الرفّ أخذ الصوت لأوّل مرة وألقاه على إسحاق فأخذه عنه في ثلاث مرار . قال حماد : وللفّ صنعة يسيرة ، وذكر منها أصواتا .

### ذكر أخبار محمد بن الأشعث

قال أبو الفرج : كان محمد بن الأشعث القرشيّ ثم الزهريّ كاتباً ، وكان من فتيان أهل الكوفة وظرفائهم ، وكان يقول الشعر ويغنى فيه . فمن ذلك قوله في سلامة زرقاء ابن رامين :

أَمْسَى لِسَلَامَةِ الزَّرْقَاءِ فِي كَيْدِي \* صَدْعٌ يُقِيمُ طَوَالَ الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ  
لَا يَسْتَطِيعُ صَنَاعُ الْقَوْمِ يَشْعَبُهُ \* وَكَيْفَ يُشْعَبُ صَدْعُ الْحَبِّ فِي الْكَيْدِ  
إِلَّا بَوَصَلَ التِّي مِنْ حَبِّهَا أَنْصَدَعَتْ \* تِلْكَ الصَّدُوعُ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْكَدِّ

وكان ملازماً لابن رامين وبلاريته سلامة الزرقاء ، فشهر بذلك ، فلامه قومه في فعله فلم يحفل بمقاتلهم ، وطال ذلك منه ومنهم ، حتى رأى بعض ما يكره في منزل ابن رامين ، فمال الى سحيفة جارية زريق ابن منيح مولى عيسى بن موسى ، وكان زريق شيخاً كريماً نبيلاً ، يجتمع إليه أشراف أهل الكوفة من كل حيّ ، وكان الغالب على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد الغفار العجليّ كغلبة محمد بن الأشعث على منزل ابن رامين ، فتلازما على ملازمة زريق . وفي ذلك يقول محمد بن الأشعث :

(٩)

- يَا بْنَ رَامِينَ بَحْتُ بِالتَّصْرِيحِ \* فِي هَوَايَ سَحِيقَةَ ابْنِ مَنِيجِ  
 قِينَةُ عَقَّةٌ وَمَوْلَى كَرِيمٍ \* وَنَدِيمٌ مِنَ اللُّبَابِ الصَّرِيحِ  
 رَبِيعِي مُهَذَّبٌ أَرْيَحِي \* يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِالْفَعَالِ الرَّبِيعِ  
 نَحْنُ مِنْهُ فِي كُلِّ مَا تَشْتَهِي الْأَنْدُ \* نَفْسٌ مِنْ لَذَّةٍ وَعَيْشٍ نَجِيجِ  
 عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ هَاشِمٍ فِي ذُرَاهَا \* وَغِنَاءٍ مِنَ الْغَزَالِ الْمَلِيجِ  
 فِي سُرُورٍ وَفِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ \* قَدْ أَمِنَّا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ قَبِيجِ  
 فَاسْأَلْ عَنَّا كَمَا سَأَلُونَاكَ إِنِّي \* غَيْرُ سَالٍ عَنْ ذَاتِ نَفْسِي وَرُوحِي  
 حَافِظٌ مِنْكَ كُلِّ مَا كُنْتَ قَدْ ضَرَيْتَ \* مِمَّا عَصَيْتُ فِيهِ نَصِيحِي  
 فَالْقَلِيلُ مَا حَيَّيْتُ مَنِي لَكَ الْدَهْدُ \* رَبَّ بَوْدٍ لَمُنِيَّتِي مَمْنُوحِ  
 يَا بْنَ رَامِينَ فَالْزَمَنَّ مَسْجِدَ الْحَيِّ \* بِطُولِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ

قال عمر بن نوفل وهو راوى هذه الأبيات : فلم يدع ابن رامين شريفا بالكوفة إلا تتحمل به على ابن الأشعث وهو يأبى أن يرضى عنه وأن يعاود زيارته ، حتى تتحمل عليه بالمجحواني ، وهو محمد بن بشر بن بخوان الأسدي وكان يومئذ على الكوفة ، فكلّمه فريضى عنه وعاد إلى زيارته ، ولم يقطع منزل زريق . وقال في سحيفة :

- سَحِيقَةُ أَنْتِ وَاحِدَةُ الْقِيَانِ \* فَمَا لَكَ مُشَبِّهٌ فِيهِنَّ ثَانِي  
 فَضَلَّتْ عَلَى الْقِيَانِ بِفَضْلِ حَذْقٍ \* فَخُزْتُ عَلَى الْمَدَى قَصَبَ الرَّهَانِ  
 سَجَدَنْ لَكَ الْقِيَانُ مُكْفَرَاتٍ \* كَمَا سَجَدَ الْمَجُوسُ لِمِرْزُبَانَ  
 وَلَا سِمَاءَ إِذَا غَنَّتْ بِصَوْتٍ \* وَحَرَكَتِ الْمَثَالِثُ وَالْمَثَانِي  
 شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى خَلْتُ أَنِي \* أَبُو قَابُوسَ أَوْ عَبْدُ الْمَدَّانِ  
 فَأَعْمَالُ الْيَسَارِ عَلَى الْمَلَاوِي \* وَمَنْ يَمْنَاكَ تَرْجُمَةُ الْبَيَانِ



ولمحمد بن الأشعث أصوات له فيها غناء . منها :  
 رَحُبْتُ بِلَادُكَ يَا أُمَامَةً \* وَسَلِمْتُ مَا سَجَعَتْ حَمَامَةً  
 وَسَقَى دِيَارِكَ كَلْمًا \* حَنَنْتُ إِلَى السُّقْيَا غَمَامَةً  
 إِنِّي وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي \* شَفِيقٌ أُحِبُّ لَكَ الْكَرَامَةَ  
 وَأَرَى أُمُورَكَ طَاعَةً \* مَفْرُوضَةٌ حَتَّى الْقِيَامَةِ  
 وله غير ذلك من الأصوات .

### ذكر أخبار عمرو بن بانه

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثقيف .  
 وكان أبوه صاحب ديوان ووجهها من وجوه الكتاب ، ونُسِبَ إلى أمه . وكان مغنياً  
 محسناً ، وشاعراً صالح الشعر ، وصنعتة صنعة متوسطة ، وكان مرتجلاً . قال : وكتابه  
 في الأغاني أصل من الأصول . وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدي في الغناء ،  
 ويخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصباً شديداً ويواجهه بنفسه . وهو معدود  
 في ندماء الخلفاء ومغنيهم ، على ما كان به من الوضوح . وفيه يقول الشاعر :

أَقُولُ لِعَمْرٍو وَقَدْ مَرَّ بِي \* فَسَلِّمْ تَسْلِيمَةً جَافِيَةً  
 لَنْ فَضَّلْتُكَ بِفَضْلِ الْغِنَا \* إِنْ فَقَدَ فَضْلَ اللَّهِ بِالْعَافِيَةِ

وقال أحمد بن حمدون : كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ عنه الغناء ، حتى كان  
 من يسمعه لو توارى عن عينه [ عمرو ] لم يشك في أنه هو الذي أخذ عنه ، لحسن  
 حكايته . وكان محظوظاً ممن يعلمه ، ما علم أحداً قط إلا نخرج نادراً مبرزاً . وله  
 أخبار مع الخلفاء وإنعام منهم عليه ، منهم المتوكل على الله . رحمه الله .

(١) في الأغاني : "سفه" . (٢) زيادة عن الأغاني .

## ذكر أخبار عبد الله بن العباس الربيعي

هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع . والربيع ، على ما يدّعيه أهله ، ابن يونس بن أبي فروة . وآل أبي فروة يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط وجد منبوذاً كفله يونس ، فلما خدّم المنصور آدعى إليه . قال أبو الفرج الأصفهاني : وكان شاعراً مطبوعاً ومغنياً مُحسناً جيّد الصنعة نادرها . قال : وهو أول مَنْ غنّى بالكنكة في الإسلام .

- وكان سبب دخوله في الغناء على ما رواه أبو الفرج بسنده إليه قال : كان سبب دخولي في الغناء وتعلّمي إياه أنّي كنت أهوى جاريةً لعمّتي رُقَيّة بنت الفضل ابن الربيع ، وكنت لا أقدر على مُلازمتها والجلوس معها خوفاً من أن يظهر ما لها عندي ، فيكون ذلك سبباً مني منها ، فأظهرت لعمّتي أنّي أشتي أن أتعلّم الغناء ويكون ذلك في سِتْرِ عن جدّي — وكان جدّي وعمّتي على حال من الرقة على والمحبة لي لا نهاية وراءها ، لأنّ أبي تُوفّي في حياة جدّي الفضل — فقالت : يا بُنّي ، وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شهوةٌ غلبت على قلبي ، إن مُنعتُ منها مُتُّ غمّاً — قال : وكان لي في الغناء طبع قويّ — فقالت لي : أنت أعلم وما تختاره ، والله ما أحبّ منعك من شيء ، وإنّي كارهةٌ أن تحذق في ذلك وتشتهر فتسقط ويفتضح أبوك وجدك . فقلت : لا تخاف من ذلك ، فإنما آخذ منه مقدار ما ألهو به . ولازمت الجارية لمحبتى إياها بعلّة الغناء ، فكنتُ آخذ عنها وعن صواحباتها حتى تقدّمت الجماعة حذقاً وأقزّت لي بذلك ، وبلغت ما كنت أريد من الجارية ، وصرت أألزم مجلس جدّي . ثم لم يكن يمرّ لإسحاق ولا لابن جامع ولا للزبير بن دحمان ولا لغيرهم صوت إلا أخذته ، وكنت سريع الأخذ ، إنما كنت أسمع مرتين أو ثلاثاً

وقد صحّ لي . وأحسست في نفسي قوّة في الصنّاعة ، فصنعت أوّل صوت صنّعت  
في شعر العرجى :

أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها \* وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً  
ثم صنّعت :

أقفر من بعد خلّة شرف \* فالمنحنى فالعقيق فالجرف

وعرضتهما على الجارية التي كنت أهواها وسألتهما عما عندها فيهما ، فقالت :  
لا يجوز أن يكون في الصنّعة فوق هذا . وكان جوارى الحارث بن بسخر وجوارى  
أبيه يدخان إلى دارنا فيطرحن على جوارى عمّتي وجوارى جدّي ويأخذن أيضاً  
ماليس عندهن ، فأخذنهما منّي ، وسألن الجارية عنهما فأخبرتني أنهما من صنّعتي .  
ثم أشتهرا حتى غنى الرشيد بهما يوماً فاستظرفهما ، وسأل إسحاق : هل تعرفهما ؟

فقال : لا ، ولأنهما لمن أحسن الصنّعة وجيّدتها ومثّقنها . ثم سأل الجارية عنهما  
فوقفت خوفاً من عمّتي وحذراً أن يبلغ جدّي أنها ذكرتني ، فأتهرها الرشيد فأخبرته  
القصة ، فوجه من وقته فدعا بجدّي فقال له : يا فضل ، أياك أن يكون لك ابن يغني ثم يبلغ  
في الغناء المبلغ الذي يمكنه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق وسائر المغنين

ويتداولهما جوارى القيان فلا تعلمني بذلك ، كأنك رفعت قدره عن خدمتي في هذا  
الشان ! فقال له جدّي : وحقّ ولائك يا أمير المؤمنين ونعمتك وإلا فأنا برئ من  
بيعتك وعلى العهد والميثاق والعِثق والطلاق إن كنت علمت بشيء من هذا قط  
إلا منك الساعة . [فمن هذا من ولدي ؟ قال : عبد الله بن العباس هو ، فأحضرنه  
الساعة] . بخاء جدّي وهو يكاد أن ينشق غيظاً ، فدعاني ، فلما خرجت إليه شتمني

٢٠ (١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : "والبيان" . (٢) لعل العبارة : « هو عبد الله  
ابن العباس » . (٣) زيادة عن الأغاني .

- وقال : [يا كلب<sup>(١)</sup>] بلغ من أمرك أنك تجسُر على أن تتعلم الغناء بغير إذني ! ثم زاد ذلك حتى صنعت ، ولم تقنَّ بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجوارى فى دارى ، ثم تجاوزهن إلى جوارى الحارث بن بُسْخُرٍ ، فاشتهرت ، وبلغ أمير المؤمنين فتكرلى ولامنى ، وفضحت آباءك فى قبورهم وسقطت للأبد إلا من المغنِّين ! فبكيت مما جرى على وعلمت أنه صدقنى ، فرحمتنى وضمَّننى إليه وقال : قد صارت الآن مصيبتى فى أهلك مصيبتين ، إحداهما به وقد مضى وفات ، والأخرى بك وهى موصولة بحياتى ، ومصيبة باقية العار على وعلى أهلى بعدى ، وبكى وقال : عزت على يا بُنى أنى أراك أبداً ما بقيت على غير ما أحب ، وليست لى فى هذا الأمر حيلة لأنه أمر قد خرج عن يدي . وقال : جئنى بعود حتى أسمعك وأنظر كيف أنت ، فإن كنت تصلح للخدمة فى هذه الفضيحة وإلا جئت بك منفرداً وعرفته خبرك وأستغفیه لك . فأتيت بعود وغنَّيته غناءً قديماً ، فقال : لا ، بل صوتيك اللذين صنعتهما ، فغنَّيته إياهما ، فاستحسنهما وبكى ، ثم قال : بطلت والله يا بُنى وخاب أملى فيك . فواحرزنا عليك وعلى أهلك ! فقلت : ليتنى مت قبل ما أنكرته أو أخرست ! ومالى حيلة ! لكنى وحياتك يا سيِّدى — وإلا فعلى عهد الله وميثاقه والعق والطلاق وكل يمين يحلف بها [حالف<sup>(٣)</sup>] لازمة [لى<sup>(٣)</sup>] — لا غنَّيت أبداً إلا لخليفة أو ولى عهد . فقال : قد أحسنت فيما نبهت عليه من هذا . فركب وأمر بى فأحضرت ، ووقفت بين يدي الرشيد وأنا أرعد ، فأستدعانى وأستدنانى حتى صرت أقرب الجماعة إليه ، ومازحنى

(١) زيادة عن الأغاني .

(٢) فى الأغاني : مصيبته ، ولعلها : مصيبتك .

(٣) زيادة عن الأغاني .

(٤) الذى فى أساس البلاغة : « تنبهت على الأمر : تفتنت له » .

وأقبل على وسكن منى<sup>(١)</sup>، وأمر جدى بالانصراف ؛ وأوما إلى الجماعة فحدثوني  
وسقيت أقداحا<sup>(٢)</sup> وغنى المغنون جميعا ؛ وأوما إلى إسحاق بعينه أن أبدأ فغن إذا بلغت  
النوبة إليك قبل أن تؤمر بذلك ليكون ذلك أملح وأجمل بك . فلما جاءت النوبة  
إلى أخذت عودا ممن كان إلى جنبي وقمت قائما وأستأذنت في الغناء ؛ فضحك  
الرشيد وقال : غن جالسا ؛ فغنيت لحنى الأول ، فطرب وأستعاده ثلاث مرات  
وشرب عليه ثلاثة أنصاف . ثم غنيت الثانى فكانت هذه حاله ، فسكروا ودعا بمسور  
وقال : أحمل الساعة مع عبد الله عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوبا من فاخر ثيابى  
وعيبة مملوءة طيبا ، فحمل ذلك كله معى . قال عبد الله : ولم أزل كلما أراد ولى عهد  
أن يعلم من الخليفة بعد الخليفة هو أم غيره دعانى وأمرنى أن أغنى ، فأعرفه يمينى  
فيستأذن الخليفة فى ذلك ، فإن أذن لى فى الغناء علم أنه ولى عهد وإلا عرف أنه  
غيره ، حتى كان آخرهم الواصل فدعانى فى أيام المعتصم وسأله أن يأذن لى فى الغناء ،  
فأذن لى ثم دعانى من الغد فقال : ما كان غناؤك إلا سببا لظهور سرى وأسرار  
الخلفاء قبلى ! والله لقد هممت أن أمر بضرب رقبتك ! لا يبلغنى أنك آمنتعت من  
الغناء عند أحد ، فوالله لئن آمنتعت لأضربن عنقك ! فأعتق من كنت تملكه يوم  
حلفت ، وطلق من كان عندك يومئذ ، وأرحنا من يمينك هذه المشئومة . فقامت وأنا  
لا أعقل جزعا منه ؛ فأعتقت جميع ما كان بقى عندى من ممالكى الذين حلفت  
يومئذ وهم فى ملكى ثم تصدقت بجملة ، وأستفتيت فى يمينى أبا يوسف القاضى حتى  
خرجت منها ؛ وغنيت بعد ذلك إخوانى جميعا حتى أشتهر أمرى ، وبلغ المعتصم  
خبرى فتخلصت منه .

(١) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « وأقبل على الجماعة وشكر منى الخ » .

(٢) فى الأغاني : « وسقيت الجماعة وغنى الخ » .

وروى أبو الفرج أيضا عن الصُّولى عن الحسين بن يحيى قال : قلت لعبد الله  
 ابن العباس : إنه بلغنى لك خبرٌ مع الرشيد أول ما شُهرت بالغناء فحدثنى به ، فقال :  
 نعم ! أول صوت صنعته :

أَتَانِي يُؤَامِرُنِي فِي الصَّبُو \* ج لَيْلًا فَقُلْتُ لَهُ غَادِهَا

- (١) فلما دار لى وضربت عليه بالكنكلة ، عرضته على جارية<sup>(٢)</sup> لنا يقال لها راحة ،  
 فاستحسنه ، وأخذته عنى . وكانت تختلف إلى إبراهيم الموصلى ، فسمعها يوما تغنيه  
 وتناغى به جارية من جواريه ، فاستعادها إياه فأعادته ، فقال : لمن هذا الصوت ؟  
 قالت : صوت قديم . قال : كذبت ، لو كان قديما لعرفته . وما زال يداريها  
 ويتغاضب عليها حتى أعترفت له أنه من صنعتى ، فعجب من ذلك . ثم غناه يوما  
 بحضرة الرشيد ليغرب به على المغنين ، فاستحسنه الرشيد ، فقال له : لمن هذا يا إبراهيم ؟  
 فأمسك عن الجواب وخشى أن يكذبه فينمى إليه الخبر من غيره ، وخاف من جدى  
 إن يصدقه ، فقال له : مالك لا تجيبنى ؟ قال : ما يمكنى يا أمير المؤمنين . فاستراب  
 بالقصة ، فأقسم الرشيد أنه إن لم يعترفه عاقبه عقوبة تُوجعه ، وتوهم أنه لعلية بنت  
 المهدي أو لبعض حُرَمه فاستطير غضبا . فلما رأى إبراهيم الجَد منه صدقه فيما بينه  
 وبينه سرا . فدعا لوقته بالفضل بن الربيع وقال له : أيصنع ولدك غناء يرويه الناس  
 ولا تعرفنى ! فجزع وحلف بحياته وبيعته أنه ما عرف ذلك قط ولا سمع به إلا فى  
 وقته ذلك . وساق باقى الخبر نحو ما تقدم .

قال عبد الله بن العباس : دخل محمد بن عبد الملك الزيات على الواثق وأنا بين يديه  
 أغنيه وقد استعادنى صوتا فأعدته ، فاستحسنه محمد بن عبد الملك [ وقال : (٤) هذا والله

- (١) فى الأغانى : « تانى لى » . (٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « على جارة » .  
 (٣) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « تغانى » . (٤) زيادة نراها لازمة .

يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه وإصغائك إليه؛ فقال : أجل ! هذا والله مولاي وابن موالى لا يعرفون غير ذلك . فقال : ليس كل مولى يا أمير المؤمنين مولى لمواليه ، ولا كل مولى يُتَجَمَّلُ بولائه يجمع ما جمعه عبد الله من ظَرْفٍ وأدب وصحَّةِ عقل وفضل علم وجودة شعر . فقال له : صدقت يا محمد . فلما كان من الغد جثت محمد بن عبد الملك شاكرًا لحسن محضره ، فقلت فى أضعاف كلامى : وأفرط الوزير، أعزّه الله تعالى ، فى وصفى وتقريظى بكل شىء حتى وصفنى بجودة الشعر، وليس ذلك عندى ، وإنما أعبت بالبيتين والثلاثة . ولو كان عندى أيضا شىء من ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير ويحكيه فى هذا المجلس الرفيع المشهور . فقال : والله يا أنحى لو عرفت مقدار قولك :

(١٢)

يا شادناً رام لاذم \* تر فى الشَّعَانينِ قتلى<sup>(٢)</sup>

١٠

يقول لى : كيف أصبح \* مت ؟ كيف يُصبح مثلى

لما قلت هذا القول . والله لو لم يكن لك شعر فى عمرك إلا قولك : « كيف أصبح مثلى » لكنت شاعرا مجيدا . وهذا الشعر قاله عبد الله بن العباس فى نصرانية كان يهواها ولا يصل إليها إلا إذا خرجت إلى البيعة . وله معها أخبار وأشعار له فيها أصوات . منها قوله :

١٥

إن فى القلب من الظنى كلوم \* فدع اللوم فإن اللوم لوم  
حبذا يومُ الشَّعَانينِ وما \* نلتُ فيه من نعيم لو يدوم  
إن أكن أعظمتُ أن همتُ به \* فالذى تركب من عذلى عظيم  
لم أكن أقول من سنّ الهوى \* فدع العذل فذا داء قديم

(١) لعله « المشهود » .

٢٠

(٢) الشعانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع .

- وروى أبو الفرج بسنده إلى محمد بن جُبَيْر قال : كنا عند أبي عيسى بن الرشيد في زمن ربيع وعندنا مُخَارِقٌ وَعَلَوِيَّةٌ وعبد الله بن العباس الربيعي وعبد الله بن الحارث بن بُسْخَرٍ ونحن مصطبجون في طارمة مضروبة على بستانه وقد تَفَتَّحَ فيه ورد وياسمين وشقائق والسماء متغيمة غيماً مطبقاً وقد بدأت تَرُشُّ رَشًّا ساكبا ، فنحن في أكل نشاطٍ وأحسن يومٍ ، إذ خرجت قِيمة دار أبي عيسى فقالت : ياسيِّدى ، قد جاءت عَسَالِيحٌ ، قال : تخرجُ إلينا فليس بحضرتنا من تحتشمه . قال : نخرجت إلينا جارية شِكله حلوة حسنة العقل والهيئة والأدب في يدها عود فسلمت ، وأمرها أبو عيسى بالجلوس فجلست . وغنى القوم حتى آتتهى الدور إليها ، وظننا أنها لا تصنع شيئا وخفنا أن تهابنا فتَحْضُرَ ، فغنت غناءً حسنا مُطَرِّباً مُتَقَنّاً ، لم تدع أحداً ممن حضر إلا غنت صوتاً من صَنَعته فأدته على غاية الإحكام ، فطربنا وأستحسننا غناءها وخاطبناها بالاستحسان ، وألح عبد الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمزاح معها والنظر إليها . فقال أبو عيسى : عَشِيقَتُها وحياتى يا عبد الله ! فقال : لا والله ياسيِّدى وحياتك ما عَشِيقَتُها ، ولكن استلمحت كل ما شاهدته منها من منظر وشكل وعقل وعشرة وغناء . فقال له : ويحك ! فهذا والله هو العشق وسببه . ورب جد جره اللعب . قال : وشربنا ، فلما غلب النبيذ على عبد الله غنى أهزاجاً قديمة وحديثة ، وغنى فيما بينها هزجاً في شعر قاله فيها لوقته ، فما فِطِنَ له إلا أبو عيسى ، وهو :
- نَظَقَ المَكْتُومُ مَنَى فَبَدَا \* كم ترى المَكْتُومَ مَنَى لا يَصْخُ  
سَحَرُ عَيْنِكَ إِذَا مَا رَنَّاتَا \* لم يدع ذا صَبْوَةٍ أَوْ يَفْتَضِحُ  
مَلَكَتْ قَلْبًا فَا مَسَى غَلَقًا \* عندها صَبَابًا لم يَسْتَرَحْ

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل :

٢٠

ملكيت نفسى وأمسى علقا \* عندنا صبابها لم يسترح



بجمالٍ وغناءٍ حَسَنٍ \* جلَّ عن أن ينتقيه<sup>(١)</sup> المقترح  
أورث القلب هموماً ولقد \* كنتُ مسروراً بمראה فرح  
واكم مُغْتَبِقٍ همًّا وقد \* باكر اللهو بكُورِ المصْطَبِيعِ

فقال له أبو عيسى : فعلتها والله يا عبد الله ، صح والله قولي لك في عساليج وأنت  
تُكابر حتى فضحك السكر . فجحد وقال : هذا غناء كنت أرويه . فحلف أبو عيسى  
أنه ما قاله وما غناه إلا في يومه ؛ وقال له : أحلف بحياتي أن الأمر ليس هو كذلك !  
فلم يفعل . فقال أبو عيسى : والله لو كانت لي لو هبُّتها لك ، ولكنها لآل يحيى  
أبن معاذ ، والله إن باعوها لأملكك إياها ولو بكل ما أملك ! ووحياتي لتَنصِرَفَنَّ  
قبلك إلى منزلك . ثم دعا بحافظتها وخادماً من خدمه فوجه بها معهما إلى منزله .  
والتوى عبد الله قليلاً وتجلَّد ثم آنصرف . وآنصل الأمر بينهما بعد ذلك فأشترتها  
عمته رُقَيَّة بنت الفضل بن الربيع من آل يحيى بن معاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت .  
قال : وقالت بذل الكبيرة لعبد الله بن العباس : قد بلغني أنك عشقتَ جارية اسمها  
عساليج ، فأعرضها عليّ ، فإما أن عذرْتُك أو عَذَلْتُك ؛ فوجه إليها فحضرت ، وقال  
لبذل : هذه هي يا سيدي ، فأسمعي وأنظري ثم مُرِّيني بما شئتَ أطعك . فأقبلت  
عليه عساليج وقالت : يا عبد الله ، أتساور في ! فوالله ما شاورت فيك لمّا عَجِبْتُكَ .  
فقلت بذل : أحسنتِ والله يا صبيّة ! ولو لم تُحسني شيئاً و [ لا ]<sup>(٢)</sup> كانت فيك خصلة  
تُحمد لوجب أن تُعشَقَ لهذه الكلمة . ثم قالت لعبد الله : ما ضيّعت ، احتفظ  
بصاحبتك هذه .

وقال حمدون بن إسماعيل : دخلت يوماً على عبد الله بن العباس الربيعي وخادم  
له يسقيه ، وبيده عودٌ وهو يغني :

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « أن يقتنيه » . (٢) التكملة عن الأغاني .

إذا أصطبحتُ ثلثًا \* وكان عودي ندي  
والكأس تضحك<sup>(١)</sup> ضحكًا \* من كف ظبي رخم  
فما على طريق \* لطارقات الهموم  
فما رأيت أحسن مما حكى حاله في غنائه ولا سمعت أحسن مما غنى . ومن  
صنعتة وشعره قوله :

صدع البين الفؤادا \* إذ به الصائح نادى  
بينما الأحباب مجمو \* عون إذ صاروا فرآدى  
فأتى بعض بلادًا \* وأتى بعض بلادا  
كلما قلت تناهى \* حدثان<sup>(٢)</sup> الدهر زادا

### ذكر أخبار وجه القرعة

هو أبو جعفر محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور ، ويُلقَّب وجه  
القرعة ، أحد المغنِّين الحُذَّاق الضُّراب الرواة . أخذ الغناء عن إبراهيم الموصلي  
وطبقته . وكان حسن الأداء طيب الصوت لا علة فيه ، إلا أنه كان إذا غنى الهزج  
خاصة خرج لا لسبب يُعرف ، إلا أنه [إن] تعرَّض<sup>(٣)</sup> للحنين في جنس من الأجناس  
فلا يصح له البتة .

وروى أبو الفرج بسنده عن محمد الهاشمي أنه شهد إسحاق بن إبراهيم الموصلي  
عند عمه هارون بن عيسى وعنده محمد بن الحسن بن مصعب ، قال : فأتانا محمد بن

(١) في الأغاني : « تغرب » .

(٢) هذه رواية الأغاني . وفي الأصل :

كلما قلت تناهت \* حادثات الدهر زادا

(٣) زيادة عن الاغانى .

حمزة وجه القرعة ، وكان شرس الأخلاق أبت النفس ، وكان إذا سئل الغناء أباه ،  
فإذا أمسك عنه كان هو المبتدئ به ؛ فأمسكنا عنه حتى طلب العود فأُتِيَ به فغنى :

مَرَّ بِي سِرْبُ ظَبَاءٍ \* رَائِحَاتٍ مِنْ قُبَاءٍ  
زُمَرًا نَحْوِ الْمُصَلَّى \* يَتَمَشَّيْنَ حِذَائِي  
فَتَجَاسَرْتُ وَأَلْقَيْتُ \* سُرَابِيلَ الْحِيَاءِ  
وَقَدِيمًا كَانَ لَهْوِي \* وَفَنَوْنِي بِالنِّسَاءِ

قال : وكان يُحَسِّنُهُ وَيُجِيدُهُ ، بفعل إسحاق يشرب ويستعيدُه حتى شرب ثلاثة  
أرطال ، ثم قال : أحسنت يا غلام ! هذا الغناء لى وأنت لتقدمنى فيه ! ولا يَخْلُقُ  
الغناء ما دام مثلك ينشأ فيه .

وقال أيضا : كنا فى البستان المعروف ببستان خالص النصرانى ببغداد ، ومعنا محمد  
ابن حمزة وجه القرعة وهو يغنينا :

يَا دَارُ أَقْفَرِ رَسْمَهَا \* بَيْنَ الْمُحَصَّبِ وَالْحَجُونِ  
يَا بَشْرُ إِنِّى فَأَعْلَمِى \* وَاللهِ مَجْتَهِدًا يَمِينِى  
مَا إِنْ صَرَمْتُ حِبَالَكُمْ \* فَصِلِى حِبَالِى أَوْ ذَرِينِى

فإذا برجل راكب على حمار يُؤْمِنَا وهو يصيح : أحسنت والله ! فقلنا : أصعدُ  
إلينا كائنا من كنت ؛ فصعد وقال : لو منعمونى من الصعود لما آمتنعت ؛ ثم سَفَرَ  
اللاثام عن وجهه فإذا هو مُحَارِق . فقال : يا أبا جعفر ، أعِدْ عَلَى صَوْتِكَ فَأَعَادَهُ ، وشرب  
رطلاً من شرابنا وقال : لولا أنى مدعو الخليفة لأقمت عندكم وأستمعت هذا الغناء  
الذى هو أحسن من النزهة غِبَّ المطر .

وله مع إسحاق بن إبراهيم ومُحَارِق أخبار شهداه فيها بحسن الصنعة ؛ وكفاه ذلك  
فضلاً فى صناعته .

### ذكر أخبار محمد بن الحارث بن بسخر<sup>(١)</sup>

- قال أبو الفرج الأصفهاني : هو من أهل الرّى ، مولى المنصور ، من ولد بهرام شوبين مرزبان الرّى . قال : وهو مرتجل قليل الصّنع حسن الغناء والنغم بقوة وشجاً وأقذار شديد على الغناء ، وكان في زمانه أحد المعدودين في حسن الأدب وتمام المروءة وحسن الرّى والآلة ، وكان عظيم التّيه رفيع الهمة ، وكانت له منزلة عند المأمون . قال محمد بن الحارث : كنت مع المأمون وهو يريد بلاد الروم ومعه عدّة من المغنّين ، فجلس يوماً والمعتصم والعباس معه من حيث لا نراهم وهم يسمعون غناءنا ، فغنى المغنّون جميعاً وغنيت هزجاً لإسماعيل بن جامع ، فبعث إلى المأمون بأصل شاهسفرم<sup>(٢)</sup> وقد لُف أصله بمنديل حرير ، فجاءنى به الغلام وقال : أعد الصوت ، فأخذته وشممته ووثبت فأعدته قائماً ، ووضعت الأصل بين يدي وشربت رطلاً وقلت للمغنّين : حكم لى أمير المؤمنين بالحذق والغناء . فقالوا : وكيف ؟ قلت : دفع إلى لواء الغناء من بينكم . فقالوا : ليس كما ذكرت ، ولكن حيّاك إذ أطربته ، والرسول قائم فانصرف بالخبر ، فما لبث أن رجع إلى فقال : هو كما ذكرت .

- قال أبو العنّيس بن حمدون : كان محمد بن الحارث أحسن خلق الله شمائل وإشارةً إذا غنى . وقال أحمد بن حمدون : صنع محمد بن الحارث [هزجاً في هذا الشعر]<sup>(٣)</sup> :

أَمَسَيْتُ عَبْدًا مُسْتَرَقًّا \* أَبْكَى الْأُلَى سَكَنُوا دِمَشْقًا  
أَعْطَيْتُهُمْ قَلْبِي فَمَنْ \* يَبْقَى بِلَا قَلْبٍ فَأَبْقَى !

- (١) كذا في تصحيح كتاب الأغاني للأستاذ الشنقيطى المطبوع بمصر سنة ١٣٣٤هـ وبسخر هو أحد الأعاجم من مرازمة الرى موالى المنصور الخليفة العباسى الثانى . وفى الأصل : « بشخير » وهو تحريف .  
(٢) فى مفردات ابن البيطار : « شاهسفرم » وهو ضرب من النبات عطر الرائحة .  
(٣) الكلمة من الأغاني .

وطرحه على المسدود الطنبورى فوق له موقعا حسنا؛ وأستحسنه محمد منه فقال :  
أتحب أن أهبه لك ؟ قال : نعم ؛ قال : قد فعلت . فكان المسدود يُغنيّه ويدّعيه ،  
وإنما هو لمحمد بن الحارث .

قال محمد : لما قدم المأمون من خراسان لم يشقّ مغنيا بمدينة السلام غيرى .  
فبعث إلى فكنت أنادمه سرا ، ولم يظهر للندماء حتى ظفر بإبراهيم بن المهدي ؛  
فأما عفا عنه ظهر للندماء .

ولمحمد بن الحارث شعرا ، منه قوله :

ومن ظنّ أنّ التّيه من فضيلٍ قدره <sup>(١)</sup> \* فإنّى رأيت التّيه من صغر القدر  
ولو كان ذا عزّ ونفيس أبيع \* لغضّ الغنى منه وعزّ عن الفقر  
رأى نفسه لا تسهّل بحقّها \* فتاه لنقص النفس أو قلة الشكر

### ذكر أخبار أحمد بن صدقة

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو أحمد بن صدقة بن أبي صدقة . كان أبوه  
حجازيا مغنيا ، قدم على الرشيد وغنى له . وقد ذكرنا أخباره في النوادر من كتابنا هذا ،  
فلا حاجة بنا إلى إعادتها . وكان أحمد طنبوريا محسنا مقدما حاذقا حسن الغناء  
محكم الصّنع . قال : وله غناء كثير في الأرمال والأهزاج وما يجري مجراها من  
غناء الطنبوريين . وكان ينزل الشام . ووُصف للتوكل فأمر بإحضاره ، فقدم  
عليه فغناه ، فأستحسن غناؤه وأجزل صلته . وأشتهاه الناس وكثروا من يدعوه ؛ فكسب  
بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافا .

وروى أبو الفرج عن أحمد بن صدقة قال : اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب ،  
فقلت له : أنشدني بيتين من شعرك حتى أغنى فيهما . فقال : وأى حظ لي في ذلك !

(١) في الأصل : « من فضل قدرة » .

تأخذ أنت الجائزة وأحصل أنا على الإثم ! خلفت أنى إن أخذت بشعره فائدة جعلت له فيها حظاً، وأذكرت به الخليفة وسألته فيه . فقال : أما الحظُّ من جهتك فأنت أنذل من ذلك ، ولكن عسى أن تُفْلِحَ في مسألة الخليفة ، وأنشدنى :

تقول سَلاً، فَمِنْ المُدْنَفِ \* وَمَنْ عَيْنُهُ أَبَدًا تَذْرِفُ!

وَمَنْ قَلْبُهُ قَلَقٌ خَافِقٌ \* عَلَيْكَ وَأَحْشَاؤُهُ تَرْجُفُ!

٥

فلما جلس المأمون للشرب دعانى ، وكان قد غضب على حظية له ، فحضرت مع المغنين . فلما طابت نفسه وجَّهَتْ إليه بفتّاحةٍ من عنبرٍ عليها مكتوبٌ بالذهب : « يا سيّدى سلوت » ، وما علم الله أنى عرفت شيئاً من خبرهما . وآنهى الدور إلى فغيت البيتین ، فأحمر وجه المأمون وآنقبت عيناه وقال : يا بن الفاعلة ، لك على وعلى حرمى صاحب خبر! فوثبت وقلت : يا سيّدى ، ما السبب ؟ قال : من أين عرفت قصّتى مع جاريتى حتى غيّت فى معنى ما بيننا ؟ خلفت أنى لم أعرف شيئاً من ذلك ، وحدثته بحديثى مع خالد ، فلما آنتهيت إلى قوله : « أنت أنذل من ذلك » ضحك وقال : صدق ، وعجب من هذا الاتفاق ، وأمر لى بخمسة آلاف درهم وخالد بمثلها .

(١٥)

وروى عنه أيضاً قال : دخلت على المأمون فى يوم الشعانين<sup>(١)</sup> وبين يديه عشرون وصيفةً جلبُ روميّات مُزَنّرات قد تزيّن بالديباج الرومى ، وعلّقن فى أعناقهن صُلبانا من الذهب ، وفى أيديهن الخوص والزيتون . فقال لى المأمون : ويلك يا أحمد ! قد قلت فى هؤلاء أبياتا فغنّ بها ، ثم أنشدنى :

(١) الشعانين : عيد من أعياد النصارى ويسمى : « الزيتونة » يعملونه فى سابع أحد من صومهم .

ومعنى الشعانين : التسييح .

طبَاءُ كَالدَّانِيرِ \* مِلَاحٌ فِي الْمَقَاصِيرِ  
جَلاهُنَّ الشَّعَانِينُ \* عَلَيْنَا فِي الزَّانِيرِ  
وَقَدْ زَرَفْنَ أَصْدَاغًا <sup>(١)</sup> \* كَأَذْنَابِ الزَّرَازِيرِ  
وَأَقْبَلْنَ بِأَوْسَاطٍ \* كَأَوْسَاطِ الزَّانِيرِ

فحفظته وغنيته ؛ فلم يزل يشرب والوصائف يرقصن بين يديه بأنواع الرقص من الدستبندا <sup>(٢)</sup> إلى الإيلي حتى سكر، وأمر لي بألف دينار، وأمر بأن ينثر على الجوارى ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت الألف ونُثِرَتْ ثلاثة آلاف الدينار فانتبهت معها .  
قال : ولم يزل أحمد بالعراق حتى بلغه موت بُنَيَّةَ له بالشَّام ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه .

### ذكر أخبار أبي حشيشة

قال أبو الفرج : أبو حشيشة لَقَبَ غلب عليه ، وهو محمد بن أبي أمية ، ويكنى أبا جعفر . وكان أهله جميعا متصلين بإبراهيم بن المهدي ، وكان هو من بينهم يغني بالطنبور أحسن الناس غناء . وخدم جماعة من الخلفاء ، أولهم المأمون ومن بعده إلى المعتمد . قال : وكان أكثر انقطاعه إلى أبي أحمد بن الرشيد أيام حياته . وكان أبوه وجده وأخواله كُتَّابًا .

قال أحمد بن جعفر بحظوة في ترجمة أبي حشيشة : وكان له صنعةٌ تقدَّم فيها كلُّ طنبوريٍّ لا أحاشي أحدًا في ذلك . قال : فمنها :

(١) زرفن صدغيه : جعلهما كالزرفين ، وهو حلقة الباب .

(٢) الدستبندا : نوع من أنواع رقص المجوس يأخذ بعضهم بيد بعض ويدورون ويرقصون .

كَأَنَّ هُمُومَ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا \* عَلَى وَقْلِي بَيْنَهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ  
وَلِي شَاهِدًا عَدِلٍ سَهَادٌ وَعِبْرَةٌ \* وَكَمْ مُدَّعٍ لِلْحَبِّ مِنْ غَيْرِ شَاهِدٍ  
قَالَ جَحْظَةُ : وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ غَنَاهُ مِنْ شَعْرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ  
ابن نصر :

حُرِّمْتُ بِذَلِكَ نَوَالِكَ \* وَاسْوَأَتَا مِنْ فِعَالِكَ !  
لَمَّا مَلَكَتْ وَصَالِي \* آيَسْتَنِي مِنْ وَصَالِكَ

فَوَهَبَ لَهُ مَائَتِي دِينَارٍ . قَالَ : وَغَنَى يَوْمًا عِنْدَ ابْنِ الْمَدْبَرِ بِحَضْرَةِ عَمْرِيْبَ ، فَقَالَتْ  
لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ ! وَلَوْ عَاشَ الشَّيْخَانُ مَا قَلَّتْ لَهُمَا هَذَا (تَعْنِي عُلُوبُهُ وَنُحَارِقَا) .  
وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ : إِنَّ أَبَا حَشِيْشَةَ أَلْفَ كِتَابًا جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَهُ مَعَ مِنْ عَاشَرَ وَخَدَمَ  
مِنْ الْخُلَفَاءِ ، قَالَ : وَهُوَ آبُ مَشْهُورٍ . قَالَ : أَوَّلُ مَنْ سَمِعَنِي مِنَ الْخُلَفَاءِ الْمَأْمُونُ ،  
وَصَفَّنِي لَهُ نُحَارِقٌ ، فَأَمَرَ بِإِشْخَاصِي إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِرْهَمٍ أَتَجَهَّزُ بِهَا . فَلَمَّا وَصَلْتُ  
إِلَيْهِ أَدْنَانِي وَأَعْجَبَ بِي ، وَقَالَ لِلْعَتَمِ : هَذَا أَثَرُ خَدَمِكَ وَخَدَمَ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ  
يَا أَبَا إِسْحَاقَ . وَذَكَرَ مَا كَانَ يَشْتَهِيهِ عَلَيْهِ كُلُّ خَلِيفَةٍ ، فَقَالَ : كَانَ الْمَأْمُونُ يَشْتَهِي  
مِنْ غِنَائِي :

كَانَ يَنْهَى قَنْهَى حَتَّى [سَلَا] <sup>(١)</sup> \* وَأَنْجَلْتُ عَنْهُ غَيَايَاتُ الصَّبَا  
خَلَعَ اللَّهُوَّ وَأَضْحَى مُسْبِلًا \* لِلنَّهْيِ فَضْلَ قَمِيصٍ وَرِدَا

قَالَ : وَكَانَ الْمُعْتَمِمْ يَشْتَهِي عَلَى :

أَسْرَفَتْ فِي سُوءِ الصَّنِيعِ \* وَفَتَكَتْ بِي فَتَكَ الْخَلِيعِ

(١) آخر الشطر الأول من البيت مفقود من الأصل ، ولم نوفق إليه حين التصحيح . فلعل الكلمة التي

وضعناها تكون قريبة من الأصل .



وَوَلِّعَتْ بِي مَمْتَرَدًا \* وَالْعُذْرُ فِي طَرَقِ الْوَلُوعِ  
صَيَّرْتُ حَبَّكَ شَافِعًا \* فَأُثِّيتُ مِنْ قِبَلِ الشَّفِيعِ

قال : وكان الواصل يختار من غنائى :

يَا تَارِكِي مَتَلَذِّذَ الـ \* مُعْذَالِ جَذْلَانَ الْعُدَاةِ  
أَنْظُرِي إِلَى بَعِينِ رَا \* فِي نَظَرَةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ  
خَلِّتَنِي بَيْنَ الْوَعِيدِ \* بَيْنَ أَلْسِنَةِ الْوُشَاةِ !  
مَاذَا يُرَجِّى بِالْحَيَا \* مَرَّةً مَنَعَصَ رُوحَ الْحَيَاةِ !

١٦

قال : وكان المتوكل يحببني ويستخفني ، وكانت أغانيه التي يشتها على كثيرة .

منها :

أَطَعْتَ الْهَوَى وَخَلَعْتَ الْعِذَارَا \* وَبَاكَرْتَ بَعْدَ الْمَرَاكِ الْعُقَارَا  
وَنَازَعَكَ الْكَأْسَ مِنْ هَاشِمٍ \* كَرِيمٌ يُحِبُّ عَلَيْهَا الْوَقَارَا  
فَتَى فَرَّقَ الْحَمْدُ أَمْوَالَهُ \* يُجَرُّ الْقَمِيصَ وَيُرْنِي الْإِزَارَا  
رَأَى اللَّهُ جَعْفَرَ خَيْرَ الْأَنَامِ \* فَلَمَّا وَوَقَاهُ الْحِذَارَا

١٠

قال : وكان المستعين يشتها على :

وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ مِنْهَا الْخُشُوعُ \* وَفِيضَ الدَّمُوعِ وَغَمَزَ الْيَدِ  
وَحَدَّى مُضَافًا إِلَى خَدِّهَا \* قِيَامًا إِلَى الصَّبْحِ لَمْ تَرْقُدِ

١٥

قال : وأشتهى على المعتمد :

قَلْبِي يُحِبُّكَ يَا مُنَى \* قَلْبِي وَيُبْغِضُ مَنْ يُحِبُّكَ  
لَا كُونَ فَرْدًا فِي هَوَا \* لِي ، فَلَيْتَ شَعْرَى كَيْفَ قَلْبُكَ ؟

قال جحظة : وكانت وفاة أبي حشيشة بسرّ من رأى . وسببها أنه أصطحب عند قلم غلام الفضل بن كاوش في يوم بارد ، فقال له : أنا لا آكل إلا طعاما حاراً ، فأتاه بفجلية باردة وقال : تُساعدني وتأكل معي ، فأكل منها فحمد قلبه فمات .

### ذكر أخبار القيان

- وأول من غنى من النساء ومن أشتهر بالغناء منهن في الإسلام
- قالوا : أول من غنى الغناء العربي جرّادتا ابن جُدعان . قال أبو الفرج الأصفهاني :
- قال ابن الكلبي : كان لابن جُدعان أمتان يُسمّيان الجرّادتين يُغنيان في الجاهلية ، وسمّاهما جرّادتي عباد ، ووهبهما عبد الله بن جُدعان لأُمّية بن أبي الصلت الثقفى<sup>(١)</sup> وكان قد أمتدحه . وابن جُدعان هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . كان سيّدا جوادا ، فرأى أُمّية ينظر إلى الجرّادتين وهو عنده فأعطاه إياهما . وقد قيل في سبب إعطائه إياهما : إن أُمّية بن أبي الصلت قدّم عليه ، فقال له عبد الله : أمرٌ ما أتى بك ! فقال أُمّية : كلاب غرماء قد نبحتني ونهشتني . فقال له عبد الله : قدّمت عليّ وأنا عليل وحقوقٌ لحقتني ولزمتني ، فأنظرني قليلاً وقد ضمنتُ قضاء دينك فلا أسألك عن مبالغه ، قال : فأقام أُمّية أياماً ثم أتاه فقال :
- ١٥

أأذكرك حاجتي أم قد كفاني \* حياؤك إن شيمتك الحياءُ  
وعلمك بالأمور وأنت قرّم \* لك الحسب المهدّب والسّناءُ  
كريم لا يُغيّره صباح \* عن الخلق الكريم ولا مساءُ  
تُبَارِي الرّيح مكرمةً ومجداً \* إذا ما الكلب أبخره الشّتاءُ

إذا أثنى عليك المرء يوماً \* كفاه من تعرّضه الشناء<sup>(١)</sup>  
إذا خلّفت عبد الله فأعلم \* بأن القوم ليس لهم جزاء  
فأرضك كلّ مكرمة بنتها \* بنوتيم وأنت لهم سماء  
وهل تخفى السماء على بصير ! \* وهل بالشمس طالعة خفاء !

فلما أنشده أمية هذا الشعر كانت عنده قيتان ، فقال لأمية : خذ أيتهما شئت ،  
فأخذ إحداهما وأنصرف ؛ فمّر بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها ، وقالوا<sup>(٢)</sup>  
له : لقد ألفتته عليلاً ، فلوردّدتها عليه ، فإن الشيخ محتاج إلى خدمتها ، كان ذلك أقرب<sup>(٣)</sup>  
لك عنده وأكثر من كل حق ضينه . فوقع الكلام من أمية موقعاً ونديم ؛ فرجع إليه  
ليردّها عليه . فلما أتاها بها ، قال ابن جُدعان : نعلك إنما رددتها لأن قريشاً لاموك  
على أخذها ؛ وذكر لأمية ما قال القوم . فقال أمية : والله ما أخطأت يا أبا زهير .  
قال : فما الذي قلت في ذلك ؟ فقال :

عطاؤك زينٌ لأمرئٍ إن حبّوته \* ببذلٍ وما كلّ العطاء يزِينُ  
وليس بشينٌ لأمرئٍ بذلٌ وجهه \* إليك كما بعض السؤال يشِينُ

فقال عبد الله لأمية : خذ الأخرى ؛ فأخذها جميعاً وخرج . فلما أن صار إلى القوم  
بهما أنشأ يقول :

ومالي لا أحييه وعندي \* مواهبٌ قد طلعن من النّجادِ  
لأبيض من بني عمرو بن تميم \* وهم كالمشرفيات الحدادِ  
لكل قبيلةٍ هادٍ ورأسٌ \* وأنت الرأسُ تقدّم كلّ هادٍ

(١) في الأصل : « تعرّضه » .

(٢) كذا بالأغاني . وفي الأصل : « قال لأمية : خذ إحداهما أيهما شئت فأخذها وأنصرف الخ » .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فكان ... » بزيادة الفاء .

عِمَادُ الْخَيْفِ قَدْ عَلِمْتَ مَعَدَّ \* وَإِنَّ الْبَيْتَ يُرْفَعُ بِالْعِمَادِ  
لَهُ دَائِعٌ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ \* وَآخِرُ فَوْقِ دَارَتِهِ يُنَادِي  
إِلَى رُدْجٍ مِنَ الشَّيْزَى مِلَاءٍ \* لُبَّابُ الْبَرِّ يُلَبِّكُ بِالشَّهَادِ

وكان سبب قول أمية بن أبي الصلت هذا الشعر أن عبد الله بن جُدعان وفد  
على كسرى فأكل عنده الفالوذ، فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذ . قال : وبم يصنع ؟  
قيل : لُبَّابُ الْبَرِّ يُلَبِّكُ مع عسل النحل . قال : أبغوني غلامًا يصنعه ، فأتوه بغلام  
يصنعه فابتاعه ، ثم قدم به مكة ، فأمره أن يصنع الفالوذ ففعل ، ثم وضع الموائد من  
الأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى مناديه : أَلَا مَنْ أَرَادَ الْفَالُوذَ فَلْيَحْضُرْ ، فحضره  
الناس . وكان فيمن حضر أمية بن أبي الصلت فقال الأبيات . وقال فيه أيضا :

ذِكْرُ ابْنِ جُدْعَانَ بَخِي \* رَكَلَمَا ذُكِرَ الْكِرَامُ  
مَنْ لَا يَنْخَوْنُ وَلَا يَعُقُّ وَلَا يُنْخَلُ الْأَنَامُ  
يَهَبُ النَجِيَّةَ وَالنَّجِي \* سَبَّ لَهُ الرَّحَالَةَ وَالزَّمَامُ

وَأَبْنُ جُدْعَانَ مِمَّنْ تَرَكَ شَرْبَ الْخَمْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَهَجَاهُ دُرَيْدُ  
ابْنُ الصَّمَّةِ بِشَعْرٍ ، فَلَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بِسُوقِ عُكَاظَ ، فَخَيَّاهُ وَقَالَ : هَلْ تَعْرِفُنِي  
يَا دُرَيْدُ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَلِمَ هَجَوْتَنِي ؟ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
جُدْعَانَ . قَالَ : هَجَوْتُكَ لِأَنَّكَ كُنْتَ أَثَرًا كَرِيمًا فَاحْبَبْتُ أَنْ أَضْعَ شَعْرِي مَوْضِعَهُ .  
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : لَئِنْ كُنْتَ هَجَوْتَ لَقَدْ مَدَحْتَ ، وَكَسَاهُ وَحَمَلَهُ عَلَى نَاقَةٍ بِرَحْلِهَا ،  
فَقَالَ دُرَيْدُ :

إِلَيْكَ ابْنُ جُدْعَانَ أَعْمَلْتُهَا \* مُحَقَّقَةً لِلشَّرَى وَالنَّصَبِ  
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تَلَاقَى أَمْرًا \* جَوَادَ الرِّضَا وَحَلِيمَ الْغَضَبِ  
وَجَلَدًا إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْ بِهِ \* يُعِينُ عَلَيْهَا بِجَزْلِ الْحَطَبِ

وَجُلْتُ الْبِلَادَ فَمَا إِن أَرَى \* شَبِيهَ ابْنِ جُدْعَانَ وَسُطَّ الْعَرَبِ  
سَوَى مَلِكٍ شَانِخٍ مُلْكُهُ \* لَهُ الْبَحْرُ يَجْرِي وَعَيْنُ الذَّهَبِ  
وأخبار ابن جُدعان كثيرة وسيادته في الجاهلية مشهورة ، ليس هذا موضع إيرادها ،  
ولمّا أوردنا ما أوردنا منها في هذا الموضع على سبيل الاستطراد ، فالشيء بالشيء  
يذكر . فلنرجع إلى أخبار القيان .

### ذكر أخبار جميلة

هي جميلة مولاة بني سليم ، ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز ، وكان لها زوج  
من موالى بني الحارث بن الخزرج ، وكان ينزل فيهم ، فغاب عليها ولأى زوجها  
فقليل لها : مولاة الأنصار . وقد قيل : إنها كانت لرجل من الأنصار ينزل بالسُّنْح .  
وقيل : كانت مولاة الحجاج بن علاط السُّلَمِيّ . قال أبو الفرج الأصفهاني : وهي  
أصل من أصول الغناء ، أخذ عنها مَعْبَدُ بْنُ عَائِشَةَ وَحَبَابَةُ وَسَلَّامَةُ وَعَقِيلَةُ  
والعتيقة وغيرهم . وفيها يقول عبد الرحمن بن أُرطاة :

إِنَّ الدَّلَالَ وَحَسَنَ الْغَنَاءِ \* وَسُطَّ بُيُوتِ بَنِي الْخَزَرَجِ  
وَتِلْكَ جَمِيلَةُ زَيْنِ النِّسَاءِ \* إِذَا هِيَ تَزْدَانُ لِلْمَخْرَجِ  
إِذَا جِئَتْهَا بِذَلِكَ وَدَّهَا \* بَوَاجِهِ مُنِيرٌ لَهَا أَبْلَجِ

قال : وكانت جميلة أعلم خلق الله بالغناء . وكان مَعْبَدُ يقول : أصل الغناء جميلة  
وفرعه نحن ، ولولا جميلة لم تكن نحن مغنين . قال : وسئلت جميلة : أُنِي لك هذا الغناء ؟  
قالت : والله ما هو إلهام ولا تعليم ، ولكن أبا جعفر سائب خاثر كان جارنا ، وكنت  
أسمعه يغني ويضرب بالعود فلا أفهمه ، فأخذت تلك النغمات وبنيت عليها غنائِي ،  
فجاءت أجود من تأليف ذلك الغناء ، فعَلِمْتُ وأَلْقَيْتُ ، فسمعني مَوَلِيَّاتِي يَوْمًا وَأَنَا

أُغْنِي سِرًّا ، فَفَهِمْنِي وَدَخِلْنِي عَلَى وَقَلْنِ : قَدْ عَلِمْنَا مَا تَكْتُمِينَ وَأَقْسَمَنْ عَلَى ؛  
فَرَفَعْتَ صَوْتِي وَغَنَيْتَهُنَّ بِشَعْرِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ :

وَمَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا هَجِيَّتَ لِي طَرَبًا \* إِنَّ الْمَحَبَّ بَبْعُضِ الْأَمْرِ مَعْدُورُ  
لَيْسَ الْمَحَبُّ كَمَنْ إِنْ شَطَّ غَيْرُهُ \* هَجْرُ الْحَبِيبِ ، وَفِي الْهَجْرَانِ تَغْيِيرُ

- ٥ فينثذ شاع أمرى وظهر ذكرى وقصدنى الناس وجلست للتعليم ؛ فكان الجوارى  
يَكْثُرْنَ عِنْدِي ، وَرَبَّمَا أَنْصَرَفَ أَكْثَرُهُنَّ . وَلَمْ يَأْخُذْنَ شَيْئًا سِوَى مَا سَمِعْنِي<sup>(١)</sup>  
أَطَارِحَ غَيْرَهُنَّ ، وَقَدْ كَسَبَتْ لِمَوَالِي مَا لَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ بِيَالٌ ، وَأَهْلُ ذَلِكَ كَانُوا وَكُنْتُ .<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ أَقْرَبَ لِحَمِيلَةِ كُلِّ مَكِّيٍّ وَمَدَنِيٍّ مِنَ الْمَغَنِّينَ . قَالَ : وَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ سَرِيحٍ وَالْغَرِيضُ  
وَأَبْنُ مَسْجَحٍ وَسَلَمُ بْنُ مُحَرِّزِ الْمَدِينَةِ وَاجْتَمَعُوا هُمْ وَمَعْبُدٌ وَأَبْنُ عَائِشَةَ حَكَمُوها بَيْنَهُمْ ؛  
وَأَجْتَمَعُوا عِنْدَهَا ، وَصَنَعَ كُلُّ مِنْهُمْ صَوْتًا وَغَنَاهُ بِحَضْرَتِهَا — وَقَدْ ذَكَرَ الْأَصْفَهَانِيَّ<sup>(٣)</sup>  
الْأَصْوَاتَ — فَلَمَّا سَمِعَتْ الْأَصْوَاتَ قَالَتْ : كَلِّمُوا مُحْسِنٌ مُجِيدٌ فِي غِنَائِهِ وَمَذْهَبِهِ .  
قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : لَيْسَ هَذَا بِمُقْنِعٍ . قَالَتْ : أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا يَحْيَى فَتُضْحِكُ الشَّكْلَى  
بِحَسَنِ صَوْتِكَ وَمِشَا كُلِّهِ النَّفُوسَ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا عَبَّادٍ فَتَنَسِيحٌ وَحَدِيدٌ بَتَأْلِيفِكَ وَحَسَنُ  
نَظْمِكَ وَعَذُوبَةُ غِنَائِكَ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا عَثْمَانَ فَلَكَ أَوْلِيَّةٌ هَذَا الْأَمْرَ وَفَضْلُهُ . وَأَمَّا  
أَنْتَ يَا أَبَا جَعْفَرَ فَمَعَ الْخُلَفَاءَ تَصْلُحُ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ فَلَوْ قَدِمْتُ أَحَدًا عَلَى  
نَفْسِي لَقَدِمْتُكَ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا مَوْلَى الْعَبَلَاتِ فَلَوْ ابْتَدَأْتَ قَدَمْتُكَ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ سَأَلُوها  
مِمَّاعَا أَنْ تَغْنِيَهُنَّ لِحَنًا كَمَا غَنَّوْا ، فَغَنَّتَهُنَّ ، فَكَلَّمَهُنَّ أَقْرَوا لَهَا وَفَضَّلُوها .

وكانت جميلة قد آلت أنها لا تغنى أحداً إلا في منزلها . فكان عبد الله بن جعفر

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « ولم يأخذن شيئاً مما سمعني » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « وأصل » .

يأتيها في مجلسها فيجلس عندها وتغنيه . فأرادت أن تكفر عن يمينها وتأتيه فتغنيه في بيته ؛ فقال : لا أكلّفك ذلك .

وروى الأصفهاني أن ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد الأنصاري أتوا منزلاً جميلة واستأذنوا عليها فأذنت لهم . فلما جلسوا سألت عن عمر ، فقال لها : إني قصدتك من مكة للسلام عليك ؛ فقالت : أهل الفضل أنت . قال : وقد أحببت أن تفرغي لنا نفسك اليوم وتُخلي مجلسك ؛ قالت : أفعل . فقال لها الأحوص : أحب ألا تغني إلا بما نسألك ؛ فقالت : ليس المجلس لك ، القوم شركاؤك ؛ فقال : أجل . قال عمر : فإني أرى أن نجعل الخيار إليها . قال ابن أبي عتيق : وفقك الله . فدعت بعود فغنت :

١٠ تَمْشِي الْهُوَيْنَى إِذَا مَشَتْ فُضُلًا \* مَشَى التَّرِيفُ الْمَخْمُورِ فِي الصُّعْدِ  
تَظَلُّ مِنْ بَعْدِ بَيْتِ جَارَتِهَا \* وَاضْعَةً كَفَّهَا عَلَى الْكَيْدِ  
يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِّمٍ سَدِيمٍ \* عَايَ رَهِينٍ مُكَلِّمٍ كَيْدِ  
أَزْجُرُهُ وَهُوَ غَيْرُ مُتَزَجِرٍ \* عَنْهَا بِطَرْفٍ مُكْحَلِّ السَّهْدِ

قال راوى هذه الحكاية : فلقد سمعتُ للبيت زلزلةً وللدار همهمةً . فقال عمر : لله درك يا جميلة ! ماذا أُعطيت ! أنت أول الغناء وآخره ! ثم سكنت ساعةً وأخذت العود فغنت ، فطرب القوم وصفقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحركوا رؤوسهم ، وقالوا : نحن فداؤك من المكروه ، ما أحسن ما غنيت وأجمل ما قلت ! . وأحضر الغداء فتغذى القوم بأنواع من الأطعمة ومن الفواكه ، ثم دعت بأنواع الأشرطة ؛ فقال عمر : لا أشرب ، وقال ابن أبي عتيق مثل ذلك ؛ فقال الأحوص : لكنني

- أشرب ، وما جزاء جميلة أن يُمتنع من شربها ! فقال عمر : ليس ذاك كما ظننت .  
 فقالت جميلة : من شاء أن يحملني بنفسه ويخلط رُوحه بروحي فعل ، ومن أبي ذلك  
 عذرناه ، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأنس بمحادثته . قال  
 ابن أبي عتيق : ما يحسن بنا إلا مساعدتك . فقال عمر : إني لا أكون أخسكم ،  
 افعلوا ما شئتم تجدوني سامعاً مطيعاً . فشرب القوم أجمع ، فغنت بشعر ابن أبي ربيعة :  
 ٥

ولقد قالت لحاريت لها \* كالمها يلعبن في حُجرتِها  
 خُذْنَ عني الظلَّ لا يتبعني \* ومضت تسعى إلى قُبَّتِها  
 لم تعلق رجلاً فيما مضى \* طفلةٌ غيداء في حُلَّتِها  
 لم يطش قط لها سهمٌ ومن \* ترميه لا ينبج من رَمِيَّتِها

- فصاح عمر ثم شق جيب قميصه إلى أسفله ، ثم تاب إليه عقله فنديم واعتذر  
 ١٠ وقال : لم أملك من نفسي شيئاً . وقال القوم : قد أصابنا الذي أصابك وأُغْمِيَ علينا  
 غير أننا قد فارقناك في تخريق الثياب . فدعت جميلة بثياب فجعلتها على عمر فقبلها  
 ولبسها ، وأنصرف القوم إلى منازلهم . وكان عمر نازلاً على ابن أبي عتيق ، فوجه  
 إلى جميلة بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب كانت معه فقبلتها جميلة ، وأنصرف  
 عمر إلى مكة جذلان مسروراً .  
 ١٥

- وروى أبو الفرج بأسانيد رفعها إلى يونس الكاتب والزيير بن بكار عن عمه  
 مُصْعَبَ قالا : حجّت جميلة فخرج معها من الرجال المغنين والنساء والأشراف وغيرهم  
 جماعة ذكركم أبو الفرج ، منهم من المغنين هنب وطويس والدلال ومعبّد ومالك بن  
 أبي السّمح وابن عائشة ونافع الخير ونافع بن طنبورة وغير هؤلاء ممن ذكركم ، ومن  
 ٢٠ النساء المغنيات جماعة ذكركن : منهن الفريهة وعزّة الميلاء وحبابة وسلامة وخليدة  
 وعقيلة والشماسية وفرعة ونبيلة ولذة العيش وسعيدة والزرقاء ، ومن غير المغنين من



الأشراف ابن أبي عتيق والأحوص وكثير عزة ونصيب، وجماعة من الأشراف الرجال والنساء . وجمع معها من القيان مشيعات لها ومعظّمات لقدرها خمسون قينة وجه بهن موالهنّ معها وأعطوهنّ النفقات وحملوهنّ على الإبل في الهودج والقياب وغير ذلك ، فأبت جميلة أن تنفق واحدةً منهنّ درهما فما فوقه حتى يرجعن . قال : وتخيّر من خرج معها في آتخاذ أنواع اللباس العجيب والهودج والقياب . قال : ولما قاربوا مكة تلقّاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريص وابن محرز والهداليون وجماعة من المغنين من أهل مكة وفتيان كثير<sup>(١)</sup> ، ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة والحارث ابن خالد المخزومي والعرجي وجماعة من الأشراف . فدخلت جميلة مكة وما بالجهاز مغنّ حاذق ولا مغنّية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف [ ممن سمينا وغيرهم من الرجال والنساء ، وخرج أبناء أهل مكة من<sup>(٢)</sup> الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم . فلما قضت حجّها سألها المكيون أن تجعل لهم مجلساً ، فقالت : للغناء أم للحديث ؟ فقالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخاطب جدّاً بهزل ، وأبت أن تجلس للغناء . فقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حبّ لسمع غنائها إلا خرج معها إلى المدينة ، فإني خارج معها . فخرجت في جمع كثير من الأشراف وغيرهم أكثر من جمعها بالمدينة . فلما قدمت المدينة تلقّاها الناس والأشراف من الرجال والنساء ، فدخلت بأحسن مما خرجت منها ، وخرج الرجال والنساء فوقفوا على أبواب دُورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلما دخلت إلى منزلها وتفرّق الناس إلى منازلهم ونزل أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم ، أتاها الناس مسلمين ، وما استنكف من ذلك صغير ولا كبير . فلما مضى لمقدّمها عشرة أيام جلست للغناء ، وقالت لعمر بن أبي ربيعة : إني جالسة لك ولأصحابك ، فإذا شئت فعيّد الناس .

(١) في الأغاني : «وقيان كثيرة لم يسمين» . (٢) زيادة عن «الأغاني» .

فغصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء، وأبتدأت جميلةً فغنت بشعر لعمر بن أبي ربيعة :

- هيات من أمة الرحمن منزلنا<sup>(١)</sup> \* إذا حللنا بسيف البحر من عدن<sup>(٢)</sup>  
 واحتل أهلك أجياداً فليس لنا<sup>(٢)</sup> \* إلا التذكُّر أو حظ من الحزن<sup>(٣)</sup>  
 لو أنها أبصرت بالخزع عبرته \* وقد تغرد قُرى على فن  
 إذا رأت غير ما ظنت بصاحبها \* وأيقنت أن لجماً ليس من وطني  
 ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها \* وموقفي وكلانا ثم ذو شجن  
 وقولها للثريا وهي باكية \* والدمع منها على الحدين دوسن  
 بالله قولي له من غير معتبة \* ماذا أردت بطول المكث في اليمن  
 إن كنت حاولت دنيا أوظفرت بها<sup>(٤)</sup> \* فما أصبت بترك الحج من ثمن

فكلهم استحسّن الغناء ، وضجّ القوم لحسن ما سمعوا ، وبكى عمر حتى جرت دموعه على ثيابه ولحيته . ثم أقبلت على ابن سريج فقالت : هات ، فغنى صوته بشعر لعمر :

- أليست بالتي قالت \* لمولاة لها ظهراً  
 أشيرى بالسّلام له \* إذا ما نحونا نظراً  
 وقولي في ملاطفة \* لزنب نولي عمراً  
 وهذا يحرك النسوا \* ن قد خبرني الخبراً

٢٠

(١) كذا في الأغاني وديوان عمر بن أبي ربيعة . وفي الأصل : « منزلها » .  
 (٢) كذا في الأغاني والديوان . وفي الأصل : « فليس لهم » . (٣) كذا في الأغاني والديوان .  
 وفي الأصل : « هم » . (٤) في الأصل :

ثم قالت لسعيد بن مسجح : هات يا أبا عثمان ، فاندفع فغنى . ثم قالت : يا معبد هات ، فاندفع فغنى فاستحسنته . ثم قالت : هات يا بن محرز ، فإنى لم أؤخر<sup>(١)</sup>ك لحساسة بك ولا جهلاً بالذى يجب فى الصناعة ، ولكنى رأيتك تحب من الأمور كلها أوسطها وأعدلها . فجعلتك حيث تحب واسطة بين المكيين والمدنيين ، فغنى . ثم قالت للغريض : هات يا مولى العبالا ، فغنى بشعر عمرو بن شأس الأبيات ، وفى آخرها :

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد \* عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

فقلت : أحسن عمرو بن شأس ولم تحسن ، إذ أفسدت غناءك بالتعريض ، ووالله ما وضعناك إلا موضعك ولا نقصناك من حظك ، فهاذا أهناك ! ثم أقبلت على الجماعة فقالت : يا هؤلاء اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع<sup>(٢)</sup> بمكانه . فأقبل القوم عليه وقالوا : يا أبا زيد ، قد أخطأت إن كنت عرّضت . فقال : قد كان ذلك ، ولست بعائد ، وقام إلى جميلة فقبل طرف ثوبها واعتذر ، فقبلت عذره وقالت : لا تعد ، وأقبلت على ابن عائشة فقالت : يا أبا جعفر ، هات ، فغنى ، فقالت : حسن ما قلت . ثم أقبلت على نافع وبدّخ فقالت : أحب أن تغنيا جميعاً بصوت ولحن واحد ، فغنيا . ثم أقبلت على الهذليين الثلاثة فقالت : غنوا صوتاً واحداً ، فاندفعوا فغنوا . ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت : هات يا نقش الغضارة ويا حسن اللسان ، فاندفع فغنى ، فقالت : حسن والله . ثم قالت : يا مالك هات ، فإنى لم أؤخر<sup>(١)</sup>ك لأنك فى طبقة آخرهم ، ولكن أردت أن أختم بك ، يومنا تبركاً بك ، وكى يكون أول مجاسنا كآخره ووسطه كطرفه ، فإنك عندى ومعبداً فى طريقة واحدة ومذهب واحد ،

(١) لذا فى الأغاني . وفى الأصل : « من الصناعة » .

(٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « ليقنع » .

لا يدفع ذلك إلا ظالم ولا ينكره إلا عاضل للحق، والحق أقول، فمن شاء أن ينكر، فسكت القوم كلهم إقراراً بما قالت . فاندفع فغنى :

عدو لمن عادت وسلم لسلامها \* ومن قربت سلمى أحب وقرباً  
هينى أمراً إماً بريئاً ظلمته \* وإقما مسيئاً تاب بعد واعتباً  
أقول آلتاس العدر لما ظلمتني \* وحملتني ذنباً وما كنت مذنباً  
ليهنك إشمات العدو بهجرنا \* وقطعك جبل الود حتى تقضبا

فقلت جميلة : يا مالك، ليت صوتك قد دام لنا ودمننا له ! وقطعت المجلس، وأنصرف عامة الناس وبقي خواصهم . قال : ولما كان في اليوم الثاني حضر القوم جميعاً . فقلت لطويس : هات يا أبا عبد النعم ، فغنى :

قد طال ليلى وعادنى طربى \* من حب خود كريمة الحسب  
غراء مثل الهلال أنسية \* أو مثل تمثال صورة الذهب  
صادت فؤادى بجيد مغزلة \* ترعى رياضاً ملتفة العشب

فقلت جميلة : حسن والله يا أبا عبد النعم . ثم قالت للدلال : هات يا أبا يزيد، فغنى، فاستحسن غناه . ثم قالت لهنب : إنا نجلك اليوم لكبر سنك ورقة عظمك، فقال : أجل . ثم قالت لبرد الفؤاد ونومة الضحى : هاتياً جميعاً لحناً واحداً، فغنياً، فقالت : أحسنتما . ثم قالت لفند وزجة وهبة الله : هاتوا جميعاً صوتاً واحداً، إنكم متفقون في الأصوات، فاندفعوا فغنوا . ثم غنت جميلة بشعر الأعشى :

بانت سعاد وأمسى حبلى أنقطعا \* وأحتلت الغور فألحدن فالفرعا  
وأسنكرتنى وما كان الذى نكرت \* من الحوادث إلا الشيب والصلعا

تقولُ بتي وقد قَرَبْتُ مُرْتَحِلًا \* ياربَّ جَنَّبْ أَيْ الأوصابَ والوجعَا  
وكانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَغَيْرُهُ \* دَهْرٌ مُلِحٌّ عَلَى تَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

قال : فلم يُسَمِعْ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْ أِبْتِدَائِهَا بِالْأَمْسِ وَخَتَمِهَا فِي الْيَوْمِ ، وَقَطَعَتِ الْمَجْلِسَ  
وَأَنْصَرَفَ قَوْمٌ وَأَقَامَ آخَرُونَ . فلما كان في اليوم الثالث اجتمع الناس فضربت ستارة  
وأجلست الجوارى ، فضرِبْنَ كُلُّهُنَّ ، وضربت هي فضربت على خمسين وترّاً فزلزلت  
الدار . ثم غنّت على عودها وهنّ يضرِبْنَ على ضربها :

فإن خَفِيتُ كَانَتْ لَعِينُكَ قُزَّةً \* وإن تَبَدُّ يَوْمًا لَمْ يُعَمِّمْكَ عَارُهَا  
من الخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَرَ غِلْظَةً \* وفي الْحَسَبِ الضَّخْمِ الرَفِيعِ نِجَارُهَا  
فما رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى \* يَمِجُّ النَّدى جَنَجَاثُهَا وَعَرَارُهَا  
بِاطْيَبٍ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتَ مَوْهِنًا \* وقد أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطِيبَ نَارُهَا

فَدَمَعَتْ أَعْيُنُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ حَتَّى بَلَّوْا ثِيَابَهُمْ وَتَنَفَّسُوا الصُّعْدَاءَ ، وَقَالُوا : بَأْنَفْسِنَا  
أَنْتِ يَا جَمِيلَةَ ! ثم قالت للجوارى : اكففن فكففن ، وقالت : يا عَزَّ غَنَّى ،  
فغنّت بشعر لعمر :

تَذَكَّرْتَ هِنْدًا وَأَعْصَارَهَا \* وَلَمْ تَقْضِ نَفْسُكَ أَوْطَارَهَا  
تَذَكَّرْتَ النَّفْسُ مَا قَدْ مَضَى \* وَهَاجَتْ عَلَى الْعَيْنِ عُوَارَهَا  
لَتَمْنَحَ رَامَةً مِنْهَا الْهَوَى \* وَتَرَعَى لِرَامَةٍ أَسْرَارَهَا  
إِذَا لَمْ تَزُرْهَا حِذَارَ الْعِدَا \* حَسَدْنَا عَلَى الزَّوْرِ زُؤَارَهَا

فَقَالَتْ جَمِيلَةُ : يَا عَزَّ ، إِنَّكَ لِبَاقِيَةِ عَلَى الدَّهْرِ ، فَهَنِيئًا لَكَ حَسَنُ هَذَا الصَّوْتِ  
مَعَ جُودَةِ هَذَا الْغَنَاءِ . ثم قالت للحبابة وسلامة : هَاتِيَا لَنَا وَاحِدًا ، فغنّتَا فَاسْتُحْسِنَ  
غَنَاؤُهُمَا . ثم أقبلت على خَلِيدَةَ فَقَالَتْ : بِنَفْسِي أَنْتِ ! غَنَّى فغنّت ، فَاسْتُحْسِنَ مِنْهَا

ما غنت . ثم قالت لعقيلة والشماسية : هاتيا ، فغنتا . ثم قالت لفرعة ونبيلة ونديمة ولذة العيش هاتين ، فغنتين ، فقالت : أحسنتن . وقالت لسعيدة والزرقاء : غنيا ، فغنتا . ثم قالت للجماعة فغنوا ، وأنقضى المجلس وعاد كل إنسان إلى وطنه . فما رُئى مجلس ولا جمع أحسن من هذه الأيام الثلاثة . وقد ذكر أبو الفرج ما غنى به كل واحد منهم فأوردنا بعضه وتركنا بعضه اختصارا . وأخبار جميلة كثيرة ، قد ذكر منها أبو الفرج الأصفهاني جملة تدل على أنها كانت مَبَجَلَة عند الأشراف معظمة عند المغنين ؛ يأخذون عنها ويأتمرون بأمرها ، ويسعون إليها ، وينطقون إذا استنطقتهم ، ويكفون إذا استكفتهم ؛ وفيما قدمناه دلالة على ذلك والله أعلم .

### ذكر أخبار عَزَّة الميلاء

قال أبو الفرج الأصفهاني : كانت عَزَّة مولاةً للأَنْصار ، ومسكنها المدينة ، وهي أقدم من غنى الغناء الموضع من نساء الحجاز ، وماتت قبل جميلة . قال : وقد أخذ عنها معبد ومالك بن أبي السَّمْح وآبن مُحْرِز وغيرهم من المكيين والمدنيين . وكانت من أجمل النساء وجهها وأحسنهن جسما . وسميت الميلاء لتمايلها في مشيتها .

وقال معبد : كانت من أحسن النساء ضرباً بعود ، مطبوعةً على الغناء ، لا يعيها أدائه ولا صنعه ولا تأليفه ، وكانت تُغنى أغاني القيان القدماء مثل شيرين وزرياب وخولة والرباب وسلمى ورائقة ؛ وكانت رائقة أستاذتها . فلما قدم نسيط وسائب ؛

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « صوتا بعود » .

(٢) في الأغاني : « من القدائم » .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « ورائقة » بالعين المهملة .

خاثر المدينة غنياً أغاني بالفارسية<sup>(١)</sup>، فأخذت عزة عنهما نغماً وألقت عليها ألحاناً عجبية<sup>(٢)</sup>،  
فهى أول من فتن أهل المدينة بالغناء وحرّض رجالهم ونساءهم عليه .

وقال الزبيرى : وجدت مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة قالوا : لله دَرُّها !  
ما كان أحسن غناءها ، وأطلّ صوتها ، وأندى حلقها ، وأحسن ضربها بالمزاهر  
والمعازف وسائر الملاهى ، وأجمل وجهها ، وأظرف لسانها ، وأقرب مجلسها ، وأكرم  
خلقها ، وأسنى نفسمها ، وأحسن مساعدتها ! . وكانت جميلة تقول مثل ذلك فيها .

وكان ابن سريج في حادثة سنه يأتى المدينة فيأخذ عنها ويتعلم منها ، وكان بها  
مُعجَباً ، وكان إذا سئل : مَنْ أحسن الناس غناء ؟ قال : مولاة الأنصار المتفضلة  
على كل من غنى وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء .

وكان ابن مُحَرِّز يُقيم بمكة ثلاثة أشهر ثم يأتى المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من  
أجل عزة ، وكان يأخذ عنها . وقد تقدّم ذلك في أخباره .

وكان طوَيْس أكثر ما يَأْوِي إلى منزل عزة ، وكان في جوارها ، وكان إذا  
ذكرها يقول : هى سيّدة من غنى من النساء ، مع جمالٍ بارع ، وخلقٍ فاضل ،  
وإسلام لا يشوبه دنس ، تأمر بالخير وهى من أهله ، وتنهى عن الشر وهى تُجانبه ،  
فناهيك بها ! ما كان أنبلها وأنبل مجلسها ! . ثم قال : كانت إذا جلست جلوساً عاماً  
فكأن الطير على رءوس أهل مجلسها ، فمن تكلم أو تحرك نقر رأسه .

وقال صالح بن حسان الأنصارى : كانت عزة مولاة لنا ، وكانت عفيفة جميلة .  
وكان عبد الله بن جعفر وابن أبى عتيق وعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة يغشونها

(١) كذا بالأغاني . وفى الأصل : « أغاني الفارسية » .

(٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « وألقت عليهما » الخ .

في منزلها فتغنيهم . وغنت عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره ، فشق ثيابه وصاح صيحة عظيمة صَـعِقَ معها . فلما أفاق قال له القوم : اغيرك الجهل يا أبا الخطاب ؛ قال : إني سمعت والله ما لم أملك معه نفسي ولا عقلي .

وكان حسان بن ثابت مُعْجَباً بها ، وكان يقدمها على سائر قيان المدينة . وقد ذكرنا خبرها مع النعمان بن بشير وحسان بن ثابت ، وأن كل واحد منهما سمع غناءها ، فبكى حسان بن ثابت وأستعاد النعمان بن بشير صوتها مراراً ، وتقدم أيضاً من أخبارها في خبر عائشة بنت طلحة وأخبار جميلة ما يُستغنى عن إعادته في هذا الموضع . فلنذكر من سواها .

### ذكر أخبار سلامة القس

- ١٠ كانت سلامة القس هذه مولدة من مولدات المدينة ، وبها نشأت ، وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة ومالك بن أبي السَّمْح ومن دونهم ، فمهرت فيه . وإنما سُميت سلامة القس لأن رجلاً يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عَمَّار بن جُشَم بن معاوية — وكان منزله بمكة ، وهو من قُراء أهل المدينة ، كان يُلقَّب بالقس لعبادته — شَغِفَ بها وشُهِرَ بحبها . وكان سبب ذلك أنه سمع غناءها على غير تَعَمُّدٍ منه فبلغ منه كل مبلغ . فرآه مولاها فقال : هل لك أن تدخل فتسمع ؟ فأبى . فقال له مولاها : ١٥ أنا أقعدها حيث تسمع غناءها ولا تراها . فلم يزل به حتى دخل ، فأسمعه غناءها فأعجبه . فقال : هل لك أن أخرجها إليك ؟ قال لا . فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه ، فغنت فشَغِفَ بها وشَغِفَتْ به وعرف ذلك أهل مكة . فقالت له يوما : أنا والله أحبك . فقال : وأنا والله الذي لا إله إلا هو أحبك . فقالت : والله أشتي أن أعانقك وأقبلك . فقال : والله وأنا أشتي مثل ذلك . قالت : ٢٠



وأشتهى والله أن أضاجعك وأضع بطنى على بطنك وصدرى على صدرك قال :  
 وأنا والله كذلك . قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ والله إن المكان لخال . قال :  
 يمنعنى منه قول الله عز وجل : ﴿ الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ،  
 فأنا أكره أن تحول مودتى إياك عداوة يوم القيامة . ثم قام وأنصرف وعاد إلى  
 ما كان عليه من النُّسك ، ولم يعد إليها بعد ذلك . وكان يُشَبَّه بَعْطاء بن أبى رباح .  
 وله فيها أشعار كثيرة ، منها قوله :

إن التى طرقتك بين ركائب \* تَمْشِي بِمِزْهَرِهَا وَأَنْتَ حَرَامُ  
 لَتَصِيدُ قَلْبَكَ أَوْ جِزَاءَ مَوْدَةٍ \* إِنَّ الرِّفِيقَ لَهُ عَلَيْكَ ذِمَامُ  
 بَاتَتْ تُعَلِّلُنَا وَتَحْسَبُ أَنَّنَا \* فِي ذَاكَ أَيقَاضٌ وَنَحْنُ نِيَامُ  
 حَتَّى إِذَا سَطَعَ الضِّيَاءُ لَنَاظِرٍ \* فَإِذَا وَذَلِكَ بَيْنَنَا أَحْلَامُ  
 قَدْ كُنْتُ أَعْدُلُ فِي السَّفَاهَةِ أَهْلَهَا \* فَأَعْجَبَ لِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ  
 فَالْيَوْمَ أَعْدُّهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّمَا \* سُبُلُ الضَّلَالَةِ وَالْهَدَى أَقْسَامُ

وقوله أيضا فيها :

ألم ترها — لَا يُبْعِدُ اللَّهُ دَارَهَا — \* إِذَا رَجَعْتُ فِي صَوْتِهَا كَيْفَ تَصْنَعُ !  
 تَمُدُّ نِظَامَ الْقَوْلِ ثُمَّ تَرُدُّه \* إِلَى صَلَاصِلٍ مِنْ صَوْتِهَا يَتَرَجَّعُ

وقوله فيها :

أَلَا قُلْ لِهَذَا الْقَلْبِ هَلْ أَنْتَ مَبْصُرُ \* وَهَلْ أَنْتَ عَنْ سَلَامَةِ الْيَوْمِ مُقْصِرُ  
 أَلَا لَيْتَ أَنِّي حَيْثُ صَارَتْ بِي النَّوَى \* جَلِيسٌ لِسَلَمَى كُلَّمَا عَجَّ مِزْهَرُ

(١) كذا في الأصل . ولعلها : « فإذا بذلك » .

وله من قصيدة طويلة أولها :

(٢٣)

سَلَامٌ هَلْ لِي مِنْكُمْ نَاصِرٌ \* أَمْ هَلْ لِقَلْبِي عَنْكُمْ زَاجِرُ  
قَدْ سَمِعَ النَّاسُ بَوَجْدِي بِكُمْ \* فَمِنْهُمْ اللَّائِمُ وَالْعَازِرُ

في أشعار كثيرة يطول الشرح بذكرها . ومدحها الأحوص أيضا بشعر كثير .  
وقال فيها أيضا ابن قيس الرقيات .

وروى أبو الفرج الأصفهاني قال : كانت سَلَامَةُ ورياً أختين ، وكانتا من  
أجمل النساء وأحسنين غناءً ، فاجتمع الأحوص وابن قيس الرقيات عندهما . فقال  
لهما ابن قيس الرقيات : إني أريد أن أمدحكما بأبيات فأصدق فيها و [لا] أكذب .  
فإن أنتما غنيتماي بذلك وإلا هجوتكما ولم أقربكما أبداً . قالتا : فما قلت ؟ قال : قلت :

لَقَدْ فَتَنْتُ رِيّاً وَسَلَامَةً الْقَسَا \* فَلَمْ يَتْرَكَا الْقَسَّ عَقْلاً وَلَا نَفْسَا  
فَتَاتَيْنِ أَمَّا مِنْهُمَا فَشَبِيهَةُ الـ \* بِهَلَالٍ وَأُخْرَى مِنْهُمَا تُشَبِّهُ الشَّمْسَا  
تَكُنَّ أَبْشَارًا رِقَاقًا وَأَوْجُهًا \* عِتَاقًا وَأَطْرَافًا مُخَضَّبَةً مُلْسَا

فغتنه سَلَامَةُ فاستحسنه . وقال ابن قيس الرقيات للأحوص : يا أخا الأنصار،  
ما قلت ؟ قال قلت :

سَلَامٌ هَلْ لِمُتَيْمٍ تَنْوِيلُ \* أَمْ قَدْ صَرَمْتَ وَغَالَ وَدَّكَ غُولُ  
لَا تَصْرِي عَنِّي وَلَا لِكَ إِنَّهُ \* حَسَنٌ لَدِي وَإِنْ بَخِلْتَ جَمِيلُ  
أَزَعَمْتُ أَنْ مَوَدَّتِي وَصَبَابَتِي \* كَذِبٌ وَأَنْتَ زِيَارَتِي تَقْلِيلُ<sup>(٢)</sup>

فغنت الأبيات . فقال ابن قيس الرقيات : أحسنت والله ! ما أظنك إلا عاشقةً  
لهذا الحلف . فقال له الأحوص : وما الذي أخرجك إلى هذا ؟ قال : حُسْنُ غِنَائِهَا

بشعرك، فلولا أن لك في قلبها محبة مفرطة<sup>(١)</sup> ما جاء هكذا حسناً على هذه البديهة .  
 فقال الأحوص : على قدر حُسن شعري على شعرك هكذا حُسن الغناء به . وما هذا  
 [منك]<sup>(٢)</sup> إلا حسدٌ، وليس ذلك إلا ما حسدت عليه . فقالت سلامة : لولا أن الدخول  
 بينكما يُوجب بغضةً لحكت بينكما حكومة لا يردُّها أحد . قال الأحوص : فأنت  
 [من ذلك]<sup>(٢)</sup> آمنة . قال ابن قيس الرقيات : كلاً ! قد أمنت أن تكون الحكومة  
 عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها . فتفرقا على ذلك . ثم مشى ابن قيس الرقيات إلى  
 الأحوص فاعتذر إليه فقبل عُذْرَه . ومن شعر الأحوص فيها :

سَلام إنك قد مأكت فأسججى \* قد يملك الحرُّ الكريم فيسجج  
 مني على عابٍ أطلت عناءه \* في الغلِّ عندك والعناة تُسرح  
 إني لأنصحكم وأعلم أنه \* سيان عندك من يغش وينصح  
 وإذا شكوت إلى سلامة حبها \* قالت أجد منك ذا أم تمزح

وحكى أبو الفرج قال : لما قدم عثمان بن حيان المَترى المدينة واليا عليها، قال له  
 قوم من وجوه الناس : إنك قد ولّيت المدينة على كثرة من الفساد، فإن كنت تريد  
 أن تُصلح فطهرها من الغناء والرثاء<sup>(٣)</sup> . فصاح في ذلك وأجل أهله ثلاثاً يخرجون فيها  
 من المدينة، وكان ابن أبي عتيق غائباً، وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح . فلما  
 كان آخر ليلة من الأجل قدم فقال : لا أدخل منزلي حتى أدخل على سلامة القس .  
 فدخل عليها فقال : ما دخلت منزلي حتى جئتكم لأسلم عليكم . فقالوا : ما أغفلك عن  
 أمرنا ! وأخبروه الخبر . فقال : اصبروا على الليلة . فقالوا : نخاف ألا يُمكنك شيء .

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل ، : « ما جاء هذا ... » .

(٢) زيادة عن الأغاني .

- قال : إن خفتم شيئاً فأخرجوا في السحر . ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان فأذن له ، فسلم عليه وذكر غيبته وأنه جاء ليقضى حقه ، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والرثاء ، وقال : أرجو ألا تكون [ عَمِلْتَ ] عملاً هو خير لك من ذلك . قال عثمان : قد فعلتُ ذلك وأشار على به أصحابك . فقال : قد أصبت ، ولكن ما تقول في امرأة كانت هذه صناعتها وكانت تُكرِّه على ذلك ، ثم تركته وأقبلت على الصلاة والصيام والخير ، وأنا رسولها إليك تقول : أتوجه إليك وأعوذ بك أن تُخرجني من جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده ؛ قال قال : فإنى أدعها لك ولكلامك . فقال ابن أبي عتيق : لا يدعك الناس ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتتنظر إليها ، فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يُترك تركتها ؛ قال نعم بجاءه بها . وقال : احملي معك سُبْحَةً وَتَحْشَعِي ففعلت . فلما دخلت على عثمان سلمت عليه وجلست وحدثته ، فإذا هي من أعلم الناس بأمور الناس ، فأعجب بها ؛ وحدثته عن آبائه وأمورهم ففكره لذلك فقال ابن أبي عتيق : اقرئي للأُمير . فقرأت لها ؛ فاحدى ففعلت . وكثر عجبها منها . فقال : كيف لو سمعتها في صناعتها ! فلم يزل يُنزلها شيئاً فشيئاً حتى أمرها بالغناء فغنته . فقام عثمان من مجلسه وقعد بين يديها ، ثم قال : لا والله ما مثل هذه تخرج . فقال ابن أبي عتيق : لا يدعك الناس تُقرّ سلامة وتُخرج غيرها . قال : فدعوهم جميعاً . فتركهم جميعاً وأصبح الناس يتحدثون بذلك .

ثم اشترى يزيد بن عبد الملك سلامة ، وكانت لمُصعب بن سَهيل الزُهري ، وقيل : لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف . وكانت حَبَابَة جارية آل لَاحِق ؛ فاشتراها جميعاً ؛ فاشترى سلامة بعشرين ألف درهم ، وتسلمها رُسُل يزيد فخرجوا بها وشيعها

الناس . فلما نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك قالت للترسل : إن لي قوماً كانوا  
يغشونني ويُسَلِّمون عليّ ، ولا بد لي من وداعهم والسلام عليهم ؛ فأذن للناس عليها ،  
فاتوا حتى ملئوا رَحبة القصر والفناء ؛ ووقفت هي بينهم بارزةً ومعها العودُ فغنت :

فارقوني وقد علمتُ يقيناً \* ما لمن ذاق مِيتَةً من إيابِ  
إن أهل الحِصَابِ قد تركوني \* مُوزعاً مُولعاً بأهل الحِصَابِ  
أهل بيتٍ تتابعوا للننايا \* ما على الدهرِ بعدهم من عِتَابِ  
كم بذاك المجنون من حَيِّ صِدْقٍ \* من كُهوٍلٍ أعْفَةٍ وشَبَابِ  
سكنوا الجَزَعِ جَزَعَ بيت أبي مو \* سى إلى النخل من صُفَى السَّبَابِ  
فلي الويلُ بعدهم وعليهم \* صرتُ فردّاً وملّنى أصحابي

قال : فلم تزل تردّد هذا الصوت حتى راحت ، وأتعب الناس بالبكاء عند  
ركوبها ؛ فما شئت أن ترى باكِياً نبيلاً إلا رأيته .

قالوا : وكانت حَبَابَة عند يزيد متقدمة على سلامة ، وكانت حبابة تنظر الى  
سلامة بتلك العين الجليلة المتقدمة وتعرف فضلها عليها ؛ فلما رأت أثرَ يزيد لها  
ومحبته إياها استخفت بها . فقالت لها سلامة : أى أُخِيّة ، نسيتِ فضلى عليك !  
ويلك ! أين تأديب الغناء ! أين حق التعليم ! أنسيتِ قولَ جميلة لك وهى تطارحنا :  
خُذِي إحكام ما أطارحك من أُخْتِكَ سلامة ، فلا تزالين بخيرٍ ما بقيتُ لك وكان  
أمرُكما مؤتلفاً ! . فقالت : صدقتِ والله لا عدتُ لشيءٍ تكرهينه أبداً . وماتت حَبَابَة  
وعاشت سلامة بعدها دهراً .

(١) كذا في ديوانه والأغاني ج ١ ص ٣٢١ طبع دارالكتب المصرية . وفي الأصول : « تتابعوا »

ولما مات يريد أحضرها آبنه الوليد وأمرها بالغناء، فتنغصت من ذلك وبكت، ثم غنته . فقال : رَحِمَ اللهُ أبى وأطال عمرى وأمتعنى بِحُسْنِ غنائك ! . يا سلامة، بم كان أبى يُقدِّم حَبَابَةَ عليك؟ قالت : لا أدرى والله . قال : لكننى أدرى ذلك، بما قسم الله عزَّ وجلَّ لها . قالت : يا سيِّدى أَجَلٌ . وهى إحدى من أترِّم بهنَّ الوليد من جوارى أبيه .

### ذكر أخبار حَبَابَةَ

كانت حَبَابَةُ جاريةً مولَّدةً من مولِّدات المدينة لرجل من أهلها يعرف بآبن دبابَة<sup>(١)</sup>، وقيل : بل كانت لآل لَاحِقِ المكيين ، وقيل : كانت لرجل يعرف بآبن مينا . وكانت تسمى العالية<sup>(٢)</sup>، فسماها يزيد بن عبد الملك لما اشتراها حَبَابَةَ . وكانت حلوةً جميلةً الوجهَ ظريفةً حسنةً الغناء طيبةً الصوت ضاربةً بالعود . أخذت الغناء عن ابن سريج وابن مُحَرِّز ومالك بن أبى السَّمْح ومَعْبَد وعن جميلة وعزَّة الميلاء . وكان يزيد بن عبد الملك يقول : ما تَقَرَّعْنى بِمَا أُوتِيتُ من الخلافة حتى اشتريَ سلامة جاريةً مُصْعَب بن سُلَيم وحَبَابَةَ جاريةً آبن لَاحِقِ المكيَّة . فأرسل فأشترىتا له . فلما اجتمعتا عنده قال : أنا الان كما قال الأول :

فألقت عصاها وأستقر بها النوى \* كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

وكان يزيد بن عبد الملك فى خلافة أخيه سليمان قد قَدِمَ المدينة فترَّوج سَعْدَةُ بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان على عشرين ألف دينار، ورُبَيْحَةُ بنت محمد بن على ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب على مثل ذلك<sup>(٣)</sup>، واشترى العالية بأربعة آلاف

(١) فى الأغانى : « يعرف بآبن رمانة وقيل : ابن مينا وهو خرجها وأدبها » .

(٢) كذا فى الأغانى طبع بولاق والطبرى طبع ألمانيا . وفى الأصل : « الغالية » بالغين المعجمة .

(٣) كذا فى الأغانى ، وفى الأصل : « لم يقرعنى ما أوتيت الخ » .

دينار . فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجرت عليه . فبلغ يزيد ذلك فاستقال مولى حبابة ، ثم اشتراها بعد ذلك رجل من أهل إفريقية . فلما ولي يزيد اشتريتها سعدة أمراته وعلمت أنه لا بد طالبها ومشتريها . فلما حصلت عندها قالت له : هل بقي عليك شيء من الدنيا لم تنله ؟ قال : نعم ، العالية . قالت : أورايتها ؟ قال نعم . قالت : أفترفها ؟ قال نعم . فرفعت الستر فرآها ، فقالت : هذه هي ؟ قال نعم ، قالت : هي لك ، وخرجت عنهما . فسمّاها حبابة وعظم قدر سعدة عنده . ويقال : إنها أخذت عليها قبل أن تهبها له أن تُوطئ لأبنها عنده في ولاية العهد .

قال : وارتفع قدر حبابة عند يزيد وتمكن حبها في قلبه تمكنا عظيما . وكان أول ذلك أنه أقبل يوما الى البيت الذي هي فيه فقام من وراء الستر فسمعها تترنم وتغنى :  
كان لى يا يزيد حبك حيناً \* كاد يقضى على لما التقينا

فرفع الستر فوجدها مضطجعة مقلبة على الجدار ، فعلم أنها لم تعلم به ولم يكن ذلك لمكانه ، فالتقى نفسه عليها وحركت منه .

قال : وأراد يزيد بن عبد الملك أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز ، وقال : بماذا صار عمر أرجى لربه منى ! . وقيل : بل لآمه مسامة بن عبد الملك على الإلحاح على الغناء والشرب ، وقال له : إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله ، وقد تشاغلته بهذه الإماماء عن النظر فى الأمور ، والوفود ببابك وأصحاب الظلمات يصيحون وأنت غافل ! قال : صدقت والله ، وهم أن يترك الشرب ، ولم يدخل على حبابة أياما ، فشق ذلك عليها فأرسلت الى الأخوص أن يقول أبياتا فى ذلك ، فقال :

ألا تلمه اليوم أن يتبلا \* فقد غلب المحزون أن يتجلدا  
بكيت الصبا جهدى فمن شاء لآمنى \* ومن شاء آسى فى البكاء وأسعدا

وَإِنِّي وَإِنْ فُتِّدْتُ فِي طَلَبِ الصَّبَا \* لِأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ فِي الْحَبِّ أَوْحَدًا  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَشَّقْ وَلَمْ تَذِرْ مَا الْهَوَى \* فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا  
فِي الْعَيْشِ إِلَّا مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي \* وَإِنْ لَمْ فِيهِ ذُو الشَّانِ وَفَنَدًا

قال : فلما كان في يوم الجمعة تعرضت له حَبَابَةٌ عند خروجه الى الصلاة،  
فلقيته والعود في يدها، فغنت البيت الأول، فغطى وجهه وقال : مَهْ لَا تَفْعَلِي . ثم  
غنت « وما العيش إلا ما تَلَذُّ وتشتهي » فعدل إليها وقال : صَدَقْتَ ، قَبَّحَ اللَّهُ مِنْ  
لَا مَنِي فِيكَ ! يَا غَلَامَ ، مُرْ مَسَلَمَةً فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ . وأقام معها يشرب وهي تغنيه  
وعاد الى حاله ، وقال لها : مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ؟ قالت : الْأَحْوَصُ . فاستدعاه  
وَأَسْتَنْشَدَهُ الشَّعْرَ فَأَنْشَدَهُ الْأَبْيَاتِ . ثم أنشده قصيدته التي أولها :

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ إِضْمٍ \* أَوْقِدْ فَقَدْ هَجَّتْ شَوْقًا غَيْرَ مُنْصَرِمٍ

وهي قصيدة طويلة ، فقال له يزيد : أرفع حوائجك ، فكتب إليه في نحو  
أربعين ألف درهم من دين وغيره فأمر له بها . وقد قيل في أمر هذه الأبيات :  
إِنْ حَبَابَةٌ لَمَّا بَعَثَتْ إِلَى الْأَحْوَصِ فِي عَمَلِ الشَّعْرِ قَالَتْ لَهُ : إِنْ رَدَدْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
عَنْ رَأْيِهِ فَلَكَ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَدَخَلَ الْأَحْوَصُ عَلَيْهِ وَأَسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ ، فَقَالَ :  
لَيْسَ هَذَا وَقْتُكَ . فلم يزل به حتى أَذِنَ لَهُ فَأَنْشَدَهُ الْأَبْيَاتِ . فلما سمعها وثب حتى  
دخل على حَبَابَةٍ وهو يتمثل :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي \* وَإِنْ لَمْ فِيهِ ذُو الشَّانِ وَفَنَدًا

قالت : مَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقال : أَبْيَاتُ أَنْشَدْنِيهَا الْأَحْوَصُ ، فَسَلِّي  
مَا شِئْتَ . قالت : أَلْفَ دِينَارٍ تَعْطِيهَا الْأَحْوَصَ ، فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ .

(١) فِي الْأَغْنَى : « فَقَالَتْ مَارِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » .



قال : وقال يزيد يوماً لسلامة وحبابة : أيكما غنتي ما في نفسي فلها حكمها .  
فغنت سلامة فلم تُصب ما في نفسه ؛ وغنت حبابة بشعر ابن قيس الرقيات :  
حَلَقَ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ حَوْلِي \* بِفِلَسْطِينَ يُسْرِعُونَ الرُّكُوبَا  
جَزَعْتُ أَنْ رَأَيْتُ مَشِيبِي عَرْمِي \* لَا تَلْوِي ذَوَائِي أَنْ تَشِيْبَا<sup>(١)</sup>

(٢٦)

فأصابت ما في نفسه ، فقال : أحتكى . قالت : تهب لي سلامة ومالها . قال :  
أطلبي غيرها ؛ فأبت غيرها ؛ فقال : أنت أولى بها ومالها ، فلقيت سلامة من ذلك  
أمراً عظيماً . فقالت حبابة : لا ترين إلا خيراً . فجاءها يزيد فسألها أن تبيعه إياها  
بحكمها . فقالت : أشهدك الآن أنها حرة ، فأخطبها الآن أزوجك مولاتي .

قال : وغنت حبابة يوماً يزيد :

ما أحسن الجيد من مُلِكةَ وَالْمَلَبَاتِ إِذْ زَانَهَا تَرَائِبُهَا  
يَا لَيْتَنِي لَيْلَةً - إِذَا هَجَعَ النَّاسُ \* وَسُ ونام الكلابُ - صَاحِبُهَا  
فِي لَيْلَةٍ لَا يُرَى بِهَا أَحَدٌ \* يَسْمَعِي عَلَيْنَا إِلَّا كَوَاكِبُهَا

١٠

فطرب يزيد ، وقال : هل رأيت قط أطرب مني ؟ قالت : نعم ، ابن الطيار معاوية  
ابن عبد الرحمن بن جعفر . فكتب يزيد الى عبد الرحمن بن الضحاك فحمله إليه .  
فلما قدم أرسلت إليه حبابة : إنما بعث إليك لكذا وكذا وأخبرته بالقصة ؛ فإذا  
أدخلت عليه وتغنيت فلا تُظهرن طرباً حتى أغنى الصوت الذي غنيت ؛ فقال : سوءة  
على كبر السن ! فدعاه يزيد وهو على طنفسة خزر ، ووضع لمعاوية مثلها ، وجاءوا بجامين  
فيهما مسك ، فوضع أحدهما بين يدي يزيد والآخر بين يدي معاوية . قال معاوية :  
فلم أدرك كيف أصنع ، فقلت : أنظر كيف يصنع فأصنع مثله ؛ فكان يُقلبه فتفوح

١٥

ريحه وأفعل مثل ذلك . فلما جىء بحبابة وغنت ، فلما غنت ذلك الصوت أخذ معاوية الوسادة فوضعها على رأسه وقام يدور ويقول : الدُّخْنُ بالنَّوى يعنى اللُّوبيا ! وأمر له يزيد بصَلَاتٍ في دَفَعَاتٍ مبلغها ثمانية آلاف دينار .

وحكى أيضا أنها غنت يوماً يزيدَ فطرب، ثم قال : هل رأيتَ أطربَ مني؟ قالت : نعم ، مولاي الذى باعنى . فغاضه ذلك ، فكتب في حمله مُقَيِّداً . فلما وصل  
 ٥ أمر يزيد بإدخاله عليه فأدخل يَرْسُفُ في قيوده ، وأمر يزيد حَبَابَةَ أن تغنى فغنت :  
 تَشِيْطُ بِنَا دَارُ جِرَانِنَا \* وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أْبَعْدُ

فوثب حتى ألقى نفسه على الشمعة فاحترقت لحيته ، وجعل يصيح : الحريق يا أولاد الزنا ! فضحك يزيد وقال : لعمري إن هذا لأطرب الناس ! وأمر بحل قيوده ووصله بألف دينار ووصلته حَبَابَةَ ، وردّه الى المدينة .  
 ١٠

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسنده الى غانم الأزدي قال : نزل يزيد بن عبد الملك بيت رأس بالشام ومعه حَبَابَةَ ، فقال : زعموا أنه لا يصفو لأحد يوماً عيشه الى الليل لا يُكِّدُّه شيء عليه ، وسأجرب ذلك ، ثم قال لمن معه : إذا كان غداً لا تُخبروني بشيء ولا تأتونى بكتاب . وخلا هو وحَبَابَةَ ، فَأُتِيََا بِمَا يَأْكُلَانِ ، فَأَكَلَتْ رُقْمَانَةً فَشَرِقَتْ بِحَبَّةٍ مِنْهَا فَمَاتَتْ ، فَأَقَامَ لَا يَدْفِنُهَا ثَلَاثًا حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَأَنْتَنَتْ وَهُوَ يَشْمُهَا  
 ١٥ وَيُرْسِفُهَا . فَعَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ ذُووهُ وَأَقْرَبَاؤُهُ وَصَدِيقُهُ وَعَابُوا عَلَيْهِ مَا يَصْنَعُ ، وَقَالُوا :  
 قَدْ صَارَتْ جِيْفَةً بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَأَذِنَ لَهُمْ فِي غَسْلِهَا وَدَفْنِهَا ، فَأُخْرِجَتْ فِي نِطْعٍ ، وَخَرَجَ  
 مَعَهَا لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى جَلَسَ عَلَى قَبْرِهَا . فَلَمَّا دُفِنَتْ قَالَ : أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ  
 كُثَيِّرُ :

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « إن مثل هذا يطرب الناس » .

فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعَ الْهَوَى \* فَبِالْيَاسِ تَسْلُو عَنْكَ لَا بِالتَّجَادِ  
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى نِي فَهُوَ قَائِلٌ \* مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ  
فَمَا بَقِيَ إِلَّا نَحْسَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ وَمَاتَ ، فَدُفِنَ إِلَى جَنْبِهَا .

وروى أيضا عن مسلمة بن عبد الملك قال : لما ماتت حَبَابَةُ جَزَعَ عَلَيْهَا يَزِيدُ ،  
فَجَعَلَتْ أَسْكَنَهُ وَأَعَزَّتِيهِ وَهُوَ ضَارِبٌ بِدَقْنِهِ عَلَى صَدْرِهِ مَا يَكَلِّمُنِي حَتَّى دَفَنَهَا . فَلَمَّا  
بَلَغَ إِلَى بَابِهِ التَّفَتَ إِلَى وَقَالَ : فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ ... الْبَيْتَ ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ  
فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ هَلَكَ .

قال : وروى المدائني أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إليها ، فقال :  
لَا بُدَّ أَنْ تُنَبِّشَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهَا ، فَنُبِّشَتْ وَكُشِفَ لَهُ عَنْ وَجْهِهَا وَقَدْ تَغَيَّرَتْ تَغَيُّرًا  
قَبِيحًا ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَقِي اللَّهَ تَعَالَى ! أَلَا تَرَاهَا كَيْفَ صَارَتْ !  
فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا الْيَوْمَ ، أَخْرِجُوهَا . بِخَاءِ مُسْلِمَةَ وَوَجْوهُ أَهْلِهِ ، فَلَمْ  
يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أزالوه عَنْ ذَلِكَ وَدَفَنُوهَا ، وَأَنْصَرَفَ ، وَكَمَدَ كَمَدًا شَدِيدًا حَتَّى مَاتَ ،  
فَدُفِنَ إِلَى جَانِبِهَا .

وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال : خرجتُ مع أَبِي إِلَى الشَّامِ زَمَنَ  
يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَلَمَّا مَاتَتْ حَبَابَةُ وَأُخْرِجَتْ ، لَمْ يَسْتَطِعْ يَزِيدُ الرُّكُوبَ مِنَ الْجَحْزِ  
وَلَا الْمَشْيَ ، فَحُمِلَ عَلَى مَنبَرٍ عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ . فَلَمَّا دُفِنَتْ قَالَ : لَمْ أَصَلَّ عَلَيْهَا ، أَنْبَشُوا  
عَنْهَا . فَقَالَ لَهُ مُسْلِمَةُ : نَنْشُدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا هِيَ أَمَةٌ مِنَ الْإِمَاءِ وَقَدْ وَاوَرَاهَا  
الثَّرَى . فَلَمْ يَأْذَنْ لِلنَّاسِ بَعْدَ حَبَابَةَ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَسْتَمَّ دُخُولُ  
النَّاسِ حَتَّى قَالَ الْحَاجِبُ : اخْرُجُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ . وَلَمْ يَنْشَبْ يَزِيدُ أَنْ مَاتَ كَمَدًا .

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصْلِ : « وَرَكِبَهُ أَهْلُهُ » .

## ذكر أخبار خُلَيْدَةَ الْمَكِّيَّةِ

قال أبو الفرج : هي مولاة لابن شماس ، كانت هي وعقيلة ورُبَيْحَةُ يُعَرِّقْنَ  
بِالشَّماسِيَّاتِ . وقد أخذت الغناء عن ابن سُرَيْجٍ ومالك ومَعْبَدٍ .

وروى أبو الفرج بسنده إلى الفضل بن الربيع أنه قال : مارأيتُ ابنَ جامع  
يطرب لغناء كما يطرب لغناء خُلَيْدَةَ الْمَكِّيَّةِ . وكانت سوداء ، وفيها يقول الشاعر :  
فَتَنْتُ كَاتِبَ الْأَمِيرِ رَبَاحٍ \* يَا لَقَوْمِي خُلَيْدَةُ الْمَكِّيَّةِ

وغنت هشام بن عروة يوماً ، فلما سمعها قال : اكتبني على صدرك ( قُلْ هُوَ  
اللَّهُ أَحَدٌ ) وبين يديك المَعُوذَتَيْنِ لَا تُصِيبُكَ الْعَيْنُ .

وقال عُمر بن شَبَّةَ : بلغني أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان  
أرسل إلى خُلَيْدَةَ الْمَكِّيَّةِ أبا عَوْنٍ مولاها يخطبها عليه . فاستأذن فأذنت له وعليها  
ثياب رِقَاقٍ لَا تَسْتُرُهَا ، ثم وثبت فقالت : إنما ظننتك بعض سفهائنا ، ولكنني  
الْبَسَ لَكَ ثِيَابَ مِثْلِكَ ففعلت . وقال : قد أرسلني إليك مولاي ، وهو من تعلمين  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عثمان بن عفان ومن علي وهو ابن عم أمير  
المؤمنين ، يخطبك . قالت : قد نسبت فأبلغت ، فأسمع نسبي أنا بأبي [ أنت ] ! إن  
أبي يبيع على غير عقد الإسلام ولا عَهْدِهِ ، فعاش عبداً ومات في رجله قيد وفي عنقه  
سِلْسِلَةٌ عَلَى الْإِبَاقِ وَالسَّرِيقَةِ ، وولدتني أمي على غير رِشْدَةٍ وماتت وهي آبِقَةٌ ، فأنا من  
تَعْلَمَ . فإن أراد صاحبك نكاحاً مباحاً أو زناً صراحاً فهلم إلينا فنحن له . فقال : إنه  
لا يدخل في الحرام . فقالت : لا ينبغي أن يستحي من الحلال ، فأما نكاح السرِّ  
فلا والله لا فعلته ولا كنت عاراً على القيان . قال : فأتيت محمداً فأخبرته ، فقال :

ويحك ! أتزوجها مغنية وعندي بنتٌ طلحة بن عبيد الله ! لا ! ولكن أرجع إليها  
فقل لها : تختلف إلى أردد بصرى فيها لعلِّي أسلو، فرجعتُ إليها فأبلغتها الرسالة  
فضحكت وقالت : أما هذا فنعم، لسنا نمنعه .

### ذكر أخبار مَتِّمِ الهشامية

قال أبو الفرج : كانت مَتِّمٌ مولدة صفراء من مولدات البصرة ، وبها نشأت  
وتدربت و غنت . وأخذت عن إسحاق وأبيه قبله وعن طبقتيها من المغنين . وكانت  
من تخرج بَذَل وتعليمها . وأستراها علي بن هشام بعد ذلك فأزدادت أخذًا ممن كان  
يغشاه من أكابر المغنين . وكانت من أحسن الناس وجهًا وغناءً وأدبا . وكانت تقول :  
الشعر ليس مما يُستجاد ولكنه يُستحسن من مثلها . وحظيت عند علي بن هشام  
حظوةً شديدةً ، وتقدمت جواريه بجمع عنده ، وهي أم ولده كلهم .

حكى أبو الفرج قال : كان عند علي بن هشام برذونٌ أشهب قرطاسي في نهاية  
الحسن والفراهة وكان به مُعْجَبًا ، وكان إسحاق بن إبراهيم يشتهي شهوةً شديدةً ويُعرض  
لعلّي مراراً في طلبه فلم يَسْمَحْ به . فسار إسحاق إلى علي يوماً وقد صنعت مَتِّمٌ :  
فلا زلن حَسْرَى ظُلُمًا ، لم حَمَانِهَا \* إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصدق

فاحتبسهُ علي وبعث إلى مَتِّمِ يأمرها أن تجعل صوتها في صدر غنائها ففعلت ،  
فأطربت إسحاق إطراباً شديداً ، وجعل يستعيده ويستوفيه ليزيد في طربه وهو يُصْغِي<sup>(٢)</sup>  
إليه ويتفهمه حتى صح له . ثم قال لعلّي : ما فعل البرذونُ الأشهب ؟ قال : علي  
ما عهدت من حُسْنِهِ وفراسته . قال : اختر الآن مني خلةً من آثنتين : إما أن

(١) في الأغاني : « ونأذبت » .

(٢) عبارة الأغاني : « وجعل يسرده وترده ويستوفيه ليزيد في إطرابه إسحاق وهو يصغي ... » .

(١) طُبَّتْ لِي نَفْسًا [به] وَحَمَلَتْنِي عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا بَيْتٌ فَأَدْعِي وَاللَّهُ هَذَا الصَّوْتُ [لى] (١)  
 وَقَدْ أَخَذْتَهُ ، أَفْتَرَاكَ تَقُولُ : إِنَّهُ لَمَتِّمْ وَأَقُولُ : إِنَّهُ لى ، فَيُؤْخَذُ قَوْلُكَ وَيُتْرَكُ قَوْلِي ؟  
 فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ هَذَا وَلَا أَرَاهُ ، يَا غُلَامُ ، قَدْ الْبَرَذُونَ إِلَى مَنْزِلِ إِسْحَاقَ ، لَا بَارَكَ  
 اللَّهُ لَكَ فِيهِ ! .

وَحَكَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ هِشَامٍ مَوْلَاهَا كَلَّمَهَا بِشَيْءٍ فَأَجَابَتْهُ جَوَابًا لَمْ يُرْضَهُ ، فَدَفَعَ [يَدَهُ] ه  
 فِي صَدْرِهَا ، فَغَضِبَتْ وَنَهَضَتْ وَتَنَاقَلَتْ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهَا :  
 فَلَيْتَ يَدِي بَانَتْ غَدَاةً مَدَدْتُهَا \* إِلَيْكَ وَلَمْ تَرْجِعْ بِكَفٍّ وَسَاعِدِ  
 فَإِنْ يَرْجِعُ الرَّحْمَنُ مَا كَانَ بَيْنَنَا \* فَلَسْتُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادَى بِعَائِدِ  
 قَالَ : وَعَتَبْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً فَتَمَادَى عَتْبُهَا ، فَتَرْضَاهَا فَلَمْ تَرْضَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا : الْإِدْلَالُ  
 يَدْعُو إِلَى الْمَلَالِ ، وَرَبِّ هَجْرٍ دَعَا إِلَى صَبْرٍ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا لِتَقَلُّبِهِ ، وَقَدْ صَدَقَ ١٠  
 عِنْدِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ حَيْثُ يَقُولُ :  
 مَا أَرَانِي إِلَّا سَاهِجُورٌ مَن لَيْدٌ \* سَاسَ يَرَانِي أَقْوَى عَلَى الْهِجْرَانِ  
 مَلَنِي وَائْتَمَّا بِحَسَنِ وَفَائِي \* مَا أَضُرَّ الْوَفَاءَ بِالْإِنْسَانِ (٢)  
 قَالَ : نَخْرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ وَقْتِهَا وَرَضِيَتْ .

وَرَوَى عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيِّ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ بْنُ هِشَامٍ : لَمَّا قَدِمْتُ جَدَّتِي شَاهَكَ ١٥  
 مِنْ نَحْرَاسَانَ ، قَالَتْ : اعْرِضْ جَوَارِيكَ عَلَيَّ ؛ فَعَرَضْتُهُنَّ عَلَيْهَا . ثُمَّ جَلَسْنَا عَلَى الشَّرَابِ  
 وَغَنَّنَا مَتِّمْ ، فَأُطَالَتْ جَدَّتِي الْجُلُوسَ ، فَلَمْ أَنْبَسْطَ إِلَى جَوَارِي كَمَا كُنْتُ أَفْعَلُ ، فَقُلْتُ  
 هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أُنْبَقَى عَلَى هَذَا وَأَنْتِ قَرِيبَةٌ \* وَقَدْ مَنَعَ الزُّوَارُ بَعْضَ التَّكَلُّمِ  
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُودِّعٍ \* وَلَكِنْ سَلَامٌ مِنْ حَبِيبٍ مَتِّمْ ٢٠

(١) زيادة عن الأغاني . (٢) في الأغاني : \* قد حدا بي إلى الجفاء وفائي \*

وكتبت بهما في رقعة ورميتها إلى مقيم، فأخذتها ونهضت لصلاة الظهر، ثم عادت وقد صنعت فيه لحناً فغنته . فقالت شاهك : ما أرانا إلا قد ثقلنا عليكم اليوم؛ وأمرت الجوارى فحملوا محققها، وأمرت للجوارى بجوائز ساوت بينهن، وأمرت لمقيم بمائة ألف درهم .

قال : ومرت مقيم في نسوة وهي متخفية بقصر على بن هشام بعد أن قتله المأمون . فلما رأت بابه مغلقاً لا أنيس به وقد علاه التراب والغبرة وطرحته في أفنيتها المزابل وقفت عليه وتمثلت :

يا مَنَزِلًا لم تَبَلْ أَطْلَالُهُ \* حاشى لأطلاك أن تبلى  
لم أبكِ أَطْلَالَكَ لِكُنِّي \* بكيتُ عيشي فيك إذ ولّى  
قد كان لى فيك هَوًى مَرَّةً \* غيَّبه الترب وما مُلَا  
فَصِرْتُ أبكى بَعْدَهُ جَاهِدًا<sup>(١)</sup> \* عند آذكارى حيث قد حَلَا  
والعِيشُ أَوْلَى ما بكاه الفتى \* لا بُدَّ لِلْحَزُونِ أن يَسْلَى

قال : ثم بكت حتى سقطت من قامتها ، وجعل النسوة يناشدنها [ويقلن<sup>(٢)</sup>] :  
الله الله في نفسك ! فإنك الآن تؤخذين . فبعد لأي ما أَحْتِمِلْتُ تهادى بين امرأتين حتى جاوزت الموضع .

وحكى عنها قالت : بعث إلى المعتصم بعد قدومه بغداد؛ فلما دخلتُ أمر بالعود فوضع في حجرى ، وأمرنى بالغناء فغنيتُ :

هل مُسْعِدٌ لبكائى \* بَعْبَرَةٍ أو دِمَاءِ  
وذاك شىءٌ قليلٌ \* لسادتى النُّجَبَاءِ

(١) في الأغاني : « فصرت أبكى جاهدًا فقدته » .

— وهذا الشعر لمراد جارية عليّ بن هشام ترثيه — فقال : اعدلى عن هذا الصوت ؛  
فغَنَيْتُ :

\* ذهبْتُ عن الدنيا وقد ذهبْتُ عَنِّي \*

فدمعتُ عيناه وقال : غَنَى غيرَ هذا ؛ فغَنَيْتُ :

أولئك قومي بعد عِزٍّ وثُرُوَّةٍ<sup>(١)</sup> \* تفانُوا فإِلا تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدَ

فبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : ويحك ! لا تُغْنِي في هذا المعنى شيئاً . فغَنَيْتُهُ :

لا تَأْمِنِ الموتَ في حِلٍّ وفي حَرَمٍ \* إِنِّ المَنَيا بِجَنَبِيَّ<sup>(٢)</sup> كُلِّ إِنْسَانٍ  
وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ هَوْنًا غيرَ مُكْتَرِثٍ \* فسوف يَأْتِيكَ ما يَمْنِي لَكَ أَلْمَانِي

فقال : والله إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ بِمَا غَنَيْتَ ما في قلبك لصاحبك [وَأَنَّكَ]

لم تريدني ، ولو أعلم أَنَّكَ تُريدُني لَقَتَلْتُكَ ، ولكن خذوها ! فأخذوا بيدي فَأُخْرِجْتُ .  
وهذه مَتَمٌ هِيَ الَّتِي كَانَ يَهْوَها عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ الْمُعَدَّلِ ، وَأَظُنُّ ذَلِكَ قَبْلَ اتِّصَالِها  
بِعليّ بنِ هِشامٍ ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ وَجُوهِ البَصْرَةِ .

قال : وَكَانَتْ لَا تَخْرُجُ إِلَّا مُتَنَقِّبَةً . فَحَكِيَ الْمُبَرَّدُ وَغَيْرُهُ : أَنَّها قَدِمَتْ يَوْمًا إِلَى

أَبْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ الْحُسَيْنِ الْعَنْبَرِيِّ الْقَاضِي ، فَأَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْها ، فَأَمَرَ بِها

أَنْ تَسْفِرَ ففعلت . فَقِيلَ لِعَبْدِ الصَّمَدِ : لَوْ رَأَيْتَ مَتَمٌ وَقَدْ أَسْفَرها الْقَاضِي لَرَأَيْتَ  
شَيْئًا عَجِيبًا ! فَقَالَ :

وَلَمَّا سَرَتْ عَنْها الْقِنَاعَ مَتَمٌ \* تَرَوُّحُ مِنْها الْعَنْبَرِيُّ مَتَمًا  
رَأَى أَبْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ مُحْكَمٌ \* عَلَيْها لَهَا طَرَفًا عَلَيْهِ مُحْكَمًا

(١) فِي الْأَغْنَى : « وَمَنْعَةٌ » .

(٢) فِي الْأَغْنَى : « تَغَشَّى » .



وكان قديمًا كالح الوجه عابسًا \* فلما رأى منها السفور تبسمًا  
فإن يصب قلب العنبري فقبله \* صبا باليتامى قلب يحيى بن أكثما  
فبلغ قوله يحيى بن أكثم ؛ فكتب إليه : عليك لعنة الله ! أى شئ أردت منى  
حتى أتانى شرك من البصرة ! فقال لرسوله : قل له : متم أقعدتك على طريق القافية .

### ذكر أخبار ساجى جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

قال أبو الفرج : كانت ساجى إحدى المحسنات المبرزات المتقدّمات ، وهى  
تخرج مولاه عبيد الله . وكان مهما صنع من الغناء نسبه إليها ، وكان قد بلغ من  
ذلك الغاية ، ولكنه كان يترفع عن ذكره ويكره أن ينسب إليه .

حكى أبو الفرج عن أحمد بن جعفر بحظّة قال : كتب المعتضد إلى عبيد الله  
ابن عبد الله بقم أن يأمر جاريته ساجى بزيارته ففعل . قال بحظّة : فحدثني  
من حضر ذلك المجلس من المغنيات قالت : دخلت علينا وما فينا إلا من ترّفل  
فى الحلّى والحلل وهى فى أثواب ليست كأثوابنا فأحتقرناها ؛ فلما غنت آحتقرنا  
أنفسنا ؛ ولم تزل تلك حالنا حتى صارت فى أعيننا كالجلبل وصرنا كلاً شئ . ولمّا  
أنصرفت أمر لها المعتضد بمال وكسوة . ودخلت إلى مولاهما بفعل يسألها عن  
خبرها وما رأيت مما استظرفت وسمعت وأستغربت ؛ فقالت : ما استحسنّت  
هناك شيئاً ولا أستغربته من غناء ولا غيره إلا عوداً من عود محفوراً فإنى استظرفته .  
قال بحظّة : فما قولك فيمن تدخل إلى دار الخليفة ولا تمّد عينها إلى شئ تستظرفه  
وتستحسنه إلا عوداً !

قالوا : وكان المعتضد إذا استحسن شيئاً بعث به إلى ساجى فتغنى فيه . وكانت صنعتها في عصره تُسمى غناء الدار . وماتت ساجى في حياة مولاهما وكان عليلاً ، فرثاها ببيتين فقال :

يَمِينًا يَقِينًا أَوْ بُلَيْتٌ بِفَقْدِهَا \* وَبِى نَبْضٌ عَرِيقٌ لِلْحَيَاةِ وَلِلنُّكْسِ  
لَأَوْشَكْتُ قَتْلَ النَّفْسِ قَبْلَ فِرَاقِهَا \* وَلَكِنَّمَا مَاتَتْ وَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِي

### ذكر أخبار دُقاق

قال أبو الفرج : كانت دُقاق مغنيةً محسنةً مُتقنة الأداء والصنعة جميلة الوجه . أخذت الغناء عن أكابر مغنى الدولة العباسية . وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له ابنه أحمد . ومات يحيى فتزوجت بعده بعدة من القواد والكتاب فماتوا وورثتهم ، ثم أنقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غَضِيض . وكانت مشهورة بالظرف والمجون . فشُوهِدَتْ مَرَّةً وَقَدْ خَرَجَتْ مِنْ دَارِ حَمْدُونَةَ وَفِي يَدِهَا مِرْوَحَةٌ عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْهَا مَنْقُوشٌ : ” الْحَرُّ إِلَى أَيْرَيْنِ أَحْوَجُ مِنَ الْأَيْرِ إِلَى حَرِينِ “ . وعلى الوجه الآخر : ” كَمَا أَنَّ الرَّحَا إِلَى بَغْلَيْنِ أَحْوَجُ مِنَ الْبَغْلِ إِلَى رَحَوَيْنِ “ .

قال : وكان لها غلامان يُرَوِّحَانِهَا بِمِرَاوِحِ الْخَيْشِ . فتحدث الناس أنها قالت لواحد : نِكْنِي وَأَنْتِ حُرٌّ ، فقال لها : نِيَكِينِي أَنْتِ وَبِيعِينِي فِي الْأَعْرَابِ . فقال فيها بعض الشعراء :

أَحْسَنُ مَنْ غَنَّى لَنَا أَوْشَدَا \* دُقَاقُ فِي خَفِضٍ مِنَ الْعَيْشِ  
لَهَا غُلَامَانِ يَنْيَكَانِيهَا \* بِعِلَّةِ التَّرْوِيحِ بِالْخَيْشِ

قال هبة الله بن إبراهيم بن المهدي : وكانت تُواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُرى كل واحد منهم أنها تهواه . وكانت أحسن أهل عصرها وجهًا وأشامهم على من تزوجها أو رابطها . فقال فيها إبراهيم بن المهدي :

عِدْمَتِكَ يَا صَدِيقَةَ كُلِّ خَلْقٍ \* أَكُلَّ النَّاسِ وَيَحْكُ تَعَشِّقِينَا  
وكيف إذا خلطت الغث منهم \* بلحيم سمينهم لا تبشمينَا

قال أبو هفان : خرج يحيى بن الربيع إلى بعض النواحي وترك جاريتَه دُقاق في داره؛ فعملت [بعده<sup>(١)</sup>] الأوابد . فقال موسى الأعشى [فيه<sup>(٢)</sup>] :

قل ليحيى نعم صبرت على المو \* ت ولم تخش ريب سهم المنون  
كيف قل لي أطقت ويحك يا يحيى \* بي على الضعف منك حمل القرون  
يشير بقوله : « سهم ريب المنون » إلى شؤمها .

### ذكر أخبار قلم الصالحية

قال أبو الفرج الأصفهاني : كانت قلم الصالحية مؤلدة صفراء حلوة حسنة الغناء والضرب حاذقة، قد أخذت عن إبراهيم وآبائه إسحاق ويحيى المكي وزبير بن دحمان . وكانت لصالح بن عبد الوهاب [أنهى أحمد بن عبد الوهاب<sup>(١)</sup>] كاتب صالح بن الرشيد، وقيل : بل كانت لأبنيه . قال : وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتًا، فاشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار .

قال أحمد بن الحسين بن هشام : كانت قلم إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات، فغنى بين يدي الواثق لحن لها في شعر محمد بن كاسة، وهو :

(٢) في الأغاني : « أبو موسى » .

(١) زيادة عن الأغاني .

فِي أَنْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا \* صادفتُ أهلَ الوفاءِ والكريمِ

أرسلتُ نفسي على سَجِيَّتِهَا \* وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

- فسأل : لمن الصنعة ؟ ف قيل : لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب . فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره وسأله : مَنْ صالحُ بن عبد الوهاب ؟ فأخبره . قال : وأين هو ؟ قال : ببغداد . قال : ابعث وأشخصه وليحضر معي جاريته قلم .
- فكتب في إشخاصهما ، فقيما على الواثق ، فدخلت عليه ، فأمرها بالجلوس والغناء ، فغنت فاستحسن غناها وأمر بآبتياعها . فقال صالح : أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر . فغضب الواثق من ذلك وردّها اليه . ثم غنى بعد ذلك زرزر الكبير في مجلس الواثق بشعر الغناء فيه لها ، فقال الواثق : لمن هذا الغناء ؟ فقال : لقلم الصالحية ، فبعث إلى ابن الزيات بإشخاصها ففعل ، فدخلت على الواثق فأمرها بالغناء ، فغنته من صنعتها فأعجبه غناؤها ، وبعث إلى صالح فأحضره وقال له : إني قد رغبت في هذه الجارية فأستم في ثمنها سوماً يجوز أن تُعطاه . فقال : أمّا إذ وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة ، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين ، فإن من حقها عليّ إذا تناهيت في قضائه أن أصيرها ملكه ، فبارك الله له فيها . فقال الواثق : قد قبلتها ، وأمر ابن الزيات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار ، وسمّاها أعتباطا .
- فلم يُعطه ابن الزيات المال ومطله به ، فوجه إلى قلم من أعلمها بذلك ، فغنت الواثق صوتاً وقد أصطبغ ، فقال لها : بارك الله فيك وفيمن ربّاك . فقالت : يا سيدي وما نفع من ربّاني مني إلا التعب والغرم والخروج مني صفرًا ! فقال : أو لم تأمر له بخمسة آلاف دينار ؟ قالت : بلى ! ولكن ابن الزيات لم يُعطه شيئاً . فدعا بخادم من خاصّة الخدم ووقع إلى ابن الزيات بجمل خمسة آلاف الدينار إليه وبخمسة آلاف أخرى معها . قال صالح : فصرت مع الخادم إليه فقرّبني وقال : أمّا خمسة الآلاف

الأولى فقد حضرت ، ونحسنة الآلاف الأخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة . قال :  
 فقممت ، ثم تناساني كأنه لم يعرفني . فكتبت إليه أقضيه ، فبعث إلي : أكتب لي  
 قبضاً بها وخذها بعد جمعة . فكرهت أن أكتب إليه قبضاً فلا يحصل لي شيء .  
 قال : فاستترت في منزل صديق لي . فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه إلى  
 الواقع ، فبعث إليّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض . قال : فابتعت بالمال ضيعةً  
 وتعلقت بها وجعلتها معاشي ، وقعدت عن عمل السلطان ، فما تعرضت لشيء بعدها .

### ذكر أخبار بصبص جارية ابن نفيس

قال أبو الفرج : كانت جارية من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء ،  
 قد أخذت عن الطبقة الأولى من المغنين . وكان يحيى بن نفيس مولاهما صاحب  
 قيان ، يغشاه الأشراف ويسمعون غناء جواريه . ثم اشتريت للمهدى ، وهو ولي عهد ،  
 بسبعة عشر ألف دينار . وقيل : إنها ولدت له عليّة بنت المهدي وقيل : أُم عليّة  
 غيرها . قال : وكان عبد الله بن مُصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها فيسمع  
 منها ، وكان يأتيها فتيان قريش فيسمعون منها . فقال عبد الله بن مُصعب حين قدم  
 المنصور مُنصِرفاً إلى الحج ومرّ بالمدينة يذكر بصبص :

أراحِلُ أنت أبا جَعْفَرٍ \* من قبل أن تسمع من بَصْبَصَا  
 هيات أن تسمع منها إذا \* جاوزت العيس بك الأعوصا  
 نَحْدُ عليها مَجْلِسِي لَذَّةٍ \* ومَجْلِسًا من قبل أن تشخصا  
 أحاف بالله يمينًا ومن \* يحلف بالله فقد أخلصا

فبلغ الشعرُ أبا جعفر المنصور، فغضب ودعاه، ثم قال : أما إنكم يا آل الزبير  
قديمًا ما قادتكم النساء وشققتم معهن العصا ، حتى صرت أنت آخر الحمقى تُبايع  
المغنيات ! فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم .

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك وهو ابن ذى الزوائد فيها :

بَصْبُصُ أَنْتِ الشَّمْسُ مُزْدَانَةٌ \* فَإِنْ تَبَدَّلَتْ فَأَنْتِ الْهِلَالُ  
سَبِّحَانَكَ اللَّهُمَّ مَا هَكَذَا \* فِيمَا مَضَى كَانَ يَكُونُ الْجَمَالُ  
إِذَا دَعَتْ بِالْعُسُودِ فِي مَشْهَدٍ \* وَعَاوَنْتُ يَمْنَى يَدَيْهَا الشَّمَالُ  
غَنَّتْ غَنَاءً يَسْتَفِزُّ الْفَتَى \* حَذَقًا وَزَانَ الْحَذَقَ مِنْهَا الدَّلَالُ

قال : وهوى محمد بن عيسى الجعفرى بصبص فهام بها وطال ذلك عليه ،  
فقال لصديق له : قد شغلتنى هذه عن صنعتى وكلّ أمرى ، وقد وجدتُ مسّ  
السُّلُوعِ عنها ، فأذهب بنا إليها حتى أكشفها ذلك وأستريح . فأتياها ، فلما غنّهما  
قال لها محمد بن عيسى : أتغنّين :

وَكُنْتُ أَحِبُّكُمْ فَسَلَوْتُ عَنْكُمْ \* عَلَيْكُمْ فِي دِيَارِكُمُ السَّلَامُ  
فَقَالَتْ : لَا ، وَلَكِنِّي أُغْنَى :

تَحَمَّلَ أَهْلُهَا عَنْهَا فَبَانُوا \* عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ  
قال : فاستحيا وازداد بها كلفاً ولها عشقا ، فأطرق ساعة ثم قال لها : أتغنّين :  
وَأَخْضَعُ بِالْعُتْبَى إِذَا كُنْتُ مُذْنِبًا \* وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتَنْصَلُ  
قالت : نعم ، وأغنى أحسن منه :

فَإِنْ تُقْبِلُوا بِالْوُدِّ تُقْبَلُ بِمِثْلِهِ \* وَنُزِّلَكُمْ مِنَّا بِأَقْرَبِ مَنْزِلِ

فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين ، وما شعر بهما أحد .

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « كادتكم » .

(٣٢)

قال : وحضر أبو السائب المخزوميّ مجلساً فيه بَصْبَصٌ ، فغنت :  
 قلبي حَيَّسٌ عليك موقوفٌ \* والعينُ عَبْرِي والدمعُ مذروفُ  
 والنفسُ في حَسْرَةٍ بغصَّتْها \* قد شَفَّ أَرْجاءُها التَّساويفُ  
 إن كنتِ بالحُسْنِ قد وُصِفْتِ لنا \* فإتني بالهوى لموصوفُ  
 يا حَسْرَتاً حَسْرَةً أُموتُ بها \* إن لم يكن لي إليك معروفُ

قال : فطرب أبو السائب ونَعَرَ وقال : لا عَرَفَ الله من لا يَعْرِفُ لك  
 معروفك ، ثم أخذ قِنَاعَهَا عن رَأْسِهَا ووضعهُ على رَأْسِهِ وجعل يبكي ويلطم ويقول  
 لها : بأبي أنت ! والله إني لأرجو أن تكوني عند الله أفضل من الشهداء لما تُؤايناه  
 من السرور ، وجعل يصيح : وا غوثاه ! يا لله ما يلقى العاشقون ! .

وقال عثمان بن محمد الليثي : كنت يوماً في منزل ابن نفيس ، فخرجت إلينا جاريتُهُ  
 بَصْبَصٌ ، وكان في القوم فتى يحبها ، فسأله حاجةً فقام ليأتيتها بها ، فنسي أن يلبس  
 نعله ومضى حافياً . فقالت له : يافلان ، نسيت نعلك ، فرجع فلبسها وقال : أنا والله  
 كما قال الأول :

وَحُبُّكَ يُنْسِينِي عن الشيء في يَدِي \* وَيَشْغَلُنِي عن كلِّ شيءٍ أَحْوَلُهُ  
 فأجابته فقالت :

وبى مثل ما تشكوه مِنِّي وإِتْنِي \* لأشْفِقَ من حبِّ لَدَاكَ تُرَايِلُهُ

### ذكر أخبار جوارى ابن رامين

وهنّ سلامة الزرقاء ، وربحة ، وسعدة

قال أبو الفرج : وابن رامين هو عبد الملك بن رامين مولى عبد الملك بن بشر  
 ابن مروان . وكان له جوارٍ مُغَنِّياتٌ مُجِيدَاتٌ ، وهنّ سلامة الزرقاء ، وربحة ،  
 وسعدة . وفيهنّ يقول إسماعيل بن عمار قصيدته التي أولها :

هل من شفاءٍ لقلبٍ جَحَّ مُحْزُونٍ \* صَبَا وَصَبَّ إِلَى رِثْمِ ابْنِ رَامِينَ  
إِلَى رَيْحَةٍ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهَا \* بِحُسْنِهَا وَسَمَاعِ ذِي أَفَانِينَ  
نَعَمْ شِفَاؤُكَ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ لَهَا \* قَتَلْتَنِي يَوْمَ دَيْرِ اللَّجِّ<sup>(١)</sup> فَأَحْيَنِي  
أَنْتِ الطَّبِيبُ لِدَاءٍ قَدْ تَلَبَّسَ بِي \* مِنَ الْجَوَى فَأَنْفِثِي فِيَّ وَارْقِنِي  
نَفْسِي تَأْبَى لَكُمْ إِلَّا طَوَاعِيَةً \* وَأَنْتِ تَحْمَيْنَ أَنْفًا أَنْ تُطِيعَنِي

ومنها :

لَمْ أَنْسَ سَعْدَةَ وَالزَّرْقَاءَ يَوْمَهُمَا \* بِاللَّحِّ شَرْقِيَّةً فَوْقَ الدَّكَائِينَ  
يُغْنِيَانِ ابْنَ رَامِينَ ضُحَاءَهُمَا \* بِالْمُسَجَّحِيِّ وَتَشْيِيبِ الْمُحْبِّينِ  
فَمَا دَعَوْتَ بِهِ فِي عَيْشِ مَمْلَكَةٍ \* وَلَمْ نَعِشْ يَوْمَنَا عَيْشَ الْمَسَاكِينِ

وهي أبيات طويلة، وله فيهن غيرها .

قال : وأشترى جعفر بن سليمان بن عليّ سلامة الزرقاء بثمانين ألف درهم ؛  
وقيل : إنه اشترى ريحة بمائة ألف درهم ، والأول أصح . وقيل : إن الذي اشترى  
ريحة محمد بن سليمان ، وأشترى صالح بن عليّ سَعْدَةَ بتسعين ألف درهم . وقيل :  
أشترى معن بن زائدة إحداهن . قال : وكانت سلامة الزرقاء عاقلة شَكِلمة . قال :  
ولما اشتراها جعفر ومضت لها مدة عنده ، سألها يوماً : هل ظفرك منك أحدٌ قَطُّ  
من كان يهواك بخُلوة أو قُبلة ؟ نخشيت أن يبلغه شيء ، كانت فعلته بحضرة جماعة  
أو يكون قد بلغه شيء ، فقالت : لا والله إلا يزيد بن عَوْنِ العبادي الصيرفي ،  
فإنه قبّلني قُبلة وقذف فيَّ لؤلؤة بعثها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفر بن  
سليمان يحتمل له حتى وقع به فضر به بالسَّياط حتى مات .

(١) دير اللج : هو بالحيرة مما بناه النعمان بن المنذر .



- وقد روى أبو الفرج الأصفهاني في خبر يزيد بن عون هذا بسند رفعه إلى عبد الرحمن بن مقرون أنه اجتمع هو وروح بن حاتم عند ابن رامين ، وأن الزرقاء خرجت عليهم في إزار ورداء <sup>(١)</sup> [فهويين] <sup>(٢)</sup> مؤردين ، كأت الشمس طالعة بين رأسها وكعبها . قال : فغنتنا ساعة ، ثم جاء الخادم الذي كان يأذن لها — وكان الإذن عليها دون مولاهما — فقام على الباب وهي تغنى ، حتى إذا قطعت الغناء نظرت إليه فقالت : مه ! قال : يزيد بن عون العبادي الصيرفي الملقب بالماجن على الباب . قالت : ائذن له . فلما استقبلها طفر ثم أقعى بين يديها ، فوجدت والله له ، ورأيت أثر ذلك ، وتتوقت تنوقا <sup>(٣)</sup> خلاف ما كانت تفعل بنا . فأدخل يده في ثوبه فأخرج لؤلؤتين فقال : انظري يا زرقاء ، جعلت فداك ! ثم حلف أنه تقد فيهما بالأمس أربعين ألف درهم . قالت : فما أصنع بك ؟ قال : أردت أن تعلمي . فغنت صوتاً ثم قالت : ياما جن هبهما لي ! قال : إن شئت والله فعلت . قالت : قد شئت . قال : فاليمين التي حلفت بها لازمة <sup>(٤)</sup> [لي] إن أخذتهما إلا بشفتيك من شفتي . فقال ابن رامين للغلام : ضع لي ماءً ثم خرج عننا ، فقالت : هاتهما . فمشى على ركبتيه وكفّيه وهما بين شفتيه وقال : هالك ، فلما ذهبت لتناولهما جعل يصد عنها يميناً وشمالاً ليستكثر منها ، فغمزت جارية على رأسها ، فخرجت كأنها تريد حاجةً ثم عطفت عليه ، فلما دنا وذهب ليروغ دفعت منكبيه وأمسكتهما حتى أخذت الزرقاء اللؤلؤتين بشفتيها من فمه ورشع جبينها عرقاً حياً منا . ثم تجلّدت علينا فأقبلت عليه وقالت : المغبون في آسته عود . فقال : فأما أنا فلا أبالي ، والله لا يزال طيب هذه الرائحة في أنفي وفي ما حييت .

(١) زيادة عن الأغاني .

(٢) تنوق في الأمر : تناق فيه . (٣) زيادة عن الأغاني .

(٤) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « علينا » .

قال : وأجتمع عند ابن رامين مَعْن بن زائدة و رَوْح بن حاتم وابن المقفّع . فلما تغنّت الزرقاء وسعدت بعت مَعْن بخیء ببدرة فصبتها بين يديها ، وبعث رَوْح بخیء ببدرة فصبتها بين يديها ، ولم تكن عند ابن المقفّع دراهم ، فبعث بخیء بصك ضيعة ، وقال : هذه عهدة ضيعتي خذها ، فأما الدراهم فما عندي منها شيء . وشربت زرقاء دواء فأهدى لها ابن المقفّع ألف دراجة <sup>(١)</sup> .

٥

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : كان رَوْح بن حاتم بن المهلب كثير الغشيان لمنزل ابن رامين ، وكان يختلف إلى الزرقاء ، وكان محمد بن جميل يهواها وتهواه ، فقال لها : إن رَوْح بن حاتم قد ثقل علينا . قالت : فما أصنع وقد غمر مولاي بيّره ! قال : احتالي له . فبات عندهم رَوْح ليلة ، فأخذت سراويله وهو نائم فغسلته . فلما أصبح سأل عنه ، فقالت : غسلناه . فظن أنه أحدث فيه فأحتيج إلى غسله فاستحيا من ذلك فانقطع عنهم ، وخلا وجهها لابن جميل .

١٠

### ذكر أخبار عَنان جارية الناطفي

قال أبو الفرج الأصفهاني : كانت عَنان مولدة من مولدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت ، وأستراها الناطفي وربّاها . وكانت صفراء جميلة الوجه شكلة مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة ، وكان فحول الشعراء يساجلونها ويعارضونها فتنتصف منهم . ولها مع أبي نؤاس الحسن بن هاني وغيره من الشعراء والفضلاء معاياة ومراجعات ، نذكر منها طرفا . من ذلك ما حكاه الجمار قال : دخل أبو نؤاس يوما على عَنان ، فتحدثا ساعة ثم قال لها : قد قلت أبياتا ، فقالت : هات ؛ قال :  
إني لي أيرا خبيثا \* لونه يحكي الكميثا

٢٠

(١) نوع من الطيور .

لو رأى في الجوّ صدعاً \* لَنَزَا حتى يموتاً  
أو رآه فوق سَقْفٍ \* لَتَحَوَّلَ عَنْكَ بَوتاً  
أو رآه جوفَ بَحْرٍ \* خِلْتَهُ في البحرِ حوتاً  
قال : فما لبثتُ أن قالت :

زَوَّجُوا هَذَا بِالْفِ \* وَأُظِنَ الْأَلْفَ قُوتاً  
إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ \* إِنْ تَمَادَى أَنْ يَمُوتاً  
بَادِرُوا مَا حَلَّ بِالْمِسِّ \* كَيْنَ خَوْفًا أَنْ يَفُوتاً  
قَبْلَ أَنْ يَنْتَكِسَ الدَا \* ءُفْلا يَأْتِي وَيُوتَى  
قال : ودخل إليها يوماً فقال :

مَا تَأْمُرِينَ لِصَبٍّ \* تُرْضِيهِ مِنْكَ قُطِيرَهُ  
فاجابته :  
إِيَّايَ تَعْنِي بِهَذَا ! \* عَلَيْكَ فَاجِلِدُ عُمَيْرَهُ  
فقال لها :

أُرِيدُ هَذَا وَأَخْشَى \* عَلَى يَدِي مِنْكَ غَيْرَهُ

قال : فخجلت ثم قالت : تَعِسَتْ وَتَعِسَ مِنْ يَغَارِ عَلَيْكَ ! .

(٣٤)

قال أبو حَبَشٍ : قال لي النَّاطِقِيّ : لو جِئْتَ إِلَى عِنَانٍ فَطَارَحَتْهَا ! فَعَزَمْتُ  
عَلَى الْغُدُوِّ إِلَيْهَا، وَبِتُّ لَيْلَتِي أَحْوَكَ بَيْتَيْنِ، ثُمَّ غَدَوْتُ عَلَيْهَا فَأَنْشَدْتُهَا :  
أَحَبُّ الْمِسْلَاحِ الْبَيْضُ قَلْبِي وَرُبَّمَا \* أَحَبُّ الْمِلَاحِ الصُّفْرُ مِنْ وَلَدِ الْحَبَشِ  
بَكَيتُ عَلَى صَفْرَاءَ مِنْهُنَّ مَرَّةً \* بَكَاءَ أَصَابَ الْعَيْنَ مِنِّي بِالْعَمَشِ  
فَقَالَتْ عِنَانُ :

بَكَيتُ عَلَيْهَا إِنَّ قَلْبِي يُحِبُّهَا \* وَإِنْ فُؤَادِي كَالْجَنَاحَيْنِ ذَوْرَعَشِ  
تَعْنِيْتِنَا بِالشَّعْرِ لَمَّا أَتَيْتِنَا \* فَدُونَكَ خَذَهُ مُحْكَمًا يَا أَبَا حَبَشِ

وقال مروان بن أبي حفصة : لقيني الناطفي فدعاني إلى عَنان ، فأنطلقتُ معه . فدخل إليها قبلي فقال : جئتُك بأشعر الناس مروان بن أبي حفصة ، فوجدتها عالمة فقالت : إني عن مروان اني شغل . فأهوى إليها بسوط فضربها ، وقال لي : أدخل ، فدخلت وهي تبكي ، فرأيت الدموع تتحدر من عينيها ، فقالت :  
بَكَتْ عَنانُ بِخَرى دَمْعُها \* كاللُّثَرِ إِذْ يَسْبِقُ مِنْ خَيْطِها

فقالت مُسرعة :

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُها ظالِمًا \* تَيْبَسُ يُمْنَاهُ على سَوِطِها

قال مروان : فقلت : أعتق ما أملك إن كان في الحق والإنس أشعر منها .

وقال أحمد بن معاوية قال لي رجل : تَصَفَّحْتُ كُتُبًا فوجدتُ فيها بيتًا جَهِدْتَ جَهدِي أن أجِدَ من يُجِيزُه فلم أجِدَ . فقال لي صديق لي : عليك بعَنان جارية الناطفي ، فاتيتها فأنشدتها البيت وهو :

وما زال يشكو الحبَّ حتى رأيتُه \* تَنفَّسَ مِنْ أَحْشائِه وتكلَّمَا

فلم تلبث أن قالت :

ويَبْكِي فابْكِي رَحمةً لبكائِه ، \* إِذا ما بَكَى دَمْعًا بَكَيتُ لَهُ دَمًا

وقال موسى بن عبد الله التميمي : دخل أبو نُوَاس على الناطفي وعَنان جالسةٌ تبكي ، وقد كان الناطفي ضربها ، فأومأ إلى أبي نُوَاس أن حَرَّكها بشيء ، فقال أبو نُوَاس :

عَنانُ لو جُدَّتِ لي فإِنِّي مِنْ \* عُمَري في (أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا<sup>(١)</sup>)

(١) لعله يريد من اقتباس هذه الآية ، وهي قبيل آخر سورة البقرة ، أن يدل على أنه في آخر مرحلة

من حياته وأنه لم يبق من عمره إلا بمقدار ما تقع هذه الآية من السورة المذكورة .

فقلت :

فإن تمادى ولا تماديت في \* قطعك حبلى أكن كن ختما

فقال أبو نواس :

علقت من لو أتي على أنفوس ال \* محاضين والغابرين ما ندما

فقلت :

لو نظرت عينها إلى حجر \* ولد فيه فتورها سقما

وقال أبو جعفر النخعي : كان العباس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطفي .  
بجاءني يوماً فقال لي : امض بنا إلى عنان . فصرنا إليها ، فرأيتها كالمهاجرة له ، فجلسنا قليلاً ، ثم ابتدأ العباس فقال :

قال عباس وقد أجز \* جهد من وجد شديد  
ليس لي صبر على الهج \* ير ولا لدع الصدود  
لا ولا يصبر للهج \* ير فؤاد من حديد

فقلت عنان :

من تراه كان أغنى \* منك عن هذا الصدود  
بعد وصل لك مني \* فيه إرغام الحسود !  
فأخذ للهجر إن شد \* مت فؤاداً من حديد  
ما رأيناك على ما \* كنت تجني بجليد

فقال عباس :

لو تجودين لصب \* راح ذا وجد شديد  
وأخي جهل بما قد \* كان يحني بالصدود

ليس من أحدث هجراً \* إصديق بسديد  
ليس منه الموت إن لم \* تصليه ببعيد

قال : فقلت للعبّاس : ويحك ! ما هذا الأمر ؟ قال : أنا جنيتُ على نفسي  
بتناهي عليها . فلم أبرح حتى ترصيتها له .

وقال يحيى بن محمد : كان الرشيد يساوم بعنان جارية الناطفي ، فبلغ ذلك أم جعفر  
فشق عليها ، فدست إلى أبي نواس في أمرها ، فقال يهجوها :  
إن عنان النّطاف جارية \* أصبح حرها للنّيك ميدانا  
ما يشتريها إلا ابن زانية \* وقطبان<sup>(١)</sup> يكون من كانا

فبلغ الرشيد شعره فقال : لعن الله أبا نواس وقبحه ! فلقد أفسد على لذتي بما  
قال فيها ومنعني من شرائها .

وقال الأصمعي : بعثت إلى أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهج بذكر هذه  
الجارية عنان ، فإن صرفته عنها فلك حكمك . قال : فكنت أربح لأن أجد للقول  
فيها موضعاً فلا أجده ولا أقدم عليه هيبة له ، إذ دخلت يوماً فرأيت في وجهه  
أثر الغضب فأنخزلت . فقال : مالك يا أصمعي ؟ قلت : رأيت في وجه أمير المؤمنين  
أثر الغضب ، فلعن الله من أغضبه ! فقال : هذا الناطفي ، والله لولا أنني لم أجز  
في حكم قط متعمدا لجلعت على كل جبل منه قطعة ! ومالي في جاريته من أرب  
غير الشعر . قال الأصمعي : فذكرت رسالة أم جعفر فقلت : أجل ، والله ما فيها  
غير الشعر ، أفسر أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق ! فضحك حتى استلقى . وأتصل  
قولي بأم جعفر فأجزلت لي الجائزة .

(١) القاطبان (باللام والقرطبان بالراء) : الديوث الذي لا غيره له ، أو القواد .

وقال يعقوب بن إبراهيم : طلب الرشيدُ من الناطقىّ جاريته ، فأبى أن يبيعهما بأقل من مائة ألف دينار . فقال الرشيد : أعطيك مائة ألف دينار على أن تأخذ الدينار بسبعة دراهم ، فأمتنع عليه ، فأمر أن تحمل إليه . فذكروا أنها دخلت مجلسه في هيئتها ، فقال لها الرشيد ويلك ! إن هذا قد آعتاص علىّ في أمرك . فقالت : ما منعك أن تُوفيه وتُرضيه ؟ فقال : ليس يتنعم بما أعطيه ، وأمرها بالانصراف . فتصدق الناطقىّ حين رجعت إليه بثلاثين ألف درهم . فلم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاها . فلما مات بعث الرشيد مسرورًا الخادم ، فأخرجها الى باب الكرخ وأقامها على سرير وعليها رداءٌ سنديّ قد جَلَّلَها ، فنُودى عليها فيمن يزيد بعد أن شاور الفقهاء فيها ، فقالوا : هذه كبدٌ رطبةٌ وعلى الرجل دين ، فأشاروا ببيعها . وكانت تقول وهي على المصطبة : أهان الله من أهانني وأرذل من أرذلني ! فوَكَّرَها مسرور بيده . وبلغ بها مسرورٌ مائتي ألف درهم ، فجاء رجل فقال : علىّ زيادة خمسة وعشرين ألف درهم ، فوَكَّرَها مسرور وقال : أتزيد على أمير المؤمنين ! فبلغ بها مائتين وخمسين ألف درهم وأخذ مالها . قال : ولم يكن فيها عيبٌ يعاب ، فطلبوا لها عيبا لا تُصيبها العين ، فأوقعوا بخنصرِ رجلها في ظفره شيئا . قال : وأولدها الرجل الذي اشتراها ولدين ، ثم خرج بها الى نحرَاسان فمات هناك ومات بعده .

### ذكر أخبار شارية جارية إبراهيم بن المهديّ

قال أبو الفرج : كانت شارية مولدة من مولدات البصرة . يقال : إن أباها كان من بني سامة بن لؤي المعروفين ببني ناجية ، وإنه جحدها . وكانت أمها أمة ، فدخلت في الرق . وقيل : إن أمها كانت تدعى أنها بنت محمد بن زيد من بني سامة ابن لؤي ، وقيل : إنها كانت تدعى أنها من بني زهرة ، وقيل : بل سُيرقت فبيعت ،

فأشترتها امرأة من بنى هاشم فأدبتها وعلمتها الغناء ، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي ، فأخذت عنه غناءه كله أو أكثره . وبذلك يحتج من يُقدّمها على عريب ويقول : إن إبراهيم خرّجها ، وكان يأخذها بصحبة الأداء لنفسه وبمعرفة ما يأخذها به ، ولم تلق عريب ذلك ، لأن المرا كبت لم يكن يُقارب إبراهيم في العلم ولا يقاس به في بعضه فضلاً عن سائر .

قال : ولما عرّضتها مولاتها الهاشميّة للبيع ببغداد عرّضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي فأعطى فيها ثلثمائة دينار ، ثم استغلاها بذلك ولم يُردها . بغى بها الى إبراهيم بن المهدي فساوم بها ، فقالت له مولاتها : إن إسحاق بن إبراهيم أعطى بها ثلثمائة دينار وأنت أحق بها . فقال : زنوا لها ما قالت فوزن لها . ثم دعا بقيمتها فقال : خُذِي هذه الجارية ولا تُزَيِّنِيها سنة ، وقولي للجواري يطرحن عليها . فلما كان بعد سنة أُخْرِجَتْ إليه ، فنظر إليها وسمع منها ، فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم ، فلما أتاه أراه إياها وأسمعه غناها ، وقال : هذه جارية تباع ، فبكم تأخذها لنفسك ؟ قال إسحاق : آخذها بثلاثة آلاف دينار وهي رخيصة بها . فقال له إبراهيم : أتعرفها ؟ قال لا . قال : هذه الجارية التي عرّضتها الهاشميّة بثلثمائة دينار فلم تقبلها . فعجّب إسحاق من حالها وما صارت إليه .

وقد حكى عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي أنها عرّضت ببغداد على إبراهيم فأعجب بها إعجاباً كبيراً ، [ فلم يزل يُعْطِي بها حتى ] بلغت ثمانية آلاف درهم . قال : ولم يكن عند أبي درهم ولا دنانق ، فقال لي : ويحك ! قد والله أعجبتني هذه الجارية إعجاباً شديداً ، وليس عندنا شيء . فقلت له : بيع ما تملكه حتى الحزف وتجمع ثمنها . فقال لي : [ قد تذكّرتُ في شيء ] ، اذهب إلى علي بن هشام فأقرئه

(١) زيادة عن الأغاني . وفي الأصل : « إعجاباً كبيراً فبلغت » .



منى السلام، وقل له : قد عُرِضْتُ عَلَى جَارِيَةٍ وَقَدْ أَخَذْتُ بِجَمَاعِ قَلْبِي ، وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ ، فَأُحِبُّ أَنْ تُقْرِضَنِي عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَقُلْتُ : إِنْ ثَمَنَها ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَلَيْمَ نَكْثِرْ عَلَى الرَّجُلِ بَعَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ! فَقَالَ : إِذَا اشْتَرَيْتَها بِثَمَانِيَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَلَيْسَ لَنَا بَدٌّ مِنْ أَنْ نَكْسُوها وَنَقِيمَ لَهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ . قَالَ : فَصِرْتُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ وَأَبْلَغْتُهُ الرِّسَالَةَ ؛ فَدَعَا بُوَيْكِلَ لَهُ وَقَالَ : ادْفَعْ إِلَى خَادِمِهِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَقُلْ لَهُ : أَنَا لَا أَصْلُكَ ، وَلَكِنْ هِيَ لَكَ حَلَالٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . قَالَ : فَصِرْتُ إِلَى أَبِي بِالدَّرَاهِمِ ، فَلَوْ طَلَعْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ لَمْ تَكُنْ تَعْدِلُ عِنْدَهُ تِلْكَ الدَّرَاهِمَ . قَالَ : وَكَانَتْ أُمُّهَا خَبِيثَةً ، وَكَانَتْ كَلِمًا لَمْ يُعْطِ إِبْرَاهِيمُ أَبْنَتَها مَا تَشْتَهِي ذَهَبْتُ إِلَى عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ رُقْعَةً يُوصِلُها إِلَى الْمُعْتَصِمِ تَسْأَلُهُ أَنْ تَأْخُذَ أَبْنَتَها مِنْ إِبْرَاهِيمَ .

وَحُكِيَ عَنْ يَوْسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمِصْرِيِّ صَاحِبِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَجَّهَ بِهِ إِلَى عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ فِي حَاجَةٍ كَانَتْ لَهُ . قَالَ : فَلَقِيَتْهُ وَأَنْصَرَفَتْ مِنْ عِنْدِهِ ؛ فَلَمْ أَخْرَجْ مِنْ دِهْلِيزِ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَتَّى اسْتَقْبَلْتَنِي أَمْرَأَةٌ ؛ فَلَمَّا نَظَرْتُ فِي وَجْهِهِ سَتَرْتُ وَجْهَها ، فَأَخْبَرَنِي شَاكِرُ أَنَّ الْمَرْأَةَ أُمُّ شَارِيَةِ جَارِيَةِ إِبْرَاهِيمَ . فَبَادَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ أُمَّ شَارِيَةِ فِي دَارِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، وَهِيَ مِنْ تَعْلَمُ ، وَمَا يَفْجَأُكَ إِلَّا حِيلَةٌ قَدْ أَوْقَعَتْها . فَقَالَ لِي : أَشْهَدُكَ أَنَّ جَارِيَتِي شَارِيَةَ صَدَقَتْ عَلَى مَيْمُونَةَ بِنْتِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، ثُمَّ أَشْهَدُ أَبْنَهَ هَبَةَ اللَّهِ عَلَى مِثْلِ مَا أَشْهَدُنِي ، وَأَمْرُنِي بِالرُّكُوبِ إِلَى ابْنِ أَبِي دَوَادٍ وَإِحْضَارِ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الشُّهُودِ الْمُعْتَدِّينَ عِنْدَهُ ؛ فَأَحْضَرْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ شَاهِدًا . وَأَمْرٌ بِإِخْرَاجِ شَارِيَةِ فَأَخْرَجْتُ . فَقَالَ لَهَا : اسْتُرِي وَجْهَكَ ؛ فَخَرِجْتُ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَعْلَمْتُهَا أَنَّهَا بِذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَرِيدَها فَفَعَلْتُ . فَقَالَ لَهَا : تَسْمِيٌّ ؛ فَقَالَتْ : أَنَا أُمُّكَ . فَقَالَ لَهُمْ : تَأْمَلُوا وَجْهَها فَفَعَلُوا . ثُمَّ قَالَ : فَإِنِّي

- أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى ، وأنى قد تزوجتها وأصدقته عشرة آلاف درهم ،  
 يشارية أَرْضِيَتْ ؟ قالت : نعم ياسيدي ، قد رضيت ، والحمد لله تعالى على ما أنعم  
 به عليّ . فأمرها بالدخول ، وأطعم الشهود وطيبهم وأنصرفوا . قال : فما أحسبهم  
 تجاوزوا دار ابن أبي دؤاد حتى دخل علينا عبد الوهاب بن عليّ ، فأقرأ عمّه  
 سلامَ المعتصم ، ثم قال له : يقول لك أمير المؤمنين : مِنَ الْمُفْتَرَضِ عَلَى طَاعَتِكَ  
 وَصِيَانَتِكَ عَنْ كُلِّ مَا يَسُوءُكَ ، إِذْ كُنْتَ عَمِّي وَصِيْنُو أَبِي . وقد رفعت <sup>(١)</sup> [أمرأة]  
 إِلَى قِصَّة ذَكَرْتُ فِيهَا أَنَّ شَارِيَةَ أَبْتَنَاهَا ، وَأَنَّهَا أَمْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ ،  
 وَأَحْتَجَّتْ بِأَنَّهُ لَا تَكُونُ بِنْتُ أَمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ أُمَّة . فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ  
 صَادِقَةً فِي أَنَّ شَارِيَةَ بِنْتُهَا ، وَأَنَّهَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ ، فَمِنْ الْمَحَالِّ أَنْ تَكُونَ شَارِيَةَ أُمَّة .  
 ١٠ والأشبهُ بِكَ وَالْأَصْلَحُ إِخْرَاجُ شَارِيَةَ مِنْ دَارِكَ وَتُصْيِيرُهَا عِنْدَ مَنْ تَثِقُ بِهِ مِنْ  
 أَهْلِكَ ، حَتَّى يُكْشَفَ عَمَّا قَالَتْهُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ . فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ أَمَرْتُ مَنْ جَعَلَتْهَا  
 عِنْدَهُ بِإِطْلَاقِهَا ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْحِظُّ لَكَ فِي دِينِكَ وَمَرْوَعَتِكَ . وَإِنْ لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ  
 أُعِيدَتْ الْجَارِيَةُ إِلَيْكَ وَقَدْ زَالَ عَنْكَ الْقَوْلُ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِكَ وَلَا يَحْسُنُ . فقال  
 إبراهيم : فديتك ، هَبْ شَارِيَةَ بِنْتُ زُهْرَةَ بِنْتُ كَلَاب ، أَيْنُكْرُ عَلَى <sup>(٢)</sup> [ابن] العباس بن  
 عبدالمطلب أَنْ يَكُونَ بَعْلًا لَهَا ؟ ! فقال عبد الوهاب لا . فقال : أبلغ أمير المؤمنين  
 ١٥ — أبقاه الله — السلام ، وأخبره أَنَّ شَارِيَةَ حُرَّة ، وَأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُهَا بِشَهَادَةِ جَمَاعَةٍ  
 مِنَ الْعَدُولِ . وَقَدْ كَانَ الشُّهُودُ أَعْلَمُوا ابْنَ أَبِي دَوَادَ بِالقِصَّةِ ، فَرَكِبَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ  
 وَحَدَّثَهُ بِالحَدِيثِ مُعْجِبًا لَهُ مِنْهُ ، فَقَالَ : ضَلَّ سَعْيُ عَبْدِ الْوَهَّابِ . ثُمَّ دَخَلَ عَبْدُ الْوَهَّابِ  
 عَلَى الْمُعْتَصِمِ . فَلَمَّا رَأَاهُ يَمْشِي فِي صَحْنِ الدَّارِ سَدَّ الْمُعْتَصِمُ أَنْفَهُ وَقَالَ : يَا عَبْدُ الْوَهَّابِ ،

(١) التكملة عن الأغاني (ج ١٤ ص ١١٠ طبع بولاق) .

(٢) زيادة عن الأغاني .

أنا أشتّم رائحة صُوف مُحَرَّق ، وأحسب عمتي لم يُقْنِعْه ردُّك على أذنك صوفةً حتى أحرَقها ، فشَمَمْتُ رائحتها منك . فقال : الأمر على ما ظنَّ أمير المؤمنين وأُسمج . قال : ثم آبتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية بعشرة آلاف درهم وستر ذلك عنها ؛ فكان عتقه إياها وهي في ملك غيره ، ثم آبتاعها من ميمونة خَلَّتْ له ، فكان يطؤها بملك اليمين وهي تُتوهم أنها زوجته . فلما تُوفِّي طلبت شارية مشاركة أم محمد بنت خالد زوجة إبراهيم في الثمن ، فأظهرت خبرها ؛ فأمر المعتصم بآبتاعها من ميمونة بحمسة آلاف وخمسمائة دينار فحوّلت إلى داره ، وكانت في ملكه حتى تُوفِّي . وقال ابن المعتز : وقد قيل : إنَّ المعتصم آبتاعها بثلاثمائة دينار ؛ وماكها إبراهيم ولها سبع سنين وربّاه تربية الولد .

قال : وحدثت شارية أنها كانت مع إبراهيم في حُرَاقَة قد توسّط بها دجالة في ليلة مُقَمِّرة ، فأندفعت فغنت :

لقد حثوا الجمال ليـ \* ربُّوا منّا فلم يثلّوا

فوثب إليها فأمسكها فقال : أنتِ والله أحسنُّ من الغريص وجهها وغناء ، فما يؤمِّنني عليك ! أمسكى .

ويقال : إنها لم تضرب بالعود إلا في أيام المتوكل لما اتّصل الشر بينا وبين عريب ، فصارت تقعد بها عند الضرب ، فضربت بعد ذلك .

قال ابن المعتز : وحدث محمد بن سهل بن عبد الكريم المعروف بسهل الأحول ، وكان قاضي الكتاب في زمانه ، كان يكتب لإبراهيم وكان ثقةً ، قال : أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار ، فأمتنع من بيعها . قال : فعاتبته على ذلك ، فلم يجبن بشيء . ثم دعاني بعد أيام وبين يديه مائدة لطيفة ، فأحضر الغلام سَفُودًا فيه

ثلاثة فراريح ، فرمى إلى بواحدة فأكلتها وأكل آثنتين ، ثم شرب رطلاً وسقاني ؛  
ثم أتى بسقود آخر ففعل كما فعل وشرب [ كما شرب <sup>(١)</sup> ] وسقاني ؛ ثم ضرب ستر<sup>١</sup> إلى  
جانبه فسمعت حركة العيدان ؛ ثم قال : يا شارية تغنى ، فسمعت شيئاً ذهب بعقلي .  
فقال : يا سهل ، هي التي عاتبني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار ، لا والله ولا هذه  
الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار !

٥

وحكى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : أمرني المعتز بالله ذات يوم  
بالمقام عنده فأقمت ، ومُدت الستارة وخرج من كان يغنى وراءها وفيه شارية ،  
ولم أكن سمعتها قبل ذلك فأستحسنْتُ ما سمعتُ منها ؛ وقال لي المعتز : يا عبيد الله ،  
كيف ما تسمع منها عندك ؟ فقلت : حظ العجب من هذا الغناء أكثر من حظ  
الطرب ؛ فأستحسن ذلك ، وأخبرها به فأستحسنته .

١٠

قالوا : وكانت شارية أحسن الناس غناءً منذ توفى المعتصم إلى آخر خلافة  
الوائق . وقيل : إن إبراهيم بن المهدي لم يطأ شارية ، وإن الذي أفتضها المعتصم .  
وكان إبراهيم يُسمى شارية بنتى .

١٥

وقال يعقوب بن بيان : كانت شارية لصالح بن وصيف . فلما بلغه رحيل  
موسى بن بغا من الجبل يريد به بسبب قتل المعتز ، أودع شارية جوهره ، فظهر لها  
جواهر كثير بعد ذلك . فلما أوقع موسى بصالح استترت شارية عند هارون بن  
شعيب العكبري ، وكان أنظف خلق الله طعاماً وأسراهم مائدة ، وأوسخهم كل شيء  
بعد ذلك ، وكان له بسرٌّ من رأى منزل وفيه بستان كبير ، وكانت شارية تُسميه  
أبي ، وتزوره في منزله فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه حتى الحصير تقعد عليه .

٢٠

(١) زيادة عن الأغاني .

وكانت من أكرم الناس . عاشرها أبو الحسن عليّ بن الحسين عند هارون هذا ، ثم أضاق<sup>(١)</sup> في وقت فأقترض منها على غير رهن عشرة آلاف دينار فأقرضته ، ومكثت أكثر من سنة ما أذكرته بها ولا طالبتّه بردها .

قال يعقوب بن بيان : وكان الناس بسرّ من رأى متحازبين ، فقوم مع شارية ، وقوم مع عريب ، لا يدخل أصحاب هذه في هؤلاء ، ولا أصحاب هذه في هؤلاء . وكان<sup>(٢)</sup> [أبو الصقر] إسماعيل بن بلبل عريبيا ، فدعا عليّ بن الحسين يوم الجمعة أبا الصقر وعنده عريب وجواريا . فأتصل الخبر بشارية فبعثت بجواريا إلى عليّ ابن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهنّ — قال : وما أدرى<sup>(٢)</sup> [من] هي : مهرجان أو مطرب أو قمرية ، إلا أنها إحدى الثلاث — أن تُغنيّه :

لا تعودنّ بعدها \* فترى كيف أصنع

فلما سمع الغناء ضحك وقال : لست أعود .

قال : وكان المعتمد قد وثق بشارية فلم يكن يأكل إلا طعامها ، فمكثت دهرًا تُعدّ له كلّ يوم جوتتين ، فكان طعامه منهما في أيام المتوكل .

وقال أبو الفرج : حدثني جحظة قال : كنت عند المعتمد يوما فغنت شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهديّ ولحنه :

يا طول علة قلبي المعتاد \* إلف الكرام وصحبة الأجداد

ما زلت ألف كلّ قرّم ماجد \* متقدّم الآباء والأجداد

فقال لها : أحسنت والله ! فقالت : هذا غنائى وأنا عارية ، فكيف لو كنت كاسية ! فأمر لها بألف ثوب من جميع أصناف الثياب الخاصة ، فحُمِل ذلك إليها .

(١) يقال : أضاق الرجل إذا ذهب ماله وافقر . (٢) زيادة عن الأغاني .

فقال لى على بن الحسين بن يحيى المنجم : اجعل أنصرفك معى ، ففعلت . فقال لى : هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية ؟ قلت لا . فأمر بإخراج سير الخلفاء ، فأقبل بها الغلمان فى دفاتر عظام ، فتصفحنها كلها فما وجدنا أحدا قبله فعل مثل ذلك . انقضت أخبار شارية .

### ذكر أخبار بزل

٥

قال أبو الفرج : كانت بزل صفراء مولدة من مولدات المدينة ورُبِّت بالبصرة ، وهى إحدى المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية . يقال : إنها كانت تغنى ثلاثين ألف صوت . قال : ولها كتاب فى الأغاني منسوب الأصوات <sup>(١)</sup> [غير مجذس] يشتمل على اثني عشر ألف صوت ، يقال : إنها عملته لعل بن هشام . قال : وكانت حُلوة الوجه ظريفة ضاربة متقدمة . وأبتاعها جعفر بن موسى الهادى ، فأخذها منه محمد الأمين وأعطاه مالا جزىلا . وأخذت بزل عن أبى سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وآبن جامع وإبراهيم وطبقتهم .

١٠

وقال جحظة عن أبى حشيشة : وكانت أحسن الناس غناء فى دهرها ، وكانت أستاذة كل مُحسِن ومحسنة ، وكانت أرؤى خلق الله للغناء . وكانت لجعفر بن موسى الهادى ، فوصفت لمحمد الأمين ، فبعث إلى جعفر فسأله أن يزيره إياها فأبى ، فأتاه الأمين إلى منزله فسمع ما لم يسمع مثله قط ، فقال لجعفر : يا أحنى ، يعنى هذه الجارية . فقال له : يا سيدى ، مثلى لا يبيع جارية . قال : هبها لى . قال : هى مدبرة <sup>(٢)</sup> . فأحتال الأمين عليه حتى أسكره وأمر بحمل بزل إلى الحراقة وأنصرف بها . فلما أفاق جعفر

١٥

(١) زيادة عن الأغاني .

(٢) دبر العبد اذا قال له : أنت حربعد موتى .

سأل عنها ، فأخبر بالخبر، فسكت . فبعث إليه محمد من الغد، بجاء وبذل جالسة فلم يقل شيئاً . فلما أراد جعفر أن ينصرف قال الأمين : أوقروا جراحة ابن عمي دراهم فأوقرت ، فكان مبلغ ذلك عشرين ألف ألف درهم . وبقيت بذل عند الأمين إلى أن قُتل ، ثم خرجت فكان ولد جعفر وولد الأمين يدعون ولأعها ، فلما ماتت ورثها ولد الأمين .

وقال محمد بن الحسن الكاتب : إن الأمين وهبها من الجوهر ما لم يملك أحد مثله ، فسلم لها بعد مقتل الأمين ، فكانت تباع منه الشيء بعد الشيء بالمال العظيم ، فكانت على ذلك مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة . قال : ورغب إليها وجوه القواد والكُتاب والهاشميين في التزويج فأبته ، وأقامت على حالها حتى ماتت .

وحكى أبو حشيشة قال : كنت يوماً عند بذر وأنا غلام ، وذلك في أيام المأمون وهو ببغداد ، وهي في طارمة لها تمتشط<sup>(١)</sup> ، فخرجت إلى الباب فرأيت الموكب فظننت أن الخليفة يمر على ذلك الموضع ، فرجعت إليها فقلت : يا سيدتي ، الخليفة يمر على بابك . فقالت : انظروا أي شيء هذا ، إذ دخل بوابها فقال : علي بن هشام بالباب . فقالت : وما أصنع به ! فقامت إليها جاريتها وشيك<sup>(٢)</sup> ، وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها ، فأكبت على رجلها وقالت : الله ! الله ! أتحتجبين علي علي بن هشام ! فدعت بمنديل فطرحته على رأسها ولم تقم إليه . فقال : إني جئت بك بأمر سيدي أمير المؤمنين ، وذلك أنه سألني عنك فقلت له : لم أرها منذ أيام ، فقال : هي عليك غصبي ، فبحياتي لا تدخل منزلك حتى تدخل إليها فتسريها ! . فقالت : إن كنت

(١) الطارمة : بناء من خشب كالقبة . معرب .

(٢) في الأغاني (ج ١٥ ص ١٤٥ طبع بولاق) : «وشبكة» .

(٣٩)

جئتنا بأمر الخليفة فأنا أقوم، فقامت فقبَّلت رأسه ويديه، وقعدت ساعة وأنصرفت.  
 فقالت : يا وشيك، هاتى الدواة وقرطاساً ففعلت، فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها  
 حتى كتبت اثني عشر ألف صوت — وقيل : سبعة آلاف صوت — ثم كتبت  
 إليه : يا على بن هشام، تقول : استغيتُ عن بَذل بأربعة آلاف صوت أخذناها  
 منها ! وقد كتبتُ هذا وأنا صَجِرَةٌ، فكيف لو فرغتُ لك قاي كَلَه ! . وختمت الكتاب  
 وقالت لها : امضى به إليه . فما كان أسرع من أن جاء رسوله ( خادم أسود يقال له  
 مُخَارِق ) بالجواب يقول فيه : يا سيدي، لا والله ما قلتُ الذى بلغك، ولقد كُذِبَ  
 علىّ عندك، إنما قلتُ : لا ينبغي أن يكون فى الدنيا أكثر من أربعة آلاف  
 صوت، وقد بعثتُ إلى بديوان لا أؤدى شكرك عليه أبداً، وبعث إليها بعشرة آلاف  
 درهم وتخوت فيها بز ووشى<sup>(١)</sup> ومُلح وتختاً مطبقاً فيه أنواع الطيب .

وقيل : إن إبراهيم بن المهدي كان يعظمها، ثم يرى أنه يستغنى عنها بنفسه .  
 فصارت إليه، فدعت بعود فغنت فى طريقة واحدة وأنقطاع واحد وإصبع واحدة  
 مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتاً واحداً، ثم وضعت العود وأنصرفت، ولم  
 تدخل داره حتى طال طلبه لها وتضرَّع إليها فى الرجوع إليه .

وقال أحمد بن سعيد المالكي : إن إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالف بَدَلًا  
 فى نسبة صوت غنته بحضرة المأمون، فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات  
 فى الثقل الثانى واحداً بعد واحد، وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه . فقالت  
 للمأمون : هى والله لأبيه أخذتها من فيه، فإذا كان لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف  
 غناء غيره ! فأشتد ذلك على إسحاق حتى رُئى ذلك فيه .

(١) فى الأغاني : نخر .



وقال حماد بن إسحاق : غنت بذل بين يدي أبي :

إن ترّني ناحل البدن \* فلطول الهم والحزن

كان ما أخشى بواحدتي \* ليتّه والله لم يكن

قال : فطرب أبي طرباً شديداً وشرب رطلاً وقال لها : أحسنت يا بنتي، والله لا تغنين صوتاً إلا شربت عليه رطلاً .

وقال محمد بن علي بن طاهر بن الحسين : إن المأمون كان يوماً يشرب ويبيده قدح، فغنته بذل :

\* ألا لا أرى شيئاً ألدّ من الوعيد \*

بفجائته :

\* ألا لا أرى شيئاً ألدّ من السحق \*

— والبيت :

ألا لا أرى شيئاً ألدّ من الوعيد \* ومن أملّي فيه وإن كان لا يجدي —

فوضع المأمون القدح من يده ، وآلفت إليها وقال : بلى يا بذل ! النيك ألدّ من السحق . نخافت غضبه ، فأخذ قدحه وقال : أتمى صوتك وزيدي فيه :

ومن غفلة الواشي إذا ما أتيته \* ومن زورتي أبياتها خالياً وحدي

ومن صجّة في الملتقى ثم سكتة \* وكلتا هما عندي ألدّ من الخلد

انتهت أخبار بذل .

### ذكر أخبار ذات الخال

قال أبو الفرج الأصبهاني : وأسم ذات الخال خشف ، وكانت لأبي الخطاب

النحاس المعروف بقرين مولى العباسة بنت المهدي . وكانت ذات الخال من أجمل

النساء وأكملهن ، وكان لها خال فوق شفتها العليا ، وقيل : على خدّها . وكان إبراهيم

- الموصلى يتعشقها ، وله فيها أشعار كثيرة كان يقولها ويغنى فيها حتى شهرها بشعره وغنائه . وَاتَّصَلَ خبرها بالرشيد ، فأشترها بسبعين ألف درهم . فقال لها ذات يوم : أسألك عن شيء ، فإن صدقتني وإلا صدقتني غيرك وكذبتك . قالت : أصدقك . قال : هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلى شيء قط ؟ وأنا أحلفه أن يصدقني . قال : فسكتت ساعة ثم قالت : نعم ! مرة واحدة ، فأبغضها . وقال يوماً في مجلسه :  
 أَيْكُمْ لَا يَبَالِي أَنْ يَكُونَ كَشْخَانًا<sup>(١)</sup> حَتَّى أَهْبَهُ ذَاتَ الْحَالِ ؟ فَبَدَرَ حَمْوِيَهُ الْوَصِيفُ فَقَالَ :  
 أَنَا ، فَوَهَبَهَا لَهُ . ثُمَّ أَشْتَاقُهَا الرَّشِيدُ يَوْمًا فَقَالَ : وَيْلَكَ يَا حَمْوِيَهُ ! وَهَبْنَا لَكَ الْجَارِيَةَ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ غَنَاءَهَا وَحْدَكَ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُرْ فِيهَا بِأَمْرِكَ . قَالَ : نَحْنُ عِنْدَكَ غَدًا . فَمَضَى فَاسْتَعَدَّ لَذَلِكَ وَأَسْتَعَارَ لَهَا مِنْ بَعْضِ الْجَوْهَرِيِّينَ بَدَنَةً<sup>(٢)</sup> وَعَقُودًا ثَمَنُهَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَخْرَجَهَا إِلَى الرَّشِيدِ وَهِيَ عَلَيْهَا . فَلَمَّا رَأَاهُ أَنْكَرَهُ وَقَالَ :  
 وَيْلَكَ يَا حَمْوِيَهُ ! مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟ ! مَا وَلَّيْتُكَ عَمَلًا تَكْسِبُ فِيهِ مِثْلَهُ وَلَا وَصَلَ إِلَيْكَ مَنَى هَذَا الْقَدَرِ ! فَصَدَّقَهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَبِعَثَ الرَّشِيدُ إِلَى أَصْحَابِ الْجَوْهَرِ ، فَأَحْضَرَهُمْ وَأَشْتَرَى الْجَوْهَرِ مِنْهُمْ وَوَهَبَهُ لَهَا ، وَحَافَ أَلَّا تَسْأَلَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ حَاجَةً إِلَّا قَضَاهَا ، فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُؤَلِّيَ حَمْوِيَةَ الْحَرْبِ وَالْخِرَاجِ بِفَارَسٍ سَبْعَ سَنِينَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَكَتَبَ لَهُ عَهْدَهُ بِذَلِكَ ، وَشَرَطَ عَلَى وَلِيِّ الْعَهْدِ أَنْ يَتِمَّهَا لَهُ إِنْ لَمْ تَتَمْ فِي حَيَاتِهِ .  
 قال الأصفهاني : ولإبراهيم الموصلى في ذات الحال شعر كثير غنى فيه .  
 فمنه قوله :

أَذَاتَ الْحَالِ قَدْ طَالَ \* بَمَنْ أَسْقَمْتِهِ الْوَجَعُ  
 وَلَيْسَ إِلَى سِوَاكُمْ فِي آلٍ \* لَذَى يَلْقَى لَهُ فَزَعُ

أَمَا يَمْنَعُكَ الْإِسْلَامُ \* مُنْ قَتَلِي وَلَا الْوَرَعُ  
وَمَا يَنْفَعُكَ لِي فِيكَ \* هَوَى تَغْتَرُّهُ خَدَعُ

ومنها :

جزى الله خيراً من كَلَفْتُ بِحَبِّهِ \* وليس به إِلَّا التَّوَهُُّ<sup>(١)</sup> مِنْ حُبِّي  
وقالوا قلوبُ الغانياتِ رقيقةٌ \* فما بَالُ ذاتِ الخالِ قاسيةَ القلبِ  
وقالوا لها هذا حبيبُكَ مُعْرِضًا \* فقالت لهم إعراضُهُ أيسرُ الخَطْبِ  
فما هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ بَتَّاسِيمٍ \* فتَشَبَّ رجاله ويسقطُ لِلْجَنَبِ  
وله فيها أشعار كثيرة غير ما أوردناه .

## معين التارخ لأهل التارخ

ذكر أخبار دنانير البرمكية

قال أبو الفرج : كانت دَنَانِيرُ مَوْلَاةُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ، وكانت صفراء مَوْلدة ،  
من أحسن الناس وجهاً ، وأظرفهم وأكلمهم أدباً ، وأكثرهم روايةً للغناء والشعر ،  
ولها كتاب مجتود في الأغاني مشهور . وكان اعتمادها في غنائها على ما أخذته من بَذَل ،  
وهي خرّجتها ، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بَذَل عنهم مثل فُلَيْح  
وإبراهيم وآبن جامع وإسحاق ونظرائهم . وكانت تغني غناء إبراهيم فتَحْكِيه فيه حتى  
لا يكون بينهما فرق ، فكان يقول ليحيى : متى فقدتني ودنانيرُ باقيةٌ فما فقدتني .

وقال أحمد بن المكي : كانت دنانير لرجل من أهل المدينة ، كان قد خرّجها  
وأدبها ، وكانت أروى الناس للغناء القديم ، وكانت صفراء صادقة الملاحظة . فلما رآها  
يحيى وقعت من قلبه مَوْقِعاً فآشترها . وشَغِف بها الرشيدُ حتى كان يصير إلى منزل

(١) في الأغاني (ج ١٥ ص ٨٣ طبع بولاق) : « التَّوَهُ » .

مولاهما فيسمعها ، فألفها وأشتد إعجابه بها ، ووهب لها هباتٍ سنية . منها أنه وهب لها في ليلةٍ عقدًا قيمته ثلاثون ألف دينار ، فردته عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك . وعرفت أم جعفر الخبر فشكته إلى عمومتها وأهلها ، فصاروا جميعا إليه فعاتبوه ؛ فقال : مالي في هذه الجارية أرب في نفسها ، وإنما أربي في غنائها ؛ فأسمعوها ، فإن استحققت أن تؤلف لغنائها وإلا فقولوا ما شئتم . فلما سمعوها عذروه ؛ وعادوا إلى أم جعفر وأشاروا عليها ألا تليح في أمرها ؛ فقبلت ذلك ، وأهدت إلى الرشيد عشر جوارٍ منهن أم المامون وأم المعتصم وأم صالح .

قال عباد النسوي : نزلت بمنزل من منازل طريق مكة يقال له النّاج ، وإذا كاتب على حائط في المنزل ، فقرأته فإذا هو : ” النيك أربعة ، فالأول شهوة ، والثاني لذة ، والثالث شفاء ، والرابع داء ، وحرّ إلى أيرين أحوج من أير إلى حرين . وكتبت دنانير جارية البرامكة بخطها “ .

وقال عمر بن شبة : إن دنانير أصابتها العلة الكلبية فكانت لا تصبر عن الطعام ساعة واحدة ، وكان يحيي يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت لا تصومه . وبقيت عند البرامكة مدة طويلة .

وقال إسحاق وأحمد بن الطيب : إن الرشيد دعا بدنانير بعد البرامكة ، فأمرها أن تغنى . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إني آليت ألا أغنى بعد سيدي أبدا . فغضب وأمر بصفعها فصفعت ، وأقيمت على رجلها وأعطيت العود ؛ فأخذته وهي تبكي أحرّ بكاء ، وأنذفت فغنت :

يا دارَ سلمى بنازع السند \* من الثنايا ومسقط اللبد

لما رأيت الديار قد درست \* أيقنت أن النعيم لم يعد

قال : فرق لها الرشيد ، وأمر بإطلاقها ، فانصرفت .

وقال أبو عبد الله بن حمدون : إن عقيداً مولى صالح بن الرشيد خطب دنانير  
وشغف بها فردته ، فاستشفع إليها بمولاه صالح بن الرشيد وببذل والحسن بن محرز  
فلم تُجب ، وأقامت على الوفاء لمولاه . فكتب إليها عقيده :

يا دنانيرُ قد تنكّر عقلي \* وتَحَيَّرْتُ بين وَعْدٍ ومَطْلٍ  
شَغَفِي شافعي إليك وإلا \* فأقْبِئني إن كنت تهوين قتلي  
أنا بالله والأمير وما آ \* ملّ من موعِد الحسين وبذل  
ما أَحَبّ الحياة يا حَبّ إن لم \* يجمع الله عاجلاً بك شملي

فلم يعطفها ذلك عليه ، ولم تزل على حالها حتى ماتت . ولعقيد هذا فيها أشعار  
فيها غناء . وكان عقيد حسن الغناء ؛ وله فيها أصوات ؛ منها قوله :

هذي دنانيرُ تنساني وأذكُرُها \* وكيف تنسى مُحِبّاً ليس ينساها  
أعوذُ بالله من هجرانٍ جارية \* أصبحتُ من حبّها أهذي بذكراها  
قد أكل الحسنُ في تركيب صورتها \* فأرتج أسفلها وأهترأءاها  
قامت لتمشي فليت الله صورني \* ذاك التراب الذي مسّه رجلاها  
والله والله لو كانت ، إذا برزت ، \* نفسُ المتيم في كَفْيِهِ ألقاها

### (١) ذكر أخبار عريب المأمونية

قال أبو الفرج الأصفهاني : كانت عريب مغنية محسنة ، وشاعرة صالحة الشعر ،

(١) ورد هذا الاسم مضبوطاً في الأغاني ج ٢١ ص ١٨٤ طبع ليدن والمحاسن والأضداد للباحظ  
ص ١٩٩ طبع ليدن ( بضم أوله وفتح ثانيه ) . ولكن رأينا في الأغاني من الشعر ما يؤيد أن ضبطه بفتح  
أوله وكسر ثانيه ؛ ومن هذا الشعر :

لقد ظلموك يا مظلوم لما \* أقاموك الرقيب على عريب  
ولو أولوك إنصافاً وعدلاً \* لما أخلوك أنت من الرقيب

ومن هذا الشعر أيضاً :

- وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام ، ونهاية في الحسن والجمال والظرف وحسن الصوت وجودة الضرب وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار والرواية للشعر ؛ لم يتعلق بها أحد من نظرائها ، ولا رُئى في النساء — بعد القيان المجازيات مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن على قلة عددهن — نظير لها .
- قال : وكان فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لمن مما يكون في مثالها من جوارى الخلفاء ومن نشأ في قصور الخلفاء وغذى برقيق العيش الذي لا يدانيه عيش المجاز والمنشأ بين العامة والعرب الجفافة . قال : وقد شهد لها من لا تحتاج مع شهادته الى غيره ؛ فروى عن حماد بن إسحاق قال قال أبي : ما رأيت امرأة أضرب من عريب ، ولا أحسن صنعةً ووجهًا ، ولا أخف روحًا ، ولا أحسن خطابًا بارعا ، ولا أسرع جوابًا ، ولا ألب بالشطرنج والنرد ، ولا أجمع لخصلة حسنة لم أرها في امرأة غيرها قط . قال حماد : فذكرت ذلك ليعحي بن أكرم ، فقال : صدق أبو محمد ، هي كذلك . قلت : أسمعتم ؟ قال : نعم ، هناك ( يعنى في دار المأمون ) . قلت : أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحذق ؟ قال يعحي : هذه مسألة الجواب فيها على أبيك ، هو أعلم مني بها . فأخبرت أبي بذلك ، فضحك ثم قال : أما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا !
- وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : استدعاني المأمون يوما فدخلت عليه ، فسألني عن صوت وقال لي : أتدرى لمن هو ؟ فقلت : أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك . فأمر جارية من وراء الستارة أن تغنيه ، فضربت فإذا هي قد شبهته بالقديم ، فقلت : زدني معها عودا آخر ، فإنه أثبت لي ؛ فزادني عودا آخر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا صوتٌ مُحَدَّثٌ لامرأة ضاربة . قال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : إني لما سمعتُ لِينَه عرفتُ أنه مُحَدَّثٌ من غناء النساء ، ولما رأيت

جودة مقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة حفظت مقاطعه وأجزائه ، ثم طلبت  
عوداً آخر فلم أشك . قال : صدقت ، الغناء لعريب .

وقال ابن المعتز : قال علي بن يحيى : أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناء  
عريب الذي صنعه ، فأخذت منها دفاترها وصحفها التي كانت قد جمعت فيها غناءها ،  
فكتبته فكان ألف صوت ، وقد قيل أكثر من ذلك . وقد وصفها أبو الفرج  
الأصفهاني وأطنب في وصفها وتفضيلها ، وأستدل على ذلك وبسط القول فيه .

وأما ما قيل في نسبها وسنّها وكيف تنقلت بها الحال إلى أن اتصلت بالمأمون ،  
فقد روى عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم أنها آمنة جعفر بن يحيى ، وأن البرامكة  
لما نهبوا سرقته وهي صغيرة فبيعت . قال أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي :  
إن أم عريب كانت تُسمى فاطمة ، وكانت يتيمة ، فتزوجها جعفر بن يحيى بن خالد ،  
فأنكر عليه أبوه ، وقال له : تتزوج بمن لا يعرف لها أم ولا أب ! اشتر مكاها ألف  
جارية . فأخرجها جعفر وأسكنها في دار في ناحية باب الأنبار سراً من أبيه ، ووكل  
بها من يحفظها ، وكان يتردد إليها ، فولدت عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة .  
وكانت سنوها إلى أن ماتت ستاً وتسعين سنة . قال : وماتت أم عريب في حياة  
جعفر ، فدفعها إلى امرأة نصرانية وجعلها دابةً لها<sup>(١)</sup> . فلما حدثت بالبرامكة تلك  
الحادثة باعها من سنبل النخاس ، فباعها من المراكبي .

قال ابن المعتز : وأخبرني يوسف بن يعقوب قال : كنت إذا نظرتُ قَدَمي  
عريب شَبَّهْتُهما بقَدَمي جعفر بن يحيى . قال : وسمعت من يحكى أن بلاغتها في كتبها  
ذُكرت لبعض الكتاب ، فقال : وما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى !  
هذا ملخص ما حكاه أبو الفرج في نسبها .

(١) الدابة : الظئر الموضوعة والمربية .

وأما أخبارها مع مَنْ مَلَكَهَا وكيف تنقلت بها الحال ، فقد حكى ابن المعتز عن  
 الهشامى أن مولاهما خرج بها إلى البصرة فأتوها وخرّجها وعلّمها الخطّ والنحو والشعر  
 والغناء ، فبرّعت فى ذلك أجمع ، وتزايدت حتى قالت الشعر . وكان لمولاهما صديقٌ  
 يقال له حاتم بن عدى من قواد خراسان ، وقد قيل : إنه كان يكتب لعجيف على  
 ديوان العرض ، فكان مولاهما يدعوه كثيرا ويُخالطه . فركبه دَيْن فاستتر عنده ، فهد  
 عينه إلى عريب وكاتبها فأجابته ، ودامت المواصلّة بينهما وعشّقته ، ثم أنتقل من  
 منزل مولاهما . فلم تزل تحتال حتى آتخذت سُلمًا من سَب<sup>(١)</sup> ، وقيل : من خيوط  
 غِلاظ ، وكان قد آتخذ لها موضعا ، ثم لَمّت ثيابها وجعلتها فى فراشها بالليل ودَثرتها  
 بدثارها ، ثم تسوّرت الحائط وهرّبت ، وألته فمكثت عنده ، ومولاهما لا يتهمه بشيء  
 من أمرها . فقال عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبى يهجو أباه ويعيره بها —  
 وكان كثيرا ما يهجو — :

قاتل الله عَرِيْبًا \* فعلت فِعْلاً عَجِيْبًا  
 رَكِبْتُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ \* مَرَكَبًا صَعْبًا مَهِيْبًا  
 فَارْتَقَمْتُ مُتَّصِلًا \* بِالنَّجْمِ أَوْ مِنْهُ قَرِيْبًا  
 صَبَرْتُ حَتَّى إِذَا مَا \* أَفْصَدَ النُّومُ الرَّقِيْبًا  
 مَثَلْتُ بَيْنَ حَشَايَا \* هَا ، لِيَكُنْ لَا تَسْتَرِيْبًا  
 خَلَفًا مِنْهَا إِذَا نُو \* دِي لَمْ يُلَفْ<sup>(٢)</sup> مُجِيْبًا  
 وَمَضَتْ يَحْمِلُهَا الْحَوُ \* فُ قَضِيْبًا وَكَثِيْبًا

(١) السب : شقة كان رقيقة . وفى الأصل : « سَب » . وفى الأغاني : « عقب » . فلعلمها

مح. فان عما أشتناه .



مَحْمَدٌ لَوْ حَرَّكَتْ خَفْءُ \* سَتَ عَلَيْهَا أَنْ تَذُوبَا  
فَتَدَلَّتْ لِمُحِبٍّ \* فَتَلَقَّاهَا حَبِيبَا  
جَذَلًا قَدْ نَالَ فِي الدُّرِّ \* يَأْ مِنْ الدُّنْيَا نَصِيبَا  
أَيُّهَا الظُّبَى الَّذِي تَسُ \* حَرُّ عَيْنَاهِ الْقُلُوبَا  
وَالَّذِي يَا كُلُّ بَعْضَا \* بَعْضُهُ حُسْنًا وَطِيبَا  
كَنْتَ نَهْبًا لِذَنَابٍ \* فَلَقَدْ أَطْمَعْتَ ذِيبَا  
وَكَذَا الشَّاةُ إِذَا لَمْ \* يَكُ رَاعِيهَا لَبِيبَا  
لَا يُبَالِي وَبَاءَ الْمَرْ \* عَى إِذَا كَانَ خَصِيبَا  
وَلَقَدْ أَصْبَحَ عَبْدُ اللَّهِ \* هَ كَشِخَانًا حَرِيبَا  
قَدْ لَعَمْرِي لَطَمَ الْحَدَّ \* وَقَدْ شَقَّ الْجُيُوبَا  
وَجَرَتْ مِنْهُ دُمُوعٌ \* بَلَّتِ الذَّقْنَ الْخَضِيبَا

قال ابن المعتز : وحدثني محمد بن موسى بن يونس : أنها ملته بعد ذلك فهربت منه ، فكانت تغنى عند أقوام عرفتهم ببغداد وهى مستترة متخفية . فلما كان يوم من الأيام اجتاز ابن أخى المراكبي بستان كانت فيه مع قوم تغنى ، فسمع غناءها فعرفه ، فبعث إلى عمته وأقام هو مكانه ، فلم يبرح حتى جاء عمته وكبستها ، فأخذها وضربها مائة مِرْعَعة وهى تصيح : يا هذا ، لم تقتلنى ! لست أصير عليك ، أنا امرأة حرة ، فإن كنت مملوكة فبغنى ، لست أصير على الضيق . فلما كان من الغد ندم على فعله وصار إليها فقبل رأسها ويدها ورجلها ووهب لها عشرة آلاف درهم . ثم بلغ محمدا الأمين خبرها فأخذها . قال : وكان الأمين فى حياة أبيه طلبها منه فلم يجبه إلى ذلك . فلما أفضت إليه الخلافة جاء المراكبي ومحمد ركب ليقبل يده ، فأمر بمنعه

٥

١٠

١٥

٢٠

(١) ودفعه ، ففعل ذلك الشاكري ، فضربه المراكبي وقال : أتمنعني من تقبيل يد مولاي !  
 بخاء الشاكري لما نزل محمد الأمين فشكاه ، فأمر بإحضار المراكبي فأمر بضرب  
 عنقه ، فسئل في أمره فعفا عنه وحبسه ، وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما أقتطعه من  
 نفقات الكراع ، وبعث فأخذ عريب من منزله مع خدام كانوا له . فلما قُتل محمد  
 الأمين هربت عريب الى المراكبي فكانت عنده .

قال ابن المعتز : وأما رواية إسماعيل بن الحسن خال المعتصم فإنها تخالف هذا ،  
 وذكر أنها إنما هربت من دار مولاه المراكبي إلى محمد بن حامد الخاقاني المعروف  
 بالخيثن أحد قواد خراسان ، وكان أشقر أصهب أزرق العين . وفيه تقول عريب  
 ولها فيه غناء :

بأبي كل أصهب \* أزرق العين أشقر  
 جن قلبي به وليد \* س جنوني بمنكر

قال ابن المعتز : وحدثني ابن المدبر قال : خرجت مع المأمون إلى أرض الروم  
 أطلب ما يطلب الأحداث من الرزق ، فكنا نسير مع العسكر ، فلما خرجنا من الرقة  
 رأيت جماعة من الخدم تتبعهم جماعة من الحرم في العماريات على الجمازات ، وكنا  
 رُفقة . فقال لي أحدهم : على بعض هذه الجمازات عريب . فقلت : من يراهنني أن  
 أمر في جنابات هذه العماريات وأنشد أبيات عيسى ؟ قال : فأنشدت الأبيات ،  
 يعني : \* "قاتل الله عرييا" \* ، حتى أتممتها ، فإذا امرأة قد أخرجت رأسها فقالت :  
 يا قتي ، قد أنسيت أجود الشعر وأطيبه ، وأنسيت قوله :

وعريب رطوبة الشف \* مرين قد نيكت ضروبا

(١) الشاكري : الأجير والمستخدم ، وهو معرب جاكرو . (عن القاموس) .

(٢) العماريات : هودج يجلس فيها . (٣) الجمازات : النوق السريعة .

إِذْهَبْ نَحْذُ مَا رَاهَنْتَ فِيهِ ثُمَّ أَلْقِ السِّجْفَ ، فَعَلِمَتْ أَنَّهَا عَرِيبٌ ، وَبَادَرَتْ  
إِلَى أَصْحَابِي خَوْفًا مِنْ مَكْرُوهِهِ يَلْحَقُنِي مِنَ الْخُدْمِ .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : لَمَّا نُمِّيَ إِلَى الْأَمِينِ خَبَرُ عَرِيبٍ بَعَثَ فِي إِحْضَارِهَا  
وَإِحْضَارِ مَوْلَاهَا فَأَحْضَرَا ، فَغَنَّتْ بِحَضْرَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، فَطَرِبَ الْأَمِينُ وَاسْتَعَادَهَا ،  
وَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ : كَيْفَ سَمِعْتَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ يَا سَيِّدِي حَسَنًا ، وَإِنْ تَطَاوَلْتُ بِهَا  
الْأَيَّامَ وَسَكَنَ رَوْعُهَا أَزْدَادَ غِنَاؤِهَا حُسْنًا وَطَيِّبًا . فَقَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ : خُذْهَا  
إِلَيْكَ وَسَاوِمُ بِهَا فَفَعَلَ ، فَاشْتَتَ مَوْلَاهَا فِي السُّومِ ثُمَّ أَوْجَبَهَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .



وَأَنْتَقَضَ أَمْرُ الْأَمِينِ وَشُغِلَ عَنْهَا فَلَمْ يَأْمُرْ لِمَوْلَاهَا بِشَيْءٍ حَتَّى قُتِلَ بَعْدَ أَنْ آفَظَّهَا ،  
فَرَجَعَتْ إِلَى مَوْلَاهَا ، ثُمَّ هَرَبَتْ مِنْهُ إِلَى أَبِي حَامِدٍ ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى قَدِمَ الْمَأْمُونُ  
بَغْدَادَ فَتَظَلَّمَ الْمَرَاكِبِيَّ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْضَارِهِ وَسُئِلَ عَنْهَا فَأَنْكَرَهَا .

فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : كَذَبْتَ ، وَقَدْ سَقَطَ إِلَى خَبْرِكَ ، وَأَمَرَ صَاحِبَ الشَّرْطِ أَنْ يَجْرِدَهُ  
فِي مَجْلِسِ الشَّرْطِ وَيَضَعَ عَلَيْهِ السِّيَاطَ حَتَّى يَرُدَّهَا فَأَخَذَهُ . فَبَاغَهَا الْخَبْرُ ، فَرَكِبَتْ حِمَارَ  
مُكَارٍ وَجَاءَتْ وَقَدْ جُرِّدَ لِيُضْرَبَ ، وَهِيَ مَكْشُوفَةُ الْوَجْهِ وَهِيَ تَصْيحُ : إِنْ كُنْتُ  
مَمْلُوكَةً فَلْيَبِعْنِي ، وَإِنْ كُنْتُ حُرَّةً فَلَا سَبِيلَ عَلَيَّ . فُرِفِعَ خَبْرُهَا إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَأَمَرَ  
بِتَعْدِيلِهَا عِنْدَ قُتَيْبَةَ بْنِ زِيَادٍ الْقَاضِي فَعُدِّلَتْ عِنْدَهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمَرَاكِبِيُّ مُطَالِبًا بِهَا ،

فَسَأَلَهُ الْبَيْتَةَ عَلَى مَلِكِهِ إِيَّاهَا فَعَادَ مَتَظَلِّمًا إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَالَ : قَدْ طَوَّلْتُ بِهَا لَمْ  
يُطَالَبْ بِهِ أَحَدٌ فِي رَقِيقٍ . وَتَظَلَّمْتُ زُبَيْدَةَ بِنْتَ جَعْفَرٍ إِلَيْهِ وَقَالَتْ : مِنْ أَغْلَظِ  
مَاجِرِي عَلَيَّ ، بَعْدَ قَتْلِ أَبِي ، هَجُومُ الْمَرَاكِبِيِّ عَلَيَّ دَارِي <sup>(١)</sup> وَأَخَذُ عَرِيبَ مِنْهَا . فَقَالَ  
الْمَرَاكِبِيُّ : إِنَّمَا أَخَذْتُ مِلْكِي ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْقُذْنِي الثَّمَنُ . فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِدَفْعِهَا إِلَى مُحَمَّدِ  
أَبْنِ عَمْرِو الْوَاقِدِيِّ ، وَكَانَ قَدْ وَلَّاهُ الْقَضَاءُ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، فَأَخَذَهَا مِنْ قُتَيْبَةَ بْنِ زِيَادٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « دَارِهِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وأمر ببيعها ساذجةً، فأشترها المأمون بخمسين ألف درهم، وقيل : أشترها بخمسة آلاف درهم . ودعا عبد الله بن إسماعيل وقال له : لولا أنني حلفت ألا أشتري مملوكاً بأكثر من هذا لزدتك ، ولكنني سأؤتيك عملاً تكسب فيه أضعاف هذا الثمن ، ورمى إليه بخاتمين من ياقوت أحمر قيمتهما ألف دينار، وخلع عليه خلعاً سنياً . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما ينتفع بهذا الأحياء ، وأما أنا فإني لا محالة ميت ، لأن هذه الحارية كانت حياتي . وخرج فاختلف وتغير عقله ومات بعد أربعين يوماً . وذهبت بالمأمون كل مذهب ميلاً إليها ومحبة لها ، حتى قيل : إن المأمون قبل رجلها في بعض الأيام وإنها قالت أثر ذلك : والله يا أمير المؤمنين ، لولا ما شرفها الله به من وضع فمك الكريم عليها لقطعتها ! ولكن لله على ألا أغسلها لغير وضوء أو طهر إلا بماء الورد ما عشت . فكانت تفعل ذلك إلى أن ماتت .

١٠

وحكى علي بن يحيى المنجم أن المأمون لما مات بيعت في ميراثه — ولم يبع له عبد ولا أمة غيرها — فأشترها المعتصم بمائة ألف وأعتقها فهي مولاته . وقيل : إنه لما مات محمد الأمين تدلت غريب من قصر الخلد بجبل إلى الطريق وهربت إلى حاتم بن عدي .

١٥

وحكى إبراهيم بن رباح قال : كنت أتولى نفقات المأمون ، فوصف له إسحاق ابن إبراهيم الموصلي غريب ، فأمره أن يشتريها له ، فأشترها بمائة ألف درهم ، فأمرني المأمون بحملها ، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم ، ففعلت ذلك ، فلم أدر كيف أثبتتها ، فكتبت في الديوان أن مائة الألف خرجت في ثمن جوهرة ، ومائة الألف الأخرى خرجت لصائغها ودلّالها . بخاء الفضل بن مروان إلى المأمون وقد رأى ذلك وأنكره ، وسألني عنه فقلت : نعم ، هو ما رأيت . فسأل المأمون عن ذلك فقال : وهبت لدلال وصائغ مائة ألف درهم ! وغلظ القصة ، فأنكرها

٢٠

المأمون، ودعاني فدنوت وأخبرته أن المال الذي خرج في ثمن عريب وصلة إسحاق،  
وقلت : أيما أصوب يا أمير المؤمنين : ما فعلت ، أم أثبت في الديوان أنها خرجت  
ثمن مغنية وصلة مغن . فضحك المأمون وقال : الذي فعلت أصوب . ثم قال للفضل  
ابن مروان : يا نبطي ، لا تعترض على كاتبى هذا في شيء .

ولعريب أخبار قد بسط أبو الفرج الأصبهاني القول بها في كتابه الذي ترجمه  
”تحف الوسائد في أخبار الولايد“، وذكر أيضا نثفا من أخبارها في كتابه المترجم  
”بالأغاني“ . منها خبرها مع محمد بن حامد المعروف بابن الحشن ، وأخبار لها مع  
المأمون ، وأخبار مع صالح المنذرى الخادم ، وإبراهيم بن المدبر ، وغير ذلك من  
أخبارها . وقد رأينا أن نثبت لمعا من ذلك .



أما أخبارها مع محمد بن حامد — وهو أحد من كانت تعشقه وتهواه وتحاطر بنفسها  
في الاجتماع به — فمنها ما روى عن ابن عبد الملك الضرير أنها لما صارت في دار  
المأمون آحتالت حتى وصلت إليه ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت حتى حملت  
منه وولدت بنتا ، فبلغ ذلك المأمون فزوجه إياها . وقال محمد بن موسى : اصطبح  
المأمون يوما ومعه ندماء وفيهم محمد بن حامد وجماعة من المغنين وعريب معه على  
مصلاة ، فأوما إليها محمد بن حامد بقبلة ، فاندفعت فغنت ابتداء :

رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ \* كحاشية البرد اليماني المسهم

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له : طعنة . فقال المأمون للندماء : أيكم  
أوما إلى عريب بقبلة ؟ والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه ! فقال محمد بن حامد :  
أنا يا أمير المؤمنين أومأت إليها ، والعفو أقرب للتقوى . فقال : قد عفوت عنك .  
فقال : كيف استدلل أمير المؤمنين على ذلك ؟ فقال : ابتدأت صوتا ، وهي لا تغنى

آبْتَدَاءَ إِلَّا لِمَعْنَى ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا لَمْ تَبْتَدِئْ هَذَا الصَّوْتُ إِلَّا لَشَيْءٍ أَوْمِيٍّ إِلَيْهَا بِهِ ،  
وَلَمْ يَكُنْ مِنْ شَرْطِ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَّا إِيْمَاءٌ بِقُبْلَةٍ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَجَابَتْهُ بِطَعْنَةٍ . وَقَدْ حُكِيَ  
أَنَّ الْمَأْمُونُ قَالَ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ : نَكَّشَخْنَهُ قَبْلَ أَنْ يُكْشِخِنَا<sup>(١)</sup> ،  
فَزَوْجُهُ إِيَّاهَا ، وَأَشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُحْضِرَهَا إِلَى مَجْلِسِهِ فِي أَوْقَاتِ عَيْنِهَا لَهُ الْمَأْمُونُ .

- وَقَالَ حَمْدُونُ : كُنْتُ لَيْلَةً فِي مَجْلِسِ الْمَأْمُونِ بِبِلَادِ الرُّومِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فِي لَيْلَةٍ  
ظَلَمَاءَ ذَاتِ رُعُودٍ وَبُرُوقٍ ، فَقَالَ لِيَ الْمَأْمُونُ : ارْكَبِ السَّاعَةَ فَرَسَ النُّوبَةِ وَسِرُّ إِلَى  
عَسْكَرِ أَبِي إِسْحَاقَ ، (بَعْنَى الْمَنْصَمِ) ، فَأَدَّ إِلَيْهِ رِسَالَتِي وَهِيَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فَرَكِبْتُ فَلَمْ تَثْبُتْ  
مَعِيَ شَمْعَةٌ ، وَسَمِعْتُ وَقَعَ حَافِرِ دَابَّةٍ فَرَهَبْتُ ذَلِكَ فَجَعَلْتُ أَتَوَقَّاهُ حَتَّى صَلَكَ رِكَابِي  
تِلْكَ الدَّابَّةَ ، وَبَرَقَتْ بَارِقَةٌ فَأَبْصَرْتُ وَجْهَ الرَّائِكِ فَإِذَا عَرِيبٌ ، فَقُلْتُ : عَرِيبٌ ؟  
قَالَتْ : نَعَمْ ، حَمْدُونُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ . ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ فِي هَذَا الْوَقْتِ ؟  
قَالَتْ : مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ . قُلْتُ : وَمَا صَنَعْتَ عِنْدَهُ ؟ قَالَتْ : يَأْنِكُسُ ،  
عَرِيبٌ تَجِيءُ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ خَارِجَةً مِنْ مَضْرِبِ الْخَلِيفَةِ  
رَاجِعَةً إِلَيْهِ تَقُولُ لَهَا : أَيْ شَيْءٍ عَمَلْتِ مَعَهُ ! صَالَيْتُ مَعَهُ التَّرَاوِيحَ ، أَوْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ  
أَجْزَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ ، أَوْ دَارَسْتَهُ شَيْئًا مِنَ الْفِقْهِ ! يَا أَحْمَقَ ، تَحَادَثْنَا وَتَعَاتَبْنَا وَأَصْطَلَحْنَا  
وَلَعَبْنَا وَشَرَبْنَا وَغَنَيْنَا وَتَنَائَكْنَا وَأَنْصَرَفْنَا . قَالَ : فَأَنْجَلْتَنِي وَغَاطَطْتَنِي وَأَفْتَرَقْنَا . وَمَضَيْتُ  
فَادَيْتِ الرِّسَالَةَ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى الْمَأْمُونِ وَأَخَذْنَا فِي الْحَدِيثِ وَتَنَاشَدْنَا الْأَشْعَارَ ،  
فَهَمَمْتُ أَنْ أُحَدِّثَهُ بِحَدِيثِهَا ثُمَّ هَبَّتْهُ ، فَقُلْتُ : أَقْدَمَ قَبْلَ ذَلِكَ تَعْرِيزًا بِشَيْءٍ مِنْ  
الشَّعْرِ فَأَنْشَدْتُهُ :

- أَلَا حَيَّ أَطْلَالَ لِقَاطِعَةَ الْحَبْلِ \* أَلُوفِ تُسَاوِي صَالِحَ الْقَوْمِ بِالرِّذْلِ  
فَلَوْ أَنَّ مِنْ أَمْسَى بِجَانِبِ تَلْعَةٍ \* إِلَى جَبَلِي طَيَّ فَسَاقِطَةُ النِّعْلِ

(١) كَشَخْنَهُ وَكَشَخْنَهُ : شَتَمَهُ بِالْكَشَخْنَةِ وَهِيَ الدَّيَاثَةُ وَعَدَمُ الْغِيْرَةِ .

جُلُوسٌ إِلَى أَنْ يَقْصُرَ الظِّلُّ عِنْدَهَا \* لِرَاحُوا وَكُلُّ الْقَوْمِ مِنْهَا عَلَى وَصْلِ  
فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ : اخْفِضْ صَوْتَكَ لَا تَسْمَعَ عَرِيبٌ فَتَغْضَبُ وَتَظُنُّ أَنَا فِي حَدِيثِهَا ؛  
فَأَمْسَكَتْ عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَخْبِرَهُ بِهِ ، وَخَارَ اللَّهُ لِي فِي ذَلِكَ .

وقال محمد بن عيسى الوائقي : قال لي محمد بن حامد ليلة : أَحِبَّ أَنْ تُفَرِّغَ لِي  
مَضْرِبَكَ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجِيئَكَ فَأَقِيمَ عِنْدَكَ ؛ ففعلت وأتاني . فلما جلس جاءت  
عَرِيبٌ فَدَخَلَتْ وَجَلَسْنَا ؛ ففعل محمد يعاتبها ويقول : فعلت كذا وفعلت كذا !  
فَقَالَتْ لِي : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا عِنْدَكَ رَأَى ! ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا عَاجِزُ ، خُذْ بِنَا فَيَا  
نَحْنُ فِيهِ ، وَاجْعَلْ سِرَاوِيلِي مَحْمَقَتِي وَأَلْصِقْ خَلْخَالِي بِقُرْطِي ، فَإِذَا كَانَ غَدًا فَارْتَبِ  
بِعَتَابِكَ فِي طُومَارٍ حَتَّى أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِعُذْرِي فِي مِثْلِهِ ، وَدَعِ عَنْكَ هَذَا الْفَضُولَ ؛ فَقَدْ  
قال الشاعر :

دَعِيَ عَدَّ الذُّنُوبِ إِذَا آتَقَيْنَا \* تَعَالَى لَا نَعُدُّ وَلَا تَعُدِّي  
فَأُقْسِمُ لَوْ هَمَمْتُ بِمَدِّ شَعْرِي \* إِلَى بَابِ الْجَحِيمِ لَقُلْتُ مُدِّي<sup>(١)</sup>

وقال أحمد بن حمدون : وقع بين عريب وبين محمد بن حامد شرٌّ حتى كادا يخرجان  
إِلَى الْقَطِيعَةِ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهَا مِنْهُ أَكْثَرُ مِمَّا فِي قَلْبِهِ مِنْهَا . فَلَقِيْتَهُ يَوْمًا فَقَالَتْ : كَيْفَ  
قَلْبُكَ يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : أَشَقُّ مَا كَانَ وَأَقْرَحَهُ . فَقَالَتْ : اسْتَبْدِلْ تَسْلُ . فَقَالَ لَهَا :  
لَوْ كَانَتْ الْبُلُوى بِاخْتِيَارٍ لَفَعَلْتُ ! فَقَالَتْ : لَقَدْ طَالَ إِذَا تَعَبُكَ . فَقَالَ : وَمَا يَكُونُ !  
أَصْبِرْ مُكْرَهَا ! أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ لِذِي الْهَوَى \* خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ فِي الْيَاسِ  
لَوْلَا كِرَامَتُكُمْ لَمَّا عَاتَبْتُكُمْ \* وَلَكُنْتُ عِنْدِي كَبَعْضِ النَّاسِ

قال : فَذَرَفَتْ عَيْنَاهَا ، وَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ وَاعْتَنَقَتْهُ ، وَأَصْطَلَحَا وَعَادَا إِلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ .

(١) فِي الْأَغَانِي : « إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ » .

وحكى أحمد بن جعفر بن حامد قال : لما تُوفِّي عمي محمد بن حامد ، صار جدِّي إلى منزله ، فنظر إلى تركته وجعل يقلِّب ما خَلَّف ، ويُخْرِج إليه منها الشيء بعد الشيء ، إلى أن أُخْرِج إليه سَفَطٌ مَخْتومٌ ، ففَضَّ الخاتمَ وفتحَه ، فاذا فيه رِقَاعٌ عَرِيبٌ إليه ؛ فجعل يتصفَّحها ويبتسم ، فوقعَتْ في يده رُقْعَةٌ فقرأها ووضعها بين يديه ، وقام لحاجته ؛ فقرأتها فإذا فيها :

وَيْلِيَّ عَلَيْكَ وَمِنْكَ ! \* أَوْقَعْتُ فِي الْحَقِّ شَكَا  
زَعَمْتُ أَنِّي خَوُونٌ \* جَوْرًا عَلَى وَإِفْكَا  
إِنْ كَانَ مَا قُلْتُ حَقًّا \* أَوْ كُنْتُ أَزْمَعْتُ تَرْكَا  
فَأَبْدَلِ اللَّهُ مَا بِي \* مِنْ ذِلَّةِ الْحُبِّ نُسْكَا

قال : وهذا الشعر لعريب .

✱ ✱

وأما أخبارها مع المأمون وإخوته وغير ذلك من أخبارها — قال صالح ابن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانة : تَمَارَى خَالِي أَبُو عَلِيٍّ وَالْمَأْمُونُ فِي صَوْتٍ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : أَيْنَ عَرِيبٌ ؟ بِخُشَاءٍ وَهِيَ مَحْمُومَةٌ ، فَسَأَلَهَا عَنِ الصَّوْتِ ؛ فَقَالَتْ فِيهِ بَعْلَمُهَا . فَقَالَ لَهَا : غَنِّهِ . فَوَلَّتْ لِتَجِيءَ بِالْعُودِ ؛ فَقَالَ : غَنِّهِ بِأَعُودٍ . فَاعْتَمَدَتْ مِنَ الْحُمَّى عَلَى الْحَائِطِ وَغَنَّتْ ، وَأَقْبَلَتْ عَقْرَبٌ فَرَأَيْتَهَا وَقَدْ لَسَبَتْ يَدَيْهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَمَا نَحَتْ يَدَيْهَا وَلَا سَكَتَتْ حَتَّى فَرِغَتْ مِنَ الصَّوْتِ ؛ ثُمَّ سَقَطَتْ وَقَدْ غُشِيَ عَلَيْهَا .

قال عثمان بن العلاء عن أبيه : عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى عَرِيبٍ فَهَجَرَهَا أَيَّامًا ؛ ثُمَّ آعَتَلَتْ فَعَادَهَا فَقَالَ : كَيْفَ وَجَدْتِ طَعْمَ الْهَجْرِ ؟ فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْلَا مَرَارَةٌ

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصْلِ : « فَهَجَرْتَهُ » .



الهجر ما عُرِفَتْ حلاوة الوصل ، ومن ذم بدء الغضب حمد عاقبة الرضا . فخرج المأمون إلى جلسائه فحدثهم بالقصة ؛ ثم قال : أترى لو كان هذا من كلام النظام لم يكن كثيرا !

وقال أحمد بن أبي دُوداد : جرى بين المأمون وبين عريب كلام ، فكلمها المأمون بشيء غَضِبَتْ منه فهجرته أياما . فدخلتُ على المأمون ، فقال : يا أحمد ، اقض بيننا . فقالت عريب : لا حاجة لي في قضائه ودخوله بيننا ، وأنشأت تقول :  
ونخلط الهجر بالوصال ولا \* يدخل في الصلح بيننا أحد<sup>(١)</sup>

وكانت قد تمكنت من المأمون وأخذت بجماع قلبه ، وذهب به حبها كل مذهب ، وقد قدمنا أنه قبل رجلها .

وكانت عريب تهوى أبا عيسى بن الرشيد أخا المأمون ، وكان المثل يضرب بحسنه وحسن غنائه ، وكانت تزعم أنها ما عشقت أحدا من بني هاشم وأصفته من الخلفاء وأولادهم سواه . قال أبو الحسن علي بن الفرات : كنت يوما عند أخي أبي العباس وعنده عريب جالسة على دسْت مُفَرَّد لها ، وجوارها يغني بين أيدينا وخلف ستارتنا ؛ فقالت لأخي [وقد جرى ذكر الخلفاء<sup>(٢)</sup>] : ناكني منهم ثمانية ، ما أشتيت منهم أحدا إلا المعتز ، فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد . قال : فقلت لبعض بني أخي : كيف ترى شهوتها الساعة ؟ فضحك ، ولمحته فقالت : أي شيء قلتم ؟ فحدثتها . فقالت لجوارها : اسكتن ففعان ؛ فقالت : هن حرائر إن حردت<sup>(٣)</sup> من شيء جرى ! فصَدَّقْتُها ؛ فقالت : أي شيء هذا ! أما الشهوة فقوية ، وأما الآلة

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « ولا يصلح » .

(٢) زيادة عن الأغاني .

(٣) حردت : منعت .

فقد بطلت — أو قالت : قد كُلت — عودوا إلى ما كنتم فيه . قال : ولم تزل عَرِيب  
مبجَّلة عند الخلفاء محبوبه اليهم مُكرَّمةً لديهم إلى أن غضب عليها المعتصم والوائق  
وأنحرفا عنها . وكان سبب ذلك أن المعتصم وجد لها كتاباً إلى العباس بن المأمون  
ببلد الروم تقول فيه : أقتل أنت العِلج حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا ( تعنى  
الوائق ، وكان المعتصم استخلفه ببغداد ) . ولعمري إن هذا من الأمور العظيمة التي  
لا تُحتمل من الأولاد والإخوة فكيف من أمة مغنية ! ولو لم تكن لها عندهم المسكنة  
العظمى والمحَل الكبير لما أبقوها بعد الاطلاع من باطن حالها على هذه الطوية .  
وكانت عَرِيب تُكاد الوائق فيما يصوغه من الألحان ، وتصوغ في ذلك الشعر تغنيته  
لحناً فيكون أجود من لحنه .

قال : وكانت عَرِيب تُعشق صالحاً المنذري الخادم ، فتزوجته سرّاً . فحكى  
عنها أن بعض الجوارى دخلت عليها يوماً ، فقالت لها عَرِيب : ويحك ! تعالى إلى !  
بخأت ، فقالت : قبلي هذا الموضع مني ، فإنك تجدين ريح الجنة ، وأومات إلى  
سالفها ، ففعلت ثم قالت لها : ما السبب في هذا ؟ قالت : قبلي الساعة صالح المنذري  
في هذا الموضع . قال : ووجهه المتوكل إلى مكان بعيد في حاجة ، فقالت عَرِيب فيه :

أما الحبيبُ فقد مَضَى \* بالرَّغْمِ مني لا الرِّضَا  
أخطأتُ في تَرْكِ لِمَنْ \* لم أَلْقِ<sup>(١)</sup> منه عِوَضاً

وكانت عَرِيب تهوى إبراهيم بن المدبر ويهواها ، ولها معه أخبار وحكايات ،  
وبينهما أشعار وفكاهات . فمن مكاتباتها إليه ما روى عن ابن المعتز قال : كتبتُ  
إليه تدعوه في شهر رمضان : أفديك بسمعي وبصري ، وأهل الله عليك هذا الشهر  
بالنَّيْنِ والمَغْفِرَةِ ، وأعانك على المُفْتَرَضِ منه والمُتَنَفَّلِ ، وبلغك مثله أعواماً ، وفرج

(١) كذا في الأغاني ح ١٨ ص ١٨٤ طبع بولاق . وفي الأصل \* لم ألف عنه معرضاً \*

(١) عنك وعنّي فيه . وكتبْتُ في شيء بلغها عنه : وهب الله لنا بقاءك مُمتَّعاً بالنعيم . ما زلتُ  
أَمِسَ في ذكرك ، فمَرَّةً بمدحك ، ومَرَّةً بأكلك وبذكرك بما فيك لَوْناً لونا . اِجْحَدْ  
ذنبك الآن ، وهاتِ حُجَجَ الكُتَّابِ ونِفاقَهُم . فأما خبرُنا أَمِسَ فإننا شَرِبْنَا من فضل  
نبيذك على تَدْكارِكَ رِطَلاً ، وقد رفعنا حسابنا إليك ، فأرفع حسابك إلينا ، وخبرنا  
مَنْ زارك أَمِسَ وأهلك ، وأى شيء كانت القِصَّة على جهتها . [ ولا تُخْطِرفُ (٢)  
فَتُجَوِّجَنَا إلى كَشْفِكَ والبحثِ عليك وعن حالك ] ، وقل الحق ، فمن صدق [ نجا ] .  
وما أحوجك إلى تأديب ، فإنك لا تُحْسِنُ أن تودَّ (٤) . [ والحق أقول إنه يعتريك كُراز (٥)  
شديد يجوز حدَّ البرد . وكفأك بهذا من قولي عقوبة . وإن عُدْتَ سمعت أكثر  
منه ] (٣) . والسلام .

ولما نكَب عبد الله بن يحيى بن خاقان ابن المدبر وحبسه ، كتبْتُ إليه كتاباً  
تَشَوِّقُه وتُخَبِّره أَسْتَبَاحَها له وأَهْتَمَّها بأمره ، وأنها قد سألت الخليفة في أمره فوعدها  
ما تحب . فأجابها عن كتابها ، وكتب في آخر الجواب :

لَعَمْرُكَ ما صوتٌ بديعٌ لمَعْبَدٍ \* بأحسنَ عندي من كتابِ عَرِيبٍ  
تَأَمَّلْتُ في أَثْنائِهِ خَطَّ كَاتِبٍ \* وَرِقَّةَ مُشْتَاقٍ وَلَفْظَ خَطِيبٍ  
وراجعني من وصلها ما أَسْتَفْزِنِي \* وزهدني في وصل كلِّ حبيبٍ

(١) في الأصل : « فيك » .

(٢) تخطِرف الشيء : جاوزه .

(٣) التكلمة عن الأغاني .

(٤) كذا في الأغاني ح ١٩ ص ١٢٢ طبع بولاق . وعبارة الأصل : « وما أحوجك إلى تأديب

فإنك لا تحسن أن تؤدبه » .

(٥) الكراز : تشنج يصيب الإنسان من البرد الشديد .

فَصِرْتُ لَهَا عَبْدًا مُقِرًّا بِمَلِكِهَا \* وَمُسْتَمْسِكًا مِنْ وُدِّهَا بِنَصِيبٍ  
 وقال أبو عبد الله بن حمدون : اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبر وابن ميادة  
 والقاسم بن زرر في بستان بالمطيرة في يوم غيم ورذاذ يقطر أحسن قطر ونحن  
 في أطيب عيش وأحسن يوم ، فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد ، فوثب  
 إبراهيم من بيننا فخرج حافيًا حتى تلقاها ، وأخذ بركابها حتى نزلت ، وقبل الأرض  
 بين يديها . وكانت قد هجرته مدةً لشئ أنكرته عليه . بخاءت وجلست وأقبلت عليه  
 متبسمة ، ثم قالت : إنما جئت إلى من هاهنا لا إليك . فأعذر وشفعنا له فرضيت .  
 وأقامت عندنا يومئذ وباتت ، وأصطبحنا من غد وأقامت عندنا . فقال إبراهيم :

يَا بِي مَنْ حَقَّقَ الظَّنَّ بِهِ \* وَأَتَانَا زَائِرًا مُبْتَدِيًا  
 ١٠ كان كالغيث تَرَاحَى مُدَّةً \* وَأَتَى بَعْدَ قُنُوطٍ مُرَوِيًا  
 طاب يومان لنا في قُورِيهِ \* بَعْدَ شَهْرَيْنِ لَهْجَرٍ مَضِيَا  
 فَاقْتَرَّ اللَّهُ عَيْنِي وَشَفَنِي \* سَقَمًا كَانَ لِحَسْمِي مُبْلِيَا

وقال فيها أيضا :

أَلَا يَا عَرِيبُ وَقِيتَ الرَّدَى \* وَجَنَّبِكَ اللَّهُ صَرْفَ الزَّمَنِ  
 ١٥ فَإِنَّكَ أَصْبَحْتَ زَيْنَ النِّسَاءِ \* وَوَاحِدَةَ النَّاسِ فِي كُلِّ فَنٍّ  
 فَقُرْبِكَ يُدْنِي لَذِيذَ الْحَيَاةِ \* وَبُعْدُكَ يَنْفِي لَذِيذَ الْوَسَنِ  
 فَنِعْمَ الْأَنْدِسُ وَنِعْمَ الْجَلِيسُ \* وَنِعْمَ السَّمِيرُ وَنِعْمَ السَّكَنُ

وقال أيضا فيها وفي جَارِيَتَيْنِ بَدْعَةٍ وَتُحْفَةٍ :

إِنَّ عَرِيبًا خُلِقَتْ وَحَدَّهَا \* فِي كُلِّ مَا يَحْسُنُ مِنْ أَمْرِهَا  
 ٢٠ وَنِعْمَةً لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ \* يَقْصُرُ الْعَالَمُ فِي شُكْرِهَا  
 أَشْهَدُنِي جَارِيَتَاهَا عَلَى \* أَنَّهَا مُحْسِنَتَا دَهْرِهَا

فَبِدْعَةٍ تُبَدِّعُ فِي شَجْوِهَا \* وَتُخَفِّفُ نُتْحَفُ فِي زَمْرِهَا  
يَا رَبِّ أُمِّتْهَا بِمَا خُوِّلَتْ \* وَأَمْدُدْ لَهَا يَا رَبِّ فِي عَمْرِهَا

وقال علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب : كنت عند إبراهيم بن المدبر، فزارته بدعة وتخفة ، وأخرجتنا رقعة من عَرِيب ، فقرأها فإذا فيها : بنفسى أنت وسمى وبصرى ، وقل ذلك لك . أصبح يومنا هذا طيبا — طيب الله عيشك — قد احتجبت سماؤه ، ورق هواؤه ، وتكامل صفاؤه ، وكأنه أنت في رقعة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك ، لا فقدت ذلك أبدا منك ! ولم يُصادف حسنه وطيبه منا نشاطا ولا طربا لأُمور صدتنى عن ذلك ، أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بشرحها . وقد بعثت إليك بدعة وتخفة ليؤنساك وتسرّ بهما ، سرّك الله وسرّنى بك ! . فكتب إليها :

كَيْفَ السَّرُورُ وَأَنْتِ تَارِحَةٌ \* عَنِّي ! وَكَيْفَ يَسُوعُ لِي الطَّرَبُ !

إِنْ غَبِيتْ غَابَ الْعَيْشُ وَأَنْقَطَعَتْ \* أَسْبَابُهُ وَأَلْحَتِ الْكُورُبُ

وأنفذ الجواب [إليها] . فلم تلبث أن جاءت على حمارٍ مصرية ، فبادر إليها وتلقاها حافيا حتى جاء بها إلى صدر المجلس ، يطأ الحمار بساطه وما عليه ، حتى أخذ بركابها فأجلسها في مجلسه وجلس بين يديها . ثم قال :

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَصَرَ اللَّهُ طَوْلَهُ \* بِقُرْبِ عَرِيبٍ ، حَبَّذا هُوَ مِنْ قُرْبِ

بِهَا تَحْسُنُ الدُّنْيَا وَيَنْعَمُ عَيْشُهَا \* وَتَجْتَمِعُ السَّرَّاءُ لِلْعَيْنِ وَالْقَلْبِ

وقال إبراهيم بن اليزيدى : كنت مع المأمون في بلد الروم . فبينما أنا أسير في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح وإلى جانبي قبة ، إذ برقت برقة فإذا في القبة عريب . فقالت : يا إبراهيم بن اليزيدى . فقلت : لبيك ! قالت : قل في هذا البرق أباينا ملاحا لأغنى فيها . فقلت :

(١) في الأصل : « وابتدأ الجواب فلم تلبث » . والنصوب والزيادة عن الأغاني ( ج ١٩ ص ١٢٥ طبع بولاق ) .

ماذا بقلبي من ألم الخفق \* إذا رأيت لمعان البرق  
من قبل الأردن أو دمشق \* لأن من أهوى بذلك الأفق  
فارقته وهو أعز الخلق \* على والزور خلاف الحق  
ذاك الذي يملك مني رقي \* ولست أبغى ما حيت عتي

٥ فتنفست نفساً ظننته قد قطع حيازيمها، فقلت : ويحك ! على من هذا  
التنفس ؟ فضحكت ثم قالت : على الوطن . فقلت : هيات ! ليس هذا كله على  
الوطن . فقالت : ويلك ! أظننت أنك تستفزني ! والله لقد نظرت نظرة مريبة  
في مجلس فأدعاها أكثر من ثلاثين رئيساً ، والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا  
الوقت .

١٠ وقال أبو العباس بن حمدون : غضبت عريب على بعض جوارياها ، بجئت إليها  
وسألتها أن تعفو عنها ، فقالت — في بعض ما تقوله مما تعتد به عليها من ذنوبها — :  
يا أبا العباس ، إن كنت تشتهي أن ترى زناى وصفاقة وجهى وجراى على كل  
عظيمة أيام شبابى ، فأنظر إليها وأعرف أخبارها . قال : وكانت فى شبابها يقدم  
إليها البرذون فتطفر عليه بلا ركاب .

١٥ وقال أبو العباس بن الفرّات : حدثتني بدعة جارية عريب : أنت عريب  
كانت تجد فى رأسها برداً وكانت تغلف رأسها بستين مثقالاً مسكا وعذبرا ، وتغسله  
من جمعة إلى جمعة ، فإذا غسلته جددت غيره ، وتقتسم الجوارى غسالة رأسها .

وقال على بن المنجّم : دخلت يوماً على عريب مسلماً عليها ، فلما جلست هطلت  
السما بمطر عظيم . فقالت : أقيم عندي اليوم حتى أغنيك أنا وجوارى ، وابعث إلى من  
أحببت من إخوانك ، فأمرت بدواى فردت ، وجلسنا نتحدث . فسألتنى عن خبرنا

بالأمس في مجلس الخليفة ومن كان يُغَنِّينا ، وأى شيء آستحسنناه من الغناء . فأخبرتها  
أن صوت الخليفة كان لحنًا صنعه بنان من الماخورى . فقالت : وما هو ؟ فقلت :

تَجَافَى ثُمَّ تَنْطَبِقُ \* جُفُونٌ حَشَوُهَا الْأَرْقُ  
وَذَى كَلَفٍ بَكَى جَزَعًا \* وَسَفَرُ الْقَوْمِ مُنْطَلِقُ  
بِهِ قَلَقٌ يُمَلِّمُهُ \* وَكَانَ وَمَا بِهِ قَلَقُ  
جَوَانِحُهُ عَلَى خَطَرٍ \* بِنَارِ الشَّوْقِ تَحْتَرِقُ

فوجهت رسولاً إلى بنان ، فحضر وقد بلّته السماء ، فأمرت بخلع فانخرة نُخِلِعَتْ  
عليه ، وقُدِّمَ له طعام فأكل ، وجلس يشرب معنا . فسألته عن الصوت فغنّاه إياه .  
فأخذت دواة ورُقعة وكتبت :

أَجَابَ الْوَابِلُ الْغَدِيقُ \* وَصَاحَ النَّرْجِسُ الْغَرِيقُ  
وَقَدْ غَنَى بِنَانُ لَنَا : \* «جُفُونٌ حَشَوُهَا الْأَرْقُ»  
فَهَاكَ الْكَأْسُ مُتَرَعَّةً \* كَأَنَّ خِتَامَهَا حَدَقُ

قال : فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات .

وأخبار عريب كثيرة ، قد وضع عبد الله بن المعتز فيها ديواناً . وفيما أوردناه  
من أخبارها كفاية لا تحتل المختصرات أكثر منها . والله تعالى أعلم .

### ذكر أخبار محبوبه

قال أبو الفرج : كانت مولدة من مولدات البصرة ، شاعرة ، سريعة الخاطر ،  
مطبوعة ، لا تكاد فضلُ الشاعرة انيمانية لتقدمها ، وكانت أجمل من فضل وأعف ،  
وكانت تغنى غناء غير فاجر .

وقال علي بن الجهم : كانت محبوبه لعبد الله بن طاهر أهداها إلى المتوكل في جملة أربعائة جارية . وكانت بارعة الحسن والظرف والأدب ، مغنية محسنة ، فخطبت عند المتوكل حتى كان يجلسها خلف الستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب ، فيدخل رأسه إليها فيراها ويحدثها في كل ساعة .

- ٥ وقال علي بن يحيى المنجم : كان علي بن الجهم يقرب من أنس المتوكل جداً ، فلا يكتمه شيئاً من سره مع حرمة وأحاديث خلواته . فقال له يوماً : إني دخلت على قبيحة فوجدتها قد كتبت اسمي على خدها بغالية ، فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذاك الخد ، فقل في هذا شيئاً — قال : وكانت محبوبه حاضرة الكلام من وراء الستارة — فدعا علي بن الجهم بدواة ، فلما أن أتى بها وابتدأ يفكر قالت محبوبه على البديهة من غير فكرة ولا روية :

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرًا \* بنفسى مخط المسك من حيث أثرا  
لئن كتبت في الخد سطرًا بكفها \* لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا  
فيا من لملوك لملك يمينه \* مطيع له فيما أسر وأظهر!  
ويا من هواها في السريرة جعفر \* سقى الله من سقيا ثناياك جعفرًا

- ١٥ قال : فبقى علي بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف ، وأمر المتوكل بالأبيات فبعثت إلى عريب وأمرها أن تغني فيها . قال علي بن الجهم : فتحييت والله وتقلبت خواطري ، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله .

- وقال أيضا : غاضب المتوكل يوما محبوبه وهجرها ومنع جواريتها جميعا من كلامها ، ثم نازعته نفسه إليها وأراد ذلك ، ثم نازعته العزة منها وامتنع من ابتدائها ، وامتنعت من ابتدائه دلالة عليه لمحلها منه . قال علي : فبكرت إليه يوماً ، فقال لي :



يا على ، إني رأيت البارحة في نومي كأنني صالحتُ محبوبه . فقلت : أقتر الله عينك  
يا أمير المؤمنين وأناملك على خير وأيقظك على سرور ! أرجو أن يكون هذا الصلح  
في اليقظة . فبينما هو يحدثني وأحدثه إذا بوصيفة قد جاءت فأسرت إليه شيئاً ، فقال :  
أتدري ما أسرت إلى هذه ؟ قلت لا . قال : حدثتني أنها اجتازت بمحبوبة الساعة وهي  
في حجرها تغني ، أفلا تعجب من هذا ؟ أنا مغاضبها وهي متهاونة بذلك ، لا تبدؤني  
بصلح ثم لا ترضى حتى تغني في حجرها ، فقم بنا حتى نسمع ما تغني . ثم قام وتبعته  
حتى انتهى إلى حجرها ، وإذا هي تغني :

أدور في القصر لا أرى أحداً \* أشكو إليه ولا يكلمني  
حتى كأنني أتيت معصية \* ليست لها توبة تُخلصني  
فهل لنا شافع إلى ملك \* قد زارني في الكرى وصالحني  
حتى إذا ما الصباح لاح لنا \* عاد إلى هجره فصارمني

فوجب المتوكل ، وأحست بمكانه فأمرت بخدمها فخرجوا وتحنينا ، وخرجت  
إليه فحدثته أنها رآته في منامها فأنتهت وقالت هذه الأبيات وغنت فيها ، فحدثها  
هو أيضاً رؤياه وأصطلحا . فلما قتل المتوكل سلاه جميع جواريه غيرها ، فإنها لم تزل  
حزينة هاجرة لكل لذة حتى ماتت . ولها فيه مرثية .

حكى أبو الفرج : أن وصيفاً بعد قتل المتوكل أحضرها يوماً وأحضر الجوارى ،  
فحنن عليهن الشباب الماونة المذهبة والحلي وقد تزين وتعطرن ، وجاءت محبوبه وعليها  
ثياب بيض غير فائحة حزناً على المتوكل . فغنى الجوارى جميعاً وشربن ، وطرب  
وصيف وشرب . ثم قال : يا محبوبه ، غني ، فأخذت العود وغنت وهي تبكي :

أى عيش يطيب لي \* لا أرى فيه جعفرا  
ملكاً قد رآته عي \* نى قتيلاً معفراً

كُلُّ مَنْ كَانَ ذَا هُيَا \* مِمْ وَحُزْنٍ فَقَدْ بَرَا  
 غَيْرَ مَحْبُوبَةٍ الَّتِي \* لَوْ تَرَى الْمَوْتَ يُشْتَرَى  
 لِأَشْتَرْتَهُ بِمَلِكِيهَا \* كُلَّ هَذَا لِنُقْبَرَا  
 إِنَّ مَوْتَ الْكَثِيبِ أَصْ \* لَمَحُّ مَنْ أَنْ يُعْمَرَا

فاشتد ذلك على وصيف وأمر بقتلها ؛ فاستوهبها بغاً منه فوهبها له . فأعتقها  
 وأمر بإخراجها وأن تكون حيث تختار من البلاد . فخرجت إلى بغداد من  
 سرٍّ مَنْ رَأَى ، وأحملت ذكراها طول عمرها ؛ وما طمع فيها أحد . رحمها الله تعالى .

### ذكر أخبار عبيدة الطنبورية

قال أبو الفرج الأصفهاني : كانت عبيدة الطنبورية من المحسنات المتقدّمات  
 في الصنعة والأدب ، شهد لها بذلك إسحاق بن إبراهيم الموصلی ؛ قال : وحسبها  
 بشهادته . قال : وكان أبو حشيشة يعظمها ويعترف لها بالرياسة والأستاذية .  
 وكانت من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم صوتاً ، وكانت لا تخلو من عشق . قال :  
 ولم يُعرف في الدنيا امرأة أعظم صنعةً منها في الطنبور . وكانت لها صنعة عجيبة .  
 فمنها في الرمل :

كُنْ لِي شَفِيعاً إِلَيْكَ \* إِنْ خَفَّ ذَاكَ عَلَيْكَ  
 وَأَعْفِنِي مِنْ سُؤَالِي \* سَوَاكَ مَا فِي يَدَيْكَ  
 يَا مَنْ أَعَزُّ وَأَهْوَى \* مَا لِي أَهْوَى لَدَيْكَ

قال : وحضرت يوماً عند عليّ بن الهيثم اليزيديّ وعنده عمرو بن مسعدة  
 وهارون بن أحمد بن هشام ؛ فجاءه إسحاق بن إبراهيم الموصلی فأخبره خبرهم . فقال

له إسحاق : إني كنتُ أشتهى أن أسمع عبيدة ، ولكنها إن عرفتني وسألتوني أن أغني بحضرتها أنقطعت ولم تصنع شيئاً ، فدعوها على جيلتها<sup>(١)</sup> ، فوافقوه على ذلك ، ودخل وكنتموها أمره ، وكانت لا تعرف إسحاق . وقدم النبيذ ، فغنت لحنا لها :

قَرِيبٌ غَيْرُ مُقْتَرِبٍ \* وَمُؤْتَلَفٌ كَمُجْتَنِبٍ

له وددي ولي منه \* دَوَاعِي الهم والكرب

أَوَاصِلُهُ عَلَى سَبَبٍ \* وَيَهْجُرُنِي بِلا سَبَبٍ

وَيُظْلِمُنِي عَلَى ثَقَةٍ \* بَأْسٌ إِلَيْهِ مُنْقَلَبِي

قال : فطرب إسحاق وشرب نصفاً ، ثم تغنت وشرب ، حتى وآلى بين عشرة أنصاف ؛ قال علي بن الهيثم : وشربنا معه . وقام إسحاق ليصلي ، فقال لها هارون : ويحك يا عبيدة ! ما تبالين والله متى متت ! قالت : ولم ؟ قال : أتدريين من المستحسن غناءك والشارب عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله . قال : إسحاق بن إبراهيم ، فلا تعرفيه أنك قد عرفتيه . فلما جاء إسحاق ابتدأت تغني فأحقتها هيبة له واختلاط ، فنقصت نقصاً بيئاً . قال : أعترفتموها من أنا ؟ فقلت : نعم ، عرفها هارون . فقال إسحاق : تقوم إذا فننصرف ، فإنه لا خير في عشرتكم الليلة ولا فائدة لي ولا لكم ، وقام فأنصرف .

وقال ملاحظ غلام أبي العباس : اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس بن الرشيد يوماً وفيهم المسدود وعبيدة . فقالوا للمسدود : غن ، فقال : لا والله ، لا تقدمتُ على عبيدة وهي الأستاذ ، فما غني حتى غنت . وقال محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي : سمعت إسحاق يقول : الطنبور إذا تجاوز عبيدة هذيان .

(١) كذا في الأمان . وفي الأصل : « فدعوها على حلتها » .



هذا ما أمكن إيرادَه في هذا الباب من أخبار من اشتهر بالغناء، وأخبار القيان، وهو مختصر مما أورده أبو الفرج الأصفهاني — رحمه الله تعالى — في كتابه المترجم بالأغاني من أخبارهم . ولم نلتزم آستيعابهم بل ذكرنا أكثرهم وأشهرهم بالغناء، وذكرنا من أخبارهم ما فيه كفاية . فلنذكر خلاف ذلك .

## الباب السابع

من القسم الثالث من الفن الثاني

فما يحتاج إليه المغني ويضطر إلى معرفته، وما قيل في الغناء، وما وُصفت به القيان، ووصف آلات الطرب

١٠ ذكر ما يحتاج إليه المغني ويضطر إلى معرفته وما قيل في الغناء والقيان من جيد الشعر

قال مالك بن أبي السَّمْح : سألت ابن أبي إسرائيل عن المُحَسِّن المصيب من المغنين، فقال : هو الذي يُشبع الألحان، ويملا الأنفاس، ويُعَدِّل الأوزان، ويفخم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويُقيم الإعراب، ويستوفي النغم الطَّوال، ويُحسن مقاطع النغم القصار، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواضع النَّبرات، ويستوفي ما يشاكلها من النَّقرات . فعرضتُ ما قال على معبد، فأستحسنه وقال : ما يقال فيه أكثر من هذا . وقد رُوِيَتْ هذه المقالة عن ابن سريج . وقال إبراهيم الموصلي : الغناء على ثلاثة أضرب؛ فضربٌ مله مطربٌ يحرك ويستخف، وضربٌ

١٥

ثاني له شجى ورقّة، وضرب ثالث حكمة وإتقان صنعة . وقال : كان هذا كله مجموعا في غناء ابن سريج . وقال أبو عثمان الناجم : بجوحة الخلق الطيب تشبه مرض الأجفان الفاترة .



وأما ما قيل في الغناء وما وصفت به القيان .

حكى أن بعض المحدثين سمع غناء بخراسان بالفارسية ، فلم يدري ما هو غير أنه شوقه لشجاء وحسنه ، فقال في ذلك ، وقيل إنه لأبى تمام :

حَمِدْتُكَ لَيْلَةً شَرُفْتُ وَطَابَتْ \* أَقَامَ سُهَادُهَا وَمَضَى كَرَاهَا  
سَمِعْتُ بِهَا غِنَاءً كَانَ أَوْلَى \* بَأْنَ يَقْتَادَ نَفْسِي مِنْ عَنَاهَا  
وَمُسِمِعَةٍ يَحَارُ السَّمْعُ فِيهَا \* وَلَمْ تُضْمِمْهُ ، لَا يَضْمَمُ صَدَاهَا  
مَرَّتْ أَوْتَارَهَا فَشَفَّتْ وَشَاقَتْ \* فَلَوْ يَسْطِيعُ حَاسِدُهَا فَدَاهَا  
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيَهَا وَلَكِنْ \* وَرْتُ كِبْدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا  
فَكُنْتُ كَأَنِّي أَعْمَى مُعْنَى \* بِحَبِّ الْغَانِيَاتِ وَمَا رَأَاهَا

وقال كشاجم في بجة خلق المغنى :

أَشْتَهَى فِي الْغِنَاءِ بُجَّةَ خَلْقٍ \* نَاعِمِ الصَّوْتِ مُتَعَبٍ مَكْدُودِ  
كَأَنِّي الْمُحِبُّ أَضْعَفُهُ الشَّوْ \* قُ فُضَاهَى بِهِ أَنْيْنَ الْعُودِ  
لَا أَحِبُّ الْأَوْتَارَ تَعْلُو كَمَا لَا \* أَشْتَهَى الضَّرْبَ لَا زِمًا لِلْعُمُودِ  
وَأَحِبُّ الْمَحْنَبَاتَ كَحَبِّي <sup>(١)</sup> \* لِلْبَادِي مَوْصُولَةً بِالنَّشِيدِ  
كَهُبُوبِ الصَّبَا تَوْسَطَ حَالًا \* بَيْنَ حَالَيْنِ شِدَّةٍ وَرُكُودِ

(١) في ديوان كشاجم طبع بيروت وفي نسختين مخطوطتين منه أيضا محفوظتين بدار الكتب المصرية :

وقال الناجم :

شَدُّوْ أَلْدُّ مِنْ أَبْتَدَا \* ءِ الْعَيْنِ فِي إِغْمَائِهَا  
أَحَلَّى وَأَشْهَى مِنْ مُنَى \* نَفْسٍ وَصِدْقٍ رَجَائِهَا

وقال محمد بن بشير :

وصوتِ لَبْنِي الْأَحْرَا \* رِ أَهْلِ السَّيْرَةِ الْحُسْنَى  
شَجِّ يَسْتَغْرِقُ الْأَوْتَا \* رَ حَتَّى كَلَّهَا تَفْنَى  
فَمَا أَدْرَى الْيَدُ الْيُسْرَى \* بِهِ أَشَقَى أَمْ الْيُمْنَى ؟  
وَقَلْنَا لِمَغْنِيَّهِ \* وَقَدْ غَنَّى عَلَى الْمَثْنَى  
أَلَا يَا لَيْتَ هَذَا الصَّو \* تَ حَتَّى الصُّبْحِ لَا يَفْنَى  
فَقَدْ أَيْقَظَتِ اللَّذَا \* تُ عَيْنًا لَمْ تَزَلْ وَسْنَى  
وَمَا أَفْهَمَ مَا يَعْنِي \* مُغْنِيَّهِ إِذَا غَنَى  
وَلَكِنِّي مِنْ حُبِّي \* لَهُ أَسْتَحْسِنُ الْمَعْنَى

وقال الشعالي :

غَنَاؤُكَ يَهْزِمُ جَيْشَ الْكُرُوبِ \* وَعَيْنَاكَ لِلنَّاسِ عُذْرُ الذُّنُوبِ  
فَوَيْلُ الْقُلُوبِ إِذَا مَا رَنَوْتَ \* وَإِنَّمَا شَدَوْتَ فَوَيْلُ الْحُيُوبِ

وقال أيضا :

وَسَائِلُهُ تَسْأَلُ عَنْكَ قَلْنَا \* لَهَا فِي وَصْفِكَ الْعَجَبَ الْعَجِيبَا  
رَنَا ظَبِيًّا وَغَنَى عَنَدَلِيًّا \* وَلَا حَ شَقَائِقًا وَمَشَى قَضِيْبَا

وقال عكاشة يصف قينة :

مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا \* مِنْ فِضَّةٍ قَدْ طُرِفَتْ عُنَابَا  
وَكَأَنَّ يُمْنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ \* تُتَلَقَّى عَلَى يَدِهَا الشَّمَالِ حِسَابَا

وقال ابن الرومي :

وقيان كأنها أمهات \* عاطفات على بنيتها حواني  
مطفلات وما حملن جنينا \* مريضعات ولسن ذات لبان  
كل طفل يدعى بأسماء شتى \* بين عود ومزهر وكران<sup>(١)</sup>  
أمه دهرها تترجم عنه \* وهو بادي الغنى عن التبرجمان

وقال أيضا :

كأنما رقة مسموعها \* رقة شكوى سبقت دمعها  
غنت فلم تحتج إلى زامر \* هل تحوج الشمس إلى شمعة  
كأنما غنت لشمس الضحى \* فألبستها حشنها خلعه

وقال الناجم :

ما صدحت عاتب ومزهرها \* إلا وثقنا باللهو والفرج  
لها غناء كالبرء في جسد \* أضناه طول السقام والترح  
تعبدها التراح فهي ما صدحت \* إبريقنا ساجد على القدح

وقال أيضا :

ما تغنت إلا تكشف هم \* عن فؤاد وأقشعت أحزان  
تفضل المسمعين طيباً وحسناً \* مثل ما يفضل السماع العيان

وقال أبو عبادة البحتري :

وأشارت على الغناء بالحا \* ظ مراض من التصابي ، صحاح  
فطربنا هن قبل المثاني \* وسكرنا هن قبل الراح

وقال كشاجم وهو أبو الفتح محمود :

أفدى التى أهدت لنا \* شمس الضحى والليل حالك  
مملوكة جلت فليد \* س تفى بقيمتها الممالك  
عرضت فأعطت عودها \* ضرباً يعرض للممالك  
وتبعته فتصرفت \* بالضرب فى كل المسالك  
ويئست من إدراكها \* فجعلت صوتى عند ذلك :  
قصرت يدى عنك الغدا \* ة ، فكيف لى ييد تنالك

وقال أيضا :

بدت فى نسوة مثل آل \* حمها أذمجن إدماجا  
يخاذبن من الأردا \* ف كُثباناً وأموجا  
ويسترن من الأبشا \* ر فى الديباج ديباجا  
وقضباناً من الفضة \* لة قد أثمرت العاجا  
وقد لانت من الكور \* على مفرقها تاجا  
فلما طفرن بالمجد \* س أفراداً وأزواجا  
تجاوبن فغنيه \* لك أرمالاً وأهزاجا  
وحركن من الأوتا \* ر إمساكا وإدماجا  
فلا لوم على قاب \* لك إن هيَّج فأهتاجا

وقال على بن عبد الرحمن بن يونس المنجم فى عوادة :

غننت فأخفت صوتها فى عودها \* فكأنما الصوتان صوت العود  
غيداء تأمر عودها فيطيعها \* أبدا ويتبعها آتباع ودود  
أندى من النوار صبحاً صوتها \* وأرق من نشر الشنا المعهود



فكأنما الصوتان حين تَمَازجا \* ماء الغمامة وأبنسة العنقود  
وقال أبو عون الكاتب :

تشدو فيرقص بالرهو \* س لها ويضم بالكنوس

وقال الناجم :

طفقت تغنينا نخلنا أنها \* لسرورنا بغنائها تعنينا

وقال أبو هلال العسكري :

وهيجت لي من شجوى ومن فرج \* أيد نثرنت على الأوتار عئابا  
لا عيب في العيش إلا خوف غيبكم \* إن السرور إذا ما غبتمو غابا

وقال هارون بن علي المنجم :

غصن على دغص نقا منال \* سعى بكأس مثل لمع الآل  
وفاتت الطريف والدلال \* هيف الحصور ربح الأكفال  
ياخذن من طرائف الأرمال \* ومحكم الخفاف والثقال  
تجري مع الناس بلا انفصال \* مثل اختلاط الخمر بالزلال  
تدعو إلى الصبوة كل سال \* تصرع كل فاتك بطل  
بين حرام اللهو والحلال \* أكرم من مصارع الأبطال

وقال شاعر يذم مغنيا :

ومغن بارد النغ \* حمة مختل السيدين  
ما رآه أحد في \* دار قوم مرتين  
صوته أقطع للذات من سطوبة بين

وقال ابن الرومي :

فطلت أشرب بالأرطال لا طربا \* عليه بل طلبا للسكر والنوم



## ذكر ما قيل في وصف آلات الطرب

فمن ذلك ما وُصف به العود . نظم أبو الفتح محمود المعروف بكشاجم قول  
الحكماء : إن العود مُرتكب على الطبائع الأربع ، فقال :

شَدَتْ بِخَلَّتْ أَسْمَاعَنَا بِمُخَفِّفٍ \* يُحَدِّثُهَا عَنْ سِرِّهَا وَيُحَدِّثُهُ  
مُشَاكِلةً أَوْ تَارُهُ فِي طِبَاعِهَا \* عَنَّا صِرَ مِنْهَا أَحَدُ الْخَلْقِ مُحَدِّثُهُ <sup>(١)</sup>  
فَلِلنَّارِ مِنْهُ الزَّيْرُ وَالْبَمُّ أَرْضُهُ \* وَلِلرَّيحِ مَثْنَاهُ وَلِلْأَيِّ مَثْلُهُ  
وَكُلُّ أَمْرٍ يَرْتاحُ مِنْهُ لِنِعْمَةٍ \* عَلَى حَسَبِ الطَّبَعِ الَّذِي مِنْهُ يَبْعَثُهُ  
شَكَضَرَبَ يَمْنَاهَا فَظَلَّتْ يَسَارُهَا \* تُطَوِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَعِّثُهُ  
فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى أَرْتَنَا مُخَارِقًا \* يُجَاوِبُهُ فِي أَحْسَنِ النَّقْرِ عَثْثُهُ  
وَحَتَّى حَسِبْتَ الْبَابِلِيِّينَ أَلْقِيَا <sup>(٢)</sup> \* عَلَى لَفِظِهَا السَّجَرُ الَّذِي فِيهِ تَنْفُثُهُ

وقال آخر :

جَاءَتْ بِعُودٍ تُنَاغِيهِ فَيُسَبِّحُهَا \* أَنْظُرْ بِدَائِعِ مَا تَأْتِي بِهِ الشَّجَرُ  
غَنَّتْ عَلَى عُودِهِ الْأَطْيَارُ مِنْ طَرِبٍ \* رَطْبًا ، فَلَمَّا ذَوَى غَنَّتْ بِهِ الْبَشَرُ  
فَلَا يَزَالُ عَلَيْهِ أَوْ بِهِ طَرِبٌ \* يَهْبِجُهُ الْأَعْجَانُ : الطَّيْرُ وَالْوَتَرُ

وقال آخر :

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا أَنْبَتَ عُودَكَ الَّذِي \* ذَكَتْ مِنْهُ أَنْفَاسُ وَطَابَتْ مَغَارِسُ  
تَغَنَّتْ عَلَيْهِ الْوُرُقُ وَالْعُودُ أَخْضَرُ \* وَغَنَّتْ عَلَيْهِ الْغَيْدُ وَالْعُودُ يَابِسُ

وقال آخر :

لَا تَحْسِبِ الْعُودَ إِنْ غَنَّتْكَ شَادِنُهُ \* جَاءَتْكَ بِالطَّيْفِ فِيهِ نَعْمَةُ الْوَتَرِ

(١) في ديوان كشاجم : « ألف الخلق » .

(٢) يريد هاروت وماروت اللذين ورد ذكرهما في القرآن الكريم .

وإنما الطير ألفت عنده خبراً \* فعذبوه فتمّ العود بالخبر

وقال آخر :

فكانه في حجرها ولد لها \* ضمته بين ترائب ولبان  
طورا تدغدغ بطنه فإذا هفا \* عركت له أذنا من الأذان

وقال الناجم :

إذا احتضنت عودها عابت \* وناغته أحسن أن يعربا  
تدغدغ في مهل بطنه \* فيسمعنا مضحكا معجبا

وقال الحمدوني :

وناطق بلسان لا ضمير له \* كأنه نخذ نيطت إلى قدم  
يبدى ضمير سواه في الحديث كما \* يبدى ضمير سواه الخط بالقلم

وقال كشاجم :

جاءت بعود كأن نغمته \* صوت فتاة تشكو فراق قتي  
مخفف خفت النفوس به \* كأنما الزهر حوله نبأ  
دارت ملاويه فيه واختلفت \* مثل اختلاف الكفين شبكا  
لو حركته وراء منهزيم \* على برید لعاج والفتا  
يا حسن صوتيهما كأنهما \* أختان في صنعة ترأسا  
وهو على ذا ينوب إن سكنت \* عنها ، وعنه تنوب إن سكتا

وقال أيضا :

وجارية مثل شمس النهار \* أو البدر بين النجوم الدار  
أنتك تمس بقذ القضيبي \* وترنو بعين مهابة القفار  
وترفل في مصمت أبيض \* تلون من خدّها الجللاري

وتحملُ عودًا فصيحَ الجواب \* يُشاركُ أرواحنا في المجارى  
له عُنُقٌ كذراعِ الفتاة \* ودستانةٌ بمكان السَّوارِ  
بجاءت عليه وجادت له \* بعسفِ اليمين ولطفِ اليسارِ  
فما أمهاته ولا نهته \* من الظُّهر حتى تقضى النهار  
ولما تغنت غناءَ الوداع \* بكيتُ وقلتُ لبعض الجوارى :  
لئن عشتُ عند هزار اللقاء \* لقد مُتُّ عند هزار الإزار

وقال أيضا :

وكثيرة النِّغَمَاتِ تحسبها \* فى كلِّ عَضْوٍ أُوتِيَتْ حَلَقًا  
غنتُ فِظَلْتُ إِخْأَلِي طَرَبًا \* أَسْمُو إِلَى الْأَمْلاكِ أَوْ أَرْقَى  
وتكلمتُ أوتارها فانا \* فيها أَخْبَرُ بِالذِّى أَلْقَى  
تحكى أنينى وهى شاكية \* مما أُجِنَ وتشتكى عِشْقًا  
وترى لها عودًا تُعَانِقُهُ \* وكلامه وكلامها وَفَقًا  
لو لم تُحَزِّكُهُ أُنَامِلُهَا \* كان الهَوَاءُ يُفِيدُهُ نُطْقًا  
جَسَّتْهُ عَالِمَةٌ بِحَالَتِهِ \* جَسَّ الطَّبِيبُ لِمُدْنَفٍ عِرْقًا  
فحسبتُ يَمْنَاهَا تحزكه \* رَعْدًا، وختلَّ يسارها بَرَقًا

وقال أيضا :

تَمِيسُ مِنَ الْوَشْيِ فى حُلَّةٍ \* تُجَزِّرُ مِنْ فَضْلِ أَذْيَالِهَا  
وتحملُ عودًا فصيحَ الجواب \* يُضَاهِي الثُّنُونُ بِأَشْكَالِهَا  
له عُنُقٌ مِثْلُ سَاقِ الْفَتَاةِ \* ودستانةٌ مِثْلُ خَلْخَالِهَا  
فَظَلَّتْ تُطَارِحُ أوتارَهُ \* بِأَهْزَاجِهَا وَبَارْمَالِهَا  
وتعمَلُ جَسًّا لِحَسِّ الْعُرُوقِ \* وتلوى المَلَاوِي بِأَمْثَالِهَا

وقال آخر يصف الطنبور :

مُخَطَّفُ الحَصْرِ أَجْوَفُ \* جِيْدُهُ نَصْفُ سَائِرِهِ  
أَنطَقْتُهُ يَدَا فَتَى \* فَاتِرِ اللَّخِظِ سَاحِرِهِ  
بِحَالٍ عَنِ ضَمِيرِهِ \* مَا حَاوَى فِي خَوَاطِرِهِ

وقال سيف الدين المشد في دُف :

وِطَارِيَّةٌ قَرَعَتْ طَارَهَا \* وَغَنَّتْ عَلَيْهِ بِصَوْتٍ عَجِيبِ  
فَعَايَنْتْ شَمْسَ الضُّحَى أَقْبَلَتْ \* وَبَدُرٌ تَقَدَّمَهَا عَنْ قَرِيبِ

وقال أيضا يصف شبابة :

وَعَارِيَّةٌ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، حَبِيبَةٌ \* إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بَاتَ بِالْبَيْنِ مَجْرُوحَا  
لَهَا جَسَدٌ مَيَّتٌ يَعِيشُ بِنَفْخَةٍ \* مَتَى دَاخَلَتْهُ الرِّيحُ صَارَتْ بِهِ رُوحَا  
تُعِيدُ الَّذِي يُلْقَى عَلَيْهَا بِالذِّقَّةِ \* تَزِيدُ فِئَادَ الصَّبِّ وَجَدًا وَتَهْرِيحَا  
وَتَنْطِقُ بِالسَّحَرِ الْحَالِ عَنِ الْهَوَى \* وَتُوحِي إِلَى الْأَسْمَاعِ أَطْيَبَ مَا يُوحَى

## القسم الرابع من الفن الثاني

في التهاني والبشائر والمراثي والنوادر والزهد والتوكل والأدعية  
وفيه أربعة أبواب

### الباب الأول

من هذا القسم في التهاني والبشائر

والتهاني تنقسم إلى قسمين ونحاز في جهتين : خصوص وعموم . فالخصوص هو ما يتعلق بالرجل من منصب يليه ، ونعمة تواليه ، وولد رزقه ، وشفاء من مرض أقاله وأزقه ، وقدم من سفر ، وزواج قضى به الأرب والوطر . والعموم هو ما يتعلق بالجمهور ، ويتساوى فيه الملك والمملوك والأمير والمأمور : من أنصبا غيث عم الربا والوهاد ، وجرّان نيل شمل بريّة البلاد وآمن العباد ، وهزيمة عدوّ زاد في عدوانه وتمادى في طغيانه ، وفتوح حصن أمن أهله بتشديد أركانه وإتقان بنيانه .

### ذكر شيء مما هُنيئ به ولاة المناصب

كتب بعض الفضلاء تهنئة بخلافة فقال :

أما بعد ، فإن أولى النعم بالدوام ، وأرجاها للبقاء والتمام ، وأجدرها بالخلود ، وأقربها إلى المزيد ، وأحراها بالسلامة على نوب الأيام وتصاريح الأحداث ، نعمة نشأت بفنائها ، وسكنت ذراها فحمدت مثواه ، وساسها أولياؤها بحسن المجاورة وكرم المصاحبة سياسة الحاني الشفيق ، وكفلوها كفالة الحبيب الرفيق ، فنمت وتمت ، وخصت وعمت ، ثم أعترضها من ريب الزمان ما هاج سوا كنها ، وأزعج كوامنها ،

وأصارها إلى الوحشة بعد الأُنس ، والنُّفرة بعد الإلف ، تتقلقل تقلقل العوادي ،  
وتشرد شرود الضوأل ، لافظة لها الأقطار ونابية بها المحال ؛ إلى أن أعادها الله تعالى  
بأطفه إلى مغناها المعروف ، وربّعها المألوف ؛ وأستقرت بعد الاضطراب ، وفاءت  
بعد الاغتراب . وتلك نعمة الله عند سيدنا أمير المؤمنين ، لما جدد له من كرامته ،  
وأصطفاه له من خلافته ، وطوّقه إياه من إمامته ؛ وردّه إليه من تدبير الملك ،  
وأعتمد عليه من سياسة الأنام ؛ فأحيا به السّنن القاصرة ، وأزال به الرسوم الجائرة ؛  
ونهج به سبيل العدل ، وأقام به منار الفضل .

وقال طريح بن إسماعيل الثَّقَفِيّ في المنصور لما أفضت الخلافة إليه :

لما أتى الناس أن مُلْكَهُمْ \* إليك قد صار أمره سجدوا  
وآستبشروا بالرضا تباشرهم \* بالخلد لو قيل إنهم خلدوا  
كنت أرى أن ما وجدت من الفر \* حة لم يلق مثله أحد  
حتى رأيت العباد كلهم \* قد وجدوا فيك مثل ما أجد  
قد طلب الناس ما بلغت فما \* نالوا ولا قاربوا ولا جهدوا  
يرفعك الله بالتَّكْرُم والتقد \* بوى فتعلو وأنت تقتصد

وقال زيد السنديّ يهنئ الوزير يعقوب بن كلّس بوزارة العزيز بمصر :

إن الوزارة لم تزل بك صابّة \* تهواك لم يخطر سواك ببالها  
خطبت فلم تُعطِ القياد اطالب \* وأبت على طالها يوصالها

وقال ابن بشر الصَّقَلِيّ الكاتب يهنئ الحسن بن إبراهيم التستريّ بوزارة مصر ،

وقد وزر للمستنصر في سنة أربع وخمسين وأربعمئة :

بيومك طارت في البلاد البشائر \* وطابت بمرجوع الحديث المحاضر  
وأصبحت الأمصار أماناً وغبطة \* أسرتها مهترة والمنابر  
وقام خطيبُ الحمد في كل موقِف \* يعدد ما تُملي عليه المآثر

ومنها :

لقد عاشرت منك الوزارة ما جدًّا \* له كَنَفٌ لا يَجْتَوِيهِ الْمُعَاشِرُ  
فَسِيحُ أَمَدَادِ الظِّلِّ بَيْنَ رِحَابِهِ \* وَبَيْنَ الْمَعَالِي أَهْلُ الرَّبْعِ عَامِرُ  
”فَانْقَطَعَتْ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى \* كَمَا قَفَرَتْ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ“  
وما زلت ملحوظًا لها ومؤهلًا \* لِيَا أَمْرٍ مَذْشُتٌ عَلَيْكَ الْمَآزِرُ ٥



وقال آخر :

كَلَّمَا رَمْتُ أَنْ أَهْنِكَ وَقْتًا \* بِجَحَلٍّ مِنْ الْعُلَا تَرْتَقِيهِ  
شِمْتُ مَقْدَارَكَ الَّذِي أَعْجَزَ الْوَا \* صَفَ أَعْلَى مِنَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ

- وكتب الحمدوني أخوصاحب التذكرة يهنئ بالسلامة من حريق وقع في دار الخلافة :
- ١٠ الدنيا — أعزَّ الله أنصارَ الخدمة الشريفة — دارُ الامتحان والاختبار، ومجاز  
الابتلاء والاعتبار؛ ولله فيما نزلَه فيها إلى عبادِهِ من نِعَمِهِ، وتحوَّلِهِمْ من مَوَاهِبِهِ وَقِسَمِهِ،  
عَادَاتٌ يَقْتَضِيهَا بِالْغُ حِكْمَتُهُ، وَمَاضِي إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتُهُ؛ لِيَسْتَيْقِظَ الْذَاهِلُ، وَيَعْتَرِفَ  
الْجَاهِلُ؛ وَيَزْدَادَ الْعَالَمُ اللَّيِّبُ آعْتَابَارًا، وَيَسْتَفِيدَ الْعَاقِلُ الْأَرِيبُ تَفَكُّرًا وَأَسْتَبْصَارًا؛  
فَلَا يَغْفُلُ عَنْ وَاجِبِ الشُّكْرِ إِذَا سَيِّقَتْ النِّعْمَةُ إِلَيْهِ، وَلَا يَلْهُو عَنْ أَسْتِدْعَاءِ الْمَزِيدِ مِنْهَا  
بِالاعْتِرَافِ إِذَا أُسْبِغَتْ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ أَنَّ الْبَارِي سُبْحَانَهُ إِذَا تَابَعَ آلَاءَهُ إِلَى عَبْدٍ وَوَالَاهَا،  
١٥ [وَجَرَدَهَا] لَهُ مِنَ الشَّوَائِبِ وَأَخْلَاهَا؛ وَأَمَاطَ عَنْ مَشَارِبِهَا أَكْدَارَ الدُّنْيَا الْمَطْبُوعَةِ عَلَى  
الْكَدَرِ، وَغَمَّرَ مَسَارِبَهَا بِالْأَمْنِ مِنْ طَوَارِقِ الْغَيْرِ؛ خِيفَ عَلَيْهَا الْإِنْتِقَاضُ وَالزُّوَالُ،  
وَتَوَقَّعَ لَهَا الْإِتْمَاءُ وَالْإِتْقَالُ . وَمِنْ ذَلِكَ الْخَبَرُ الْمَرْوِيُّ : أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى  
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أَبْتَدَعَ  
٢٠ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ بَكَى . فَقَالُوا :

(١) زيادة يقتضيا سياق الكلام . ولعل هذه الكلمة أو ما في معناها سقطت من النسخ .



ما يُبْكِيكَ وقد أكل الله لنا ديننا برحمته ، وأنتم لنا سابع نعمته ؟ فقال : يُبْكِينِي أَنَّهُ  
مَاتَ أَمْرٌ إِلَّا بَدَأَ نَقْصُهُ . فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَرِيبٍ . وَإِذَا  
كَانَتْ مَشُوبَةً بِرَائِعٍ يَتَخَلَّلُ صَفْوَاهَا ، وَطَارِقٌ يَجْهَمُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ عَفْوَاهَا <sup>(١)</sup> ، كَانَ  
ذَلِكَ صَارِفًا عَنْهَا عَيْنَ الْكَمَالِ ، مُؤْذِنًا بِطُولِ الْآجَالِ ، حَاكِمًا لَهَا بِتَرَاحِي عُمُرِ الْبَقَاءِ ،  
دَالًّا عَلَى الصُّعُودِ بِهَا إِلَى دَرَجِ الْمُنْكَثِ الطَّوِيلِ وَالْأَرْتِقَاءِ ، وَحَكَمَهُ حُكْمُ الْمَرَضِ الَّذِي  
تَصِحُّ بِهِ الْأَجْسَادُ ، وَتُمَحِّصُ ذُنُوبٌ مِنْ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادِ :

فَلَا يُبْهِجُ الْأَعْدَاءَ سَوْءُ ظَنُونِهِمْ \* فَلَلَّهُ صُنْعٌ فِي الَّذِي سَاءَ ظَاهِرُهُ  
فَكَمْ طَالَبَ شَيْئًا بِهِ الشَّرُّ كَأَمْنٌ \* وَكَمْ كَارِهٍ أَمْرًا بِهِ الْخَيْرُ وَافِرُهُ

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ الَّذِي جَعَلَ مَا جَرَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ مِنَ الْأَلَمِ الْوَاقِعِ ظَاهِرُهُ ، الْوَجِلَ لَوَقْعِهِ  
نَازِلُهُ ، لِعَنَائَتِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ عُثُونَانَا ، وَعَلَى دَوَامِ نِعْمَتِهِ دَائِلًا وَاضِحًا وَبَرْهَانًا . وَإِلَيْهِ  
الرَّغْبَةُ فِي أَنْ يَجْعَلَ الدِّيَارَ وَسَاكِنِيهَا ، وَالنَّاسَ فِي أَقَاصِي الدُّنْيَا وَأَدَانِيهَا ، لِشَرِيفِ  
الْحُوزَةِ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الْعَالَمِ فِدَاءً ، وَعَنْهَا لِلْمَكْرُوهِ وَقَاءٌ . فَكُلُّ حَادِثٍ مَعَ دَوَامِ هَذِهِ  
الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ جَلَّلٌ ، وَكُلُّ غَمٍّ <sup>(٢)</sup> مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ مَادَفَعُ لَطْفُ اللَّهِ عَنْهَا وَشَلَّ .

وَقَالَ أَبُو عُبَادَةَ الْبُحْتَرِيُّ يَهْنَى الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بِسَلَامَتِهِ مِنَ الْغَرَقِ :

بَعْدُوكَ الْحَدَثُ الْجَلِيلُ الْوَاقِعُ \* وَلَمَنْ يُكَايِدُكَ الْحِمَامُ الْفَاجِعُ  
قَلْنَا لَعَلَّ مَا عَثَرْتَ وَلَا تَزُلْ \* نُوبُ اللَّيَالِي وَهِيَ عَنْكَ رَوَاجِعُ  
وَلَرْبَمَا عَثَرَ الْجَوَادُ وَشَاوَهُ \* مَتَقَدَّمُ وَنَبَا الْحُسَامُ الْقَاطِعُ  
لَنْ تَظْفَرَ الْأَعْدَاءُ مِنْكَ بِزَلَّةٍ <sup>(٣)</sup> \* وَاللَّهُ دُونَكَ حَاجِزٌ وَمُدَافِعُ  
إِحْدَى الْحَوَادِثِ شَارِفَتُكَ فَرَدَّهَا \* صُنْعُ الْإِلَهِ وَلَطْفُهُ الْمَتَابِعُ

(١) العفو : الفضل والمعروف وخيار الشيء . وأجوده .

(٢) الغمر : الماء الكثير . وفي الأصل : « وكل غم » وهو تحريف ، لأنه يريد المقابلة بينه وبين

« وشل » بعده . (٣) كذا في ديوان البحتري . وفي الأصل : « إن تظفر » .

حتى برزت لنا وجأشك ساكن \* من نجدة وضياء وجهك ساطع  
ما حال لون عند ذاك ولا هفا \* عزم ولا راع الجوانح رائع

وقال المتنبي يهني بعافية :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم \* وزال عنك إلى أعدائك الألم

وما أخصك في برء<sup>(١)</sup> تهنية \* إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

٥٨

ومما هنيئ به من اتصل بزوجة ذات جمال وحسب، وأصالة وأدب .

وقلما تقع التهنية بذلك إلا بين صديقين صح بينهما الائتام، وسقطت بينهما مئونة  
الاحتشام، وتساويا في الرتبة، واتحدا في الصحبة .

فمن ذلك ما كتب به الوزير أبو الحسن العامري إلى بعض إخوانه وقد آبتني بأهل :

بأيمن طائر وأتم سعيد \* يكون من الكريمين آجتماع

أما إنه المجد اليفاع، والحسن المطاع، تعارفت الطباع، فالتأمت الأنفس  
الشماع، كما ألتقى الثريان، وأقترن النيران، كما حاصر الرئم الضيغم، وهاصر النسيم  
الغصن المنعم، كما راق فوق المعطف الصارم العضب، كما ألتقت الصهباء والبارد  
العذب، بل كما فازت القداح، ونظم الوشاح، واعتنق شن طبقه، وأعتلق الروض  
عبقه . فخبذا النسب شابكك الصهر، والحسب عاقده التقي والبر، على حين جرت

الأيامن، وأكتنف الحرم الأمن . وبالبنين والرفاء، والنعيم والصفاء، والثروة والنماء  
والزمن الرغد والعزة القعساء السماء، على الوفاق، والوئام والاتساق، والحظوظ  
والحدود، والفسطاط الممدود، وهضر العيش الأملود، والائتتام وتتابع البشرى  
بالفارس المولود . ومالي تأودت أعطافا، وتأثقت أوصافا ! وتهللت جدلا، وبسطت

في الدعاء مذلا ! أهناي الأرب، أم صفا إلى المشرب ! وقد غبت عن اليوم المشهود،

(١) كذا في ديوان المتنبي . وفي الأصل : « وما أخصك في قول » . (٢) كذا في الأصل .

وَعَطَّلتْ سُدَّةَ الإِذْنِ للوفود، ولم أَقْمُ في السَّماط، سافراً عن وجه الاغتباط، أَتَلَقَّى  
 الوالِجَ بمبرور التَّحِيَّةِ، وأُفْتَدَى الخارجَ بِحُكْمِ السُّرُورِ والأُريحيةِ، وأَتَخَذَمَ رَفَعَ الوَحى  
 والإيماء، وأَتَقَدَّمُ من المصافاة والمِوالاة في الغفير الجَمَّاءِ، كَلا ! ولا شَهِدْتَ ليلَةَ  
 الرِّفَافِ، وما حَلَّتْ من محاسنها الأُفوافِ، حيث دارت المني سُلَافاً، وصارت  
 العُلا دَوْحَةً أَلْفافاً، وأَبْدَى رَوْنَقَ السَّيْفِ جَلَاءً، وأَبْرَزَ عَقِيلَةَ الحَيِّ هِدَاءً، هَناكَ  
 حَلَّتْ النِّعْماءُ، ونَهَلْتَ الأُظْماءُ، فيالهِ مَنْظَرًا، ووَعَدًا مَنظَرًا، لو نَاجِيَتِهِ من كَثَبِ،  
 وَبَكَرَعْتَ مِنْهُ في المَنهَلِ الأَعْدَبِ ! بلى ! إِنَّهُ وَقَعَ، فَشَفَى وَنَفَعَ، وَالتَّرَكِبُ سَنَحٌ، فَنَعَمُ  
 مامْنَحُ، أَهْدَاها حَمَلًا، فَكأنما أَسَدَاها أَمَلًا، أَتَلَجَ الفُؤادُ، وَأَوْرَى الزَّنادُ، وَفَى بِالنَّفْسِ  
 أَوْ كادَ، وَوَلَّتْ عَنِ قِرَاهِ، نَفْسٌ جَذِلَتْ بِسِراهِ، وَأَرْجَتْ لَذْكَراهِ . وَلِلَّهِ ما أَحْظَاهُ  
 مَقْدَمًا وَأَعْلَاهُ في الإِحْسانِ قَدَمًا، لو وَهَبْتَ لِمُقْتَضاهِ من الكِرامَةِ دَمًا . وَقَدْ كانَ  
 في الحَقِّ أَنْ أَهاجِرَ، وَأَعْصَى النَهاىَ وَالزَّاجِرَ، فَابْسُطْ لى عُذْرًا، وَأَعِدَّنِي لَكَ ذُخْرًا،  
 وَطِبُّ مَدَى الدَهرِ خَبَرًا وَخُبْرًا .

ومما هنيء به مَنْ رَزَقَهُ اللهُ وَلِداً وَزادَهُ بِهِ قُوَّةً وَعَدداً . فَمِنْ  
 ذَلِكَ ما كَتَبَ بِهِ الأُسْتاذُ ابْنَ العَمِيدِ في فَصْلِ يَهْنِئُ عَضِدَ الدَوْلَةِ بِنَ بُوَيَّهِ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ  
 أَبْنانُ تَوْءَمانَ :

وَصَلَّ كُتابُ الأَميرِ بالبُشرى الَّتِي أَتَتْ النِّعْمَةَ بِها أَنْ تَقَعَ مُفْرَدَةً، وَأَمْتَنَتْ  
 العارِفَةُ فيها أَنْ تَسْنَحَ مُوَحِدَةً، حَتَّى تَيْسَّرَ مِنتَحَتانِ في وَطَنٍ، وَأَنْتَظِمَتْ مَوْهَبَتانِ  
 في قَرْنٍ، وَطَلَعَ مِنَ النِّجيبينِ أَبى القاسِمِ وَأَبى كَالِيجارِ — أَدامَ اللهُ عِزَّهُما — طالِعًا  
 مُلْكًا، وَنَجْمًا سَعَدًا، وَشَهابًا عِزًّا، وَكوكَبًا مَجْدًا، فَتَأَهَّلَتْ بِهِما رِباعُ المَحاسِنِ، وَوُطِّئَتْ  
 لَها أُنْكَافُ المِكارِمِ، وَأَسْتَشْرِفَتْ إِلَيْها صُدُورُ الأَيسِرَةِ والمَنابِرِ . وَفَهِمَتْهُ وَشَكَرَتْ

(١) في الأصل : «ان» وهو غير واضح . (٢) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصل ؟

الله تعالى شُكْرَ مَنْ نادى الآمالَ فأجابته مُكْتَبَةً، ودعا الأمانى بخاءته مُصْحَبَةً، وحمدته حمداً مكافئاً جسمٍ ما أتاح وعظيم ما أفاد؛ وآكتنفنى من السرور ما فسح مناهج الغبطة، وسهل موارد البهجة؛ وأشعت ما ورد إشاعة شرحت صدور الأولياء بمسارها، وأزعجت قلوب الأعداء عن مقارها؛ وسألت الله إتمام ما آذن به الأميران<sup>(١)</sup> السيدان من سعادة لا يتهدى إليها الاختيار علواً، ولا ترتقى إليها الأفكار سمواً؛ وسلطان تضيق البحار عن اتساعه، وتتحفض الأفلاك عن ارتفاعه؛ ويبلغهما أفضل ما تقسمه السعود، وتعلو به الحدود، حتى يستغرقا مع السابقين إخوتهما مساعي الفضل، ويشيدا قواعد الفخر، ويرجما صروف الدهر، ويضبطا أطراف الأرض، وهو تعالى قريب مجيب .

ومن كلام الوزير الفقيه أبي القاسم محمد بن الجلد الأندلسي :  
 إن أحق ما أنبسط فيه للتهنئة لسان، وتصرف في ميادين معانيه بيان وبنان؛ أمل رُجى فتأبى زمانا، وأستدعى فلوى عنانا؛ وطاردته الأمانى فأتعبها حيناً، وغازلته الهمم فأشعرها حيناً؛ ثم طلع غير مُرتقب، وورد من صحبة المناجح في عسكرٍ لحب؛ وكان كالمشير إلى ما بعده من مواكب الآمال، والدليل على ما وراءه من كواكب الإقبال؛ أو كالصبح أفترت عن أنوار الشمس مباسمه، والبرق نتابت إثر وميضه غمائم. وفي هذه الجملة ما دل على المولود، المؤذن بترادف الحظوظ وتضاعف السعود. فياله نجم سعادة، طلع في أفق سيادة؛ وغصن سناء، تفرع عن دوحة علاء. لقد تهللت وجوه المحاسن باستهلاله، وأقبلت وفود الميامن لاستقباله؛ ونظمت له قلائد التمام، من جواهر المكارم؛ وخص بالثدى الحوافل، بلبان الفضائل. وما كان منبت الشرف بإفراد

تلك الأرومة الكريمة إلا مُقَشَّعَ الرُّبَا، مُغَبَّرَ الثَّرَى، متهافت أغصان الرضا . فأما  
وقد آهتز في أَيْكَةِ السِّيَادَةِ قَضِيبٌ، ونشأ من نَبْتَةِ النَّجَابَةِ نَجِيبٌ، فَأَخْلَقَ بِذَلِكَ الْمَنْزِبِ  
أَنْ تَعَاوَدَهُ نَضْرَتُهُ، وَتَرَفَّ عَلَيْهِ حَبْرَتُهُ، وَيُرَاجِعُهُ رَوْنَقُهُ وَبِهَائُهُ، وَتَضَاحِكُهُ أَرْضُهُ  
وَسَمَائُهُ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَتَاكَ مِنْ آثْنَاءِ الْأَمَلِ مِنْ جَمَاحِهِ، وَآخْتِيَالِ الْجَذَلِ فِي حَلْبَةِ  
غُرَرِهِ وَأَوْضَاحِهِ . وَهُوَ الْمَسْئُولُ أَنْ يَهْبِكَ مِنْهُ صَنَعًا يَحْسُنُ فِي مِثْلِهِ الْحَسَدُ، وَيُتِمَّنِّي  
لِفَضْلِهِ النَّسْلُ وَالْوَلَدُ، بِعَزَّتِهِ .

وقال أبو هلال العسكري :

قَدْ زَادَ فِي عَدَدِ الْكَرَامِ كَرِيمٌ \* مُحَضُّ صَرِيحٌ فِي الْكَرَامِ صَمِيمٌ  
عَالِي الْمَحَلَّةِ لَا يَزَالُ كَانَهُ \* لِلْفَرْقَدَيْنِ وَلِلسَّمَائِكِ نَدِيمٌ  
فَلَا مَرَهُ التَّمِيمُ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ \* حَالَاتِهِ، وَلِشَأْنِهِ التَّفْخِيمُ  
فَأَبَشِرْ فَقَدْ وَافَاكَ يَوْمَ رُزُقَتَهُ \* حَظٌّ بِتَخْلِيدِ السَّرُورِ زَعِيمٌ  
فَرَعٌ تَكْفَلُ دَهْرُهُ بِتَمَامِهِ \* حَتَّى يَكْرَ الدَّهْرُ وَهُوَ أَرْوَمُ  
إِنَّ الْهَلَالَ يَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا \* وَيَهْدُ سَدَّ اللَّيْلِ وَهُوَ بِهِمِيمٌ  
وَهُوَ الْوَجِيهَ إِذَا تَبَدَّى وَجْهُهُ \* وَغَدَا إِذَا نَزَلَ الْعَظِيمُ عَظِيمٌ  
فَلَا هَلْهُ شَرَفٌ بِهِ مُتَوَطَّدٌ \* وَلَهُمْ بِهِ شَرَفٌ أَشْمُ عَمِيمٌ  
فَأَقْرَرْ بِهِ عَيْنًا فَإِنَّ خِلَالَهُ \* تَصَفُّوْا وَتَسْلَسُ أَوْ يُقَالُ نَسِيمٌ  
وَلِحَدِّهِ التَّصْمِيمُ حَيْثُ تَلَا حَقَّتْ \* أَقْرَانُهُ وَلِشَاوِهِ التَّقْدِيمُ

ومن كلام الصاحب بن عباد تهنئة بنت :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِعَقِيلَةِ النِّسَاءِ، وَأُمِّ الْأَبْنَاءِ، وَجَالِبَةِ الْأَصْهَارِ، وَأَوْلَادِ الْأَطْهَارِ،  
وَالْمُبَشِّرَةِ بِإِخْوَةِ يَتَنَافِسُونَ، وَنُجَبَاءِ يَتَلَا حَقُونَ .

فلو كان النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي \* لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وما التأنيثُ لاسم الشمس عيبٌ \* ولا التذكيرُ نحرٌ للهلالِ  
فأدرِغْ يا سيدي أغتباطا ، واستأنف نشاطا ، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها ،  
والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء  
مؤنثة وقد تزينت بالكواكب ، وحاييت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة وهي قوام  
الأبدان ، وملاك الحيوان ، والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون .  
فهنئنا هنيئا ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما عيرف النسل  
والولد ، وما بقي الأبد ، وكما عمر لبد .

ومن كلام أبي المكارم بن عبد السلام من شعراء الحريرة :  
هذا شعيبُ النبيِّ بأبنته صفوراء أستأجر موسى كليم الله . وهذا سيد المرسلين ،  
أبقى الله بنماطمة أبنته نسله إلى يوم الدين . وهذه أم الكتاب سُميت الفاتحة ، وهي  
لأبواب مُناجاة الرحمن فاتحة . وهذه مُحكمات القرآن ، بها ثبتت شرائع الإيمان .  
وهذه سورة النساء وُسِّيت بهن وهي من الطوال ، ولا سورة من القصار سُميت  
بالرجال . على أن الدنيا بأسرها مؤنثة والملوك من خدامها ، والشمس مؤنثة والضياء  
والبهاء من تمامها ، والنفس تؤنث وبها فضل الناس ، والحياة تؤنث وهي أساس  
الحواس ، والعين تؤنث وبها يتوسل إلى علم الدقائق ، واليد تؤنث وهي المتصدية  
لتحبير الأشياء ، والعضد تؤنث وبها استعانة سائر الأعضاء ، والسماء تؤنث وهي تُرْجى  
الأمطار ، والأرض تؤنث وهي مجمع أطايب الثمار ، والجنة تؤنث وبها وعد الأبرار  
الأخيار ، والعين ( أعنى الذهب ) تؤنث وبها يدفع الهلك ، والقوس تؤنث وبها عز الملك .  
ومما هنيئ به في المواسم والقُدوم — قال ابن الرومي تهنئة بعيد الفطر :

قد مضى الصَّومُ صاحباً محموداً \* وأتى الفِطْرُ صاحباً مودوداً  
ذهب الصَّومُ وهو يحكيك نُسْكَاً \* وأتى الفِطْرُ وهو يحكيك جوداً

وقال آخر :

رأى العيدُ وجهك عيدًا له \* وإن كنت زدت عليه جمالًا  
وكبر حين رآك الهلالُ \* كفعلك حين رأيت الهلالًا  
رأى منك ما منه أبصرته \* هلالًا أضاء ووجهًا تلالًا

وقال ابن الرومي يهنئ بعيد أضحي وهو يوم نوروز :

عيدان : أضحي ونوروز كأنهما \* يومًا فعالك من بؤس وإنعام  
كذلك يومك : يوم سيبه ديم \* على العفاة ، ويوم سيفه دامي

وقال أبو إسحاق الصابي :

يا سيدًا أضحي الزما \* ن بأنسه منه ربيعا  
أيام دهرك لم تزل \* للناس أعيادًا جميعا  
حتى لأوشك بينها \* عيد الحقيقة أن يضيعا

وقال الشريف الرضي تهنئة بقدم :

قدم السرور بقدمية لك بشرت \* غرر العلا وعوالي التيجان  
قلقت ظبا الأسياف منك بفرحة \* فتكاد تنهضها من الأجفان  
قد كان هذا الدهر يلحظ جانبي \* عن طرف ليث ساغب ظمان  
فلا آن حين قدمت عدن صروفه \* يرمقني بنواظر الغزلان

ومما قيل من شواذ التهاني وهي الجمع بين التهنئة والتعزية ، والبشارة والتسلية — فمن ذلك ما قاله عبد الملك بن صالح الرشيد ، وكان من يحسده قد قال للرشيد عنه : إنه يُعد كلامه . فأنكر الرشيد ذلك وقال : بل هو طبع . وجلس في بعض الأيام ودخل عبد الملك ، فقال الرشيد للفضل : قل له : ولد لأمر المؤمنين

في هذه الليلة آبنُ ومات له آبن . فقال الفضل له ذلك . فدنا عبد الملك وقال :  
يا أمير المؤمنين ، سرك الله فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك ، وجعلها واحدةً بواحدة ،  
ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيد : أهذا الذي زعموا أنه يتصنع الكلام !  
ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة .

- ومن ذلك ما حكاه ثُمّامة بن أشرس قال : لما دخل المأمون بغداد بعد قتل  
الأمين دخلت عليه زُبَيْدَة بنت جعفر أم الأمين ، جلست بين يديه وقالت : الحمد  
لله ! إن أهنئك بالخلافة فقد هنتُ بها نفسي قبل أن أراك ، وإن كنتُ فقدتُ آبنًا  
خليفةً لقد اعتضتُ آبنًا خليفة . وما خسر من اعتاض مثلك ، ولا تكلتُ أمٌ ملأت  
عينها منك . وأنا أسأل الله أجرًا على ما أخذ ، وإمتاءًا بما وهب . فقال المأمون :  
ما تلي النساء مثل هذه ، ما تراها أبقت في الكلام لباغاء الرجال !

وقال عبد الله بن الحسن الجعفرى السمرقندى يهنئ العزيز بخلافة مصر ويرثى  
أباه المعز :

- قد أصبح الجوهر العلوى منتقلا \* في خير من كان من خير الورى بدلا  
يا منحةً كمت في محنة عظمت \* لولاك في الدهر ما نال أمرؤ أملا  
صنع من الله في خطب أتيج لنا \* عم البلاد وعم الدهل والحبلا  
كان الزمان بمن أبى ومن أخذت \* صروفه مدنيا طورا ومتصلا  
قام العزيز بما أفضى المعز به \* إليه مضطلعا بالعبء محتملا  
فقام أحفظ مستترعى رعى فكفى \* من بعد خير إمام قوم الميلا  
كالسيف منصلتا والبحر مندققا \* والبدر مؤتلقا والغيث محتفلا  
ومنها :

في طلعة البدر من شمس الضحى عوض \* وظلمة الليل يجلو جئحها آبن جلا



وما الأئمة إلا أنجم زهر \* يبدو لنا كوكب إن كوكب أفلا  
 إن المعز الذي لا خلق يشبهه \* إلا العزيز ابنه إن قال أو فعلا  
 ملك وجدنا الثقي والعدل عدته \* إذا الملوك استعدوا الكيد والحيلا  
 سمت إلى العالم النورى همته \* ففارق القتم الأرضى وانتقلا  
 وراجعت نفسه فى القدس عنصرها \* ولم يزل بحبال الله متصلا  
 لم يرض خلقا من الدنيا يجاوره \* إلا الملائك فى الفردوس والرسلا  
 لولا نزار وعين الله تحرسه \* كنا بنقد معد أمة هملا  
 فإن مضى كافل الدنيا وما ضمنت \* فذا أبنه كافل عنه بما كفلا  
 وإن هوى الجبل الراسى فذا جبل \* رأس لنا بعده ، أعظم به جبلا !  
 عمت خلافته الدنيا برونقها \* كأنه الشمس فيها حلت الحملا  
 ملك أغر وأيام محجلة \* ودولة كل وقت تفهر الدولا  
 أضحت ملوك بنى الدنيا له خولا \* وما حوت كل دار منهم نفلا  
 يأيها الملك المأمول نائله \* ومن هو الغاية القصى لنا أملا  
 كان السرير سرير الملك منخفضا \* حتى ارتقيت ذراه فأرتقى وعلا

٦٢

٥

١٠

١٥

ومن ذلك ما كتب به عامل الى المصروف به :  
 قد قلدت العمل بناحيك ، فهناك الله بتجدد<sup>(٢)</sup> ولايتك ، فأنفذت خليفتى  
 لخلافتك ، فلا تحله من هدايتك ، إلى أن يمتن الله بزيارتك .  
 فأجابه : ما أنتقلت عنى نعمة صارت إليك ، ولا خلوت من كرامة أشملت  
 عليك . وإنى لأجد صرفى بك ولاية ثانية وصلة وافية ، لما أرجو لمكانك من  
 حسن الخاتمة ومحمود العاقبة . والسلام .

٢٠

(١) فى الأصل : "كامل الدنيا" . (٢) فى الأصل : «تجدد» من غير حرف الجر .

(٦٣)

وكتب إبراهيم بن عيسى الكاتب يهنئ إبراهيم بن المدبر بالعزل عن عمل :

لِيَهْنِئُ أَبَا إِسْحَاقَ أَسْبَابُ نِعْمَةٍ \* مُجَدَّدَةٍ بِالْعَزْلِ ، وَالْعَزْلُ أَنْبَلُ  
شَهِدْتُ لَقَدْ مَنَّوْا عَلَيْكَ وَأَحْسَنُوا \* لَأَنَّكَ بَعْدَ الْعَزْلِ أَعْلَى وَأَفْضَلُ

آخر :

٥. إِنَّ الْأَمِيرَ هُوَ الَّذِي \* يُضْحِي أَمِيرًا عِنْدَ عَزْلِهِ  
إِنْ زَالَ سُلْطَانُ الْوَلَا \* يَةٍ فَهُوَ فِي سُلْطَانٍ فَضْلُهُ

وكتب أبو إسحاق الصّابي الى رجل زوج أُمّه :

١٠. قد جعلك الله — وله الحمد — من أهل التحصيل ، والرأى الأصيل ، وصحة  
الدين ، وخلق ذى اليقين . فكما أنك لا تتبّع الشهوة في محظور تحلّه ، فكذلك  
لا تطيع الأنفة في مباح تحظره . وتأدى إلى من اتصال الوالدة — يسر الله لها  
في مُدَّتِكَ ، وأحسن بالبقية منها إمتاعك — بأبى فلان ، أعزّه الله ، ما علمت فيه  
أنك بين طاعة للديانة توخيتها ، ومشقة تجشمتها ، وأنك جدعت أنف الغيرة بها ،  
وأضرعت خد الحمية فيها ، وأسخطت نفسك بإرضائها ، وعصيت هواك لرأيها .  
فنحن نهنئك بعزيمة صبرك ، ونعزيك عن فائت مُرادك ، ونسأل الله الحيرة لك  
فيه ، وأن يجعلها أبداً معك فيما شئت وأبيت ، وتجنبت وأتيت .

وقال كاتب مُتَقَدِّم في مثل ذلك :

الرضا بما يُبيحه حكم الله أولى من الامتناع فيما تحظره أنفة الحمية . ولا يُبَحِّح  
فيما أحل الله ، كما لا جمال فيما حرم الله . فعترفك الله الحيرة فيما اختارته من طهارة  
العفاف ونبل الحصانة ، وعطفك من يرّها على ما تؤدّي به حقّها ، وما لزمك من  
المعروف في مصاحبته .

وكتب الصّاحب بن عبّاد تهنئةً بزواج أمّ وعزّية بموت أب ، فقال :  
 الأيام — أطال الله بقاءك — تجرى على أنحاء مختلفة ، وشعب متفرقة ،  
 وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسرّ ، وينفع ويضرّ . وبلغنى من نفوذ قضاء  
 الله فى شيخك — رحمه الله — ما أزعجنى ، وأبهم طُرُق السّلوّة دونى ، وإن كان  
 من خلّفك غير خارج عن مَرِيّة الأحياء ، ولا حاصلٍ فى زُمرة الأموات . والله يأسو  
 كلمك ، ويسدّ ثلمك . وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أبيك أباً لا يقصّر  
 عنه شفقةً عليك وحنواً ، وإيثاراً لك وبراً . وقد لعمرى وفقت حين وصلت بحبلك  
 حبله ، وأسكنت الكبيرة — حرسها الله تعالى — ظله ، لئلا تفقد من الماضى  
 — عفا الله عنه — إلّا شخصه . فالحمد لله الذى أرشدك لما يُعيد الشّمل مجتمعاً  
 بعد فراقه ، والعَدَد موفوراً بعد انتقاصه ، حمداً يقضى لك بالمسرة ، ويحسم دونك  
 مراد الوحشة ، ويلقّيك ثواب ما قضيتَه من الحق ، وتحملته فيه من الأوق<sup>(١)</sup> ، إنه  
 فعّال لما يريد .

فهذه نبذة كافية فى التّهنى الخاصة ، فلنذكر العامة .

### ذكر نبذة من التّهنى العامة والبشائر التامة

ولنبداً من ذلك بما قيل فى الإشارة بوفاء النيل ، لما فيه من عموم المنافع  
 الشاملة ، وشمول النعم الكاملة ، والخصب الذى يتساوى فى الانتفاع به الغنى  
 والفقير ، والمأمور والأمير .  
 فمن ذلك ما كتب به المولى الفاضل ، الصدر الكبير الكامل ، ذو المناقب والمآثر ،  
 والفضائل والمفاخر ، شهاب الدين محمود الحلبي :

- وسرّه بنبا النيل الذى عمّ نيلا ، وجرّ على وجه الأرض ملاءة ملاءته ، فشمر  
المحل للرحلة ذيّلا ، وجرّد على الجذب سيف خصبه فسال محمّردمه على وجه  
الصعيد سيلا ، وجرى وسرى فى ضياء إشراقه وظلمة تراكمه إلى الأرض التى  
بارك به حولها ، فجّل من أجراه نهارا وسبحان من أسرى به ليلا . صَدَرَتْ  
هذه المكاتبة إليه — أعزّه الله تعالى — ونعم الله قد عمّت ، وآلاؤه مع تحقّق  
المزید قد تمّت ، وموآد فضله قد أمت الأقطار فقامت صلاة الصلّات إذ أمت ؛  
وكلمة الحصب قد نمت فى الآفاق ، فوشّت بمكنون حديثها للأرض ونمت ؛  
والحصب قد أقبل على الجذب فلم يكن له بمقاومته قبل ، وطوفان الرحمة قد طبق  
الوهاد ، فلم يغن المحل أن قال : ساوى منه إلى جبل . والسيّل قد بلغ فى تتبّع بقايا  
القحط الرّبي ، والنيل قد عمّ بنيّله الأرض حتى كأل مفارق الآكام وعمم رؤوس  
الرّبا ، وحمى الأرض من تطرّق الحول إليها فأصبحت منه فى حرم ، وظهرت به  
عجائب القدرة ، ومنها أن ابن الستة عشر بلغ إلى الهرم ، وبث جوده فى الوجود فلو  
صوّر نفسه لم يزيدها على مافيه من كرم ، وتلقّت منه النفوس أبهج محبوب طرد ممقوتا ،  
ووثقت من حمرته بالغنى والمنى إذ لم تذر أياقوتا تُشاهد منه أم قوتا . وجرى فى الوفاء  
على أكل ما ألف من عادته ، وظهر بإشراقه وعموم نفعه ظهور الشمس فالتقى على  
الأرض أشعة سعادته ، وأقبلت به على الخلق بوادئ الإقبال ، وركب الناس منه  
فى سفن النجاح والنجاة فهى تجرى بهم فى موج كالجبال . وبلغ الله به المنافع فزعزع  
الشتم ولم يتجاسر على الجسور ، وأمن الناس به طروق المحل المطرود به عنهم فضرب  
بينهم بسور ، وأقطع الحصب الأرض كلها فله فى كل بقعة مثال مرئى ومنشور  
منشور ، وبعث إلى كل عمل من سرايا جوده عارضا مغضبا على المحل ما يخطر إلا  
وسيفه مشهور ، وأودع بطن الثرى موآد ثرائه ، وأستقبل الورى بوجه ما تأمله أمرؤ

صادى الجوانح إلا آرتوى من مائه، وأظهر الله به مثال ما سلف من كرامة أصفياه،  
 إذ جعل تحت كل نخلة من سراه سرياً، وجلاً به عن الأئمة ظلم الغمة إذ أطلع منه  
 في أول مطالعه المرتبة محيياً بدرياً . وذلك أنه لما كان في اليوم الفلاني وفي النيل  
 المبارك ستة عشر ذراعاً، ومد بحسن صنع الله إلى مصالح البلاد يداً صناعاً، وركبنا  
 إلى المقياس الذي تعلم به مواقع الرحمة في كل يوم، وتهدى منه واردات السرور إلى  
 كل قوم، ووقفنا به لابسين من رحمة الله تعالى أحسن لباس، آنسين من أنوار رحمة  
 الله التي أزال اليأس وأذهبت اليباس، ناظرين إلى أثر رحمة الله التي أحيت الأرض  
 بعد موتها، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . وجرى الأمر في التخليق على أجمل  
 عادات البدور، وعلقت ستارة المقياس لا للإخفاء على عادة الأستار، بل للإشاعة  
 والظهور، وأستقر حكم المسرة على السنن المعهود، وعاد للناس عيد سرورهم إذ ذاك  
 يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . وركب مولانا السلطان إلى سد الخليج  
 والماء قد أستطال عليه، وسرت سرايا أمواجه إليه، وصدمه بقوة فاندفع منكسراً  
 بين يديه، فأنجبرت القلوب بكسره، واستوفت الأنفس السرور بأسره، وأيقن كل  
 ذى عسر بحصول يسره، وساق الله به الماء إلى الأرض الجرز فأحيها وحياها،  
 ورق لوجهها المغبر فستر بردائه المحمر صفحة محياها . كل ذلك وهو — بحمد الله  
 تعالى — أخذ في الأزدیاد، جارٍ على وفق المراد إلى حده المعتاد، سالك ببلأغه  
 سبيل أهل البلاغة إذ يهيمون في كل واد . وها هو الآن يرتفع إلى كل ربوة على  
 جناح النجاح، ويخيف السبل وما عليه حرج ويقطع الطرق وليس عليه جناح .  
 فليأخذ مولانا حظه من هذه البشري التي عم بشرها، ووجب على كل مؤمن شكرها،  
 ويتحقق أن هذه بواذر خير تسرى إليه على ركائب السحاب، وطلائع خصب هي  
 لديه أقرب غائب وأسرع آتب . والله تعالى يعز أنصاره، ويوالى مآزده، بحمد وآله .

## وكتب أيضا في مثل ذلك :

- ضاعف الله نعمة المجلس العالى ، وبشّره بما أجرى الأُمة عليه من عوائد كرمه ، وسره بما يسره من خصوص برّه وعموم نعمه ، وهناه بما سنّاه من هرب جيش المحل بعد قِدم وثبات قِدمه ، وأورد على سمعه من أنباء نُصرة الحُصْب ما يتحقّق به أن لم يبق في الأرض علمٌ إلا تحت علمه ، وأنه ذبح الجُدب بسيف مدّده الذى أنبا بجمرة عنده عن دمه ، وبث سراياه في الأقطار ، على مُتُون القِطار ، مُرهفاً على بقايا المحل سيوف برّوقه ونبال ديمه ، وضرب قِباب موجه على المسالك ، فلو هبّت بينها عاصفة جَدْبٍ تعثرت بأطناب خيمه ، ولعب على ما شَمَخ من الرُّبا ، فعجب له من كاملٍ يلعب وقد بلغ إلى هَرَمِه ! صدرت هذه المكاتبَةُ تقص عليه من نعم الله أحسن القصص ، وتُهدى إليه من مَوادِّ فضله ما يُحَصُّ الشام وأهله منه بأوفى الأقسام وأوفر الحصص ، وتُحثّه على شكر الله تعالى الذى به يتهمز من مزيد برّه أعظم الحظوظ وأفضل الفرص ، وتُعلم أن الله نصر جيش الرخاء بمَدَد لُطفه على اليأس الذى تولى الشيطان أمره فلما تراءت الفِئتان نكص ، وأنعم على خلقه بما أرخصته عزائم كرمه بهم ، فوجب أن تُقابل نعمه بعزائم الشكر دون الرُخص ؛ وذلك أن الله تعالى أجاب دعوة المضطر ، وأفاض برّه العميم على الغنى والفقر والقانع والمعتز ، وأحيا الأرض بعد موتها ، وتدارك برحمته دنيا الدُّهْماء بعد أن أشرفت على فواتها ، وأجرى الخلق على عوائد كرمه ، وأجرى لهم بقدرته من حُجْب الغيب مَوادِّ نعمه ، وأعلى لديهم موارد نيلهم حتى كاد ما يشرب بفروق ساقه يتناول الماء بقمه ، وأمر البحر فأقبل بالفرج القريب من الأمد البعيد ، وأذن له فى الترفع من محله فسجد على التُّرب شكراً وتيمّ الصعيد وإن لم يبق به الآن على وجه

الأرض صعيداً؛ وأسرى منه ركائب السرور إلى الأقطار ففى كل نادٍ من هديره  
 حاد وفى كل برٍّ من بروره برّيد، وذَكَرَ بإحياء الأرض بعد موتها إحياء أمواتها، ((إن  
 فى ذلكَ لَذِكْرٍ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ))، ونشر ألويته على الثرى  
 لأهل الأرض بُشراً بين يدي رحمة، ((وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ  
 رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ))؛ وأقبل بعد نقص عامه الماضى بوجه عليه حمرة النجل،  
 وعزيم سبق سيفه إلى المحل العذل بل الأجل، وحزيم أدرك الجذب بوجه قبل  
 أن يقول: ساوى إلى جبل، واستظهار على كل ما علا من الأرض حتى إن  
 الهرمين باتا منه على وجل؛ ومهد الأرض التى كانت ترقبه فهو لها المنتظر على  
 الحقيقه، ووطئ بطن القرى فتج الحصب بينهما وذبح المحل فى العقيقه؛ وقطع  
 الطرق فآمن بذلك كل حاضر وباد ورائح وغاد، وآتبعه الرى لا الروى حتى  
 أضحى كالشعراء يهيم فى كل واد؛ وعمت بركاته على الأرض "فتركن كل قرارة  
 كالدرهم" من الحصب مرتعا، وأربى على ريه فيما سلف من السنين<sup>(١)</sup>، فأضحى  
 كهوى ابن أبي ربيعة "يقيس ذراعا كلما قسن إصبعا"، وتجدد على الآكام نخيل  
 للعيون أنها تسيل، وشيب مفارق الربا بياض زبده، وعادة بياض الشيب أن  
 يُخَضَّب بورق النيل. وكأن ما بقى من المحل قد جعل بينه وبينه سدا، وتستر منه  
 وراه وهو يملئ ويعذله عدا؛ فصدمه بقلبه وجعله دكا إذ جاء أمر ربه وأدركه  
 وملكه، وسفك دمه بخرى مستطيلا إذ سفكه؛ ووفى بما وعد من ظفّره، وأتى  
 لنصرة الحصب من مكان بعيد فأسفر عن النجح وجهه سفّره، وأسبل على مقياسه  
 ستر السرور لإخفاره ذمة الجذب لا لحفره، وبشر مصره بنصرة سرايا السحاب

(١) فى الأصل: «وأربى على ريه ما سلف من السنين» وظاهر أنه غير مستقيم. ويجوز أن يكون  
 الأصل: «وأربى ريه على ما سلف» فحدث فيه تقديم وتأخير من النسخ.

في أقطار الممالك لأنها من أشيائه ونفّره . ولما كان اليوم الفلاني علّق الستر وخُلّق  
المقياس ، وكُسِر الخليج فكان في كُسره جبرٌ للخلقة ومنافعٌ للناس ؛ وذلك بعد أن  
وفي النيل المبارك ستة عشر ذراعاً ، وصرف في مصالح البلاد يداً تَضُنّ بالبذل خرقاً  
وتكفى بحُسْن التدبير ضياعاً ، [وبثّ في أرجاء الأعمال بحارا تحسب بتلاطم الأمواج  
ركاما وبمضاعفة الفجاج سراعاً] . وهو بحمد الله آخذٌ في ازدياده إلى حدّه ، جارٍ على  
آتياده في المشى على وجه الثرى وخذه ؛ يتتبع أدواء المحلّ تتبّع طيبٍ خبير ، ويعكس  
بيت أبي الطيّب فتمسّى وبُسطها تراب ، ويصّبّحها وبُسطها حرير . وقد وثقت  
الأنفس بفضل الله العميم ، وأصبح الناس بعد قطوب اليأس تعرف في وجوههم  
نصرة النعم ؛ تيمّناً ببركة أيا منّا التي أعادت إليهم الهجوع ، وأعادت لهم مما أبطل به غيرهم  
من الخوف والجوع . فليأخذ المجلس العالى حظّه من هذه البشرى التي خصّت  
وعمت ، ووثقت النفوس بمزيد النعمة إذ قيل : تمت ؛ ويذيعها في الأقطار ، ويعرفهم  
قدر ما منح الله جيوش الإسلام من فضله الذي يُعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكُفّار ؛  
ويستقبل نعم الله التي سيّسم الأرض وسميّها ويؤلى النعم وليّها ويأتى بالبركات أتيّها  
حتى تغصّ بالنعم تلك الرّحاب ، ويظنّ لعموم رى البلاد الشامية أنّ نيل مصر وصل  
إليها على السّحاب ؛ ويقم منار العدل الذي هو خير بالأرض من أن تُمطر ، ويعفى  
آثار الظلم حتى لا تكاد تظهر .

ومما قيل في التهاني بالفتوحات ، وهزيمة جيوش الأعداء .

فمن ذلك ما كتب به المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي في حرب

الأزارقة :



أما بعد، فالحمد لله الذي لا تنقطع مَوَادُّ نعمته من خلقه حتى تنقطع مَوَادُّ الشكر. وإنا وعدونا كما على حالتين : يَسُرُّنا منهم أكثر مما يسوءنا، ويسوءهم منا أكثر مما يسرُّهم، فلم يزل الله عز وجل يزيدنا وينقصهم، ويعزُّنا ويذلُّهم، ويؤيِّدنا ويخذلهم، ويخصُّنا ويحتمهم، حتى بلغ الكتابُ أجله، فقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

وكتب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة حين وُلِّيَ العراق من قبل عبد الله ابن الزبير إليه يُخبره بهزيمة الخوارج : أما بعد، فإنا مذخرنا نؤم هذا العدو في نعم من الله متصلة علينا، ونقمة من الله متتابعة عليهم، نُقدِّم ويُحْجَمون، ونُجِدُّ ويرحلون، إلى أن حملنا بسوق الأهواز . والحمد لله رب العالمين .

ثم كتب إليه بعد هذا الكتاب<sup>(١)</sup> : أما بعد، فإنا لقينا الأزارقة بجدة وحده، وكانت في الناس جولةً ثم ثاب أهل الحِفاظ والصبر بنياتٍ صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد، فأعقب الله خير عاقبة، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل، فصاروا دَرِيَّةَ رماحنا وضريبة سيوفنا، وقتل الله أميرهم ابن الماحوز، وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها . والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين إلى المأمون لما فتح بغداد وقتل محمدا الأمين : أما بعد، فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، لقد فرق الله بينهما في الولاية والحُرمة، لمفارقة عصمة الدين، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين . قال الله عز وجل : ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ . ولا صلة لأحد في معصية الله، ولا قطيعة في ذات الله . وكتبتُ إلى أمير المؤمنين وقد قُتِلَ المخلوع

(١) في الكامل للبرد (ص ٦٤٠ طبع أوربا) : أن هذا الكتاب من المهلب إلى الحارث .

وردّاه الله رداءَ نَكْبَةٍ، وأحمدَ لأُمير المؤمنين أمره، وأنجز له ما كان ينتظر من صادق وعده . والحمد لله المتولّى لأُمير المؤمنين بنعمته، والراجع إليه بمعلوم حقّه، والكائد له ممن خترَ عهده ونكثَ عقده، حتى ردّ له الألفة بعد تفريقها، وأحيا الأعلام بعد دروس أثرها، ومكّن له في الأرض بعد شتات أهلها .

وَلَمَّا فَتَحَ الْمُعْتَصِمُ عَمُورِيَّةَ أَكْثَرَ الشَّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الْفَتْحِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ الطَّائِي مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِي أَوَّلِهَا :

السِّيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ \* فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّيْبِ  
بَيَاضُ الصَّفَائِحِ لَا سَوْدَ الصِّحَافِ فِي \* مَتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ  
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةً \* بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ

جاء منها :

فَتَحُ الْفَتْوحُ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ \* نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ  
فَتَحٌ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ \* وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ

ومنها :

وَبَرَزَ الْوَجْهَ قَدْ أُعِيَتْ رِيَاضُهَا \* كَسَرَى وَصَدَّتْ صَدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ  
يَكْرُ فَمَا أَفْتَرَعَتْهَا كُفٌّ حَادِثَةٍ \* وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوبِ

١٥

مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرَ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ فَقَدْ \* شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبْ  
حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السَّيْنِ لَهَا \* مَخَضَ الْحَلِيَّةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحِقَبِ  
أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةً \* مِنْهَا وَكَانَ أَسْمُهَا فَرَاجَةُ الْكُرْبِ  
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ نَحَبَتْ \* كَانَ الْخِرَابُ لَهَا أُعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

أشار في هذا البيت إلى فتح أنقرة . ومنها :

لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبْطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ \* كَأْسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ

(٦٧)

قيل : كانت الروم لما فتحت زبطرة صاحت امرأة من المسلمين : وامجداه !

وامعتصماه ! فلما بلغه الخبر ركب لوقته يؤم الشام ، وصاح : لَبَّيْكَ ! لَبَّيْكَ ! ولم يرجع

إلى أن فتح أنقرة وعمورية . ومنها :

خليفة الله جازى الله سَعْيَكَ عَنْ \* جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ

إن كان بين صُروف الدهر من رَحِمٍ \* موصولة أو ذِمَامٍ غير مُنْقَضِبِ

فبين أَيَامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا \* وبين أَيَامِ بَذْرِ أَقْرَبِ النَّسَبِ

وكتب أبو عبيد [عبد] الله البكري إلى المعتمد على الله المؤيد بنصر الله يهنته

بالفتح الذي كان في سنة سبع وسبعين وأربعمائة :

أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر، الجميل الذكر، ذي الأيادي الغر،

والنعم الزُّهر، وهناه ما مُنِحَهُ من فتح ونصر، وأعتلاء وقهر . بطالع السعد يا مولاي

أُبْتُ، وبسائح اليمن عُدْتُ، وبكَنَفِ الحُرْزِ عُدْتُ، وفي سبيل الظَّفَرِ سِرْتُ، وبقدم

البرِّ سَعَيْتُ، وبجَنَّةِ العصمة أَتَيْتُ، وبسهم السِّدَادِ رَمَيْتُ فأصميت . صَدَّرُ عَنْ أَكْرَمِ

المقاصد وأشرف المشاهد، وعود بأجل ما ناله عائد وآب به وارد، فتوح أضحكت

مَبْسِمِ الدهر، وسَفَرْتُ عن صفحة البشر، وردت ماضى العمر، وأَكْبَتُ<sup>(١)</sup> وارى

الكُفْرَ، وهزّت أعطاف الأيام طربا، وسقت أقداح السرور نخبا، وثَنَّتْ آمال

الشرك كذبا، وطوت أحشاء الطاغية رهبا، فذكَّرها زادُ الراكب، وراحة اللاغب،

ومُتعة الحاضر، ونُقْلة المسافر .

(١) أ كبت : جعلته لا يورى . وفي الأصل : « أ كفت » . ولعله تحريف من النسخ .

بها تُنْقَضُ الأحلاسُ في كلِّ منزل \* وتُعْقَدُ أطرافُ الحبال وتُطْلَقُ  
شِيتُ النعمة وجبرت الأمة ، وجَلَّتْ النعمة ، وشَفَّتْ المِلة ، وبردت الغلة ،  
وكشفت العلة .

- كان داءُ الإشراك سيفك وأشت \* مدتْ شكاةُ الهدى وكان طيبا  
فغدا الدِّينُ جديدا ، والإسلامُ سعيدا ، والزمانُ حميدا ، وعمود الدين قائما ،  
وكتابُ الله حاكما ، ودعوة الإيمان منصوره ، وعين الملك قريرة . فهنا الله مولانا  
وهنا هذه المنح البهية مطالعها ، الشَّهية مواقعها ، المشهورة آثارها ، الماثورة أخبارها ،  
ونصر الله أعلامه ففي البرِّ ثَمَلٌ وتُعْقَدُ ، وعَضَدُ حُسامه فبالقِسطِ يُسَلِّ وَيُعْمَدُ ، وأيدُ  
مذاهبه فبالتحزُّمِ تُسَدَّى وتُلَحَّمُ ، وأمرٌ كتابه ففي الله تُسْرَجُ وتُلْجَمُ . فكم فادح  
خَطْبُ كفاه ، وظلامِ كَرْبِ جَلَّاه ، وميتِ حقِّ أحياءه ، وحيِّ باطلِ أرداه ! وكم جاحم  
ضلالةٍ أطفأ ناره ، وناجمِ فتنةٍ قَلَمِ أظفاره ، ومفلولِ سُنَّةِ أرهَفِ شِفَارِهِ ، ومستباحِ  
حُرْمَةِ حَمَى ذِمَارِهِ . فلهذه المساعي الكريمة والمنازع القويمة ، المتبلِّجة عن ميمون  
النقيبة ومحمود العزيمة ؛ فقد تمثَّلَ بها العهد الأول والقرن الأفضل الذي أُخْرِجَ  
للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؛ والذي سطع هذا السراج ، وأنتهج هذا  
المنهاج ؛ فلا زالت الفتوح تتوالى عليه ، وصنائع الله تتصل لديه ، إدالةً من مشاقِّه  
وإذالةً لمحاربيه ، وإبادةً لمناوئيه . وإن أجل هذه النعم في الصدور ، وأحقها بالشكر  
الموفور ؛ ما منَّ الله به من سلامة مولاي التي هي جامعةٌ لعزِّ الدين وصلاحِ كافة  
المسلمين ، بعد أن صلي من الحرب نيرانها ، فكان أثبت أركانها وأصبر أقرانها :  
وقفت وما في الموت شكُّ لواقِفٍ \* كأنك في جفن الردى وهونائِمُ  
تمرُّ بك الأبطالُ كلُّهم هزيمةً \* ووجهك وضاحٌ وثغرك باسمُ  
هنيئًا لضرب الهامِ والمجدِ والعلا \* ووجهك والإسلامُ أنك سالمُ

فَللهُ الْحَمْدُ وَالْإِبْدَاعُ وَالْإِلْهَامُ ، وَلَهُ الْمِنَّةُ وَعَلَيْنَا مَتَابَعَةُ الشُّكْرِ وَالِدَوَامُ . وَقَدْ فَازَتْ  
الْكَفَّةُ الْكَلِيمُ ، بِأَعْلَى قَدَاحِ الْمَكْلُومِ لَدَى الْمَقَامِ الْكَرِيمِ ، وَإِنَّا لَهَى التَّالِيَةِ لِلْإِصْبَعِ  
الدَّامِيَةِ فِي الْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ .

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعُلْيَا <sup>(١)</sup> فَلَمْ تَرَهَا \* تُتَالِ إِلَّا عَلَى جَسَرٍ مِنَ التَّعَبِ

①

- وَمِنْ كَلَامِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبَيْسَانِيِّ جَوَابُ كِتَابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ يُخْبِرُ فِيهِ  
بِانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ . ابْتَدَأَهُ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ  
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) . وَصَلَتْ بُشْرَى الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ — أَعْلَاهُ اللَّهُ وَشَيْدُهُ ،  
وَأَسْعَدُهُ وَأَصْعَدُهُ ، وَشَكَرَ مَشْهَدَهُ وَأَنْجَحَ مَقْصِدَهُ ، وَمَلَأَ بِالْحَسَنَاتِ أَمْسَهُ وَيَوْمَهُ  
وَعَدَهُ ، وَأَهْلَكَ وَعَادَى أَعْدَاءَهُ وَحُسَّدَهُ ، وَأَجْتَبَ بِسَيْفِهِ زَرْعَ الْكُفَّارِ وَذَرَاهُ وَحَصَدَهُ —  
بِمَا مَنَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنْ نُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ ، وَمَا وَابَّهِمُ اللَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ  
وَالْإِظْهَارِ ، وَمَا قَذَفَ فِي قُلُوبِ الْكُفْرِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحِذَارِ ، وَشَرَحَ الْقَضِيَّةَ شَرْحًا  
شَرَحَ الصَّدُورَ ، وَأَسْتَوَى فِيهَا الْغِيَابَ مَعَ الْحُضُورِ ، فَكَانَتْ الْإِشَارَةُ مِنْهُ وَكَانَتْ  
الْمُبَاشَرَةُ لَهُ ، وَمَا كَلَّ مِنْ بَشَرٍ بَاشِرٍ ، وَلَا كَلَّ مِنْ غَارٍ غَاوَرٍ ، وَلَا كَلَّ مِنْ خَبَرٍ عَنْ  
السُّيُوفِ لَقِيَهَا بِوَجْهِهِ ، وَلَا كَلَّ مِنْ حَدَثٍ عَنِ الرِّيحِ عَانِقَهَا بِصَدْرِهِ . فَنَفَعَهُ اللَّهُ  
بِالْإِسْلَامِ كَمَا نَفَعَ الْإِسْلَامَ بِهِ ، وَأَتَمَّ النِّعْمَةَ عَلَيْهِ كَمَا أَتَمَّتْهَا فِيهِ ، وَتَقَبَّلَ جِهَادَهُ الَّذِي  
جَلَا فِيهِ الْكُرْبَاتُ ، وَآبَتْنِي فِيهِ الْقُرْبَاتُ . وَيُتَوَقَّعُ إِنْ هَانَ الْعَدُوُّ فِي الْعَيُونِ ، وَظَهَرَ مِنْهُ  
غَيْرُ مَا كَانَ فِي الظُّنُونِ ، أَنْ يَكْسِرَ اللَّهُ بِكُمْ مَصَافِقَهُ ، وَيَفْتَحَ عَلَيْكُمْ بِلَادَهُ ، وَيُطَهِّرَ بِسُيُوفِكُمْ  
الشَّامَ ، وَيَسِّرَ بِنَصْرِكُمْ الْإِسْلَامَ ، وَيَشْرَفَ بِيَوْمِ نَصْرِكُمْ الْأَيَّامَ . وَالْخَيْرُ يُغْتَنَمُ إِذَا عَنَّتْ  
فُرْصُهُ ، وَيُصَادُ إِذَا أَمَكْنَ الصَّائِدَ قَنْصُهُ ، وَالْجِهَادُ فَرَضٌ عَلَى الْمُطِيقِ تَقْتَضِيهِ عِزَّائِهِ  
وَلَا تَقْتَضِيهِ رُخْصَتُهُ . وَقَدْ حَضَرَ الْمَوْلَى وَحَضَرَ كُلُّ خَيْرٍ ، وَحَضَرَ مِنْ رَأْيِهِ مَا يَكْفِي

(١) فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ : « الْكَبْرَى » .

أمر العدو ولو لم يكن إلا رأيه لا غير؛ فكيف وفي يده من العصب، مثل ما في صدره من القلب؛ كلاهما حديد لا تكمل مضارب به، ولا تخونه ضرائبه، ولا تفنى إذا عُدَّت عجائبه . فكم له من يوم أغرَّ محجَّل الأطراف ، وليلةٍ في سبيل الله دهماء الأهوال بيضاء الأوصاف ؛ والنفوس واثقة بأن الظفر على يده يجرى ، والمبشر من جهته يسر ويسرى . وَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

٥

وكتب أيضا في مثل ذلك : ورد كتاب المجلس — نصر الله عزَّمته ، وشكر همَّته ، وأتمَّ عليه نعمته ، وصرف به وعنه صرف كلِّ دهر ومُلمَّته ومؤلمته ، وأعان أوليائه على أن يؤدوا خدمته ، ويستوهبوا له فضل الله ورحمته ، وأجزل قِسْمه من الخير الذي يُحسِّن بين محبيه قِسْمته — سافراً عن مثل الصباح السافر، متحدِّثاً عن روض أفعاله بلسان النسيم السَّحَرى السَّاحر، حاملاً حديث بيضه وُسْمره حديث السامر .

١٠

وهنا بالفتح وهو المهناً به ، وكيف لا يهنأ بالفتح من هو فاتحه ! وكيف لا يشرح خبره من هو فاتح كلِّ صدر وشارحه ! ولقد دعا له لسان كلِّ مسلم وساعدت لسانه جوارحه ؛ وعلم أنه باشر الحرب وتولَّى كبرها ، وأحمد جمرها ، ولقى أقرانها ، وأفترس فُرسانها ، وجبَّ شجعانها ، وشجَّع جبانها ؛ وأنفق الكريمين على النفس : النَّفْسَ والمال ، وحفظ على الإسلام الطَّرفَيْنِ : الفاتحة والمال . وإذا تأمل المجلس الدنيا علم أن الذي يبقى بها أحاديث ، وإذا نظر إلى المال علم أن الذي في الأيدي منه مواريث ؛ فالخازم من وِث ماله ولم يُورثه لغيره ، والسعيد من لم يرض لنفسه من الحديث إلا بنخيره . وما يخفى عن أحد ما فعله ، ولا ما بذله ، ولا ما هان عليه ، ولا ما أهان الله كرائم المال بيديه ؛ ولقد حلت نعمة الله في محلِّها لديه ، وكان كفأها الكريم الذي أصدقها ما في كَفِّه .

٢٠

هذا ثنائى وهاتيكَم مَنَاقِبُكُمْ \* يا أعينَ النَّاسِ ما أبعدت إسهادى

(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا) ، بل هو سبحانه يُوفى عباده مثاقيل الذرّ، وللصابرين عنده الأجر بغير حساب لجلالة قدر الصبر .  
والجلس صبر نفسه على المشقات فليُبشّر بثوابها ، وكثر أعمال البرّ فهو يدخل الجنة بفضل الله من جميع أبوابها . وكما يُهنا المجلس بالافتتاح فهو يُهنا بالجراح ؛ ولا يغسل ثوب العمل إلا الدم المسفوح ، وكل جرح إنما هو باب إلى الجنة مفتوح . والحمد لله على أن أمتع الأمة بنفسه التي بذلها ، وقد باعها له وأبقاها لنا وقبلها . (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) .

٦٩

وكتب المرحوم علاء الدين عليّ بن القاضي محيي الدين بن الزكيّ إلى أخيه بهاء الدين مُبَشِّرًا بفتح صفد ، وكان هذا الفتح في يوم الجمعة ثامن عشر شوال سنة أربع وستين وستمائة ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار دولة الترك في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس :

يقبّل اليد الكريمة ، ويُبثّ ما يعالجه من لوايح الأشواق التي تركته بين الأصحاب مدّها ، وسلبت لُبّه فلا أعلم عليه من دَلّها ؛ وينهى أن المملوك فارق كريم جنبه وتوجه إلى صفد المحروسة فوصل إليها في تاريخ كذا ، ووافاها والحصن قد ترعزعت أركانها ، والكفر قد انهدم بُنيانه ، وشمر عن ساق الهزيمة شيطانها ، وحماة الحرب قد وقفت في مراكرها ، وكما الهيجاء قد استعدت لأخذ فُرص النصر ومنازعتها ؛ والرماح قد أهترت شوقا إلى لقائهم ، والسيوف قد آلت أنها لا توافق على مقامهم ، والمجانيق تزور حماهم وتلك الزيارة لشقائهم ؛ وتُدّمر بجارتها عليهم تدميرا ، وتُريهم من بأسها يوما عبوسا قمطريرا ، وتصير بهم إلى الهلاك وتعدّهم جهنم وساءت مصيرا ؛ والقيسى تُرسل إليهم المنايا في أجنحة السهام ، وقد أحذقت بهم كجاة الترك كأنها ظباء

- بأعلى الرقعتين قيام؛ فمن نازع بقوسه وهو لمهج الكافرين منازع، ومن متدرّع بنحره نحو المنايا يسارع، ومن وارد منهل المنية وآخرفي إثره كارع، ومن متدرّع وحاسر عِلْمًا أن ليس لقضاء الله دافع؛ وما زادهم إلا إيمانًا وتسليماً، وما سلك بهم إلا صراطاً مستقيماً، وما آتت أنفسهم وأموالهم إلا بالجنة وأعد لهم أجراً كريماً. والسلطان — عز نصره — قد شحذ شبوات عزمه، وفوق سديد سهمه ليفوز بجزيل سهمه؛ وهو يرتب عساكره، ويهيئ ميامنه ومياسره، وينفذ أوائله ويقدم أواخره، ويحث صناديده، ويثبت رعايدده؛ ويسير رهمة مساعره، ويذكي نار الحرب في مجامره؛ ويقابل الأبراج بروج يهدمونها، ويكل بالنقوب ثقباء يحفرونها، ويعيد للمؤمنين مغنم كثيرة يأخذونها؛ ويعيد لكل مقام رجالا، ويرتب لكل مقاتل من المسلمين قتالا، ويسط لهم بقتل الكافرين آمالا؛ حتى قامت الحرب على ساق، وضاق بأهل الشقاق الحناق؛ وبلغت الأرواح منهم التراقى، ودارت عليهم كؤوس المنايا فانتشى المسقى والساقى؛ وأحدثت بهم الجياد تذهيل، وسحب القسي تهطل، وكواذب الآمال تعدهم وتمطل؛ وحرصوا لأنفسهم الفرَج فكذبتهم أسنة الخُرْصان، ونظروا إلى الحياة بعين الطمع فكحلتهم بنات الحنية المرنان؛ فلما أشرب العجز<sup>(١)</sup> نفوسهم، وأستوى في الشورى مرءوسهم ورئسهم؛ ومنوا بالمنايا من كل جانب، وسمح كل منهم بالمال والذهب مذ عليم أنه ذاهب؛ وتحققوا أن لا ملجأ من السيف إلا إليه، ولا معول بعد المعول إلا عليه، وتيقنوا أن لا مقام لهم ولا مقر، وقال الكافر يومئذ أين المفتر. والمسلمون مثابرون على العمل الصالح يرفعونه، ومبادرون أجل عدوهم يمزقون منه كل ما يرفعونه؛ وإذا بصيحة كالصيحة التي تأخذهم وهم ينظرونها، أو الصعقة التي ينتظرونها، إذ أمرت السيوف على رقابهم وهم يبصرونها؛

(١) في الأصل : « اشراب » وهو غير واضح .



فَارْتَجَّتْ أَرْجَاءُ الْحِصْنِ بِالْأَصْطِخَابِ ، وَوَقَعَ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ وَالْأَضْطِرَابُ ؛ وَقِيلَ :  
 إِنَّ الْكَافِرَ قَدْ طَلَبَ الْأَمَانَ ، وَإِنَّهُ رَكِبَ ظَهْرَ الْمَدْلَةِ مَذْنَاوِلَهُ الْجَزْعُ الْيَنَانُ ، وَإِنْ  
 الْكَفَرُ قَدْ ذَلَّ لِلْإِيمَانِ ، وَإِنْ شَيْطَانُهُ قَدْ نَكَّصَ عَلَى عَقْبِهِ لَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ؛  
 فَأَمْسَكَتِ الْمَجَانِيقُ عَنْ ضَرْبِهَا ، وَكَفَّتِ الْحَنَائِيَا عَنْ إِرسَالِ شُبهِهَا ، وَأَقْصَرَتِ لِيُوثُ  
 الْحَرْبِ الضَّارِيَةِ عَنْ وَثْبِهَا . فَمَا كَانَ إِلَّا هُنَيْهَةً وَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ مَنْهُمْ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ  
 الرِّسَالُ ، وَأَخْتَرَقَ وَشَيْجَ الْقَنَا وَشَوْكَ النَّصَالِ وَظُبَا الْمَنَاصِلِ ، وَرَأَى كَثْرَةَ هَالَتِهِ  
 فَكَادَتْ تَنْقُذُ تَحْتَ الذَّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ ، وَمَشَى إِلَى السَّلْطَانِ خَاضِعًا وَأَعْيَا عَلَى  
 السَّمَاطِينَ يَقُومُ كَلِمًا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكُلُ .

٥٠

وَقَبَّلَ كَمَا قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ \* وَكُلُّ كَيْمٍ وَاقِفٌ مُتَضَائِلٌ

وَأَدَّى الرِّسَالَةَ وَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ دُرُوعٌ ، وَزَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَفِي قَلْبِهِ مِنْ  
 جَيْشِ الْإِسْلَامِ - كَثَرَهُ اللَّهُ - صَدُوعٌ .

فَاقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ \* وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ عَاذِلٌ

فَأَبَوْا لِنَصِيحَتِهِ قَبُولًا ، وَقَالُوا : قَاتَلَكَ اللَّهُ رَسُولًا ؛ لَقَدْ خَرَجْتَ عَنْ سُنَّةِ  
 إِخْوَانِكَ ، وَأَلْقَيْتَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَاضِلَ عِنَانِكَ ، وَلَمْ تَرْقُبْ رِضَا أَقْسِيَّتِكَ وَرَهْبَانِكَ .  
 وَالرَّعْبُ قَدْ خَرَجَ بِهِ عَنْ قَوْمِهِ وَآلِهِ ، وَهُوَ يُنَاشِدُهُمُ اللَّهُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَيُنَشِّدُهُمْ  
 بِلِسَانِ حَالِهِ :

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى \* فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا صُحَّى الْغَدِ

فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ مِرَّةُ عِصْيَانِهِمْ ، وَأَبَوْا إِلَّا مَغَالَاةً فِي طُغْيَانِهِمْ ؛ وَلَمْ يَسْمَحُوا  
 بِتَسْلِيمِ ذَلِكَ الْحِصْنِ الْحَصِينِ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ عَلَى حِفْظِ أَرْوَاحِنَا لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ؛ أُرْسِلَتْ  
 عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَجَانِيقِ حَجَارَةٌ كَالْمَطَرِ ، إِلَّا أَنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّهِ كَالْقَصْرِ فَتَهْدِمُ قُصُورًا كَالشَّرِّ ؛

٢٠

(١) فِي الْأَصُولِ : «أَفْسَانُكَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فزعزعت منها بُرُوجًا و بُدُنًا ، وقالت : هذا جزاؤكم وإن عُدْتُمْ عدنا ، وَلَنْتُبِعَنَّ بعدها  
 آثاركم ونقلع منكم قِلاعًا ومُدُنًا . فلما أَكْذَبَهُم الحِصْنُ في آمالهم ، وأَراهم الله قُرْبَ  
 آجالهم ؛ وكان ذلك في اليوم الأغر يوم الجمعة والفتح ، سلكوا في التسليم عادةً  
 لم يسلكوها ، ورأوا من الجَزَع خُطَّةً ملكتهم ولم يملكوها ؛ فأجمعوا أمرهم وشركاءهم  
 إلا أنه كان عليهم غُمَّةٌ ، وطلبوا الدِّمام ومن قبلها كانوا لا يرقبون في مؤمنٍ إلَّا ولا ذِمَّةً ؛  
 فَأَلْقَوْا إلى الإسلام يومئذ السَّلم ، ورأوا نور الله الظاهر أشهر من نار على علم ؛ فخرجوا  
 من الحصن زَرَافَاتٍ وأُوزَاعًا ، مُهْطِعِينَ إلى الداعي كيوم يخرجون من الأجداث  
 سِرَاعًا . فلوتراهم نحو المنايا يَرْكُضُونَ ، ﴿ كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ  
 تَرَاهُمْ ذِلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

- ١٠ جرت الرياحُ على مَقَرِّ ديارهم \* فكأنما كانوا على ميعادٍ
- وصدق الله المؤمنين وعده ، وكان بصدق وعده حقيقًا ، ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ  
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ  
 فَرِيقًا ﴾ . فلما كان يوم السبت نادى فيهم السيفُ بالرحيل ، ولم يترقّدوا من متاع  
 الدنيا إلا القليل ؛ وقام النصر على منابر الهامات خطيبًا ، وكثر القتل فصار المهتد  
 الصقيل خَضِيبًا ؛ وأجرى أوديةً من دِمَائِهِمْ ، ولم يغادر بقيةً من ذَمَائِهِمْ ؛ وأستوى  
 العبيد منهم والأرباب ، وصار فرسانهم فرائس الذئب ، وأستمروا المرعى الوخيم  
 فرعاهم الذئب ؛ ووجدوا غِبَّ البغي علينا ، وقلنا : ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ ؛  
 وآب المسلمون بخير عميم ، وفتح عظيم وأجر كريم ؛ وجعل الله الجنة جزاءً للساميين  
 منهم والذاهبين ، ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ  
 الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ . فليأخذ حظه من هذه البشرية فإن لها من  
 ٢٠ النصر العزيز ما بعدها ، ومن المغنم الكثيرة ما يُنجز للأمة المحمدية وعدها ؛ ويثق بأن

له إن شاء الله من ثواب هذه الغزوة أوفر نصيب ، وأن سهم عزمه في نحور الأعداء إن شاء الله مصيب ؛ فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن بالمدينة قوما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم" . والله لا يُخليه من أجرها ، ولا يحرمه وافر برها ؛ ويُتحفه من مقربات التهاني بما تكون له هذه بمنزلة العنوان في الكتاب ، والآحاد في الحساب ؛ وركعة النافلة بالنسبة إلى الخمس ، والفجر الأول قبل طلوع طلعة الشمس ؛ وأن يُديم على الإسلام والمسلمين حياة مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين ، ويؤيده بالملائكة المقربين ، ما دامت السموات والأرضون ، إن شاء الله تعالى .

ومن إنشاء المولى المرحوم محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب كتبه عن السلطان الملك الأشرف خليل إلى الملك المظفر يوسف بن عمر صاحب اليمن قرين كتاب السلطان الملك المنصور المسير إليه بالهناء بفتح طرابلس الشام :

(٦١)

أعز الله نصرته المقام وأوفد عليه كل بشرى أحسن من أختها ، وكل تهينة لا يُجَلِّيها إلا هو لوقتها ، وكل مُبهجة يعجز البيان والبنان عن ثبوتها ونعتها ، وتبليج فتودُّ الدرر والدرارى لو زفت هذه إلى تراقبها وسمت هذه إلى سمتها ؛ وصبحه منها بكل هاتفة أسجع من هواتف الحمام ، وبكل عارفة أسرع من عوارف الزهر عند عزائم النساء ، وبكل عاطفة أعنة الإتحاف بالإيجاف الذي شكرت الصفاح منه أعظم قادر والصحائف أكرم قادم ، والغزو الذي لا تُخصّ تهامة ببشره بل جميع النجود والتهائم ، وذوو الصوارم والصرائم ، وأولو القوى والقوائم ، وكل ثغر عن ابتهاج أهل الإسلام باسم ، وكل برّ بتوصيل ما ترتب عليه من ملاحم ، وكل بحر عذب يمون كل غاز لا يحبس عن جهاد الكفار في عُقر الدار الشكائم ، وكل بحر ملح كم تغيط من مجاورة أخيه لأهل الشرك ومشاركتهم فيه فراح وموجه المتلاطم . المملوك يجتد

- خدمةً يقتفى فيها أثرَ والده ، ويجرى في تبليغها على أجهل عوائده ، ويستفتح فيها  
 آستفتاحاً تحف به من هنا ومن هنا تحف محامده ، ويصف ولاءً قد جعله أجهل  
 عقوده وأكل عقائده ، ويشفعهما بإخلاص قد جعله ميله أحسن وسائله وقلبه  
 أزين وسائله ، ويطلع العلم الكريم أن من سجايا المتعرضين إلى الإعلان بشكر الله  
 في كل ما يعرض للمسلمين من نصر ، ويُعرض لهم من أجر غزوكم قعد عنه ملكٌ فيما  
 مضى من عصر ، أن يقدروا تلك النعمة حق قدرها من التحدث بنعمتها ، والتنبيه  
 لسماع نعمتها ، وإرسال أعنة الأقاليم في ميادين الطروس ، وإدارة حرباء وصف خير  
 حربٍ إلى مواجهة خير الشموس . ولما كانت غزوات مولانا السلطان ملك البسيطة  
 الوالد — خلد الله سلطانه — قد أصبحت ذكري للبشر ، ومواقفه للنصر فكم جاءت  
 هي والقدر على قدر ، وقد صارت سيرها وسيرها هذه شذو الأسفار ، وهذه جادة  
 يستطيع منها حسن الحدو السفار ، فكم قاتلت من يليها من الكفار ، وكم جعلت من  
 يواليها وهو منصورها منصوراً بالمهاجرين والأنصار . ولما أذل الله ببأسها طوائف  
 التتار في أقاصى بلاد العجم ، وجعل حظ قلوبهم الوجد من الخوف ونصيب وجهوهم  
 الوجم ، وأخلى الله من نسورهم الأوكار ومن أسودهم الأجم ، وقصرت بهم همهم  
 حتى صاروا يخافون الصبح إذا هجم والظن إذا رجم ، وصارت رؤية الدماء تُفرعهم  
 فلو احتاج أحدهم لتنقيص دم لمرض لأحجم من خوفه وما احتجم . وأباد الله الأرمن  
 فحل بالنيل منهم الويل ، وما شمر أحد من الجنود الإسلامية عن ساعد إلا وشمر هو  
 من الدل الذيل ، ولا أثارت الجياد من الخيل عثيراً منعقداً إلا وظنوه مساءً قد أقبل  
 أو ليل . وآتته نوبة القتل بهم والإسار إلى «التكفور ليفون» ملك الأرمن الذي  
 كان يحمى سرحهم ويمتد صرحهم ، ويستنطق هتف التتار ويسترجع صدحهم ،  
 وتعتز طرابلس الشام بأنه خال إبرنسها الكافر ، ولسان مشورته السفير ووجه تديره

السافر، وطالما غرّ وأغرى، وجرّ وأجرى، وضرّ وأضرى؛ فلما توكل مولانا  
السلطان وعزم وعزم فتوكل، وتحقق أن البلاء به قد نزل، وما تشكك أن ذلك  
في ذهن القدر قد تصور وتشكل؛ وأن يومه في الفتك سيكون أعظم من أمسه  
وأعظم منهما معاداة غده، وأن نصر الله لن يُخلفه صادق موعده، أكل يده ندامةً  
على ما فترط في جنب الله؛ وساق الحتف لنفسه بيده فعمّر الله بروحه الحبشة الدرك  
الأسفل من النار، وسقاه الحتف كأساً بعد كأس لم يكن لها غير الملك من نحرار.  
وكانت طرابلس هي ضالة الإسلام الشريفة، وإحدى آبقاته من الأعوام العديدة؛  
وكلما مرت شمخت بأنفها، وتأنقت في تحسين منازله منازلها وتزيين ریحانها  
وعصفها، ومرت وهي لا تُغازل ملكاً بطرفها وكلما تقادم عهدا تكثرت بالأفواج  
والأمواج من بين يديها ومن خلفها؛ إذ البحر لها جلباب والسحاب لها نحرار، وليس  
بها من البر إلا بمقدار ساحة الباب من الدار؛ كأنها في سيف ذلك البحر جبل قد  
أنحط، أو ميل استواء قد خرج عن الخط، وما قصد أحد شطها بنكاية إلا شط  
وأشتط؛ قدر الله أن صرف مولانا السلطان إليها العنان، وسبق جيشه إليها كل خبر  
وليس الخبر كالعيان، وجاءها بنفسه النفيسة والسعادة قد أحرسه عيونها وتلك المخاوف  
كلهن أمان، وقد آتخذ من إقدامه عليها خير حبال ومن مفاجاته لها أمد عنان؛  
وفي خدمته جنود لا تستبعد مفازة، وكم راحت وغدت وفي نفوسها للأعداء حرازة؛  
فامتطوا بنحلولهم من جبال لبنان تيجاناً لها صاغتها الثلوج، ومعارج لا تُرافق بها غير  
الرياح الهوج؛ وأنحطت تلك الحيوش من تلك الجنادل، أنحطاط الأجادل، وأندفعوا  
في تلك الأوعار أندفاع الأوعال، ولم يحفل أحد منهم بسرّ لاصق ولا يجبل شاهر  
فقال: هذا منخفض أو عال؛ وشرعوا في التحصيل لما يؤهى ذلك التحصين، وأبتناء  
كل سور أمام أسوارها من التدبير الحسن والرأى الرصين؛ فما لبثوا إلا مقدار ما قيل

لهم : دونكم والاحتطاب ، ونقل المجانيق على الخيل وعلى الرقاب ؛ حتى جرّوها بأسرع من جرّ النَّفس ، وأجرّوها على الأرض سفائنَ وكم قالوا : السفينة لا تجرى على يَبَس .

وفي الحال نقلت إليها فرأوا من <sup>(١)</sup> متوقّلتها من يمشى بها على رجلين ومنهم من يمشى على أربع ، ووجهت سهامها وجوهها إلى منافذها فما شوهدت منها عينٌ إلا وكان قدامها منها إصبع ، وألقيت العداوة بين الحجارة من المجانيق وبين الحجارة من الأسوار ، فكم نقت وتقت من فلذة كبدها عن أسرار ، وأوقدت نيران المكايد ثم فكم حولها من صافن ومن صافر ، وكم رمتهم بشرر كالعصر فوق الحافر كما يقال على الحافر .

وما برحت سوق أهل الإيمان في تنافق على أهل النفاق ، وأكبرهم تساق أرواحهم الخبيثة إلى السّياق . وكان أهل عكاء قد أنجدوهم من البحر بكلّ برٍّ ، ورموا الإسلام بكلّ شرٍّ

وكل شرٍّ ، فكان السهم الذي يخرج منها لا يخرج إلا مقترا بسهام . وشرفات ذلك الثغر كالشنايا ولكنها لكثرة من بها لا تفتّر عن آبتسام ، وما زالت جنود الإسلام كذلك ، ومولانا السلطان لا ترى جماعة مقدّمة ولا متقدّمة إلا وهو يرى بين أولئك .

وأستمر ذلك من مُستهل شهر ربيع الأول إلى يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر ، فزحف عليها في بكرة ذلك النهار زحفاً يقتحم كلّ هضبة ووهده ، وكلّ صلبة وصلده ،

حتى أنجز الله وعده ، وفتحها المسلمون مجازاً وفي الحقيقة فتحها وحده ، وطلعت سناجق الإسلام الصّفر على أسوارها ، ودخلت عليهم من أقطارها ، وجاست الكسابة

خلال ديارها ، فأحتازها مولانا السلطان لنفسه ملكاً ، وما كان يكون له في فتحها شريك وقد نفى عنها شركاً ، وكلما قيل : هذه طرابلس فتحت قال النصر بمن قتل

فيها من النّجد الواصلة وأكثر عكا وأهل عكاء ، وأعاد الله قوّة الكفر بها أنكاثاً ،

(١) تقول في الجبل : صعد .

(٢) كذا وردت هذه الكلمات بالأصل ، وهي كما يظهر قلقة غير واضحة .

وكان أخذها من مائة سنة وثمانين سنة في يوم ثلاثاء وأستردت في يوم الثلاثاء . ولما عمت هذه البشائر [و] وكل بها مولانا السلطان إلى كل من يستجلى حسان هذه العرائس ، ويستجلى نفيس هذه النفائس ؛ سير مولانا السلطان إلى مولانا بشرى فققعع بها البريد ، لتتلى بأمر مولانا على كل من ألقى السمع وهو شهيد ، وكما عم السرور بذلك كل قريب قصد أن يعم الهناء كل بعيد . وأصدر المملوك هذه الخدمة يتحجب بين يدي نجواها ، ويتوثب بعد هذه المفاتيح لكل سائحة يحسن لدى المولى مستقرها ومثواها . لا برج المقام يستبشر لكافة الإسلام بكل فضل وبكل نعمى ، ويفرح لسرح الكفر إذا أتتهك ولسفح الملك إذا يُحمى ، ولسمع الشك إذا يُصم ولقلبه إذا يصمى .

١٠ وكتب المولى محي الدين أيضا عن نفسه مطالعة إلى السلطان الملك المنصور يهنئه بهذا الفتح :

هَنَّتْ يَا مَلِكَ الْبَسِيطَةِ \* فَتَحًا بِهِ النُّعْمَى مُحِيطُهُ  
وَبَقِيَتْ يَا خَيْرَ الْمَلُو \* كَ بِسِيفِكَ الدُّنْيَا مُحَوِّطُهُ

١٥ يقبل الأرض ويتهل إلى دُعاءٍ صالح يقدمه بين يدي بشره وبُشراه ، وكل مقام محمود من الإجابة يحوله في سره ونجواه ؛ ويهنئ به هذا الفتح الذى كم مضى ملك وفى قلبه منه حسره ، وما آذخر الله إلا لمولانا السلطان أجره ونخره . فالحمد لله على هذا النصر العزيز وهذا الفتح المبين ، والظفر الذى أعطاه الله إياه فى شهر وقد أقامت جموع الكفر حتى حازت بعضه فى مدة سبع سنين . وله الشكر على أن جعل الكفر من بعد قوة أنكاثا ، وجعل أخذ مدينة طرابلس من الكفار فى يوم الثلاثاء وكان أخذها من المسلمين فى يوم الثلاثاء ؛ وله المنة فى رد هذه الأخيذة ، وجعلها بين ٢٠ يدي مولانا السلطان منبذة . ثم المنة لله على أن سطر فى سيرة مولانا السلطان هذه

السَّنة، وجعلها ما بين نومة عين وانتباهتها في أقرب من سنة، ورد إياها على المسلمين بعد أن أقامت هاربة عند الكفار مائة سنة وستاً وثمانين سنة؛ والله يلحق بها في الفتح أخواتها من المدن، ولا يلبث إن شاء الله هاديا بها بعدها مثل عكاء وصور وصيدا حتى يراهن إلى قبضته قد عُدن، إن شاء الله تعالى .

- وكتب إلى الأمير حسام الدين طرنطاي عن الأمير بدر الدين بيدرا في ذلك :
- المملوك يهني بهذا الفتح الذي كادت به هذه الغزوة تزهو على غيرها من الغزوات وتتيه، وأشرقَت الأرض بنور ربها أبتهاجا بما أمضاه الله منه وما سيمضيه، وبما سيعطيه حتى يرضيه، وذلك أن فتح طرابلس التي طالما شمتحت بأنفها على المملوك، وكم أبت على مستفتح فما قال لغيره إياؤها : لله أبوك، وأخر الله مدتها إلى خير الأزمان، وفتحها على يدي سلطاننا الذي حقق الله به آمالاً تنفذ إلا منه بسلطان.
- ١٠ فالحمد لله الذي عضد هذا الملك من مولانا بنخير من دبره، وحماه منه بأقطع حسام جرّده الله لنقض ما أمره؛ وما من فتوح ولا أمر ممنوح إلا ومولانا منضد عقوده، ومجهز بريده، ومطلع سعوده؛ ورافع علمه، وممضى سيفه ومرضى قلمه . فأمتع الله الأمة من مولانا السلطان بسلطان يسترد لهم الحقوق ويتقاضى الديون، وأمتع الله سلطانها من مولانا بمن آراؤه أقفال الممالك وسيوفه مفاتيح الحصون .
- ١٥

ومن إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ما كتب به عن الأمير سيف الدين سآلار نائب السلطنة الشريفة إلى النائب بقلعة الجبل عند كسرة التار بمرج الصفر في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعائة :

- وبشّره بالفتح الذي أعاد الله به الأمة خلقاً جديداً، والنصر الذي أنزل الله فيه من الملائكة أنصاراً للملّة وجنوداً، والظفر الذي أطفأ الله به من نار الكفر ما لم يكن
- ٢٠



يَرْهَبُ نُحُودًا ، والغزوة التي زلزل الله بها جبال أهل الشرك وقد تدفقت على الأرض  
أمثال البحار عددا وعديدا . المملوك يقبل اليد العالية التي لها من هذه النصرة وإن  
لم تبلغها أجر الرامي المسدد سهمه ، المعجل من التهانى غنمه ، الموفر من المحامد الجزيلة  
قسمه ؛ ويهنيء المولى بهذا الفتح الذي مد الله به على الأمة جناح رحمته وفضله ،  
ومن على أيا من الزاهرة فيه بالشأم وأهله ، وبرز فيه الإسلام كله للشرك كله . والله  
الحمد الذي اعز دينه ونصره ، وحصد بسيف الإسلام عدو دينه بعد أن حصره ؛  
وأباد جيوش الشرك وهم مائة ألف أو يزيدون ، وأفنى أحزاب أهل الكفر وكانوا  
أمثال الرمال لا يعدون ؛ ويُنهي أن علمه الكريم قد أحاط بما كان من أمر هذا  
العدو المخذول ودخوله إلى البلاد المحروسة بجيوشه وكثائبه وجنوده من  
أشباع أهل الكفر وأحزاب الشرك . ولما تواصلت الأخبار بقربه ، وأستعداده  
بحزبه ، ومهاجمته البلاد ، وإيقاع الرعب في قلوب أهلها بالتنوع في الفساد ؛ ساق  
الركاب الشريف في طلبه يطوى المراحل ، ويقطع في كل يوم منزلتين بل منازل .  
ولما حل الركاب الشريف بمَرَج الصُّفَر على مَرَحَلَة من دمشق المحروسة في يوم  
السبت مستهل شهر رمضان المعظم زينت العساكر المنصورة للقاء حال وصولها ،  
وأستعدت للحرب دون تشاغلٍ بأسباب نزولها ؛ فوافى العدو المخذول في مائة ألف  
من جيوش تسيل كالرمال ، وتعلو الجبال بأشد من الجبال ؛ وحين وصلوا حملوا على  
الميمنة بجملتهم ، وقصدوا إزاحتها عن موقفها بجملتهم ؛ فتلقتهم الجيوش المنصورة  
بنفوس قد بايعت الله على لقاء عدو الله وعدوها ، ووثقت بما أعد الله لها من الجزاء  
في رواحها في سبيله وغدوها ؛ وصدمتهم صدمة كسرت حدتهم ، وأوهنت شدتهم  
وشددهم ؛ وأزالت طمعهم ، وأبانت ظلمهم ؛ وسالت عليهم الجيوش المنصورة من

- كل جانب، وحميت الحرب بين الكتائب الإسلامية وبين تلك الكتائب؛ ودخل الليل ونار الحرب تشتعل، والجياد من المحاجر تحنى وبالجماجم تنعل؛ فأووا إلى جبال اعتصموا بهضابها، وأحتموا بتوغر مسالكها وضيق عقابها؛ وأحاطت بهم الجيوش المنصورة لحوسهم<sup>(١)</sup> لا لحفظهم، وتضم أطرافهم لا لحبسهم بل لبغضهم؛ فكانوا — بعد كثرة من قتل منهم في المعركة الأولى أو فر من أول الليل — جمعا ٥
- يهاهن الأربعين ألف فارس، فأصبحوا يعاودون القتال، وينزلون إلى أطراف الجبال للنزال؛ والجيوش المنصورة تلزمهم من كل جانب، وتتحكم في أبطالهم القنا والقواضب. وجرت في أثناء ذلك حمالات ظهر في كل منها خسارهم، وشهد عندهم بما يكابدون قتلهم وإسارهم؛ وبعد ذلك نزلوا من جانب واحد يطلبون الفرار، ويتوقعون القتل إن تعذر الإِسار؛ فسافت خلفهم الجيوش المنصورة تتخطفهم رماحها، وتتلففهم ١٠ صفائحها؛ وتقاذفت بمن نجا منهم الفلوات، وغرقتهم أمواج السراب قبل أمواج الفرات؛ فأخذوا قنصا باليد من بطون الأودية ورءوس الشعاب، ولم يحصل أحد منهم على الغنيمة بالإياب؛ وقتل أكثر مقدمي الثمات وفر كبيرهم وأنى له الفرار، وبين يديه مفاوز إن سلك منها تناولته بأرماع من العطش القفار. فليأخذ المولى حظّه ١٥
- من هذه البشرى التى تنبئ عن الفتح العظيم والفضل العميم، والنصرة التى حفظ الله بها على الإسلام البلاد والثغور والأموال والحريم؛ ويكتب إلى البلاد بمضمونها، ويسر قلوب أهل الثغور بمكنونها؛ ويستنهض المولى الأمة لشكر الله عليها، ومن ذا الذى يقوم بشكر ذلك! ويعرفهم مواقع هذه النصر التى أنجد الله فيها الإسلام بالملائك؛ ويتقدم أمره بضرب البشائر بكل مكان، ويشهر في جميع الثغور أن عدو ٢٠

(١) فى الأصل : «لحرسهم» بالراء . والحوس : القتل .

(٢) فى أحد الأصول : «التمونات» .

الله وعدّو الإسلام دخل في خبر كان ؛ وأن الله تعالى كسر جيوش التتار كسراً لا يُجبر صدّعه ، ولا يتأتّى إن شاء الله تعالى جمعه . والله تعالى يُسمعه من التّهاني كلّ ما يسرّ الإسلام وأهله ، ويشكر قوله في مصالح الإسلام وفعله ؛ إن شاء الله تعالى .

## الباب الثاني

### من القسم الرابع من الفن الثاني

#### في المراثي والنوادر

والمراثي إنما جعلت تسليّة لمن عضّته النوائب بأنبيائها ، وفترت الحوادث بين نفسه وأحبائها ، وتأسيّة لمن سبق إلى هذا المصّر ، ونهل من هذا المشرّع ، ووثوقاً باللاحق بالماضي ، وعلماً أنّ حادثة الموت من الديون التي لا بدّ لها من التقاضي ؛ وأنه لا سبيل إلى الخلود والبقاء ، ولا بدّ لكلّ نفس من الدّهاب ولكلّ جسد من الفناء .

قال الله تعالى في محكم تنزيله مخاطبة لرسوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَئِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

فأبرّض من فجّع بخليله وشقيقه ، وصاحبه وصديقه ؛ وأهله وولده ، وجمعه وعدده ، وماله ومدده ؛ نفسه الجسامحة في ميادين أسفها وبكائها ، الجانحة إلى طلب دوائها من مظانّ أدوائها ؛ بزمام الصبر الجميل ، لينال الأجر الكريم والثواب الجزيل ؛ فقد أثنى الله تعالى على قوم بقوله : ( وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ) ؛ وقال تعالى إخباراً عن لقمان في وصيته لابنه : ( وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَمَّاكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) . وايسترجع من أصابته مصيبة أو نزلت به بليّة ، وطرقته حادثة أو ألمت به رزية ؛ لما جعل الله تعالى للمسترجع بفضله ومّته ، من صلّاته عليه ورحمته ؛ قال الله عز وجل :

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ . وليتأس الفاقد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد جعل الله فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وليقتد بأصحابه رضى الله عنهم ليفوز بثواب الصابر ويحوز أجر الشاكر .

- ٥ . و باب الرثاء فهو باب فسيح الرحاب والنوادى ، فصيح اللسان فى إجابة المنادى  
 ذى القلب الصادى ، متباين الأسلوب ، مختلف الأطراف متباعد الشعوب ؛ منه  
 ما يُصمى القلوب بنباله ، ومنه ما يُسَلِّها بلطيف مقاله ؛ ومنه ما يبعثها على الأسف ،  
 ومنه ما يصرفها عن موارد التآف . وقد أكثر الشعراء القول فى هذا الباب ، وأرتقوا  
 الذروة العليا من هذه المضارب ؛ ووجدوا مكان القول ذا سعة فقالوا ، وأصابهم  
 هجير اللوعة فمالوا إلى ظله وقالوا . قال الأصمعى : قلت لأعرابى : ما بال المرائى  
 ١٠ أشرف أشعاركم ؟ قال : لأننا نقولها وقلوبنا محترقة . وعلى الجملة فالموت هو المصيبة  
 التى لا تدفع ، والرزية التى لا ترد بكثرة الجموع ولا تمنع ؛ والحادثة التى لا تنصرف  
 بالفيء وإن جل مقدارها ، والنازلة التى لا تتأخر عن وقتها بالدعاء وإن عظمت  
 فى غيرها آثاره ؛ وهو أحد الأربعة التى فُرع منها ، وصُرفت وجوه المطامع عنها .  
 ١٥ وقد قالت الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء . وقالوا : كل شئ يبدو  
 صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر . وقالوا : لا يكون البكاء  
 إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . قال شاعر :

فلئن بكيناه لحق لنا \* ولئن تركنا ذاك للصبر

فلمثله جرت العيون دما \* ولمثله جمدت فلم تجر

- ٢٠ وقيل : مرّ الأحنف بامرأة تبكى ميتا ورجل ينهاها ، فقال : دعها فإنها تنذب  
 عهدا وسفرا بعيدا . قيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءك ؟ قالت :

إِنَّ فَقْدِي إِيَّاهُ آمَنِي كُلِّ فَقْدٍ سِوَاهُ ، وَإِنَّ مُصِيبَتِي بِهِ هَوْنَتْ عَلَى الْمَصَائِبِ بَعْدَهُ ،  
ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

كَنتَ السَّوَادَ لِمُقْلَتِي \* فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاطِرُ  
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيَمُتْ \* فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَازِرُ  
لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَالْأَيَّامَ \* رَحَفَاءُ وَمَقَارِ  
إِنِّي وَغَيْرِي لَا مَحَا \* لَهْ حَيْثُ صِرْتَ لَصَائِرُ

٥

وقد نقل أبو الفرج الأصفهاني : أن بعض هذا الشعر لإبراهيم بن العباس بن  
محمد بن صول يرثى أبنا له فقال :

أَنْتَ السَّوَادُ لِمُقْلَةٍ \* تَبْكِي عَلَيْكَ وَنَاطِرُ  
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيَمُتْ \* فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَازِرُ

١٠

ولم يزد على هذين البيتين شيئا . أخذ الحسن بن هانيء معنى البيت الأول فقال  
في الأمين :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ \* وَابْسِلْ مَا تَطَوَى الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ  
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ \* فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَازِرُ  
لَئِنْ عَمَّرْتُ دَوْرًا مِنْ لَأُنْجِبَهُ \* لَقَدْ عَمَّرْتُ مِمَّنْ نُحِبُّ الْمَقَابِرُ

١٥

وقيل : من أحسن ما قيل في التعازي أن أعرابيا مات له ثلاثة بنين في يوم  
واحد فدفنهم وعاد إلى مجلسه ، فجعل يتحدث كأن لم يفقد أحدا ، فإيم على ذلك ،  
فقال : ليسوا في الموت ببديع ، ولا أنا في المصيبة بأوحد ، ولا جدوى للجزع ، فعَلَّامَ  
تلوموني ، وهذه ثلاثة الأقسام لا رابع لها ! . وعزى أعرابي رجلا فقال : لا أراك  
الله بعد مصيبتك ما يُنْسِيكَهَا . وقيل : أما دنز علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
فاطمة رضي الله عنها تتمثل على قبرها بهذين البيتين :

٢٠

لكل اجتماع من خيلين فرقة \* وكل الذي دون الممات قليل  
وإن افتقادي واحداً بعد واحد \* دليل على ألا يدوم خليل

وعزى علي بن أبي طالب رضى الله عنه الأشعث بن قيس عن ابنه فقال :  
إن تحزن فقد استحققت ذلك منك الرحم ، وإن تصبر ففي الله خلف من كل هالك ،  
مع أنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك  
القدر وأنت موزور ، سرك الله وهو بلاءٌ وفِتنة ، وحرزك وهو ثواب ورحمة .

وعزى أكرم بن صيفي حكيم العرب عمرو بن هند الملك عن أخيه فقال : أيها  
الملك ، إن أهل هذه الدار سفر لا يحلون عقد الرجال إلا في غيرها ، وقد أتاك ما ليس  
بمردود عنك ، وأرتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام معك من سيظعن ويدعك ،  
فما أحسن الشكر للنعم والتسليم للقادر ! وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء  
الفرع بعد أصله ! وأعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير  
مُعطيها ، وشر من الشرفاعله .

وقال ابن السماك : المصيبة واحدة ، فإن كان فيها جزع فهي آثتان . وقال  
أبو علي الرازي : صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيت ضاحكا ولا متبسما  
إلا يوم مات ابنه علي ، فقلت له في ذلك ، فقال : إن الله أحب أمراً فأحببت  
ما أحب الله . وقال صالح المري : إن تكن مصيبتك في أخيك أحدثت لك خشة  
فنعم المصيبة مصيبتك ، وإن تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزعاً فبئست  
المصيبة مصيبتك . وقال علي بن موسى للفضل بن سهل يعزى : التهنة بأجل  
الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة . وعزى الرشيد رجل فقال : كان لك  
الأجريا أمير المؤمنين لا بك ، وكان العزاء لك لا عنك . أخذه الآخر فقال :  
كن المعزى لا المعزى به \* إن كان لا بد من الواحد

وقال عمر بن عبد العزيز لأبنه عبد الملك وقد آشتد به الألم : كيف تجدك يا بُنى؟ قال : أجدني في الموت ، فأحتسبني ، فإن ثواب الله خير لك مني . قال : والله يا بُنى لأن تكون في ميزاني أحب إليّ من أن أكون في ميزانك . قال : وأنا والله لأن يكون ما يُحبُّ أحب إليّ من أن يكون ما أُحبُّ .

وعزى شبيب بن شبة أبا جعفر المنصور بأخيه أبي العباس السفاح فقال : جعل الله ثواب ما رزئت لك أجرا ، وأعقبك عليه صبرا ، وختم لك بعافية تامة ، ونعمة عامة ، فثواب الله خير لك منه ، وأحق ما صبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل . ودخل البلاذريّ على عليّ بن موسى الرضا يعزيه بآبنه فقال : أنت تجلّ عن وصفنا ، ونحن نقصّر عن عظمتك ، وفي علمك ما كفاك ، وفي ثواب الله ما عزّاك . فهذه نبذة في التعازي كافية ، وجنة لمن تحصن بها من ذوى الفجائع واقية . فلنذكر المراثي .

### ذكر شيء من المراثي والنوادر

(٧٧)

ولنبداً من ذلك بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبشيء مما قيل عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاة ولده إبراهيم عليه السلام : ” يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأن آحرنا سيلحق أولنا لحزننا عليك حزنا هو أشد من هذا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يُسخط الرب “ . ذكره الجواني النسابة في شجرة الأنساب ، وذكره غيره مختصرا .

ومنه ما روى أن فاطمة رضى الله عنها وقفت على قبره صلى الله عليه وسلم

إنا فقدناك فَقَدَ الأرضَ وابلها \* وغاب مذ غبت عنا الوحي والكُتُبُ  
فليت قبلك كان الموتُ صادقاً \* لما نُعيتَ وحالت دونك الكُتُبُ

ووقف على رضى الله عنه على قبره صلى الله عليه وسلم ساعة دُفن وقال : إنَّ  
الصبرَ لجميلٌ إلَّا عنكَ ، وإنَّ الحَزَرَ لَقبيحٌ إلَّا عليك ؛ وإنَّ المصابَ بك لجليلٌ ، وإنَّه  
قبلك وبعْدك لجللٌ . وقد ألمَّ الشعراءُ بهذا المعنى ؛ فقال إبراهيم بن إسماعيل في عليّ  
ابن موسى الرضا :

إنَّ الرزيةَ يابن موسى لم تدعْ \* في العين بعدك للمصائب مدمعا  
والصبرُ يُحمِّدُ في المواطن كلها \* والصبرُ أن نبكى عليك ونجزعا

ووقف أعرابي على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قلتَ فقبلنا ،  
وأمرت لحفظنا ؛ وقلتَ عن ربك فسمعنا : ﴿وَأَوَّاهٌ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ  
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ، وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك  
فاستغفر لنا ؛ فما بقيت عينٌ إلَّا سالت .

ودخل عمرو بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضى الله عنهما في مرض موته ،  
فقال : يا خليفة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ، لقد كلفتَ القومَ بعدك تعباً ،  
ووليتهم نصيباً ؛ فهيمات مَنْ شقَّ غبارَكَ ! وكيف بالحقِّ بك ! .

وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وأبوها يغمض :  
وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه \* ثمَّ أُلِّمَ اليتامى عِصمةً للأرامل  
فنظر إليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثمَّ أُغْمِيَ عليه ، فقالت :  
لعمرك ما يُغْنِي الثراءُ عن الفتى \* إذا حَشَرَجَتْ يوماً وضاق بها الصدرُ  
فنظر إليها كالغضبان وقال : قولى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ



مِنْهُ تَحِيدٌ) . ثم قال : آنظروا مُلَاءَتَيَّ فَاغْسِلُوهُمَا وَكُفِّنُونِي فِيهِمَا ، فَإِنَّ الْحَيَّ أَحْوَجُ  
إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ . ووقفت رضى الله عنها على قبره رضى الله عنه فقالت :  
نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَكَ ، وشَكَرَكَ صَالِحَ سَعِيكَ ، فقد كُنْتَ لِلدُّنْيَا مُذِلًّا بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا ،  
وَكُنْتَ لِلْآخِرَةِ مُعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا ، وَاِنَّ كَانَ أَجَلُ الْحَوَادِثِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُزْءُكَ ، وَأَعْظَمُ الْمَصَائِبِ بَعْدَهُ فَقْدُكَ ، إِنْ كَتَابَ اللَّهُ لِيَعْدُ بِحَسَنِ  
الصَّبْرِ فَيْكَ وَحَسَنِ الْعَوَظِ مِنْكَ ، فَإِنَّا لَنَتَنَجِّزُ مَوْعِدَ اللَّهِ بِحَسَنِ الْعَزَاءِ عَلَيْكَ ، وَأَسْتَعِيزُ بِهِ  
مِنْكَ بِالْإِسْتِغْفَارِ لَكَ . أَمَّا لَنْ كَانُوا أَقَامُوا بِأَمْرِ الدُّنْيَا لَفَقَدْتِ بِأَمْرِ الدِّينِ حِينَ  
وَهَى شَعْبُهُ ، وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ ، وَرَجَفَتْ جَوَابُهُ . فَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَوْدِيعَ غَيْرِ  
قَالِيَةٍ لَكَ ، وَلَا زَارِيَةٍ عَلَى الْقَضَاءِ فَيْكَ . ثم آنصرفت .

وَلَمَّا قُبِضَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُبْحَى عَلَيْهِ بِالثُّوبِ ، فَأَرْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ بِالْبُكَاءِ وَدَهَشَ  
الْقَوْمُ كَيَوْمِ قُبُضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ بِأَيِّكَ مَسْرَعًا مُسْتَرْجِعًا حَتَّى وَقَفَ بِالْبَابِ وَهُوَ يَقُولُ : رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، كُنْتَ  
وَاللَّهُ أَقْوَلُ الْقَوْمِ إِسْلَامًا ، وَأَخْلَصَهُمْ إِيْمَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وَأَعْظَمَهُمْ غَنَاءً ، وَأَحْفَظَهُمْ  
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَحْدَبَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَحْنَاهُمْ عَلَى أَهْلِهِ ،  
وَأَشْبَهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلُقًا وَفَضْلًا وَهَدْيًا وَسَمْتًا ، بِخُزَاكَ اللَّهُ عَنْ  
الْإِسْلَامِ وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا ، صَدَقْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ حِينَ كَذَبَهُ النَّاسُ ، وَوَأَسَيْتَهُ حِينَ بَخِلُوا ، وَقَمْتَ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا ، وَأَسَمَّاكَ اللَّهُ  
فِي كِتَابِهِ صَدِيقًا فَقَالَ : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ، يريد  
مُحَمَّدًا وَيُرِيدُكَ . كُنْتَ وَاللَّهُ لِلْإِسْلَامِ حَصْنًا وَعَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا ، لَمْ تُفَلِّلْ حُجَّتَكَ ،  
وَلَمْ تَضْعُفْ بِصِيرَتِكَ ، وَلَمْ تَجِبْنِ نَفْسُكَ . كُنْتَ كَالْجَبَلِ الَّذِي لَا تَحْتَرِكُهُ الْعَوَاصِفُ  
وَلَا تُزِيلُهُ الْقَوَاصِفُ . كُنْتَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ ،

قويًا في أمر الله ، متواضعًا في نفسك ، عظيمًا عند الله ، جليلاً في الأرض ، كبيرًا عند المؤمنين . لم يكن لأحد عندك مَطْمَعٌ ولا لأحد عندك هَوَادَةٌ ؛ فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له . فلا حرمانا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك .

- هـ فانظر إلى هذا الأسلوب العجيب ، وتأمل هذا النمط الغريب ؛ الذي جمع بين سلاسة الألفاظ وإيجازها ، وإصابة المعاني وإعجازها . ولا يُستكثر على من أنزل القرآن بلغتهم ، أن يكون هذا القول من يديهم .



- ولند كرُمُعةً من رسائل البغاء والفضلاء ، ولحمةً من أشعار الأدباء والشعراء .  
١٠ فمن ذلك رسالة كتبها الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجحد ، إلى الوزير الفقيه أبي القاسم الهوريني يعزّيه عن أخيه ، ابتدأها بأن قال :

لا بُدَّ من فقيدٍ ومن فاقِدٍ \* هيهات ما في الناس من خالِدٍ  
كُنَّ الْمُعَزَّى لا الْمُعَزَّى به \* إن كان لا بُدَّ من الواحد

- إذا لم يكن بُدٌّ من تجرُّع الحِمَامِ ، وتشتَّتِ النَّظام ، وأنصَداع شَمَلِ الكرام ؛ فمن الاتفاق السعيد والقدر الحميد أن يرث أعمارَ البنيةِ الكريمةِ مُشَيِّدٌ علاها ، وتسلم من القلادةِ وَسْطَاهَا ، فمدار الكنانة على مُعَلَّاهَا ، ونخارُ الحَلْبَةِ بِحُرْزِ مداها . وفي هذه النبذة إشارة إلى من فرط من الإخوة النبلاء ، ودرج من السادة النجباء ؛ فإنهم وإن كانوا في رتبة الفضل صُدُورًا ، وغَدُوا في سماء النبل بدورًا ؛ فإن شمسَ علائِكَ أبهرُ أضواءً وأزهرُ أنوارًا ، وظلَّ جنابك على بنيتهم ومُخَلَّفِيهم أُنْدَى أصالا وأبردُ أسحارا .  
٢٠ نبي إلى - أوشك الله سلوانك ، ولا أخلى من شخصك الكريم مكانك ! - الوزير

أبو فلان، برّد الله ثراه، وكرّم مثواه؛ فكأنما طعن ناعيه في كبدي، وظعن بأكيه  
 بذخيرة جلدي. لا جرم أتى دُفِعْتُ إلى غمرة من التلدد لو صُدم بها النجم لحر،  
 أو دُهِم بها الحزم لحر؛ ثم ثابت إلى نفسي وقد وقّذها الجزع، وعضها الوجع؛ فأطلت  
 الاسترجاع، وجمعت الجلد الشعاع؛ وما أنا عند الله أحسبه جماع فضائل، وجمال  
 محافل؛ وحديقة مكارم صوّحت، وصحيفة محاسن درّست وأنحمت. وما اقتصرت  
 من رسم التعزية المألوف، على القليل المحذوف؛ إلا لعلمي بأن المعزّي لا يُورد عليك  
 غريبا، ولا يُسمعك من مواعظه عجيبا؛ فبك يقتدي الليب، وعلى مثالك يحتدي  
 الأديب، وإلى غرضك في كل موطن <sup>(١)</sup> يوفي المصيب؛ وفي تجافى الأقدار عن  
 حوْبائك، وسقوطها دون فنائك؛ ما يدعو إلى حسن التعزية. لا صدع الله جمعك،  
 ولا قرع بنبأة المكروه سمعك.

٧٩

ومن إنشاء القاضي الفاضل عبد الرحيم اليبساني :

ورد الخبر بمصرع فلان الذي عزّ على المعالي، وعزّيت به الليالي؛ وسقط به نجم  
 الشرف وهوى، وجفّ به روض الكرم وذوى؛ ونقصت الأرض من أطرافها،  
 ورجفت الجبال من أعرافها؛ وبكت عليه السماء فإنّ يده كانت من سُحبها، وتناثرت  
 له النجوم فإنّ عزمه كان من سُحبها؛ وأظلمت في عيني الدنيا الظالمة، وتجرّعت  
 منها كأسا لا تُسيفها النفس كاظمة؛ وتقسمت الأيامُ فريقين في مودّتي وعداوتي،  
 فأها على السالفة ولا مرحبا بالقادمة؛ وأصبحت أخوض الماء وأحشائي تتقطع  
 غليلا، وأرى الناس كثيرا بعيني وبقلبي قليلا.

وما النَّاسُ في عَيْنِي إِلَّا حِجَارَةٌ \* لَيْبِنُكَ وَالْأَعْرَاسُ إِلَّا مَاتِمٌ

(١) كذا بالأصول. ولعله محرف عن: «يرى».

فقد آستوحشت الدنيا لفقده، وأرتابت بنفسها من بعده، وعامت حلاوة قربه  
بمرارة بعده، وأنصرف ذوو الأبواب عن بابه، وأجتنبت الآمال مغنى جنبه،  
وبكت الرياض على آثار سحابه.

فإن يُمِسَّ وَحْشًا بِأَبِهِ فَلَرُبَّمَا \* تناطح أفواجاً عليه المواكبُ

- ومن إنشائه أيضاً رحمه الله تعالى : ما شككتُ — أطلال الله بقاءك — حين  
ورد النعى بالمصائب التى قصمت الظهور بمكروها، وحسرت فيها الحسرات عن  
وجوها، أن السماء على الأرض قد أنطبقت، وأن الأيام ما أبقت والسعادة قد  
أبقت، والحياة لم يبق فى طولها طائل، والصبر بهجير اللوعة ظل منسوخ زائل،  
وشمس الفضائل قد غربت وكيف بطلوها، ونفس المكارم قد نزعَت من بين  
ضلوها، وغاب الإسلام قد غاب منه أى لىث، ورياض الآمال قد أقلع عن سقياها  
أى غيث. فإننا لله وإنا إليه راجعون، رضا بحكمه، وتجلداً على مارى به الحادث من  
سهمه، وطباً للفسلوب على مَضَض البلاء وكلمه، وفراراً من الجمع بين مصيبة الفاقد  
ولائه. وسقى الله ذاك الضريح ما شاء أن يسقيه من سحاب كصوب يديه، ورحمه  
رحمة تحف بجانبه. وآها للاء العذب كيف أرتشفته النوازل وأبقت الملح، ثم آها  
للصباح الطلق كيف أغتالته الأصائل وأطلقت الجَنَح، ووا أسفا لتلك الذخيرة التى  
فذلكت بها الأيام ذخائرى، والسريرة التى طالما صنتها أن تمر بسرائرى، شفقاً عليها  
من سهام دهر بالذخائر مولة، وستراً لها من عين زمان على السرائر موقعة. ولئن صحب  
قلبي بعده أضلعي، وتحملت بعد فقد، على ظلعي، فإننا غداً على أثره، وإن كنا اليوم على  
خبره. وقصر الحياة إلى قصور، كما أن محصول غروها غرور. والتأذب بأدب الله  
أولى ما خفف به المسلوب عن منكبه، وطريق السلوان لا بد أن يراجع عزم منكبه.  
فأنشدها الله إلا جعلت مصيبتها مصيبة على الشامت بما تلبسه من صبر يلبس عليه

المصيبة فيُشَبَّهها بنعمة ، وبما تستشعره من تجلُّد في النازلة يُنْزِل عليها صلواتٍ من ربِّها ورحمة . ولن ترى أعجب من مُصاب لا ترى به إلا مُصاباً ، وساكنٍ تُربِّ لم يبق بعده إلا من سقى بدمعه تُراباً ، اشترك فيه الأمتان العربُ والعجمُ ، وعزَّى به العزيزان المجدُّ والكرمُ ، وأستباح الدهرُ به الصيدَ في الحرم .

وتشابه الباكون فيه فلم يَبْنُ \* دمعُ المحقِّ لنا من المتعمِّل

وكتب أيضاً في مثل ذلك : أنحرت مكتبة الحضرة — مد الله في عمرها وفي صبرها وفي أجرها ، وألهمها التسليم لحكم من هو غالب على أمرها — إلى أن تنقضي نبوة الخطب ، وتضع الأنفاس أوزارها للحرب ، ويُخرج ماءُ الحفن نارَ القلب ، وتراجع الخواطرُ إلى عاداتها ، وتنظر في الدنيا التي ما صُحِّبت إلا على عاداتها ومُعاداتها ،

(٨٠)

فتكون الحضرة عرفت من غير تعريف ، ووقفت على الحزم من غير توقيف ، وتوفّر عليها الثواب بغير مُشارك ، ورجعت إلى فهمٍ مُدركٍ وصوابٍ مدارك . وتأخير التعزية عن البادرة خلاف ما شرع فيها ، ولكن إنما يحتاج أن يُثَبَّت من صبره هاف ، ويرم من تجلُّده عاف . وقد علم الله أهتامي وأغتمامي بفقد شيخها رحمه الله وعدمها منه من لا عوض عنه إلا ثواب الله الذي يهون الوقائع ، ويوطن على الروائع . وأسباب التعزية غير واحدة ، منها أنه إنما درج في السن التي هي مُعترَك المنايا ، ومنها أنه ما نخرج عن الدنيا إلى أن رأى منها خلفاً يهون الرزايا ، ومنها أنه لقي الله بعملٍ صالح هو بمشيئة الله نجاته ، ومنها أنه فارقها على الرضا عنها ويكفيها مرضاته ، وعلى الدعاء المقبول لها ونعمت الجَنِّ دعواته .

ولكن للألأف لا بد حسرة \* إذا جعلت أقرانها تنقطع

ومنها أن الحزن لو أطيع والحزم لو أُضِيع لما أفضى إلى مُراد ، ولا أعاد ميتاً قبل المعاد . وأحقُّ متروك ما يَأْتِم طالبه ، ويُؤَجِّر مُجانبه .

عن الدهر فأصْفَحَ إنه غير مُعْتَب \* وفي غير مَنْ قد وارت التُّرْبُ فَأَطْمَع  
والحضرة تُعَلِّمُنِي من لَاحِقَةِ رَجوعِهَا إلى الله بعد الأَسْتِرْجَاع ، ومن تَسْلِيمِ خَاطِرِ  
الْحَزَنِ إلى حَكَمِ الله مَا يُسَرُّ خَاطِرَ الأَسْتَطْلَاع ، وحسبه — أبقاه الله تعالى — من كل  
هَالِك ، ولا يَجْزَعُ المحَاسِبُ مِنْ فَذَالِكَ ، ومثله مَنْ أَخَذَ بعِزَائِمِ الله فيما هو آخِذٌ وتَارِكٌ .  
جَبَرَ الله مُصَابَه ، وعَظَّمَ ثَوَابَه ، وسَقَى المَاضِي ورْقَى تَرَابَه ، ولا تَذْهَبُ النَفْسُ  
حَسْرَةً لِمَا شَهِدَتْ العَيْنُ ذَهَابَه .

وتَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى فِي غَيْبَتِي \* هَبْنِي حَضَرْتُ فَكُنْتُ مَاذَا أَصْنَعُ

ومن إنشاء الشيخ ضياء الدين أحمد بن محمد القرطبي ما كتب به الى الصاحب  
شرف الدين الفائزى يعزّيه في مملوك توفى له ، وكان الصاحب قد جزع لفقده . إبتدأ  
تأبه بأن قال :

فَدَى لَكَ مِنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ \* فَلَا أَحَدٌ إِذَا إِلَّا فِدَاكَ

إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . لقد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَسُنَّةٌ فِي الْأَمْرِ  
مُسْتَحْسَنَةٌ ، وَإِنَّمَا الْإِنْفُسُ وَدَائِعُ مُسْتَوْدَعَةٌ ، وَعَوَارٍ مُسْتَرْجَعَةٌ ، وَمَوَاهِبُ بِيَدِ الْفَنَاءِ  
مُسْتَنْزَعَةٌ .

فَالْعَمْرُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ \* وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خِيَالٌ سَارِي

وما بِرَحْ ذَوُو الْعِزَمَاتِ يَتَلَقَّوْنَ وَارِدَاتِ الْمَصَائِبِ بِصَبْرِهِمْ ، وما كَانَ لِلْمُؤْمِنِ  
وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ . وَإِن يَدِ اللهُ  
مَلِيَّةً بِفَيْضِ الْمَوَاهِبِ ، وَفِي اللهِ عَوْضٌ مِنْ كُلِّ بَائِسٍ وَخَلْفٌ مِنْ كُلِّ ذَاهِبٍ . وَإِذَا  
سَلِمَ مَوْلَانَا فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ، فَلَا بَأْسَ إِذَا تَطَرَّقَتْ يَدُ الرَّدَى إِلَى مَلِكٍ يَدِهِ .

فَأَنْتَ جَوْهَرَةُ الْأَعْنَاقِ ، مَا مَلَكَتْ \* كَفَّاكَ مِنْ طَارِفٍ أَوْ تَالِدٍ عَرَضُ

والحمد لله الذى جعل المصيبة عندك لا بك ، والرزية لك لا فيك .

\* إذا سلمت فكل الناس قد سلموا \*

وإذا تخطتكم المنية فلها في سواكم الحيار ، ولنا القدح المعلق إذا أورى زند هذا الاختيار . ولا بد في مَشَرع المنية من مفقودٍ وفاقد .

كن المعزى لا المعزى به \* إن كان لا بد من الواحد

وهذا فقد وهبه الله لمولانا من حيث إنه أخذه منه ، وأبقاه له من حيث رآه ذاهباً عنه ؛ فهو بالأمس عاريةً مردودة ، واليوم ذخيرة موجودة ؛ وكان عطيةً مسلوبة وهو الآن نعمةً موهوبة ؛ كنت له وهو الآن لك ، وفزت به والسعيد من فاز بما ملك . وهذه دارُ دواؤها دأؤها ، وبقاؤها فناؤها ؛ طالباً مطلوب ، وسالباً مسلوب ؛ وإن لنا فيمن سلف لعزاء ، ولنا برسول الله صلى الله عليه وسلم آقتداء ؛ ولا بد من ورود هذا المشرع ، وملاقاة هذا المصرع .

(٨١)

ومن إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ما كتب به عن بعض النواب إلى الأمير عز الدين الجموى النائب — كان بدمشق — تعزيةً بولده :

أعز الله أنصار المقر الكريم العالى ، ولا هدمت له الخطوب ركنا ، ولا بجات له الحوادث حمى ولا طلبت عليه إذناً ، ولا هصرت أيدي الأقدار من عروشه الناضرة غصنا ، ولا أذاقته الأيام بعد ما مرَّ أسفاً على من يحب ولا حُزناً ، ولا سلبه الجزع رداء الصبر الذى يخصه بجزيل الأجر وإن شركه فى الأسى والأسف كل منا .

المملوك يقبل اليد الكريمة ، وينهى أنه اتصل به النبأ الذى صدع قلبه ، وشغل بالبكاء طرفه وبالأسف لسانه وبالحزن لُبّه ؛ وهو ما قدّره الله تعالى من وفاة المولى الأمير ركن الدين عمر — تغمدّه الله برضوانه — الذى اختار الله له ما لديه ، وأرتضى له البقاء

- الدائم على الفانى فنقله إليه ، على أن الدين فقد منه رُكناً شديداً ، ورأياً سديداً ،  
وعزماً وحزماً مُعيناً مفيداً ، وأميراً أردنا أن يعيش سعيداً ، فأبى الله إلا أن يموت  
شهيداً ، فلما لله وإنا إليه راجعون . لقد كان للرجاء فى اعتضاد الدولة القاهرة به  
أى مجال ، وللا مال فى الانتظار ببأسه ظنونٌ تُحقق أن الغلبة للدين دائماً مع أن الحروب  
سجال ، وللمواكب بطلوع طلعتة أى إشراق ، وللعيون عن مشاهدة كماله وأبهة جلاله  
أى إغضاء وأى إطراق . والله أى بدرهوى من أفق بوجهه عن فلك ، وأى شمس  
ما رآته الجوارى الكُنس إلا قلن : حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك ، وأى  
حصن كانت منه ثمار الشجاعة تُجتنى ، وأى أسد برأته الصوارم وأجماته القنا . لقد  
فت فى عضد الدين مُصابه ، وأذهب صحة الأُنس به وحلاوة وجوده أوصاب  
فقدته وصابه ، وكادت الصوارم أن تشق عليه غمودها ، والرايات أن تقطع عليه  
ذوائبها وتغير بنودها ، والرماح أن تعرض على النار لتقصف قدودها ،  
والحياد أن تتعثر للحزن بدو لها ، وتعتاض بالنوح عن صهيلها . ولو أنصف لأكتته  
القلوب فى ضمائرهما ، ولو قيل الفداء لسمحت فيه النفوس بالنفائس ولو كانت  
الحياة من ذخائرهما ، أو لو كان الحنف مما يدافع بالجنود تحطمت دونه القنا فى دروع  
عساكرها ، ولكنه السبيل الذى لا يحيد عن طريقه ، والمعرس الذى لا بد لكل حى  
من النزول على فريقه ، وهو الغاية التى تستن إليها النفوس آستان الجياد ، والحلبة  
التي كنا نحن وهذا الدارج نركض إليها ولكن السابق كان الجواد ، على أن المتأخر لا بد  
له من اللحاق ، وماذا عسى يسر البدر بكماله وهو يعلم أن وراءه المحاق ! وفى رسول  
الله أسوة حسنة لمن كان يعلم أن كل رزء بعده جَلَل ، وإذا آنتقل العبد إلى الله تعالى  
غير مفتون فى دينه ولا مُثقل الظهر من الأوزار حيد فى غدٍ ما فعل ، وغُبط بقدمه

(١) فى الأصل : « من أفق سوجه » .



على أكرم الأكرمين مسرورا، ولقى الله وقد جعل في قلبه نورا وفي سمعه نورا وفي بصره نورا . والمولى أعزّه الله تعالى أولى مَنْ تَلَقَّى أمر الله بالتسليم والرضا، وقابل أقداره بأن الحيرة فيما قدّر وقضى ؛ وحمد الله على ما وهب من بقاء إخوته الذين فيهم أعظمُ خلف، وأجملُ عوض يقال به للدهر الذي آتذر بدوام المسرة فيهم : عفا الله عما سلف ؛ وعلم أن الخطب الذي هدّ ركن الدين بأحترابه وآجتراحه، قد صرفه إلى الأمد عن الإلمام بساحة شهابه والتعرّض إلى حمى نخره والنظر إلى حيّ صلاحه ؛ ففي بقائهم ما يرغم العدا، ويُعزّز حزب الهدى ؛ ويُقيم كلاً منهم في خدمة الدولة القاهرة بين يدي المولى مقام السبل الممتنى للأسد، ويُنهضهم من مصالح الإسلام مع ما يعلمه منهم من حسن الثبات من الوالد وسُرعة الوثبات من الولد . والله تعالى يُجزّل له من الأجر أوفاه، ويحفظ عليه — وقد فعل — أنحراه ؛ ويجعله للإسلام ذخرا، ولا يُسمعه مع طول البقاء بعدها تعزيةً أخرى .

٨٢

ومن أحسن الرثاء وأشجاء ما نطقت به الحنساء في رثائها لأخيها صخر، فمن ذلك قولها :

ألا يا صخرُ إن أبكيت عيني \* لقد أضحككتني دهرًا طويلاً  
دفعتُ بك الجليل وأنت حيّ \* فمن ذا يدفعُ الخطبَ الجليلاً  
إذا قُبِحَ البكاءُ على قتيلٍ \* رأيتُ بكاءك الحسنَ الجميلاً

وقالت أيضاً فيه :

ألا هبّلتُ أمّ الذين غَدَوْا به \* إلى القبر، ما ذا يحملون إلى القبر!  
وما ذا يُوارى القبرُ تحت تُرابه \* من الجُود! يا بؤسَ الحوادثِ والدهر!  
فشارب المنايا إذ أصابك ريبها \* لتغدُ على الفتيانِ بعدك أو تسرى

وقالت :

يَذْكُرْنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَحْرًا \* وَأَبْكِيهِ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ  
ولولا كثرة الباكين حولي \* على إخوانهم لقتلت نفسي  
وما يَبْكُونُ مِثْلَ أُنْحَى وَلَكِنْ \* أَسْأَلُ النَّفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِ

وقالوا : أرثى بيت قالته العرب قول مُتَمِّم بن نويرة في أخيه مالك ، وكان قد قتله  
خالد بن الوليد في الردة . وكان متمم قديم العراق ، فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى ، فقبل  
له : يموت أخوك بالملأ وتبكي على قبر بالعراق ! فقال :

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ \* رَفِيقِي لَتَذْرِافِ الدَّمُوعِ السَّوَابِكِ  
أَمِنْ أَجْلِ قَبْرِ بَالْمَلَأِ أَنْتِ نَائِحٌ \* عَلَى كُلِّ قَبْرٍ أَوْ عَلَى كُلِّ هَالِكِ  
وقال : أتبكي كلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ \* لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالِدَكَادَكَ  
فقلت له : إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا \* فَدَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ  
معناه قد ملأ الأرض مُصَابُهُ عِظَماً ، فكأنه مدفونٌ بكلِّ مكان . وهو أبلغ ما قيل  
في تعظيم ميت . وقيل أرثى بيت قالته العرب قول المُحَدِّث :  
عَلَى قَبْرِهِ بَيْنَ الْقُبُورِ مِهَابَةٌ \* كَمَا قَبْلَهَا كَانَتْ عَلَى صَاحِبِ الْقَبْرِ  
وقيل : بل قول الآخر :

١٥

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ \* فَطِيبُ تَرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ  
وقالوا : بل بيت غيره :

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكٌ وَاحِدٌ \* وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وقال الأصمعي : أرثى بيت قالته العرب قول الشاعر :

٢٠

وَمَنْ نَحِبَ أَنْ يَتَّ مُسْتَشْعِرُ الثَّرَى \* وَبِتُّ بِمَا زَوَّدَتْنِي مُتَمِّعَا  
ولو أني أنصفتك الودَّ لم أبت \* خلافاً حتى ننتطوي في الثرى معا

ومن أحسن الرثاء قول حسين بن مطير الأسدي :

أَلِمَّا بِمَعْرِنٍ ثُمَّ قُولًا لِقَبْرِهِ : \* سَقَتَكَ الْغَوْلِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا

فَقَتَّى عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ \* كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا

أَيَا قَبْرِ مَعْرِنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ \* مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّاحَةِ مَضْجَعًا

وَيَا قَبْرِ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ \* وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرْ وَالْبَحْرُ مُثْرَعًا !

بَلَى قَدْ وَسَّعْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيَّتٌ \* وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِيقَتْ حَتَّى تَصَدَّعَا

وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَالنَّدَى \* وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

قال أبو هلال العسكري : هذه الأبيات أرثى ما قيل في الجاهلية والإسلام .

وقال بكر بن النطاح يرثى معقل بن عيسى :

وَحَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ مَا قَالَ أَنَّهُ \* رَأَتْ عَيْنُهُ فِيمَا تَرَى عَيْنٌ نَائِمٌ

كَأَنَّ النَّدَى يَبْكِي عَلَى قَبْرِ مَعْقِلٍ \* وَلَمْ تَرَهُ يَبْكِي عَلَى قَبْرِ حَاتِمٍ

وَلَا قَبْرِ كَعْبٍ إِذْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ \* وَلَا قَبْرِ حَلْفِ الْجُودِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ

فَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مَعْقِلًا \* عَلَى كُلِّ مَذْكُورٍ بِفَضْلِ الْمَكَارِمِ

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا وَارَى التُّرَابُ فَعَالَهُ \* وَلَكِنَّا وَارَى ثِيَابًا وَأَعْظَمًا

ومثله لمنصور النمرى :

فَإِنْ تَكُ أَفْتَنَهُ اللَّيَالِي وَأَوْشَكَتْ \* فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سَيَبَقِي اللَّيَالِيَا

وقال التميمي في منصور بن زياد :

أَمَّا الْقَبُورُ فَإِنَّهِنَّ أَوَانِسُ \* بِفَنَاءِ قَبْرِكَ وَالْدِّيَارُ قُبُورُ

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ \* فَالْنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَاجُورُ

يُنْثَى عَلَيْكَ لِسَانٌ مِنْ لَمْ تُؤْلِهِ \* خَيْرًا لَأَنَّكَ بِالشَّاءِ جَدِيرُ

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ \* فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ  
فَالنَّاسَ مَأْتَمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ \* فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ

وقال ابن القزّاز المغربي :

سَأْبِكُكَ لَا أَنْ الْبَكَاءَ عَدْلُ لَوْعَتِي \* وَلَا أَنْ وَجْدِي فِيكَ كُفٌّ تَنْدُمِي  
وَقَلِّ لَعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ دُمُوعُهَا \* عَلَيْكَ وَلَوْ أَنَّ الَّذِي فَاضَ مِنْ دُمِي

وقال الحرّيمي :

وَأَعَدَدْتُهُ ذُنْحًا لِكُلِّ مُلِمَّةٍ \* وَسَهْمُ الرِّزَايَا بِالذَّخَائِرِ مُوَلَّعُ  
وَأِنِّي وَإِنْ أَظْهَرْتُ مَنِي جَلَادَةً \* وَصَانَعْتُ أَعْدَائِي عَلَيْهِ لُمُوجَعُ  
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ \* عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقال أبو هلال العسكري :

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْفِ الْمَكَارِمِ وَالْعَلَا \* غَدَتْ دَارُهُ قَفْرًا وَمَغْنَاهُ بَلْقَعَا  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَاسَ أَصْبَحَ بَعْدَهُ \* أَشَلُّ وَأَنْ الْجُودَ أَصْبَحَ أَجْدَعَا  
فَمُرًّا عَلَى قَبْرِ الْمُسَوِّدِ وَأَنْظُرَا \* إِلَى الْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ كَيْفَ تَخْشَعَا  
فَإِنْ يَكْ وَارَاهُ التَّرَابُ فَكَبَّرَا \* عَلَى الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْفَضْلِ أَرْبَعَا  
وَلَا تَسْأَلَا نَوْحًا عَلَيْهِ مُكْرَّرَا \* وَنَوْحًا لِفَقْدِ الْعَارِفَاتِ مُرْجَعَا  
فَمَا كَانَ قَيْسُ هُلُكُهُ هُلُكٌ وَاحِدٌ \* وَلَكِنَّهُ بُنْيَانٌ قَوْمٌ تَضَعُضَعَا  
وَلَا تَحْسَبَا أَنِّي أُوَارِيهِ وَحْدَهُ \* وَلَكِنِّي وَارِيْتُهُ وَالنَّدَى مَعَا

وقال أيضا :

أَلَسْتَ تَرَى مَوْتَ الْعُلَا وَالْفَضَائِلِ \* وَكَيْفَ غُرُوبَ النُّجُومِ بَيْنَ الْجُنَادِلِ !  
فَمَا لِلْمَنَايَا أَغْفَلَتْ كُلَّ نَاقِصٍ \* وَنَقَبْنَ فِي الْآفَاقِ عَنْ كُلِّ فَاضِلِ !  
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْفِ الْعُلَا سِيقَ لِلتَّرْدِي \* بِكُلِّ كَرِيمٍ الْفَعْلُ حُرَّ الشَّمَائِلِ

على أن من أبقتة ليس بخادٍ \* وليس أمرؤ يرجو الخلود بعاقل  
رأيت المنايا بين غاد ورأى \* فما للبرايا بين ساه وغافل!  
ولم أرك الدنيا حبيباً مُضرةً \* ولم أرك مثل الموت حقاً كباطل  
وقال الرقاشي في البرامكة :

•  
الآن أسترحنا وأسترحت ركابنا \* وقلّ الذي يُحْدَى ومن كان يُتْحَدَى  
فقل للطايا : قد أمنت من السرى \* وطىّ الفيا فى فدفداً بعد فدفد  
وقل للمنايا : قد ظفرت بجعفر \* ولن تظفري من بعده بمسود  
وقل للعطايا بعد فضل : تعطى \* وقل للرزايا كل يوم : تجددى  
ودونك سيفاً برمكياً مهنّداً \* أصيب بسيف هاشمى مهنّد  
وقال آخر :

سأبكيك للدنيا وللدن، إني \* رأيت يد المعروف بعدك شلت  
ربيعٌ إذا ضنّ الغمام بمائه \* وليثٌ إذا ما المشرفة سُلت  
وقال عبد الله بن المعتز :

•  
أست ترى موت العلّ والمحامد \* وكيف دفنا الخلق فى قبر واحد  
وللدهر أيامٌ يُسْنَن عوامداً \* ويُحَسِّن إن أحسن غير عوامد  
وقال أبو الطيب المتنبي :

إنى لأعلم - واللبيب خير - \* أن الحياة وإن حرصت غرورُ  
ما كنت أعلم قبل دفنك<sup>(١)</sup> فى الثرى \* أن الكواكب فى التراب تغورُ  
نرجوا به ولكلّ بالك حوله \* صَعَقَاتُ موسى يوم ذكّ الطورُ

(١) كذا فى ديوان المتنبي طبع مطبعة هندية سنة ١٨٩٨ . وفى الأصل : « قبل تنزل فى الثرى »

حتى أتوا جدنا كان ضريحه \* في قلب كلٍّ موحّدٍ محفورٍ  
نبكى عليه وما استقرّ قراره \* في اللحدِ حتى صاحته الحورُ  
ومنها :

صبراً على المكروه فيه تَكْرُماً<sup>(١)</sup> \* إنَّ العظيم على العظيم صبورُ  
ولكلِّ مفجوعٍ سواكم مُشَبِّهٌ \* وإكلٌ مفقودٍ سواه نظيرُ  
وقال آخر :

كفى حزناً أتى تخافتُ بعده \* أدورُ مع الباكين في عرصاته  
وصارت يميني ما حلفتُ بقبره \* وكانت يميني قبلها بحياته  
وقال آخر :

وكنْتُ أخاف الدهرَ ما كان باقياً \* فلما تولى مات خوفي على الدهرِ  
وقال آخر :

ولما دعوتُ الصبرَ بعدك والبكا \* أجب البكا طوعاً ولم يُجب الصبرُ  
وإنَّ يَنْقَطِعَ منك الرجاءُ فإنه \* سيَبَقَ عليك الحزنُ ما بَقِيَ الدهرُ  
وقال آخر :

فوالله لو أسطيعُ قاسمُهُ الردى \* فُتِنَّا جميعاً أو يُقاسِمنى عمري  
ولكننا أرواحنا ملكٌ غيرنا \* فما لي في نفسي ولا فيه من أمرٍ  
أَحْمَلُهُ ثِقَلَ الترابِ وإننى \* لأخشى عليه الثقل من موْطئِ الذرِّ  
وما أنا بالوافي وقد عشتُ بعده \* وربَّ اعترافٍ كان أبلغَ من عُذرٍ  
وقال آخر :

يا راحلاً لم يَبْقِ لي \* من بعده في العيش نفعاً

(١) في الديوان : « صبرا بنى إسحاق فيه تكرماً » .

ضاقَت على الأرض في \* لك وضقت بالإخوان ذرعاً  
ورعيتُ فيك النجمَ يا \* من كان يحفظني ويرعى  
أبكيك بالشعر الذي \* قد رق حتى صار دمعاً  
وقال تاج الملوك بن أيوب يرثي أخاه :

لو كان يشفي الدمعُ غلةً واجِد \* لشفى غليلي فيض دمعى الهامرِ  
هيات لا برد الغليل وقد نوى \* من كان من عددي وخير ذخائري  
بالرجال لنكبة قد أذهبت \* جلد الجليل وحسن صبر الصابر  
طرقت فتي الملك المعظم فأنثى \* من بعد بهجته كربع دائر  
ومنها :

جبلٌ هوى فأرتجت الدنيا له \* فكأنما ركبَتْ جناح طائر  
ومنها :

من للنواب يوم تفترس الورى \* قسراً بأنياب لها وأظافر  
أضحى وحيداً في التراب كأنه \* ما سار بين مواكب وعساكر  
قد كان لا تعصى البرية أمره \* فأنقاد ممتثالاً لأمر الأمر  
مولاي دعوةً واله غادرته \* وقفاً على نوب الزمان الغادر  
هل من سبيل للزيارة عندها \* هيات حال الموت دون الزائر  
لو كان خضمك غير حادثة الردى \* لرددته بدوايل وبواتر  
أو كان يُدرك ثأر من أودى به \* ريب المنون لكنت أَوْلَ ثائر  
لكنه الموت الذي قهر الورى \* من حيث لا تشيه قدرة قادر  
وقال كمال الدين بن النبيه يرثي الأمير على ابن الخليفة الناصر لدين الله :  
الناس للوت نكيل الطراد \* فالسابق السابق منها الجواد

والله لا يدعو إلى داره \* إلا مَنْ آستصلاح من ذى العباد  
 والموت نقاد، على كفه \* جواهرٌ يختار منها الحيات  
 والمرء كالظل ولا بد أن \* يزول ذاك الظل بعد امتداد  
 لا تصلح الأرواح إلا إذا \* سرى إلى الأجسام هذا الفساد  
 أرغمت ياموت أنوف القنا \* ودست أعناق السيوف الحداد  
 كيف تحزمت أميراً وما \* أنجده كل طويل النجاد  
 مصيبة أذكت قلوب الورى \* كأنما فى كل قلب زناد  
 نازلة عمت فمر أجلاها \* سن بنو العباس لبس السواد  
 مائة فى الأرض لكن لها \* عرس على السبع الطباق الشداد  
 طرقت ياموت كريماً فلم \* يقنع بغير النفس للضيف زاد  
 قصمته من سدرة المنتهى \* غصنا فشلت يد أهل العناد  
 يا ثالث السبطين خلفتى \* أهيم من همى فى كل واد  
 يا نائماً فى غمرات الردى \* تكلت أجفانى بميل الشهاد  
 وباضجع التراب أسقمته \* كأنما فرشى شوك القتاد  
 دفنت فى التراب ولو أنصفوا \* ما كنت إلا فى صميم الفؤاد  
 خليفة الله أصطبر وأحتسب \* فما وهى البيت وأنت العماذ  
 فى العلم والحلم بكم يقتدى \* إذا دجا الخطب وضل الرشاد  
 وأنت لج البحر ما ضره \* أن سال من بعض نواحيه واد

ولما مات الإخشيد محمد بن طنج رثاه جماعة من الشعراء منهم محمد بن الحسن

آبن زكريا فقال :

(١) كذا فى ديوان ابن النبه طبع مصر . وفى الأصلين : « فالعلم والحلم » .



في الرزايا روائع الأوجال \* والبرايا دريعة الآجال  
وكذا الليل والنهار اعتبار \* لاورى في تفكر الأحوال  
كل شيء وإن تمادى مداه \* قصوره للفناء أو للزوال  
وأرى كل عيشة لأناس \* كونها مؤذن بوشك انتقال  
كل ذى جذة - إذا ما الحديد \* ن ألحا عليه - مؤيد بال  
ما خلقي من المنون مفر \* لا ولا دون بطشها من مال  
كان غيث الأيام إن أخلف الغي \* ث أطلت سحابه بأنهمال  
بفعتنا بواهب لا نراه \* يخلق الوجه عنده بآبئذال  
بفعتنا بهجة الأرض في الأر \* ض وشمس الضحى وبدر الليالى  
بفعتنا بمن حمى حرمة الإس \* لام من حادث ومن ختال  
بفعتنا بالبازل البطل السا \* مى غداة الوغى إلى الأبطال  
بفعتنا بالواهب المجزى المر \* تاح حين السؤال للسؤال  
عجب إذ دنت إليه المنايا \* وحمى عزه المنيع العالى  
أين من يشتري المدائح والشك \* ر بأسنى وفير وأوفى نوال  
قطع الموت وصلنا منه كرها \* والردى قاطع لكل اتصال  
رحمة الله والسلام عليه \* فى الضحى والعشاء والآصال  
وسقى الله حفرة ضمتته \* شكر واه من الحيا هطال

ثم خرج من الرثاء إلى مدح آبنه فقال :

إن خبا بدره فقد لاح للأمة \* لما خبا طلوع الهلال  
نوره مشرق مضيء مدى الده \* ر منير وليس ذا أضمحلال

وقال أبو الطيب المتنبي يرثيه :

- هو الزمانُ مُشْتٌ بالذى جمعا \* فى كل يوم نرى من صرفه بدعا  
لو كان ممْتَنِعٌ تغنيه منعه \* لم يصنع الدهرُ بالإخشيد ما صنعنا  
ذاق الحمام فلم تدفع كتابه \* عنه القضاء ولا أغناه ما جمعا  
لقد نعى من نعاه كل مفتخر \* وكل جود لأهل الأرض حين نعى  
لله ما حل بالإسلام حين توى ! \* لقد وهى شعب هذا الدين فأنصدا  
فمن تراه يقود الخيل ساهمة \* سدّ الفضاء وملء الأرض ما وسعا  
ترى الخُوف غُلُوقًا فى أسنّته \* لدى الوغى وشهاب الموت قد لمعا  
لو كان يستطيع قبر ضمه لسمى \* إليه شوقًا ليلقاه وإن شسعا  
فليعجب الناس من لحد تضمّن من \* تضمّن الرزق بعد الله فأضطلعا  
لو يعلم اللحد ما قد ضمّ من كريم \* ومن نخارٍ ومن نعاء لا تسعا  
يا لحدّه إن تضيق عنه فلا عجب \* فيه الحجا والنهى والبأس قد جمعا  
يا لحد طل إن فىك البحر مُحْتَبَسًا \* والليث منهصرًا والجود مجتمعا  
يا يومه لم تحص الفجع أسرته \* كل الورى بردى الإخشيد قد فجعا  
يا يومه لم تدع صبرًا لمصطبر \* ولم تدع مدمعًا إلا وقد دمعا  
أردى الرفاق ردى الإخشيد فأنقضوا \* فما ترى منهم فى الأرض متجععا  
ياها الملك الخلي مجالسه \* أحميت أعيننا الإغماض فامتنعا

ومنها :

لئن مضيت حميد الأمر مُفْتَقِدًا \* لقد تركت حميد الأمر مُتَبَعًا

ثم خرج من الرثاء إلى مدح ولد الإخشيد :

تَبَّتْ الجَنانُ فلا نكس ولا ورع \* تلقاه مؤترأ بالحزم مدرعا

أعطت أبا القاسم الأملاك بيعتها \* ولو أبت أخذت أسيافه البيعا  
وأنقاد أعداؤه ذلًا لهيبته \* وظل متبوعهم من خوفه تبعًا  
أضحت به همم الغلمان علية \* كأن مولاهم الإخشيد قد رجعا

وقال مهلهل بن يموت يرثيه أيضا :

أى عزّ مضى من الإسلام ! \* أى ركن أضحى حديث أنهدام !  
ذاق موتًا محمد بن طغج \* هو ليث الشرى وغيث الغمام  
فقد الناس مولى الإنعام \* فهُمْ ساءمون كالأنعام  
مات ربُّ العُلا وراعى الرعايا \* والسرايا وكافل الأيتام  
أين ما كنت فيه من عزك البا \* ذخ والمُرتقى عزيز المرام !  
أين ذاك الحجابُ والمُلك والهبة \* بة أين الزحام وقت الزحام !  
من أميرٍ وقائدٍ وخطيرٍ \* ورئيسٍ وماجدٍ وهُمام  
كلهم مطرّقٌ لديك من الهبة \* بة خوف الإجلال والإعظام  
أين تلك الخيام حَوْلَك إن عرّست والأسد حول تلك الخيام  
من عديد وعُدّة لك ما بيه \* من قُعود فيها وبين قيام  
لم يُطق جمعهم دفاع الردى عند \* لك ولم يمنعوك منع اعتصام  
أسلمتك الخيول قسرًا وقد كند \* بت عليها سُورًا على الإسلام  
خانك السيف وهو يصدر عن أمه \* مرك مُستعديا بغير احتجام  
خذل الرمح وهو عونك لو حا \* ن لقاء وثار تقع قتّام  
لم ترّد القيسى عنك سهام الـ \* يحثف والحثف عندها فى السهام  
ما وقتك الحرابُ حرب المنايا \* حن وافاك جيشها من أمام

٥

١٠

١٥

٢٠

لم يُحصِّنك ما آفَتِيتَ من الآ \* لات من جَوْشَن ولا من لَام<sup>(١)</sup>  
 حَكَمَ الموتُ فيكَ من بعد ما كند \* ست تُرى حاكما على الحُكَّام  
 فقدتكَ الفُسطاط وجدًا مدى الدهر \* ومن بعدها بلادُ الشام  
 جُعِتْ يَثْرِبٌ وممكَّةٌ والبيد \* مت إلى زمزمِ أجل والمقام  
 عم فيكَ المصائبُ فاشتراك العا \* لم في الرُّزء منه والآلام  
 حَسَبْنَا الله عزَّ من حَكَمٍ يح \* رى على الحاكمين بالأحكام  
 كلُّ شيء إلى زوال ، ومن ذا \* نال ملك الدنيا بغير آخترام  
 أين أين الملوك في سالف الدهر \* بر دَهْتهم حوادث الأيام  
 أين من قد كانوا يُخافون في البأ \* س ويرجون للعطايا الجسام  
 ليس يَبْقَى إلا الإله تعالى \* من له الملك ثابتًا بالدوام  
 أي هذا الأمير بل يا أبا القا \* سم يَابَن السَّمِيدَع القَمَقَام  
 ارض حكم الإله في الملك المأ \* ضى وسلم لنافذ الأحكام  
 وهناك الذي بلغت من الأمد \* بروما حزته بحسن انتظام  
 ما كمثل الذي رُزئت ولا مث \* ل الذي قد ملكت في ذا العام  
 أنت مثل الإخشيد فانهض بما مَدَّ \* كت بالجد منك والإعترام  
 وقال بعض الشعراء يرثى الوزير يعقوب بن كلَّس وزير العزيز بن المعز

خليفة مصر :

٨٩

إن التصبر في الأمور جميل \* إلا عليك فما إليه سبيل  
 يا حاملًا ثقل العُلا وكأنه \* لعلو همتيه بها محمول  
 يا واهبًا فوق المنى وكأنه \* لسخائه مما يجود بنجيل

(١) لام : مخفف "لأم" جمع "لأمة" وهي الدرع .

جاء منها :

يَا تُرْبُ لَا تَأْكُلْ لِسَانًا طَالَمَا \* وَالْيَ بِهِ التَّحْمِيدُ وَالتَّهْلِيلُ  
يَا تُرْبُ لَا تَعْنَفْ بِكَفِّ طَالَمَا \* قَدْ كَانَ يُؤْلَمُ ظَهْرُهَا التَّقْبِيلُ

ومنها :

يَا دَهْرُ تَعْلَمُ مَا جَنَيْتَ عَلَى الْوَرَى ؟ ! \* خَطْبُ لَعْمُكَ إِنْ عَلِمْتَ جَلِيلُ  
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَهَلْتَ بِمِثْلِهِ \* يَا دَهْرُ إِنَّكَ بَعْدَهَا لَعَجُولُ

ومن المراثي المشهورة التي عُنى بها ، وَاَتَصَلَّتْ أَسْبَابُ الشَّارِحِينَ بِسَبَبِهَا ، الْمَرْثِيَّةُ الْعَبْدُونِيَّةُ الَّتِي نَظَمَهَا الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ وَنٍ يَرْتَى بِهَا بَنِي مُسَلِّمَةِ الْمَعْرُوفِينَ بَنِي الْأَفْطُسِ ، وَهِيَ مِنْ أَمْهَاتِ الْقَصَائِدِ وَوَسَائِطِ الْقَلَائِدِ ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِيهَا عَدَّةً مِنْ مَشَاهِيرِ الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ وَالْأَكْبَارِ مِنْ أَأَادَهُمُ الدَّهْرُ بِحَوَادِثِهِ وَنَجَاتِهِ ، وَوُثِبَ عَلَيْهِمُ الزَّمَنُ فَمَا وَجَدُوا جَنَّةً تَقِيهِمْ مِنْ وَثْبَاتِهِ ، وَدَبَّتْ [ عَلَيْهِمْ ] (١) الْأَيَّامُ بِصُرُوفِهَا ، وَسَقَتَهُمُ الْمُنِيَّةُ بِكَأْسِ حُتُوفِهَا . وَهَذَا نَحْنُ نَذَكُرُهَا وَنَزِيدُهَا تَبْيَانًا بِشَرْحٍ مِنْ أَسْتَبَهَمَتْ أَخْبَارَهُ ، وَخَفِيَتْ عَلَى الْمُطَالَعِ آثَارُهُ .

جزوب  
مَعِينُ التَّارِيخِ  
لَأَهْلِ التَّارِيخِ

وأول القصيدة :

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ \* فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ  
أَنْهَاكَ أَنْهَاكَ لَا أَلُوكَ مَعْدِرَةً \* عَنْ وَقْفَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ  
فَالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبْدَى مُسَالِمَةً \* فَالْيَيْضُ وَالسُّمْرُ مِثْلُ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ  
وَلَا هَوَادَةَ بَيْنَ الرَّأْسِ تَأْخُذُهُ \* يَدُ الضَّرَابِ وَبَيْنَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ  
فَلَا تَغُرَّنْكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمُهَا \* فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنِهَا سِوَى السَّهْرِ

(١) زيادة يقتضيا السياق .

ما لليالى - أقال الله عثرتنا \* من الليالى وخانتها يدُ الغير -  
 فى كل حين لها فى كل جارحة \* منّا جراح وإن زاغت عن البصير  
 تسرّ بالشىء لكن كى تغرّبه \* كالأيّ<sup>(١)</sup>م ثار إلى الجانى من الثمر  
 كم دولة وليت بالنصر خدمتها \* لم تبق منها! وسل ذكراك من خبر  
 هوت «بدار» وقلت غرب قاتله \* وكان عَضْبًا على الأملاك ذا أثر

«دارا» الذى ذكره هو دارا بن دارا آخر ملوك الفرس ، وقاتله الإسكندر .  
 وسندكر إن شاء الله أخبارهما فى فن التاريخ .

وأسترجعت من بنى ساسان ما وهبت \* ولم تدع لبنى يونان من أثر

« بنو ساسان » هم الفرس الأخرولهم دولة مشهورة أنقرضت فى الإسلام .  
 و « بنو يونان » أيضا من الملوك أرباب الدول المشهورة ، ومن مشاهير ملوكهم  
 الإسكندر بن فيلبس . وسترد إن شاء الله أخبارهم .

وأُتْبَعَتْ أُخْتَهَا طَسْمًا ، وعاد على \* عادٍ وجرهم منها ناقض المِرَر

أخت « طسم » جدّيس ، وهما أبناء عمّ كثير نسلهما وهم العرب العاربة .  
 وسندكر أخبارهما إن شاء الله فى وقائع العرب . و « عاد » هم قوم هود . و « جرهم »  
 هو ابن عوف بن زهير بن أنس بن الهَمَيْسَع بن حمير بن سبأ الأكبر بن يشجب  
 ابن يعرب بن حطّان ، وقيل : إن العمايقة من ولد جرهم . أراد بذكرهم أنهم كلّهم  
 أبادهم الموت .

وما أقالت ذوى الهيئات من يمين ولا أجارت ذوى الغايات من مضر

(١) الأيم : الأفعى .

«اليمين» كلهم باتفاق العلماء بالأنساب من ولد قحطان، ومنهم ملوك نذ كرم  
إن شاء الله في التاريخ . و «مضر» بن نزار بن معد بن عدنان . وقد تقدم ذكرهم  
في الأنساب .

ومزقت سباً في كل قاصية فما ألقى رائح منهم بمبتكر

«سباً» الذي أشار إليه هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأسمه عبد شمس،  
وإنما قيل فيه سبأ لأنه أول من أدخل بلاد اليمن السبي . وكان له عشرة أولاد  
سكن الشام منهم أربعة وهم : نخم وغسان وجذام وعاملة، وسكن اليمن منهم  
سته : كندة ومذحج والأزد وأنمار [والأشعر وعمرو] ، وقد ذكر الله عز وجل  
تمزيقهم بقوله : (وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) . وسند ذكر أخبار سبل العرم وسد مأرب .

وأنفذت في كليب حكماً ورمت \* مهلهلاً بين سمع الأرض والبصر

«كليب» الذي ذكر هو كليب بن ربيعة بن الحارث الذي ضرب به المثل  
فقيل : «أعز من كليب وائل» . وأشار ابن عبدون في هذا البيت إلى ما كان  
من قتل جسّاس بن مرة كليلاً وما وقع بين بكر وتغلب من الحروب التي شرحها إن  
شاء الله في وقائع العرب . وقوله : «ورمت مهلهلاً بين سمع الأرض والبصر»  
كأنه أراد ما حكى أنه قتل في موضع لم يطلع عليه أحد، وهو مثل ؛ يقال : فعل  
كذا وكذا بين سمع الأرض وبصرها إذا فعله خاليا .

ولم ترد على الضليل صحتة \* ولا ثنت أسداً عن ربها حجر

«الضليل» الذي أشار إليه هو أمرؤ القيس بن حجر بن عمرو، والحارث هو آكل  
المُرار، وسمى أمرؤ القيس بالضليل لأنه ترك ملكه وتوجه إلى قيصر يطلب منه

(١) التكملة عن فلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للعلامة الفلقشندی مؤلف كتاب

جيشا يأخذ به ثأر أبيه من بنى أسد . وإشارته إلى الصحة لقول امرئ القيس  
في قصيدته السينية :

وَبَدَّلْتُ قُرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صَحَّةٍ \* لَعَلَّ مَنَايَا تَحْوُلَنَّ أَبْوَسًا

لقد طمَحَ الطَّمَاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ \* لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبَسَا

- و « الطَّمَاح » رجل من بنى أسد أرسله قيصر إلى امرئ القيس بحلة مسمومة ،  
فلما لبسها تقطع ومات بأنقرة . وإشارته إلى أسد لأن بنى أسد كانوا قتلوا حُجْرَ  
ابن الحارث يوم مَاقِط .

وَدَوَّخْتُ آلَ ذُبْيَانٍ وَإِخْوَتَهُمْ \* عَبَسًا وَعَضَّتْ بَنَى بَدْرٍ عَلَى النَّهْرِ

أشار إلى ما كان بين عبس وذبيان من الحروب بسبب داحس والغبراء .

- وسيرد ذلك في وقائع العرب إن شاء الله تعالى .

وَأَلْحَقْتُ بَعْدِي بِالْعِرَاقِ عَلَى \* يَدِ ابْنِهِ أَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرِ

- أراد عدى بن أيوب بن زيد مناة بن تميم الشاعر . وأحمر العينين والشعر  
هو النعمان بن المنذر . وكان عدى هذا ترجمانا لأبرويز وكاتبه بالعربية ، فلما مات  
قابوس بن المنذر تَلَطَّفَ عدى وتحيل على أبرويز حتى ولّى النعمان إمرة العرب وقدمه  
على إخوته وكان أدمهم ، ثم آتهمه النعمان أنه وشى به فأحتال عليه حتى ظفر به  
وحبسه ثم قتله بالعراق ، فتَلَطَّفَ ابنه زيد بن عدى وتوصل حتى خدَمَ أبرويز  
على عادة أبيه ، وأوقع بين أبرويز والنعمان حتى قتله أبرويز ، على ما يرد إن شاء الله  
تعالى في التاريخ . والله أعلم .

وَأَشْرَفْتُ بِخُبَيْبٍ فَوْقَ فَارَعَةٍ \* وَأَلَصَقْتُ طَلْحَةَ الْفَيَاضِ بِالْعَفْرِ

(٩١)

- أشار إلى خبيب بن عدى الأنصاري وهو بَدْرِيّ وأسير في السرية التي خرج  
فيها مَرْتَدُ بن أبي مَرْتَدٍ فأنطلق به المشركون إلى مكة واشتراه حجر بن إهاب التيمي .



حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن نوفل ليقتله بأبيه، وكان خبيب قتل الحارث أبا عقبة يوم بدر، فصلبه عقبة على خشبة بالتنعيم وقتله . وطلحة الفياض هو طلحة ابن عبد الله التيمي أحد العشرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتل يوم الجمل، على ما سند كره إن شاء الله تعالى .

٥ ومزقت جعفرًا بالبيض، واختلست \* من غيلة حمزة الظلام للجزر  
«جعفر» الذي ذكره هو جعفر بن أبي طالب أخو علي رضي الله عنهما قتل في غزوة مؤتة . «حمزة» هو ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم أحد قتله وحشي غلام جبير بن مطعم، وجعله ظلامًا للجزر وصفه بالكرم .  
وبلغت يزد جرد الصين واختلست \* عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر  
ولم ترد مواضي رستم وقنا \* ذي حاجب عنه سعدًا في آبنه الغير  
«يزد جرد» الذي ذكره هو ابن شهریار آخر الملوك الساسانية . ورستم هو الأرميني وهو الذي قاتل سعد بن أبي وقاص وقتل يوم القادسية ، على ما ياتي شرح ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى .

١٥ وخضبت شيب عثمان دما، وخطت \* إلى الزبير ، ولم تستحي من عمر  
أشار في هذا البيت إلى مقتل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام رضي الله عنهم . وسترد إن شاء الله أخبارهم .

وما رعت لأبي اليقظان صحتته \* ولم تزوده إلا الضيغ في الغمر  
«أبو اليقظان» هو عمار بن ياسر العنسي قتل بصفيين وكان مع علي ، وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تقتل عمارًا الفئة الباغية» . ولما قتل كانت الراية يومئذ بيده فعطش فدعا بشربة من الماء فأتى بضيحة فشربها ثم قال : أخبرني  
٢٠

(١) الضيحة : الشربة من الضياح أو الضيغ بالفتح فيهما وهو اللبن الرقيق المزوج بالماء .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللبن آخر شربة أشربها في الدنيا ، فقتل يومئذ  
رضي الله عنه .

وأجزرت سيف أشقاها أبا حسين \* وأمكننت من حسين راحتي شمر

أشقاها هو عبد الرحمن بن مُعْجَم المُرَادِيّ قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
لقوله صلى الله عليه وسلم : "يا عليّ" ، أشقاها الذي يَحْضِب هذه من هذه " وأشار  
إلى لحية عليّ ورأسه . والحسين الذي ذكره هو الحسين بن عليّ . وشمر هو شمر  
أبن ذى الجَوْشَن وهو الذي أرسله عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد يحترضه على  
قتل الحسين ؛ وقيل : إن شمرًا لم يباشر قتل الحسين ، والذي قتله سِنَان بن أَنَس<sup>(١)</sup>  
النَّخَعِيّ ، وشمرٌ فهو المُجَهِّز والمَحْرَض على قتله ، فلذلك ذكره .

وليتها إذ فدت عمروًا بخارجة \* فدت عليًا بمن شاءت من البشر ١٠

عمرو الذي أشار إليه هو عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم  
أبن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، أمير مصر لمعاوية بن أبي سفيان . وخارجة رجل من  
سهم بن عمرو . وكان من خبره أن الخوارج كانت قد اجتمعت على قتل عليّ ومعاوية  
وعمر ، فكان الذي آتدب لقتل عمرو زادويه مولى بني العنبر ، ورصده إلى ليلة  
المعاد التي اتفقوا على الفتك بهم فيها ؛ فاشتكى عمرو تلك الليلة من بطنه ولم يخرج  
للصلاة وأستخلف خارجة ليُصَلّي بالناس ؛ فلما قام في المحراب وثب عليه زادويه  
وهو يظن أنه عمرو بن العاص فقتله ؛ وأخذ زادويه وأدخل على عمرو ، فسمع الناس

(١) كذا في الطبري طبع أوربا (ق ٢ ص ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧) وابن الأثير طبع أوربا

(ج ٤ ص ٦٦ — ٦٨) . وفي الأصل : « ابن أبي أنس » .

يخاطبونه بالإمرة، فقال: أو ما قتلتُ عمرا؟ قيل له: [لا] إنما قتلت خارجة؛ فقال: "أردتُ عمرا وأراد الله خارجة". فلذلك قال:

\* وليتها إذ فدت عمرا بخارجة \*

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن \* أتت بمعضلة الألباب والفكر  
فبعضنا قائل ما أغتاله أحد \* وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر

(٩٢)

ابن هند الذي أشار إليه هو معاوية بن أبي سفيان، أراد ما كان بينه وبين الحسن بن علي في أمر الخلافة. وأراد بالبيت الثاني ما وقع الاختلاف فيه من أن الحسن مات مسموماً وأن معاوية وعدّ زوجة الحسن جعدة بنت قيس الكندي بمائة ألف درهم ويزوجها لابنه يزيد إن قتلت الحسن، ففعلت وسمته. ولما مات الحسن وفي لها المال وقال: حبّ حياة يزيد منعني تزويجه منك؛ وقيل: مات الحسن حتف أنفه. والله أعلم.

وعصمت بالردي فودى أبي أنس \* ولم ترد الردي عنه قنا زفر

أبو أنس هو الضحاك بن قيس الفهري. يُشير إلى ما وقع بينه وبين مروان ابن الحكم بمرج راهط، وكان الضحاك يدعو لابن الزبير فقتل الضحاك، على ما ذكره إن شاء الله في أخبار مروان. وكان زفر بن الحارث الكلابي مع الضحاك ففر عنه.

وأردت ابن زياد بالحسين فلم \* يبؤ بشسع له قد طاح أو ظفر

أشار إلى عبيد الله بن زياد ابن أبيه عامل يزيد بن معاوية على العراق، وهو الذي جهز عمر بن سعد لحرب الحسين بن علي رضي الله عنهما. وقوله "يبؤ بشسع له" أخذه من قول مهلهل حين قتل بجير بن الحارث وقال: بؤ بشسع نعل كليب.

وأُنزلت مُصْعَبًا من رأس شاهقة \* كانت به مهجة المختار في وزر<sup>(١)</sup>  
أشار إلى مصعب بن الزبير بن العوام وقتله . والشاهقة هي الكوفة . جعلها شاهقة  
لمنعها وكثرة رجالها . وأراد ما كان بين مصعب وعبد الملك بن مروان من الحرب  
التي قُتل فيها مصعب . والمختار الذي ذكره هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود  
أبن عمرو الثقفي . أشار إلى ما كان بينه وبين مصعب من الحرب وقتل المختار .  
وسنورد كل هذه الوقائع إن شاء الله في التاريخ .

ولم تُراقب مكان ابن الزبير ولا \* راعت عيادته بالبيت والحجر  
أراد عبد الله بن الزبير، وكان يُسمى العائد لأنه كان يقول : أنا العائد بالبيت ،  
وقتله الحجاج بن يوسف الثقفي لما وجهه عبد الملك لحربه .  
ولم تدع لأبي الذبّان قاضيه \* ليس اللّطيم لها عمرو بمختصر<sup>١٠</sup>  
أبو الذبّان هو عبد الملك بن مروان بن الحكم ، سُمي بذلك لبخره . وقوله  
”قاضيه“ لأنه كان مظفرًا على أعدائه فإنه غلب من كان يناوئه في سلطانه مثل  
عبد الله ومصعب آبنى الزبير ، وعمرو بن سعيد ، وعبد الرحمن بن الأشعث ،  
ما منهم إلا من قُتل وحكم فيه قاضيه وهو سيفه ، ولم يُغن ذلك عنه لما أته منيته .  
وأما اللّطيم فهو عمرو بن سعيد الأشدق ، سُمي بذلك لميل كان في فمه ف قيل له من<sup>١٥</sup>  
أجله لّطيم الشيطان ، وقتله عبد الملك بن مروان .

وأظفرت بالوليد بن يزيد ولم \* تُبقي الخلافة بين الكأس والوتر  
الوليد هذا هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو الذي يقال له الجبار  
العنيد . أشار إلى ظفر يزيد بن الوليد بن عبد الملك به وقتله . و[قوله]<sup>(٢)</sup> :

... .. \* تَبَقَّ الخِلافة بين الكأس والوتر

أراد بذلك ما كان عليه الوليد من الاشتهار باللهو واللعب .

ولم تُعَدَّ قُضِبَ السِّفَاح نَابِيَّةً \* عن رأس مروان أو أشياعه الفُجَرِ

السِّفَاح هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو أول خلفاء الدولة العباسية . يُشير إلى ظفـره بمروان بن محمد وقتله ، وأنقراض دولة بني أمية وقتلهم على يديه .

وأَسْبَلَتْ عِبْرَاتٍ لِلْعِيُونِ عَلَى \* دَمٍ بَفَخَّ لآلِ الْمُصْطَفَى هَدَرٌ<sup>(١)</sup>

أشار في هذا البيت إلى ذكر من قُتِلَ بَفَخَّ وهم الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي ، والحسن بن محمد بن الحسن بن الحسن بن علي ، وعبد الله بن إسحاق ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، على ما نذكره في التاريخ إن شاء الله تعالى .

وأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا وَالْفَضْلُ يَنْظُرُهُ \* وَالشَّيْخُ يَحْيَى بِرَيْقِ الصَّارِمِ الذَّكَرِ<sup>(٩٣)</sup>

أشار في هذا البيت إلى قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ونكبة البرامكة في أيام الرشيد .

وَأُخْفِرَتْ فِي الْأَمِينِ الْعَهْدُ، وَأَتْنَبَتْ<sup>(٢)</sup> \* لِحُفْرٍ بَابْنِهِ وَالْأَعْبُدِ الْغُدُرُ

الأمين هو محمد بن هارون الرشيد . يُشير إلى ما كان بينه وبين أخيه المأمون وإلى العهد الذي كان الرشيد كُتِبَ بينهما . وجعفر الذي أشار إليه هاهنا هو المتوكل ابن المعتصم . أراد ما كان من قتل باغـر التركي له بمواطاة من آبنه المُتَنَصِّرِ ، على ما نُورده في أخباره .

وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمِنٍ \* وَأَسْلَمَتْ كُلَّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرٍ

(١) فخ : واد بمكة .

(٢) كذا في شرح القصيدة العبدونية لأبن بدرون . وفي الأصل : « وأتنبدت » .

- المأمون هو عبد الله بن الرشيد وهو أول من لُقّب بالمأمون، ولُقّب به بعد ذلك ولَدَّ من أولاد المعتمد بن عباد ويحيى بن ذى النون صاحب طليطلة . والمؤتمن فأول من لقب به مروان بن الحكم على قول من يقول إنه كان لبني أمية ألقاب ، ثم لُقّب به القاسم بن الرشيد . وكان الرشيد لما كتب العهد بين الأمين والمأمون جعل آبنه المؤتمن بعد المأمون، وجعل أمر المؤتمن إلى أخيه المأمون إذا أفضت الخلافة إليه إن شاء أمضاه وإن شاء خلعه ، فلما أفضت الخلافة إلى المأمون أزال المؤتمن فارتاع لذلك . وتلقّب بالمؤتمن محمد بن ياقوت مولى المعتضد صاحب فارس . وتلقّب به سلامة الطولوني ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر ثم تسمّى بالمنصور . وأما المنصور فأول من لُقّب به هشام بن عبد الملك بن مروان على تلك الرواية ، ثم المنصور أبو جعفر عبد الله بن عليّ العباسي ، ثم أبوطاهر إسماعيل آبن القائم بن المهدي صاحب إفريقية ، ثم محمد بن أبي عامر بالأندلس ، وتلقّب به آبن زيري الصنهاجي ، وتلقّب به سابور صاحب بطليوس ، وعبد الله بن محمد آبن مسلمة التّجيبّي ، وحفيده يحيى بن محمد بن عبد الله ، وعبد العزيز بن أبي عامر ، ثم تلقّب به جماعة من الملوك بعد نظم هذه المَرثية . وأما المنتصر فهو محمد آبن المتوكل ، وممن تلقّب بالمنتصر مدرار بن اليّسع صاحب سجلماسة . وكلّ هؤلاء أبادهم الموت .

وأعثر آل عباس - لَعَّا لَهُمْ - \* بذيل زبّاء من بيض ومن سُمُرٍ <sup>(١)</sup>

أشار في هذا البيت إلى ما كان من تغلب الأتراك والدّيلم على خلفاء الدولة العباسية حتى لم يبق لهم إلا أسم الخلافة، على ما سيرد في أخبارهم . وقوله :

\* بذيل زباء من بيض ومن سمر \*

تنبيهها على كثرة عدد المتغلبين على الأمر وقدرتهم على السلاح .

ولا وَفَّتْ بعهود المستعين ولا \* بما تأكَّد للمعتز من مِرَر

المستعين هو أحمد بن المعتصم العباسي . أشار إلى ما كان من قيام المعتز على

المستعين وهرب المستعين من سَامُرًا إلى بغداد . والمعتز هو أبو عبد الله محمد بن

المتوكل ، وسَرِدَ أخبارهم إن شاء الله تعالى :

وأوثقت في عُراها كلَّ معتمد \* وأشرقت بقَذاها كلَّ مُقتَدِر

المعتمد هو أبو العباس بن المتوكل ، وهو أول من لُقِّب بهذا اللقب ، وتلقَّب به

محمد بن عباد بإشبيلية . والمقتدر هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد ، وهو أول من

لُقِّب بالمقتدر ، ثم لُقِّب به أحمد بن سليمان بن هود الجُذامي بِسَرَقُسطة . ثم أخذ

أبن عبدون في رثاء بني الأَفطس فقال :

بَنِي الْمُظَفَّرِ وَالْأَيَّامُ مَا بَرِحَتْ \* مَرَا حِلًّا وَالْوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرِ

سُحْقًا لِيَوْمِكُمْ يَوْمًا وَلَا حَمَلَتْ \* بِمَثَلِهِ لَيْلَةٌ فِي مُقْبِلِ الْعُمَرِ

مَنْ لِلْأَسِرَةِ أَوْ مَنْ لِلْأَعْنَةِ أَوْ \* مِنَ الْأَسِنَّةِ يُهْدِيهَا إِلَى الثُّغَرِ

مَنْ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ مَنْ لِلرَّاعَةِ أَوْ \* مِنَ السَّاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَالضَّرَرِ

أَوْ رَفَعَ كَارِثَةً أَوْ دَفَعَ آزِفَةً \* أَوْ قَمَعَ حَادِثَةً تَعْيَا عَلَى الْقَدَرِ

مَنْ لِلظُّبَى وَعَوَالِي الْخَطِّ قَدْ عُقِدَتْ \* أَطْرَافُ السُّنْهَا بِالْعِيِّ وَالْحَصَرِ

وُطِئَتْ بِالثَّنَايَا السُّودِ بِيَضُّهُمْ \* أَعْجَبَ بِذَلِكَ وَمَا مِنْهَا سِوَى ذَكَرِ

(١) كذا في شرح ابن بدرون . وفي الأصل : "من للعدى ..." . (٢) كذا في شرح ابن

بدرون طبع ايدن سنة ١٨٤٦ . وفي الأصلين : "فَطَرَفَتْ بِالثَّنَايَا ..." . ولعل المراد بالثنايا ما يعلو

السيوف من الصدا لإهالها بعد موت أصحابها . وفي هامش شرح ابن بدرون إشارة إلى أنه في نسخة أخرى

"وُطِئَتْ بِالثَّنَايَا السُّودِ ..." الخ .

ويمح السّماح ويمح الجود لو سلّما \* وحسرة الدّين والدّنيا على عمر  
 سقّت ثرى الفضل والعبّاس هامية \* تُعزّي إليهم سَمَاحًا لا إلى المطر  
 ثلاثة ما آرتقى النّسران حيث رُقوا \* وكلّ ما طار من نسر ولم يطير  
 ثلاثة ما رأى العصران مثلهم \* فضلاً ولو عزّزا بالشمس والقمر  
 ومرّ من كلّ شيء فيه أطيبه \* حتى التمتع بالأصال والبُكر  
 من لجلال الذى عمّت مهايته \* قلوبنا وعبون الأنجم الزّهر  
 أين الإباء الذى أرسّوا قواعدَه \* على دعائم من عزّ ومن ظفر  
 أين الوفاء الذى أصفوا مشاربَه \* فلم يردّ أحدٌ منها على كدر  
 كانوا رواسى أرض الله منذ ناوا \* عنها استطارت بمن فيها ولم تقي  
 كانوا مصابيحها فمذ خبّوا غبّرت \* هذى الخليفة يالله فى سدر  
 كانوا شجا الدهر فاستهوتهم خدع \* منه بأحلام عادٍ فى خطا الخضر  
 من لى ولا من بهم إن أطبقت محن \* ولم يكن وردّها يُفضى إلى صدر  
 من لى ولا من بهم إن أظلمت نوب \* ولم يكن ليّلها يُفضى إلى سحر  
 من لى ولا من بهم إن عطّلت سنن \* وأخفيت السنّ الأيام والسّير  
 على الفضائل إلّا الصبر بعدهم \* سلامٌ مرّقبٍ للأجر مستظر  
 يرجو عسى ، وله فى أختها طمع \* والدّهر ذو عقبٍ شتى وذو غير  
 قرّطت آذان من فيها بفاضحة \* على الحسان حصى الياقوت والدّرر

(١) كذا فى شرح ابن بدرون . وفى الاصل : " رقا " .

(٢) فى شرح ابن بدرون : " غضت مهايته " .

(٣) كذا فى شرح ابن بدرون . وفى الأصل : " مرّقب للأمر ... " .

(٤) كذا فى شرح ابن بدرون . وفى الأصل : " من الحسان ... " .



ومن أجود الرثاء وأصنعه وأتقنه وأبدعه مراثنى أبي تمام حبيب بن أوس الطائي؛ فمن ذلك ما قاله يرثى به غالب بن السَّعْدِيّ:

هو الدهر لا يُسَوِّى وهنّ المصائب \* وأكثر آمال الرجال كواذب  
فيا غالباً لا غالبٌ لرزية \* بل الموت لا شك الذى هو غالب  
وقلت: أنحى، قالوا: أخ من قرابة؟ \* فقلت لهم إن الشُّكول أقارب  
نسبى فى رأي وعزيم ومنصب<sup>(١)</sup> \* وإن باعدتنا فى الأصول المناسب<sup>(٢)</sup>  
كأن لم يقل يوماً: كأن، فتثنى \* إلى قوله الأسماع وهى رواغب<sup>(٣)</sup>  
ولم يصدع النادى بلفظة فيصل \* سنانية فى صفحتها التجارب  
ومنها:

مضى صاحبي وأستخلف البث والأسى \* على فلى من ذا وهذاك صاحب  
عجبت لصبرى بعده وهو ميت \* وكنت أمراً أبكى دماً وهو غائب  
على أنها الأيام قد صرن كلها \* عجائب حتى ليس فيها عجائب  
وقال يرثى محمد بن الفضل الحميرى:

ربُّ دهر أصمّ دون العتاب \* مرصّد بالأوجال والأوصاب  
جفّ دَر الدنيا فقد أصبحت تك \* تال أرواحنا بغير حساب  
لو بدت سافراً أهيت ولكن \* شغف الخلق أنها فى النقباب  
إن ريب الزمان يُحسن أن يُهـ \* مدى الرزايا إلى ذوى الأحساب  
فلهذا يحفّ بعد أخضرار \* قبل روض الوهاد روض الروابي

(١) فى ديوان أبي تمام: "ومذهب".

(٢) كذا فى الديوان. وفى الأصل: "وهى لواعب". (٣) فى الديوان:

ولم يصدع النادى بخطبة فيصل \* سنانية قد دربتها التجارب

وقال فى الأصل: ويروى، ثم وضع تحت بعض الكلمات ما هو مذکور فى رواية الديوان.

جاء منها :

ذهبت يا محمد الغر من أي \* لامك الواضحات أي ذهاب  
عبس اللحد والثرى منك وجهًا \* غير ما عابس ولا قطاب  
أطفأ اللحد والثرى لبك المس \* روج في وقت ظلمة الأبواب  
وتبدلت منزلاً ظاهر الجحد \* ب يسمي مقطّع الأسباب  
منزلاً موحشاً وإن كان معمو \* رأ بجّل الصديق والأحباب  
يا شهاباً خبا لآل عبيد الله \* أعزز بفقد هذا الشهاب  
ومنها :

أنزلته الأيام عن ظهرها من \* بعد إثبات رجله في الركاب  
حين تم الشباب وأغدت الدن \* يا إليه مفتوحة الأبواب  
وحكى الصارم المحلى سوى أن \* حلاه جواهر الآداب  
قصدت نحوه المنية حتى \* وهبت حسن وجهه للتراب  
وقال يرثي إسحاق بن أبي ربيع :

أي ندى بين الثرى والجيوب \* وسؤدد لدن ورأي صليب  
يا بن أبي ربيع أسئلت \* من يومك الدنيا بيوم عصب  
شق جيوباً من أناس لو أس \* طاعوا لشقوا ما وراء الجيوب  
كنت على البعد قريباً فقد \* صرت على قربك غير القريب  
راحت وفود الأرض عن قبره \* فارغة الأيدي ملاء القلوب  
قد علمت ما رزئت ، إنما \* يعرف فقد الشمس بعد المغيب

(١) في الديوان : « سامى الشباب » .  
(٢) كذا في الأصل . وفي بعض نسخ الديوان : « الجنوب » وفي بعض آخر : « الجيوب » .  
والجيوب : الأرض الغليظة .

إذا البعيدُ الوطنِ أنتابه \* حَلَّ إلى نَهْيٍ ووادٍ خصيب  
أدنته أيدي العيس من ساحة \* كأنها مَسَقِطُ رأس الغريب  
أظلمت الآمالُ من بعده \* وعُرِّيتُ من كل حسن وطيب  
كانت خدودًا صُقلتُ برهةً <sup>(١)</sup> \* واليوم صارت مألَفًا للشَّحوب  
كم حاجةٍ صارت رُكوبًا به \* ولم تكن من قبله بالركُوب  
حَلَّ عِقالِها كما أَطْلقت \* من عُقد المُنْزَنَةِ رِيحُ الجَنُوب  
إذا تيمَّناه في مَطابٍ \* كان قَلْبًا ورشَاءَ القلب  
ونعمة منه تسربلُها \* كأنها طَرَّةُ بُرْدٍ قَشِيب  
من اللواتي إن ونى شاكر \* قامت لِمُسَدِّها مقامُ الخطيب  
متى تُنْخِ تُرْحَلُ بِنَفْضِ يله \* أو غاب يوما حضرت بالمغيب  
فما لنا اليوم ولا للعلا \* من بعده غيرُ الأسى والنَّحِيب

وقال يرثي أحمد بن هارون القرشي :

دأبُ عيني البكاء، والحزن دأبي \* فاتركني - وُقِيتِ مابي - لما بي  
سأجزي بقاء أيام عمري \* بين بَيٍّ وعَبْرَتِي وآ كَتَابِي  
فيك يا أحمد بن هارون خَصَّت \* ثم عَمَّت رَزِيقِي ومُصْصَابِي  
بجعتني الأيامُ في الصادق النُّط. \* ق فتي المَكْرُمات والآداب  
بجليلٍ دون الأخلاءِ [لا] بل <sup>(٢)</sup> \* صاحبي المُصْطَفَى على أَصْحَابِي  
أفلما تَسْرُبِلَ المجدَ وأَجْتا \* ب من الحمد أَيْمًا مُجْتَاب  
وتراءته أَعْيُنُ الناظرية \* قمرًا باهرًا ورُبَّال غاب

(١) كذا في الديوان . وفي الأصل : "صقلت مرة" .

(٢) التكلة عن الديوان .

وعلا عارضيه ماء الندى الجا \* رى وماء الحجا وماء الشباب  
أرسلت نحوه المنيّة عينًا \* قطعت منه أوثق الأسباب

وقال يرثي أبا الصقر :

لو صُحِّحَ الدمعُ لى أوناصحَ الكمد \* لقلما صَحَّباني الروح والجسدُ  
خات الصفاء أخَّ خان الزمانُ له \* أخافلم يتخوَّنُ جسمه الكمدُ  
تساقطُ الدمعُ أدنى ما بليتُ به \* للوجد إذ لم تساقطُ مهجّةٌ ويدُ  
فوالذى رتكتُ تطوى الفجاجَ له \* سفائنُ البرِّ فى خدِّ الثرى تتجدُ  
لأنفَدَنَ أسى إن لم أمتُ أسفًا \* وينفَدَ العمرُ بى أو ينفَدَ الأمدُ  
عنى إليك فإنى عنك فى شُغْلٍ \* لى منه يومٌ سيُبلى مهجتي وغدُ  
وإن بجريةً نابت جارتُ لها \* إلى ذرى جلدَى فاستؤهل الجلدُ  
هى النوائبُ فاشجى أوفعى عِظّةً \* فإنها شجرٌ أثمارها رشَدُ  
هبي ترى قلقًا من تحته أرقُ \* يحدوهما كمدٌ يعنوه له الجسدُ  
صماءُ سمِّ العدا فى جنبها ضربُ \* وشربُ كأس الردى فى ظلها شهدُ  
هناك أمُّ النهى لم تُودِ من حزن \* ولم تجدُ لبنى الدنيا بما تجدُ  
لو يعلم الناسُ علمى بالزمان وما \* عاثت يدها لما ربوا ولا ولدوا  
لا يُبعد الله ملحودًا أقام به \* شخصُ الحجا وسقاه الواحد الصمدُ  
يا صاحب القبر، دعوى غير متئيبة \* إن قال أودى الندى والبدر والأسدُ

١٩٧

(١) رتك (من باب ضرب) : عدا فى مقاربة خطو .

(٢) فى الديوان : "وإن بجيرية" بالتصغير ، والبجيرية : الداهية .

(٣) فى الديوان : "فإنها فرض" : جمع فرضة وهى موضع الاستقاء .

(٤) كذا فى الديوان ويعنو : يذل ويحضم . وفى الأصل : "يحنوله الجسد" .

بات الثرى بأخى جذلان مبهجاً \* ويت يحكم في أجفاني السهد  
 لهفى عليك وما لهفى بجحديّة \* ما لم يزرك بنفسى حرماً أجد  
 أمسى أبو الصقر يعفو الترب أحسنه \* دونى ودلّو الردى في مائه يرد  
 ويل لأتمك أقصر إنه حدث \* لم يعتقد مثله قلب ولا خلد<sup>(١)</sup>  
 غال الزمان شقيق الجود لم يقه \* أهل ولم يفده مال ولا ولد  
 حين آرتوى الماء وأفترت شبيبته \* عن مضحك للمعالى ثغره برد  
 وقيل : أحمدها ، بل قيل : أمجدها \* بل قيل : أنجدها إن فترت النجد  
 رؤد الشباب كنصل السيف لاجد \* في راحته ولا في عوده أود  
 سقى الحبيس ومحبوساً ببرزخه \* من السمي كغيث الودق يطرد  
 بحيث حل أبو صقر فودعه \* صفو الحياة ومن لذاتها الرغد  
 بحيث حل فقيد المجد مغترباً \* ومورثاً حسرات ليس تفتقد  
 وقال يرثى عمير بن الوليد :

أعيدى النوح معولة أعيدى \* وزيدى فى بكائك ثم زيدى  
 وقومى حاسراً فى حاسرات \* خوامش للنحور وللحدود  
 هو الخطب الذى أبتدا الرزايا \* وقال لأعين الثقلين جودى  
 ألا رزئت خراسان فتاها \* غداة ثوى عمير بن الوليد  
 ألا رزئت بمسئول منيل \* ألا رزئت بمتلاف مفيد  
 ألا إن الندى والجود حلاً \* بحيث حللت من حفر الصعيد  
 بنفسى أنت من ملك رمته \* منيته بسهم ردى سديد

(١) كذا فى الديوان . وفى الأصل : "جلد" .

(٢) فى الديوان : "رضيع الجود" .

تَجَلَّتْ غَمْرَةُ الْهَيْجَاءِ عَنْهُ \* خَضِيبَ الْوَجْهِ مِنْ دَمِهِ الْجَسِيدِ  
 فَيَا بَحْرَ الْمَنُونِ ذَهَبَتْ مِنْهُ \* بِحَرِّ الْجُودِ فِي السَّنَةِ الصَّلْوِ  
 وَيَا أَسَدَ الْمَنُونِ فَرَسَتْ مِنْهُ \* غَدَاةَ فَرَسَتِهِ أَسَدَ الْأَسُودِ  
 أَبَالبَطْلِ النَّجِيدِ فَتَكَتْ مِنْهُ <sup>(١)</sup> \* نَعَمْ وَبِقَاتِلِ الْبَطْلِ النَّجِيدِ  
 تَرَأَى لِلطَّعَانِ وَقَدْ تَرَأَتْ \* وَجْوهَ الْمَوْتِ مِنْ حُمْرٍ وَسُودِ  
 فَيَا لَكَ وَقَعَةً جَلَّلاً أَعَادَتْ \* أَسَى وَصَبَابَةً جَلَدَ الْجَلِيدِ  
 وَيَا لَكَ سَاعَةً أَهْدَتْ غَلِيلاً \* إِلَى أَكْبَادِنَا أَبَدَ الْأَيِّدِ  
 أَلَا أَبْلِغُ مَقَالَاتِ الْإِمَامِ آلِ \* خَلِيفَةِ وَالْأَمِينِ بْنِ الرَّشِيدِ  
 بَأَنَّ أَمِيرَنَا لَمْ يَأُلْ عَدْلًا \* وَنُصْحًا فِي الرِّعَايَا وَالْخُنُودِ  
 أَفَاضَ نَوَالَ رَاحَتِهِ عَلَيْهِمْ \* وَسَاحَ بِالطَّرِيفِ وَبِالتَّلِيدِ  
 وَأَضْحَى دُونَهُمْ لِلْمَوْتِ حَتَّى \* سَقَاهُ الْمَوْتُ مِنْ مَقْرِ هَبِيدِ <sup>(٢)</sup>  
 وَمَا ظَفِرُوا بِهِ حَتَّى قَرَأَهُمْ \* قَشَائِمَ أَنْسَرُ وَضُبَاعَ بَيْدِ  
 بَطْعِينَ فِي نَحْوِ رَهْمٍ رَشِيقٍ \* وَضَرِبَ فِي رِءُوسِهِمْ عَتِيدِ  
 فَيَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ أَصْطَبَحْنَا \* غَدَاةً مِنْكَ هَائِلَةً الْوَرُودِ  
 وَيَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ أَعْتَمَدْنَا \* بِفَقْدِ فَيْكِ لِلْسَّنَدِ الْعَمِيدِ  
 وَكَمْ أَسَخَنْتَ فِينَا مِنْ عِيُونٍ \* وَكَمْ أَعَثَرْتَ فِينَا مِنْ جُدُودِ  
 فَمَا زُجِرَتْ طَيُورُكَ عَنْ سَنِيعٍ \* وَلَا طَلَعَتْ نَجُومُكَ بِالسُّعُودِ  
 أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُرْدَى \* رَدَاءَ الْمَوْتِ فِي جَدَثٍ جَدِيدِ  
 حَضَرْتُ فِنَاءَ بَابِكَ وَأَعْتَرَانِي \* شَجَى بَيْنَ الْمُخَنَّقِ وَالْوَرِيدِ

(١) فِي الدِّيْوَانِ : "فَتَكَتَ مِنْهُ".

(٢) الْمَقْرُ : السَّمُّ أَوْ الصَّبْرُ أَوْ شَبْهُهُ . وَالْهَبِيدُ : الْخَنْظَلُ .

رَأَيْتُ بِهِ مَطَايَا مُهْمَلَاتٍ \* وَأَفْرَاسًا صَوَافِنَ بِالْوَصِيدِ  
فَكُنْتَ عَتَادَ إِمَا فَكَّ عَانٍ \* وَإِمَا قَتَلَ طَاغِيَةَ عُنُودِ  
رَأَيْتُ مُؤَمِّلِيكَ عَدْتُ عَلَيْهِمُ \* عَوَادٍ صَعَدَتْهُمْ فِي كَوُودِ  
وَأَضَحْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ فِي هَبُوطٍ \* حَظُوظٌ كُنَّ عِنْدَكَ فِي صُعُودِ  
وَأَصْبَحْتَ الْوَفُودُ إِلَيْكَ وَقَفًا \* عَلَى أَنْ لَا مُقَادَ لِمُسْتَفِيدِ  
فَكُلُّهُمْ أَعَدَّ الْيَأْسَ وَقَفًا \* عَلَيْكَ وَنَصَّ رَاحِلَةَ الْقُعُودِ  
لَقَدْ سَخِنْتُ عَيُونَ الْجُودِ لَمَّا \* ثَوَيْتَ وَأَقْصَدْتَ غُرُرَ الْقَصِيدِ

وقال يرثى محمد بن حميد الطوسي :

كَذَا فَلْيَجَلْ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ \* فَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ  
تُوفِّيَتْ الْأَمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ \* وَأَصْبَحَ فِي شَغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ  
وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلِّ مَالِهِ \* وَذُنْحًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُنْحُ  
وَمَا كَانَ يَدْرِي الْمُجْتَدِي جُودَ كَفِّهِ \* إِذَا مَا أَسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ  
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ عُطَّلَتْ لَهُ \* فَجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَأَثَغَرَ الثَّغَرُ<sup>(١)</sup>  
فَتَى كَلِمًا فَاضَتْ عَيُونُ قَبِيلَةٍ \* دَمًا ضَحِكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ  
[فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِبُهُ \* فَفَى بِأَسْهٍ شَطْرُوفِي جُودِهِ شَطْرُ]<sup>(٢)</sup>  
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مَيِّتَةً \* تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ  
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مُضْرَبُ سَيْفِهِ \* مِنْ الشَّلِّ<sup>(٣)</sup> وَأَعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمْرُ  
وَقَدْ كَانَ فُوتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ \* عَلَيْهِ الْحِفَاظُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ  
وَنَفْسٌ تَعَافَى الْعَارَ حَتَّى كَانَهُ \* هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ

(١) الإنفجار : أن يلقى الصبي ثغره على أسنانه . (٢) زيادة من الديوان .

(٣) شل الأعداء بسيفه : طردهم بين يديه . وفي الديوان : " من الضرب " .

- فأثبتت في مُسْتَنَقِع الموت رِجْلَه \* وقال لها من تحت أحمصك الحشر  
غدا غُدوةً والحمدُ نسجُ رِداثِه \* فلم ينصرف إلا وأكفأه الأجرُ  
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى \* لها الليل إلا وهى من سندسٍ خضر  
كأنت بنى نهبان يوم وفاته \* نجومُ سماءِ حرٍّ من بينها البدر  
يُعزّون عن ثاوٍ تُعزّى به العُلا \* ويبكى عليه الجُود والبأس والشعر  
وأنى لهم صبرٌ عليه وقد مشى \* إلى الموت حتى أسْتَشْهِداه وهو الصَّبر!  
ففى كان عذب الروح لا عن غَضاضة \* ولكن كبراً أن يكون له كبر<sup>(١)</sup>  
ففى سلبته الخيل وهو حمى لها \* وبزته نارُ الحرب وهو لها جمرُ  
وقد كانت البيضُ المآثير في الوغى \* بواتر فهى الآن من بعده بئر  
أمن بعد طى الحادثات محمداً \* يكون لأثواب العُلا أبداً نَشْرُ!  
[إذا شَجَرَات العرف جُدَّتْ أصولها \* ففى أى فرع يُوجد الورقُ النضر!<sup>(٢)</sup>  
لئن أبغض الدهرُ الخئونُ لفقده \* لعهدى به ممن يُحبُّ له الدهر  
لئن غدرت في الرّوع أيامه به \* لما زالت الأيامُ شيمتها الغدر  
لئن أليست فيه المصيبة طيُّ \* لما عُريت منها تميمٌ ولا بكرُ  
كذلك ما ننفك نفقده هالكا \* يُشاركنا في فقده البدو والحضر  
سقى الغيثُ غيثاً وارت الأرضُ شخَصَه \* وإن لم يكن فيها سحاب ولا قطر  
وكيف أحمالى للسحاب صنيعة \* بإسقيائها قبراً وفي لحده البحرُ  
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى \* ويغمرُ صرف الدهر نائله الغمرُ

(١) رواية الديوان :

٢٠ ففى كان عذب الروح لا من غَضاضة \* ولكن كبراً أن يقال به كبر

(٢) زيادة من الديوان .



مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة \* غداة ثوى إلا آشتهت أنها قبر  
عليك سلام الله وقفاً فإننى \* رأيت الكريم الحر ليس له عمر  
وقال يرثى إدريس بن بدر السامى :

دموع أجابت داعى الحزن هُمع \* توصل منا عن قلوب تقطع  
عفاء على الدنيا طويل فإنها \* تفرق من حيث آبتدت تتجمع  
تبدلت الأشياء حتى نلثها \* ستثنى غروب الشمس من حيث تطلع  
لها صيحة فى كل روح ومهجة \* وليست لشيء ما خلا القلب تُسمع  
إدريس ضاع المجد بعدك كله \* ورأى الذى يرجوه بعدك أضيع  
وغودر وجه العرف أسود بعد ما \* يرى وهو كالسكر الكعاب تصنع  
وأصبحت الأحزان لا لمبرة \* تسلم شراً والمعالى تُودع  
وضل بك المرتاد من حيث يهتدى \* وضرت بك الأيام من حيث تنفع  
وأضحت قريجات القلوب من الجوى \* تقيظ ولكن المدامع تربع<sup>(١)</sup>  
عيون حفظن الليل فيك محرماً \* وأعطينك الدمع الذى كان يمنع  
وقد كان يدعى لايس الصبر حازماً \* فأصبح يدعى حازماً حين يجزع  
وقالوا عزاء : ليس للموت مدفع \* فقلت : ولا للحزن للمراء مدفع<sup>(٢)</sup>  
لإدريس يوم ما تزال لذكركه \* دموعى وإن سكنتها تتفرع  
ولما نضا ثوب الحياة وأوقعت \* به نائبات الدهر ما يتوقع  
غدا ليس يدرى كيف يصنع معدم \* درى دمه من وجدته كيف يصنع  
وماتت نفوس الغالبين كلهم \* وإلا فصبر الغالبين أجمع

(١) تقيظ : يشدحها . وفى الأصل والديوان : "تقاظ" .

غَدَوْا فِي زَوَايَا نَعَشِهِ وَكَأَنَّمَا \* قَرِيْشٌ قَرِيْشٌ حِينَ مَاتَ مَجْمَعٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ أُنْسَ سَعَى الْجُودِ خَلْفَ سَرِيْرِهِ \* بِأَكْسَفِ بَالٍ يَسْتَقِيمُ وَيُظْلَعُ  
وَتَكْبِيرِهِ نَحْسًا عَلَيْهِ مُعَالِنًا \* وَإِنْ كَانَ تَكْبِيرُ الْمُصَلِّينَ أَرْبَعُ  
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي يَعْلَمُ اللَّهُ قَبْلَهَا \* بَأْسَ النَّدَى فِي أَهْلِهِ يَتَشَبَّعُ  
وَقَمْنَا فَقَلْنَا بَعْدَ أَنْ أُفْرِدَ الثَّرَى \* بِهِ مَا يُقَالُ فِي السَّحَابَةِ تُقْلَعُ  
— هَذَا مَا خُذَ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمٍ :

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ \* أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ—  
أَلَمْ تَكْ تَرَعَانَا مِنَ الدَّهْرِ إِنْ سَطَا \* وَتَحَفَّظْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا نُضَيِّعُ  
وَتَبْسُطْ كَفًّا فِي الْحَقُوقِ كَأَنَّمَا \* أَنَامَلُهَا فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ أَذْرُعُ  
وَتَلْبَسْ أَخْلَاقًا كِرَامًا كَأَنَّمَا \* عَلَى الْعِرْضِ مِنْ فِرَاطِ الْحَصَانَةِ أَذْرُعُ  
وَتَرْبِطْ جَاشًا وَالْكِمَاةَ قُلُوبُهُمْ \* تَزْعَزَعُ خَوْفًا مِنْ قَنَّا تَزْعَزَعُ  
وَأَمْنِيَّةُ الْمُرْتَادِ يَحْضُرُكَ النَّدَى \* فَيَشْفَعُ فِي مَثَلِ الْفَلَا فَيُشَفِّعُ<sup>(٢)</sup>  
فَأَنْطِقْ فِيهِ حَامِدٌ وَهُوَ مُفْحِمٌ \* وَأُخْفِمُ فِيهِ حَاسِدٌ وَهُوَ مُضْغَعٌ  
أَلَا إِنَّ فِي ظُفْرِ الْمَنِيَّةِ مُهْجَةً \* تَظَلُّ لَهَا عَيْنُ الْعُلَا وَهِيَ تَدْمَعُ  
هِيَ النَّفْسُ إِنْ تَبَكَ الْمَكَارِمُ فَقَدَهَا \* فَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الْمَكَارِمِ تُنْزَعُ  
أَلَا إِنَّ أَنْفًا لَمْ يَعْذُ وَهُوَ أَجْدَعُ \* لِفَقْدِكَ عِنْدَ الْمَكْرَمَاتِ لِأَجْدَعُ  
وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يُمَسِّ فَيْكَ مُفْجَّعًا \* بِمَلْحُودِهِ، فِي عَقْلِهِ لِمُفْجَّعُ  
وَقَالَ يَرْنَى الْقَاسِمُ بْنُ طَوُوقِ بْنِ مَالِكٍ :

جَوَى سَاوِرِ الْأَحْشَاءِ وَالْقَلْبِ وَاغْلُهُ \* وَدَمْعٌ يَضِيْمُ الْعَيْنِ وَالْجَفْنِ هَامِلُهُ<sup>(٣)</sup>

(١) مجمع : لقب قصي بن كلاب بن مرة وهو الجلد الخامس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقب بذلك لجمعه قريشًا للرحلتين : رحلة الصيف ورحلة الشتاء . (٢) في ديوان أبي تمام : \* فيشفع في ملء الملا فيشفع \* (٣) كذا بالأصل . ولعله محرف عن « يطم » بمعنى يملأ .

وفاجعُ موت لا عدوَّ يخافه \* فيبقى ، ولا يبقى صديقاً يُجَامِلُهُ  
 وأىُّ أخى عزٍّ وذى جَبَرِيَّةٍ \* ينابذه أو أىُّ رامٍ يناضِلُهُ<sup>(١)</sup>  
 إذا ما جرى مجرى دم المرء حُكْمُهُ \* وبُذَّت على طُرق النفوس حَبَائِلُهُ !  
 فلو شاء هذا الدهرُ أقصرَّ شرُّه \* كما أقصرتُ عناءَ لُهاهُ وناءِلُهُ  
 سُدَّ شَكْوَاهُ إعلاناً وسراً ونيَّةً \* شَكِيَّةً من لا يستطيع يُقَاتِلُهُ  
 فمن مبلغٍ عني ربيعاً أنه \* تقشعَ طُلُّ الجُود عنها ووابِلُهُ  
 وأنَّ الحِجَا منها استطارت صُدُوعه \* وأنَّ الندى منها أصيبت مَقَاتِلُهُ  
 مضى للزَّيَالِ القاسمُ الواهبُ اللُّهَى \* ولو لم يُزَايلنا لَكُنَّا نُزَايلُهُ  
 ولم يعلموا أنَّ الزمانَ يريده \* بفجعٍ ولا أنَّ المنايا تُرَاسِلُهُ  
 ومنها :

طواه الردى طىَّ الرِّداءِ وغِيَّبَتْ \* فضائلُهُ عن قومه وفَوَاضِلُهُ  
 طوى شَيْمًا كانت تروحُ وتغتدِي \* وسائلَ من أعيَتْ عليه وسَائِلُهُ  
 فيا عارضاً للعرْفِ أقلعَ مُزْنُهُ \* ويا وادياً للجُود جَفَّتْ مَسَائِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
 وقال يرثى محمد بن حميد وأخاه قُطْبَةُ :<sup>(٣)</sup>

بأبى وغير أبى — وذاك قليل — \* ثاوٍ عليه ثرى النَّبَاجِ مِهِيلُ

(١) فى الديوان : « وأى أخى عزاء أو جبرية » .

(٢) كذا فى الديوان . وفى الأصل : « ويا وادياً للعرف » .

(٣) كذا فى الجزء الثالث من شرح ديوانه لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى المحفوظ بدار الكتب المصرية

تحت رقم (٥٧٣ أرب) وكان محمد هو الأكبر والآخر قُطْبَةُ . وفى الأصل : « وقال يرثى محمد بن حميد

ويسمى قُطْبَةُ ، وقيل : قُطْبَةُ أخوه » والصحيح ما أثبتناه وهو أن قُطْبَةَ أخوه ويؤيد هذا قول

أبى تمام من مرثية أخرى يرثى بها بنى حميد الطوسى :

ذكرت أبا نصر بفقد محمد \* وقُطْبَةُ ذكرى طويل البلا بل

ومنها :

لعمرك ما كانوا ثلاثة إخوة \* ولكنهم كانوا ثلاث قبائل



خَذَلْتُهُ أَسْرَتَهُ كَأَنَّ سَرَائِهِمْ \* جَهِلُوا بِأَنَّ الْخَاذِلَ الْمَخْذُولُ  
أَكَّالُ أَشْلَاءِ الْفَوَارِسِ بِالْقَنَا \* أَضْحَى بَهَنَ وَشَلُوهُ مَا كَوُلُ  
مُكَفِّي، فَقَتَلَ مُحَمَّدٍ لِي شَاهِدٌ \* أَنْ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلُ  
ومنها :

هِيَهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ \* إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ  
مَا أَنْتَ بِالْمَقْتُولِ صَبْرًا إِنَّمَا \* أَمَلِي غَدَاةَ نَعِيَّكَ الْمَقْتُولُ  
ومنها :

مَنْ ذَا يَحْدُثُ بِالْبَقَاءِ ضَمِيرُهُ ! \* هِيَهَاتَ ! أَنْتَ عَلَى الْفَنَاءِ دَلِيلُ  
يَا لَيْتَ شَعْرِي بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا \* مَاذَا، وَقَدْ فَقَدْتَ نَدَاكَ، تَقُولُ ؟

ومنها :

يَا يَوْمَ، حَقِيبَةٌ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي \* حُرْقًا أَرَى أَيَّامَهَا سَتَطُولُ  
لَيْتَ لَوْ أَنَّ اللَّيْثَ قَامَ مَقَامَهُ \* لَأَنْصَاعُ<sup>(١)</sup> وَهُوَ يَرَاءَةٌ إِنْجَفِيلُ  
لَمَّا رَأَى جَمْعًا قَلِيلًا فِي الْوَعَى \* وَأَوَاوِ الْحِفَازِ مِنَ الْقَلِيلِ قَلِيلُ  
لَاقَى الْكَرِيمَةَ وَهُوَ مُغْمِدٌ رَوْعَهُ \* فِيهَا وَلَكِنْ بِأُسْهِ<sup>(٢)</sup> مَسْلُولُ  
وَمَشَى إِلَى الْمَوْتِ الزُّوَامِ كَأَنَّمَا \* هُوَ مِنْ مَحَبَّتِهِ إِلَيْهِ خَلِيلُ

ومنها :

أَضْحَتْ عِرَاضُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ \* وَأَخِيهِمَا وَكَأَنَّهُنَّ طُلُولُ  
أَبْنَى حَمِيدٍ لَيْسَ أَوَّلَ مَا عَفَا \* بَعْدَ الْأَسْوَدِ مِنَ الْأَسْوَدِ الْغِيلُ  
مَازَالَ ذَاكَ الصَّبْرُ وَهُوَ عَلَيْكُمْ \* بِالْمَوْتِ فِي ظِلِّ السِّيُوفِ كَفِيلُ  
مُسْتَبْسَلُونَ كَأَنَّمَا مُهْجَاتُهُمْ \* لَيْسَتْ لَهُمْ إِلَّا غَدَاةَ تَسْمِيلُ

(١) انصاع : انقل راجعا مسرعا . (٢) كذا في الديوان . وفي الأصل : "ولكن سيفه" .

أَلِفُوا الْمَنَايَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمْ \* من لم يُخَلِّ العِيشَ وهو قَتِيلُ  
إِنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَثْكَلَنِيكُمْ \* فَاَلْمَوْتُ أَيْضًا مِيتٌ مَشْكُولُ

وقال يعزى مالك بن طوق :

أَمَّا لَكَ إِنَّ الْحَزْنَ أَحْلَامٌ حَالِمٌ \* ومهما تَدُمُ فَالْحَزْنَ لَيْسَ بِدَائِمِ  
أَمَّا لَكَ إِفْرَاطُ الصَّبَابَةِ تَارِكُ \* حِنًا وَاعْوَجَاجًا فِي قَنَاةِ الْمَكَارِمِ  
تَأْمَلُ رُوَيْدًا هَلْ تَعْدَّتْ سَالِمًا \* إِلَى آدَمِ أَمْ هَلْ تَعْدُّ أَبْنَ سَالِمِ !  
مَتَى تُرْعِ هَذَا الْمَوْتَ عَيْنًا بِصِيرَةٍ \* تَجِدُ عَادِلًا مِنْهُ شَبِيهًا بِظَالِمِ  
فَإِنْ تَكُ مَفْجُوعًا بِأَبْيَضٍ لَمْ تَكُنْ \* تَشُدُّ عَلَى جَدَوَاهِ عَقْدَ التَّمَائِمِ  
بِفَارِسٍ دُغْمِيَّ وَهَضْبَةٍ وَائِلٍ \* وَكَوْكَبِ عَتَابٍ وَحَمْزَةِ هَاشِمِ  
شَجَا الرِّيحِ فَازْدَادَتْ حَنِينًا لِفَقْدِهِ \* وَأَحْدَثَ شَجْوًا فِي بُكَاءِ الْجَمَائِمِ  
فَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدْ أُصِيبَ نَبِيْنًا \* أَبُو الْقَاسِمِ النُّورُ الْمُبِينُ بِقَاسِمِ  
وَحُبْرُ قَيْسٍ بِالْجَلِيلَةِ فِي أَبْنِهِ \* فَلَمْ يَتَغَيَّرْ وَجْهُ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ  
وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَاذِي لِأَشْعَثٍ \* وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَآثِمِ :  
أَتَصْبِرُ لِلْبُلُوِّ عِزَاءً وَحِسْبَةً \* فَتُؤَجَّرُ، أَمْ تَسْلُو سَلْوَ الْبَهَائِمِ ؟  
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْأَسَى \* وَتِلْكَ الْغَوَايِي لِلْبُكَاءِ وَالْمَآثِمِ  
وَأَيُّ فَنَى فِي النَّاسِ أَحْرَضُ مِنْ فَنَى \* غَدَا فِي خِفَارَاتِ الدَّمُوعِ السَّوَاغِمِ  
وَهَلْ مِنْ حَكِيمٍ ضَيَّعَ الصَّبْرَ بَعْدَمَا \* رَأَى الْحِكْمَاءُ الصَّبْرَ ضَرْبَةً لَازِمِ  
فَلَا بَرَحَتْ تَسْطُورُ رِبْعَةٍ مِنْكُمْ \* بِأَرْقَمِ عَطَافٍ وَرَاءَ الْأَرَاقِمِ

(١) في نسخة من الديوان : "من لا تجل الحرب وهو قتيل" وفي نسخة أخرى منه : "من لم يخل  
الحرب ...".

(١٠٢)

فأنت وصنواك الشقيقان إخوة \* خُلقتم سَعُوطًا للأَنْفِ الرواغم  
ثلاثة أركان ، وما آنهد سؤدد \* إذا ثبتت فيه ثلاثُ دعائم

وقال يرثي عُثمير بن الوليد :

كفَّ الندى أمست بغير بنان \* وقناته أضحت بغير سنان  
جبلُ الجبال غدت عليه مُلَمَّةٌ \* تركته وهو مهْدَمُ الأركان  
أنعى عُثمير بن الوليد لغارة \* يَكْرِ من الغارات أولعوان  
أنعى فتى الفتيان غير مكذب \* قولى ، وأنعى فارس الفُرسان  
عثر الزمان ونائباتُ صروفه \* بمُقلنا عثراتِ كلِّ زمان  
لم يترك الحدَثانُ يوم سطا به \* أحداً نَصُول به على الحدَثانِ  
قد كنتَ حشَوَ الدرع ثم أراك قد \* أصبحتَ حشَوَ اللحدِ والأَكفانِ  
شغلت قلوبُ الناس ثم عيونهم \* مذ مُتَّ بالخفقانِ والهملانِ  
وأسْتعذبوا الأحرانَ حتى إنهم \* يتحاسدون مَضاضةَ الأحرانِ  
ما يرعوى أحدٌ إلى أحدٍ ولا \* يشْتاق إنسانٌ إلى إنسانِ  
أصاب منك الموتُ فرصةَ ساعةٍ \* فعَدَا عليك وأنتما أخوان!  
فمن الذى أبقى ليومٍ تكريمٍ \* ومن الذى أبقى ليومٍ طعان!<sup>(١)</sup>

وقال يرثي أبنا له :

كان الذى خِفْتُ أن يكونا \* إنا إلى الله راجعون  
أمسى المَرْجى أبو عالى \* مُوسِّداً فى الثرى يميناً  
حين أَسْتوى وأنتهى شباباً \* وحقَّقَ الرأى والظنوننا

(١) كذا بالأصل . والذى بالديوان :

فمن الذى يُبغى ليوم كريمة \* ومن الذى يُدعى ليوم طعان

أَصَبْتُ فِيهِ وَكَانَ عِنْدِي \* عَلَى الْمَصِيبَاتِ لِي مُعِينَا  
كَنتُ كَثِيرًا بِهِ عَزِيزًا \* وَكَنتُ صَبًّا بِهِ ضَمِينَا  
دَافَعْتُ إِلَّا الْمُنُونُ عَنْهُ \* وَالْمَرْءُ لَا يَدْفَعُ الْمُنُونَا  
آخِرُ عَهْدِي بِهِ صَرِيحًا \* لِلْمَوْتِ بِالْدَاءِ مُسْتَكِينَا  
إِذَا شَكََا غُصَّةً وَكَرْبًا \* لَاحَظَ أَوْ رَاجَعَ الْأُنِينَا  
يُدِيرُ فِي رَجْعِهِ لِسَانًا \* يَمْنَعُهُ الْمَوْتُ أَنْ يُبِينَا  
يَشْخُصُ طَوْرًا بِنَظَرِيهِ \* وَتَارَةً يُطَبِّقُ الْجُفُونَا  
ثُمَّ قَضَى نَجَبَهُ وَأَمْسَى \* فِي جَدَثٍ لِلثَّرَى دَفِينَا  
بَاشَرَ بَرْدَ الثَّرَى بِوَجْهِ \* قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِهِ مَصُونَا  
بَعِيدَ دَارٍ قَرِيبَ جَارٍ \* قَدْ فَارَقَ الْإِلْفَ وَالْقَرِينَا  
بَنَى يَا وَاحِدَ الْبَنِينَا \* غَادَرْتَنِي مُفْرَدًا حَزِينَا  
هَوَّنَ رُزْئِي بِكَ الرِّزَايَا \* عَلَى فِي النَّاسِ أَجْمَعِينَا  
آلَيْتُ أَنْسَاكَ مَا تَجَلَّى \* صَبَحُ نَهَارٍ <sup>(١)</sup> لِمُصْبِحِينَا  
وَمَا دَعَا طَائِرٌ هَدِيدًا \* وَرَجَعْتُ وَالِهُ حَنِينَا  
تَصَرَّفَ الدَّهْرُ بِي صُرُوفًا \* وَعَادَ لِي شَأْنُهُ شُؤُونَا  
وَحَزَنِي فِي اللَّحْمِ بَلَّ بَرَاهُ \* وَأَجْتَنَّتْ مِنْ طَلْحَتِي فُنُونَا  
أَصَابَ مِنِّي صَمِيمَ قَلْبِي \* وَخِفْتُ أَنْ يَقْطَعَ الْوَتِينَا  
وَالْمَرْءُ رَهْنٌ بِحَالَتِيهِ \* فَشَدَّةَ مَرَّةً وَلِينَا

١٠٣

(١) كذا في الديوان . وفي الأصل : "شمس نهار" .

## ومما قيل في شواذ المراثي :

- من ذلك ما قالته جليلة بنت مرة أخت جساس زوج كليب لما قتل أخوها جساس زوجها كليبا ، وكان نساء الحى لما اجتمعن للمأتم قلن لأخت كليب : رَحِّلِي جليلة عنك فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب ، فقالت لها : أخرجني عن مأتمنا ، فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا ، نخرجت وهي تبحر أعطافها ، فلقبها أبوها مرة فقال لها : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت : نُكِّل العَدَد ، وحرزن الأبد ، وفقدُ حليل ، وقتل أخ عن قليل ، وبين ذلك غرس الأحقاد ، وتفتت الأبداد . فقال لها : أَوَيْكَفُ ذلك كرم الصَّفْح وإغلاء الديات ؟ فقالت جليلة : أُمْنِيَّةٌ مخدوع ورب الكعبة ، أبالبدن تدع لك وائل دم ربها ! قال : ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب : رحلة المعتدى وفراق الشامت ! ويلٌ [غداً] لآل مرة ، من الكرة بعد الكرة ! وبلغ قولها جليلة فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها ! [ أسعد الله أختي ، ألا قالت : نفرة الحياء وخوف الأعداء ] ثم أنشأت تقول :

- يَابْنَةُ الْأَقْوَامِ إِنِّ لِمِتِ فَلَ \* تَعَجَّلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي  
فَإِذَا أَنْتِ تَبَيَّنْتَ الَّذِي \* يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلُومِي وَأَعْذُلِي  
إِن تَكُنْ أَخْتُ أَمْرِي لِيَمِتْ عَلَى \* جَزَعٍ مِنْهَا عَلَيْهِ فَافْعَلِي  
جَلِّ عِنْدِي فَعَلُّ جَسَّاسٍ فَيَا \* حَسْرَتَا عَمَّا أَنْجَلْتَ أَوْ تَنْجَلِي  
فَعَلَّ جَسَّاسٌ عَلَى ضَنِّي بِهِ \* قَاطِعٌ ظَهْرِي وَهُدَيْنٌ أَجَلِي

(١) كذا في الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢١٦ طبعة بلاق) . وفي الأصل : « وبين رزأين :

غرس الأحقاد ... » . (٢) في الكامل لابن الأثير : « تدع لك تغلب ... » .



(١) لو بعين فقئت عين سوى \* أختها وأنفقات لم أحفيل  
 تحمل العين قذى العين كما \* تحمل الأثم أذى ما تفتلى<sup>(٢)</sup>  
 إني قاتلة مقتولة \* فعمل الله أن يرتاح لي  
 يا قتيلاً قوض الدهر به \* سقف بيتي جميعاً من علي<sup>(٣)</sup>  
 ورماني فقده من كئيب \* رمية المصمى به المستأصل<sup>(٤)</sup>  
 هدم البيت الذي استحدثته \* وبدأ في هدم بيتي الأول<sup>(٥)</sup>  
 يا نسائي دونكن اليوم قد \* خصني الدهر برزء معضل  
 مسني فقد كليب بلظى \* من ورأى ولظى مستقبلي  
 ليس من يبكي ليومين كمن \* إنما يبكي ليوم ينجلي<sup>(٥)</sup>  
 درك الشائر شافيه وفي \* دركي ثاري ككل المشكل  
 ليه كان دمي فاحتلبوا \* درراً منه دما من أجلي

ولما مات معاوية بن أبي سفيان اجتمع الناس بباب يزيد فلم يقدروا على الجمع  
 بين التهنئة والتعزية ، حتى أتى عبد الله بن همام فقال : يا أمير المؤمنين ، أجزل الله  
 أجزل على الرزية . وبارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية ، فقد رزئت عظيماً ،  
 وأعطيت جسيماً ، فأشكر الله على ما أعطيت ، وأصبر على ما رزيت ، فقد فقدت  
 خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، ففارقت جليلاً ، وأعطيت جزيلاً ، إذ قضى  
 معاوية نحبه ، ووليت الرئاسة ، وأعطيت السياسة ، فأورده الله موارد السرور ،  
 ووفقك في جميع الأمور :

- (١) في رواية أخرى أشار إليها هامش الأصل : « فديت عين سوى » .  
 (٢) افئلى الصغير : رباه . (٣) في رواية أشير إليها في هامش الأصل : « ورماني قتله ... » .  
 (٤) في الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٣٨٩ طبع أوربا) : « وائتني في هدم ... » .  
 (٥) في الكامل لابن الأثير : « يشتني المدرك بالنار وفي ... » .

فاشكر يزيد فقد فارقت ذا مِقَّة \* واشكر حِباءَ الذي بالملك حَابَا<sup>(١)</sup> كَا  
 [أصبحت تملك هذا الخلق كُلَّهُمْ \* فأنت ترعاهمُ والله يرعاك<sup>(٢)</sup>]  
 لأرْزَءَ أعْظَمُ في الأَقْوَامِ قد علموا \* مما رُزِئْتَ، ولا عُقْبَى كَعُقْبَا كَا  
 وفي معاوية الباقي لنا خَلَفٌ \* إذا نُعِيتَ ولا نَسْمَعُ بَمَنْعَا كَا

ففتح للناس باب الرئاء وجروا على منواله .

وقال أبو نُوَاسٍ الحسن بن هانئ يعزّي الفضل بن الربيع عن الرشيد  
 ويهنّهُ بالأمين :

تَعَزَّى أبا العباس عن خير هالكٍ \* بأكرمٍ حيَّ كان أو هو كائنُ  
 حوادثُ أيامٍ تدور صروفُها \* لهنَّ مَسَاوٍ مرَّةً ومَحَاسِنُ  
 وفي الحى بالميّت الذي غيب الثرى \* فلا أنت مغبونٌ ولا الموت غابنُ

وقال أبو تمام يرثي المعتصم ويهنّىء الواصل :

ما للدموع تروم كلَّ مَرَامٍ \* والجفن ثاكلَ هَجْعَةٍ وَمَنَامٍ  
 يا حُفْرَةَ المعصوم تربيك مُودَعٌ \* ماءَ الحياةِ وقاتلَ الإعدامِ  
 إن الصفائح منك قد نُضِدت على \* ملقى عظامٍ لو علمت عظامِ  
 فتق المدامع أن لحدك حلّه \* سكنُ الزمانِ ومُمسكُ الأيامِ  
 ومصرفُ الملكِ الجموح كَأَنَّهُ \* قد زَمَ مُضْعَبُهُ له بزِمَامِ  
 هدمتُ صروفَ الدهرِ أرفعَ حائِطٍ \* ضربتُ دعائمَهُ على الإسلامِ  
 دخلتُ على ملكِ الملوكِ رُواقَهُ \* وتسربتُ لمَقْصُومِ القُؤَامِ

(١) رواية الكامل للبرد : (ص ٧٨٥ طبع لبيزج سنة ١٨٦٤) :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة \* واشكر بلاه الذي بالملك أصفَا كَا

(٢) زيادة من الكامل .

مفتاح كل مدينة قد أبهت \* غلقاً ومُحلى كل دار مقام  
ومعرف الخلفاء أن حظوظها \* في حيز الإسراج والإجمام  
أخذ الخلافة عن أسنته التي \* منعت حمى الآباء والأعمام  
فلسورة الأنفال في ميراثه \* آثارها ولسورة الأنعام  
ما دام هارون الخليفة فالهذى \* في غبطة موصولة بدوام  
إنا رحلنا واثقين بوائقي \* بالله شمس ضحى وبدر تمام  
لله أى حياة أنبعث لنا \* يوم الخميس وبعد أى حمام  
أودى بخير إمام اضطربت به \* شعب الرجال وقام خير إمام  
تلك الرزية لا رزية مثلها \* والقسم ليس كسائر الأقسام

جاء منها :

نقض كرجع الطرف قد أبرمته \* يابن الخلائف أيماء إبرام  
ما إن رأى الأقوام شمساً قبلها \* أفلت فلم تعقبهم بظلام  
أكرم بيومهم الذى ملكتهم \* فى صدره وبعامهم من عام

ثم أخذ فى مدح الوائق .

وفى هذه الواقعة يقول ابن الزيات :

قد قلت إذ غيبوك واصطفقت \* عليك أيد بالترب والطين  
إذهب فنعم المعين كنت على الدنيا ونعم الظهير للدين  
لن يجبر الله أمة فقدت \* مثلك إلا بمثل هارون

ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر وأضيقة مجالاً أن يرثى امرأة أو طفلاً .

وقد أخذ على المتنبي فى قوله يرثى أم سيف الدولة بن حمدان :

لله خالقة ما ... ما ... ما ... ما ... ما ... ما ...

وقالوا : ماله ولهذه العجوز يصف جمالها ! ووبّخه الصاحب بن عباد في قوله فيها :

رواق العز فوقك مُسَبِّطٌ \* ومُلكٌ على آبنك في كمال

قال أبو الحسن عليّ بن رَشِيق الأزدى في كتابه المترجم بالعمدة وبالأغاني<sup>(١)</sup> أيضا : أشدُّ ما هجَّن هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة من الهجاء أنه قرنها "بفوقك" هـ بجاء عملا تاما لم يبق فيه إلا الإفضاء . وإن يكن المتنبي أخطأ في هذا فلقد أجاد في غيره ؛ والفاضل من عُدَّت سَقَطَاتُهُ ، وحُفِظَتْ هَفَوَاتُهُ وفَلَاتَاتُهُ ؛ وأنظر إلى قوله في أخت سيف الدولة :

يا أخت خير أخٍ يا بنتَ خير أب \* كنايةً بهما عن أشرف النسب  
أجلُّ قدرِك أن تُدعى مُؤَنَّثَةً \* ومن يَصِفُكِ فقد سَمَّاكِ للعرب  
وقوله أيضا :

ولو كان النساءُ كمن فقدنا \* لفضَّلت النساءُ على الرجال  
مَشَى الأُمراءُ حولَها حُفَاةً \* كأن المَرَّو من زِفِّ الرِّئال<sup>(٢)</sup>

ومن جيد ما رثي النساء به وأشدّه تأثيراً في القلب وإثارةً للحزن قول ابن عبد الملك ابن الزيات في أم ولده :

ألا مَنْ رأى الطفلَ المفارقَ أُمِّه \* بُعِيدَ الكَرَى عِناه تبْتَدِرَانِ  
رأى كلَّ أُمٍّ وآبَنَها غيرَ أُمِّه \* يَبِيتَانِ تحتَ الليلِ يَنْتَجِيانِ  
وبات وحيداً في الفراشِ تحنُّه \* بلا بِلْ قَلْبٍ دائِمِ الحَفَقانِ



(١) لم يذكر أبو الفرج في النسخ التي تحت أيدينا من كتابه الأغاني شيئاً عن المتنبي مع أنه كان من

معاصريه . (٢) الزف : ريش النعام . والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام .

ومنها بعد أبيات :

ألا إنَّ سَجَلًا واحدًا قد أرقته \* من الدمع أو سَجَلين قد شَفِياني  
فلا تَلَحِياني إن بكيتُ فإِنَّمَا \* أَدَاوى بهذا الدمع ما تَرَيَانِ  
وإن مكانًا في الثرى خُطَّ لِحْدُهُ \* لمن كان من قلبي بكل مكان  
أحق مكانٍ بالزيارة والهوى، \* فهل أنتم إن عُجْتُ منتظران؟  
فَهَبْنِي عَزَمْتُ الصبرَ عنها لَأَتِي \* جَإِيْدٌ فمن بالصبر لَأَبْنِ ثَمَانِ  
ضعيف القوى لا يعرف الأجر حِسْبَةً \* ولا يَأْتِي بالناس في الحدَثَانِ  
ألا مَنْ أُمْنِيَّهِ المُنَى وأَعْدُهُ \* لَعَثْرَةٌ أَيَّامٍ وصَرَفَ زَمَانِ  
ألا مَنْ إذا ما جئتُ أكرمَ مجلسي \* وإن غبتُ عنه حَاطَنِي ورعَانِي  
فلم أر كالأقدار كيف تُصِيبُنِي \* ولا مثلَ هذا الدهرِ كيف رَمَانِي  
وقال أبو تمام يرثى جارية له :

ألم ترني خَلَّيْتُ عيني وشَانَهَا \* ولم أَحْفِلِ الدنيا ولا حَدَثَانَهَا  
لقد خَوَّفَتْنِي النَّائِبَاتُ صَرُوفَهَا \* ولو أَمْتَنَنِي ما قَبِلْتُ أَمَانَهَا  
وكيف على نار الليالي مُعَرِّمِي \* إذا كان شيبُ العارضين دُخَانَهَا  
أَصِبتُ بِخَوْدِ سَوفٍ أَغْبُرُ بَعْدَهَا \* حَلِيفَ أَسَى أَبِكِي زَمَانِي زَمَانَهَا  
عِنَانٌ مِنَ اللَّذَاتِ قد كان في يَدِي \* فلما مضى الإلفُ اسْتَرَدَّتْ عِنَانَهَا  
مَنْحَتُ الدَّمَى هَجْرِي فلا مُحْسِنَاتِهَا \* أَوْدٌ ولا يَهْوَى فَوَادِي حِسَانَهَا  
يقولون: هل يبكي الفتى لِحَرِيدَةٍ \* متى ما أَرَادَ أَعْتَاضَ عَشْرًا مَكَانَهَا!  
وهل يستعِيضُ المرءُ من نَحْمَسِ كَفِّهِ \* ولو صَاغَ من حُرِّ اللَّجَيْنِ بِنَانَهَا!  
وقال أبو الفتح كُشَاجِمُ يَعزَى بِأَبْنَةِ :

نَاسٍ يَا أَبَا بَكْرٍ \* لَمُوتِ الحُرَّةِ البِكْرِ

فقد زوجتها القبر \* وما كالتبر من صهر  
وعوضت بها الأجر \* وما كالأجر من مهر  
زفاف أهديت فيه \* من الحذر إلى القبر  
فتاة أسبغ الله \* عليها أفضل الستر  
ورزء أشبه النعم \* في الموضع والقدر  
وقد يُختار في المكرو \* ه للبر وما يدرى  
فقابل نعمة الله \* وما أولاك من شكر  
وعز النفس عما فا \* ت بالتسليم والصبر

وقال أبو مروان بن أبي الخصال الأندلسي في مثل ذلك :

ألا ياموت كنت بنا رءوفاً \* بخدت الحياة لنا بزوره  
حمدتُ لفعلك المأثور لما \* كفيت مؤونة وسترت عوره  
فأنكحنا الضريح بغير مهر \* وجهزنا الفتاة بغير شوره

(١٠٧)

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في آبنين لعبد الله بن طاهر ماتا صغيرين

في يوم واحد من قصيدة :

نجمان شاء الله ألا يطلعا \* إلا آرتداد الطرف حتى يافلا  
إن الفجيعة بالرياض نواضراً \* لأجل منها بالرياض ذوابلاً  
لو يُنسان لكان هذا غارباً \* للمكرمات وكان هذا كاهلاً  
لهفى على تلك الشواهد فيهما \* لو أمهلت حتى تكون شمائل  
لغدا سكونهما حجاً وصباحهما \* حلماً وتلك الأريحية نائل  
إن الهلال إذا رأيت نموه \* أيقنت أن سيكون بدرًا كاملاً

وقال أبو الحسن الأنباري في محمد بن بقية وزير عز الدولة بنختيار بن معز الدولة  
أبن بويه لما صلبه عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه عند خلع بنختيار، وهي  
من نوادر المراثي :

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ \* لَحَقَّ أَنْتَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ  
كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا \* وَفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ  
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا \* وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ  
مَدَدَتْ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ جَمِيعًا <sup>(١)</sup> \* كَمَدَّهُمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ  
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ \* يَضُمَّ عِلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ  
أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَأَسْتَنْابُوا \* عَنْ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ  
لُعْظِمِكَ فِي النُّفُوسِ بَقِيَتْ تُرَعِي \* بِحُجْرَاسٍ وَحُفَظَ ثِقَاتِ  
وَتُسَعَّلُ عِنْدَكَ النَّيْرَانُ لَيْلًا \* كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ  
وَلَمْ أَرَقَبَلْ جَذْعَكَ قَطُّ جَذْعًا \* تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرَمَاتِ  
رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلِ زَيْدٍ \* عَلَاهَا فِي السِّنِينَ الذَّاهِبَاتِ

أشار في هذا البيت إلى زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب لما قُتِلَ وَصَلِبَ

في أيام هشام بن عبد الملك .

ومما يدخل في هذا الباب ويلتحق به ما يطرأ من الحوادث التي تعم بها  
البلية، وتشمل بسببها الرزية، كاستيلاء أهل الكفر على بلد من بلاد الإسلام،  
وهزيمتهم لحيشه اللّهام، فمن ذلك ما كتب به القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني  
إلى الأمير عز الدين سامة لما استعاد الفرينج - خذلهم الله تعالى - مدينة بيروت :  
ابتدأ كتابه بأن قال بعد البسملة : قال الله سبحانه في كتابه العزيز مُسْلِمًا لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ

(١) كذا بالأصل . وفي إحدى النسخ : "افتفاء" وهو محرف عن "احتفاء" .

صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، فإذا كان من الناس من خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فكيف لا يخون الناس الناس ! وأين الموفون بمعهدهم إذا عاهدوا والصابرون في البأساء والضراء وحين الباس : وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلاً \* فقد صاروا أقل من القليل

- والمولى — أعزّه الله بنصره ، وعوّضه أحسن العوّض من أجره ، وكتب له .  
 ثواب تسليمه إليه وصبره — ليس بأقل من وثق بمن خان ، وقضية بيروت بأقل مقدور قال الله له : كن فكان ؛ والقدر السابق لا يدفعه الهمم اللاحق ، ومن  
 النجالات المستعارة نخلة الوائق ، والموثوق به لائق به النجمل الصادق ، ومعاذ الله أن ينكس المجلس رأسه حياء ، أو أن يسخط لله قضاء ؛ أو أن يأسف على مال نقله من مودعه الذى لا يؤمن من الآفات عليه ، إلى مودع الله الذى يحفظه إلى  
 أن يأتيه به أحوج ما كان إليه ؛ والحمد لله الذى جعل مصائبنا فى الدنيا فوائدا فى الأخرى ، ثم الحمد لله الذى جعل البادرة للعدوان والعاقبة للتقوى . وقد علم الله أنى مقاسمه ومساهمه ، ومضمير من الهم بما آتق من هذا المقدور ما مقدره عالمه ؛ غير أنه لا حيلة لمن لا حيلة له إلا الصبر ، وإن صبر جرى عليه القدر وجرى له الأجر ، وإن لم يصبر جرى عليه القدر وكتب عليه الوزر ؛ وكل ما ذهب من صاحبه قبل أن يذهب صاحبه فقد أنعم الله عليه ، حيث أنرج ما فى يديه وأبقى يديه ؛ والمال غاد ورائح ، والمال بالحقيقة هو العمل الصالح ؛ وإن اجتمع موصولها بحضرته فهو ينهى ما عندى ، ويؤدى حقيقة ودى ؛ ورأيه الموفق .  
 وقال أبو المظفر الأبيوردى<sup>(١)</sup> لما استولى الفرينج على البيت المقدس فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قصيدة منها :

(١) وتنسب هذه الأبيات أيضا فى النجوم الزاهرة (ج ٥ ص ١٥١ طبع دار الكتب المصرية) للقاضى زين الدين أبى سعد الهروى .



مَرَجْنَا دَمَاءَ بِالدَّمُوعِ السَّوَاجِمِ \* فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَاكِيمِ  
وَشَرَّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعٌ يُفِيضُهُ \* إِذَا الْحَرْبُ شَبَّتْ نَارُهَا بِالصُّوَارِمِ  
فَلَيْهَا بَنَى الْإِسْلَامُ ! إِنْ وَرَاءَكُمْ \* وَقَائِعَ يُلْحِقْنَ الذُّرَى بِالْمَنَاسِمِ  
أَتَهْوِيَةٌ فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَغِبْطَةٍ \* وَعَيْشٍ كُنُوزِ الْخَمِيلَةِ نَاعِمِ !  
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مِلءَ جُفُونِهَا \* عَلَى هَبَّاتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نَائِمِ  
وَإِخْوَانُكُمْ بِالشَّامِ يُضْحِي مَقِيلُهُمْ \* ظُهُورَ الْمَذَاكِ أَوْ بَطُونَ الْقَشَاعِمِ  
يَسُومُهُمُ الرُّومُ الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ \* تَجْرُونَ ذَيْلَ الْخَفِضِ فَعَلَ الْمَسَالِمِ  
وَكَمْ مِنْ دَمَاءٍ قَدْ أُيْحِتْ ، وَمِنْ دُمِّي \* تَوَارِي حَيَاءً حُسْنَهَا بِالْمَعَاصِمِ  
بَحِثِ السِّيُوفُ الْبَيْضُ مَحْمَرَةَ الثُّظْيِ \* وَشُرُ الْعَوَالِي دَامِيَاتُ اللَّهَازِمِ  
وَبَيْنَ اخْتِلَاسِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَقَفَةٌ \* تَظُلُّ لَهَا الْوِلْدَانُ شَيْبَ الْقَوَادِمِ  
وَتَلْكَ حُرُوبٌ مَنْ يَغِيبُ عَنْ غِمَارِهَا \* لَيْسَ لِمَنْ يَقَرَّعُ بَعْدَهَا سِنَّ نَادِمِ  
سَلَّلْنَ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ قَوَاضِيًا \* سَتُغَمَّدُ فِيهِمْ فِي الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ  
يَكَادُ بَهْرُ الْمُسْتَجِنِّ بِطَبِيبَةٍ \* يَنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ : يَا آلَ هَاشِمِ  
أَرَى أُمَّتِي لَا يَشْرَعُونَ إِلَى الْعِدَا \* رَمَاحَهُمُ وَالذِّينُ وَاهِي الدَّعَائِمِ  
وَيَجْتَنِبُونَ النَّارَ خَوْفًا مِنَ الْعِدَا \* وَلَا يَحْسَبُونَ الْعَارَ ضَرْبَةً لِأَزِمِ  
أَتَرْضَى صِنَادِيدُ الْأَعَارِبِ بِالْأَذَى \* وَتُعْضِي عَلَى ذُلِّ كُكَّةِ الْأَعَاجِمِ !  
فَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَذُودُوا حَيَّةً \* عَنْ الدِّينِ ضُنُوءًا غَيْرَةً بِالْمَحَارِمِ  
وَإِنْ زَهَدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَمَى الْوَعْنَى <sup>(١)</sup> \* فَهَلَا أَتَوْهُ رَغْبَةً فِي الْمَغَانِمِ !

(١٠٩)

(١) فِي الْأَصْلِ : "جَشَّ" وَلَعَلَّهَا مَحْرُفَةٌ عَنْ "حَسَّ" بِالْحَاءِ وَالسِّينِ الْمَهْمَلَيْنِ وَهُوَ (بِالتَّخْفِيفِ

وَالْتَشْدِيدِ) بِمَعْنَى اشْتِدَادِ الْأَمْرِ وَاضْطِرَامِ النَّارِ ، وَهِيَ رَوَايَةُ ابْنِ الْأَثِيرِ . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ رَوَايَةُ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ

لَا بِنِ ثَغْرِي بَرْدِي .

لئن أذعنت تلك الخياشيم للثرى \* فلا عَطَسُوا إِلَّا بِأَجْدَعِ رَاغِمِ  
دَعَوَانَاكُمْ وَالْحَرْبُ تَرْنُو مُلَاحَةً \* إِلَيْنَا بِالْحَظِّ النُّسُورُ الْقَشَاعِمِ  
تُرَاقِبُ فِينَا غَارَةً عَرَبِيَّةً \* تُطِيلُ عَلَيْهَا الرُّومُ عَضَّ الْأَبَاهِمِ  
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا عِنْدَ هَذِهِ \* رَمَتْنَا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالْجَرَاهِمِ

وقال علاء الدين على الأوتارىّ الدمشقيّ في مثل ذلك لما استولى التتار على  
دمشق في سنة تسع وتسعين وستمائة :

لَكَ عِلْمٌ بِمَا جَرَى يَا سَهَادِي \* مِنْ جَفَوْنِي عَلَى افْتِقَادِ رُقَادِي  
لَمْ أَجِدْ عِنْدَ شِدَّتِي مُؤْنِسًا لِي \* غَيْرَ سُهْدِي مُلَازِمًا لِسَوَادِي  
وَحَبِيبُ الْعَيْنِ الرِّقَادُ جَفَاهَا \* مُذْ رَأَاهَا خَلِيفَةُ الْأَنْكَادِ  
أَحْسَنَ اللَّهُ يَا دِمَشْقُ عَزَاكَ \* فِي مَغَانِيكَ يَا عِمَادَ الْبِلَادِ  
وَبُرُتَاقَ نَبِيِّكَ مَعَ الْمِزَّةِ \* مَعَ رَوْنَقِ بَذَاكِ الْوَادِي  
وَبَأْنُسَ بَقَاسِيُونَ وَنَاسٍ \* أَصْبَحُوا مَغْنَمًا لِأَهْلِ الْفَسَادِ  
طَرَقَتْهُمْ حَوَادِثُ الدَّهْرِ بِالْقَتْلِ \* لِي وَنَهَبَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ  
وَبَنَاتُ مُحَجَّباتٍ عَنِ الشَّمْسِ \* بَسِ تَنَاءَتْ بَيْنَ أَيْدِي الْأَعَادِي  
وَقُصُورُ مُشِيدَاتٍ تَقَضَّتْ \* فِي ذَرَاهَا الْأَيَّامُ كَالْأَعْيَادِ  
وَبُيُوتُ فِيهَا التَّلَاوَةُ وَالذِّكْرُ \* رُوعَالِي الْحَدِيثِ بِالْإِسْنَادِ  
حَرَّقُوهَا وَخَرَّبُوهَا وَبَادَتْ \* بِقَضَاءِ الْإِلَهِ رَبِّ الْعِبَادِ  
وَكَذَا شَارِعُ الْعُقَيْبَةِ وَالْقَصْدِ \* رُوشَاغُورُهَا وَذَاكَ النَّادِي  
أَصْبَحُوا الْيَوْمَ مِثْلَ أَمْسٍ تَقَضَّى \* وَبَكَتْهُمْ سَمَاؤُهُمْ وَالْغَوَادِي  
وَلَكُمْ سُورُهَا حَوَى مِنْ مَعْنَى \* مُقْرِجِ الْقَلْبِ وَالْحَشَى وَالْفُؤَادِ  
إِنْ بَكَى لَا يُفِيدُهُ أَوْ تَشَكَّى \* وَجَدَ الْمُشْتَكَى حَلِيفَ سُهَادِ

يشتكى فوق ما أشتكاه بأضعا \* في فيغدو وهمه في آزدیاد  
 فالغلا والجللا مع الجوع والعُر \* ي ونهب الأقوات والأزواد  
 والحصار الشدید والحبس والحو \* ف مع السادة العراة المكادی<sup>(١)</sup>  
 وبوزن الأموال من غير وُجد \* بأعتساف الغنم الغلاظ الشداد<sup>(٢)</sup>  
 كاتر آقا كبرخوار أنت ياغیه \* محمود غازان قاآن البلاد<sup>(٣)</sup>  
 يا ترى هل لكربنا من مجیر \* أم لتشدید أسرنا من مفادی  
 لهف نفسي على جیوش تولت \* ثم ولت جریحة الأكباد  
 كل نذب غضب حمی کمی \* أمجد أصدید شجاع جواد  
 إن سطا في هباته كان بحرا \* أو سطا خلته من الآساد  
 أو بدا حاملا تحل عنتریا \* أو غدا سابق الجواد فغادی  
 إن أتانی مبشر بلقاهم \* حاز رُوحی ومُهجتی وقیادی  
 ولثمت التراب سُكراً وعفراً \* ت خدودی على بلوغ مُرادى  
 لست أرجو غیر البشير شفیعا \* عند ربی فی المن بالإنجاد  
 فهو الصادق الذى وعد الید \* بن نصیر جار على الآباد  
 غیر أن الفساد یکسب ذلاً \* ویعمى الفساد طُرق السداد  
 وارتکاب الفساد یورث فقراً \* ونحرابُ البيوت عقی الفساد  
 یا حبيب الإله لا تتخلى \* عن عصاة غمرتهم بالأیادی

(١١٠)

(١) المكادی : جمع "مکدى" اسم مفعول من کداه بمعنى حبسه . (٢) الغنم : جمع أغنم وهو من لا يفصح . (٣) عرضنا هذا البيت على العالم الجليل موسى افندى جار الله نزيل القاهرة الآن فشرحه بما أتى : كاتر : هات . آقا : النقود . كبرخوار : كافر حقير غير کتابى . ياغیه : العدو الباغى . قاآن : كبير الملوك . ومعنى البيت : هات أيها الكافر الحقير الخراج أنت عدو لقاآن (خاقان) البلاد محمود غازان . وهذا البيت لا تتفق أوزانه مع النفايل الشعرية .

- يا حبيبَ الإلهِ قد مسَّنا الضرُّ \* فخذُ بالإسعافِ والإسعادِ  
يا حبيبَ الإلهِ تُبْنَا إلى الله \* وأنتَ العِمَادُ حتَّى المَعَادِ  
مَنْ لَأَسْرَى كَسْرَى حَيَارَى دَهْتَهُم \* دَهْتَهُم جِيَادُ أَهْلِ الْعِنَادِ  
واضع اللقط في الحسابِ عنه \* - أو يعش - حصر كثرة الأعدادِ  
منهمُ الطفلُ والصبيَّةُ والشابُّ \* يُنَادِي، فمن يجيب المُنَادِي !  
وَيُنَادِي عليهمُ برغيف \* وبتزيرٍ بحسبِ بسوق الكَسَادِ  
عوضوا عن سرورهم بغرور \* وقصورِ البلادِ سُكْنَى الْبَوَادِي  
وبأهلِ الودادِ شرًّا أناس \* وبلينِ المِهَادِ شوكَ الْقَتَادِ  
أى عين عليهمُ ليس تَبْكِي \* أى قلبَ عليهمُ غيرُ صَادِي !  
فلأنتَ الرحيمُ قلبًا ولُبًّا \* ولأنتَ الهَادِي سُبُلَ الرِّشَادِ  
ولأنتَ البَدِيعُ خَلَقًا وَخُلُقًا \* ولأنتَ السَّمِيعُ لِلْإِنشَادِ  
ولأنتَ الظَّرَازُ فِي كُلِّ مَعْنَى \* ولسيفِ المَقَالِ شَبَهُ النِّجَادِ  
ولأنتَ الحَاوِي فُنُونَ صِفَاتٍ \* دونَ حَصِيرِهَا فَنَاءُ الْمِدَادِ  
ولأنتَ الممدوحُ من فوق عَرِشٍ \* بعدُ ماذا يقول قُسُ الإِيَادِي  
جُلُّ قَصْدِ الفَصِيحِ بالنظمِ معْنَى \* نَشْرُ فَضْلِ الممدوحِ بين العِبَادِ  
فإذا كانَ مُنشئُ المدحِ رَبِّي \* عادَ مدحُ الفَصِيحِ جَمَعَ سَوَادِ  
فعليكَ الصَّلَاةُ يَرْجُوها الأُمم \* نَبَّ عَلَى مَنْ سَاءَ الْأُنْكَادِ

وحيث انتهينا من المرائى والنوادر إلى هذه الغاية ، فلنذكر نبذة من الزهد

والتوكل .

## من القسم الرابع من الفن الثاني في الزهد والتوكل

وهذا الباب - وقفنا الله وإياك لقصدنا ، وألهمنا سلوك سبيل رشدنا ؛

واستعملنا في مراضيه ، وجنبنا عن الالتفات بالقول والفعل إلى معاصيه -- من

هذا الفن هو واسطة عقده ، وعضد زنده ، وقائم مردهه وحد فرنده ؛ وشباً سنانه ،

ومثنى عنانه ، وإنسان حدقته ، وحدقة إنسانه ؛ وكيف لا وهو للنفس ذرة تاجها ،

وطبيب علاجها ، وواضح منهاجها ؛ ودليلها المرشد إذا ضلّ الدليل ، ومنجّيها من

الهلول الأعظم إذا فر المرء من الأخ والأثم والأب والآبن والصاحبة والخليل . فتأمله

أيها المطالع بعين قلبك قبل ناظرِكَ ، وأتخذه من أحصن جنتك وأعدّ عدّوك وأنفس

ذخائرِكَ ؛ ورُضْ به نفسك إذا جمحت ، وسكّن به آمالك إذا مالت إلى المطامع

وجنحت . وأعلم أن الدنيا ظلّ زائل ، وعدوّ قد نصّب لك الشباك ومدّ الحبال ،

وأنت لا بدّ مسؤل عما آكتسبته منها ، فليت شعري ما أعددت لجواب المسائل ؟

فهى العدو الذى أشبهه بالصديق ، والغادر الماكر الذى ما أخوفنى أت مكّره بى

وبك سيّحيق . فأقتصر على القليل منها ، وأعلم أنك سترحل فى غد عنها ؛ وأن الموت

نازلٌ بك فلا ينفعك ما جمعته من مال وخول ، ولا يصحبك من الدنيا إلا ما قدمته

لآخرتك من صالح العمل ؛ وأت مالك سيققسمه من لعلّه لا يشكركَ عليه ، وماذا

ينفعك شكره أن لو فعل ! وغاية ما ينالك من دنياك ، وإن بلغت منها مُنالك ،

وطال بها مدّاك ؛ أن تُمَتّع بزهرتها ، وتنال من لذتها ؛ وقد علمت بالمشاهدة من

حالك وحال غيرك ما يؤول أمر ملاذّها إليه فى العاجل ، وما يتوقّع لمن أقتصر من

دنياه عليها فى الآجل ؛ فالما كل والمشرب صائران إلى ما علمته وإنما تحصل اللذة

بهما قبل الأزدرداد ، والمنكح والمركب فانت وهما في الموت والفناء على ميعاد ،  
 والملابس فسُخِّلَقَها الأيام بعد الجدة ، والمساكن فسُتَعَفَّى اللبالي آثارها ولو بعد مدة .  
 فإذا علمت أن مآل الدنيا إلى الزوال ، وقصَّارها إلى الانتقال ؛ وملاذها إلى هذه  
 الغاية ، والعمر فيها وإن طال سريعُ النهاية ؛ فتقلَّ منها حسب طاقتك ، واقتصر  
 على ما تسدُّ به بعض خلَّتِكَ وفاقتك ؛ وأعمل لآخرتك التي لا ينقضى أمدها ، ولا يفنى  
 من النعيم الدائم مددها . وقد أمرتك الخير وليتني به لو ائتمرت ، وأوضحتُ لك  
 سبيل الرشاد وليتني به لو مررت .

أمرتك الخير لكن ما ائتمرتُ به \* وما استقممتُ فما قولي لك : استقم !  
 وسأورد إن شاء الله على سمعك من هذا الباب ما إن تمسكت به كان سببا  
 لإرشادك ، وذخيرةً تجدها في يوم معادك .

### ذكر بيان حقيقة الزهد

قال الإمام الأوحى العالم زين الدين حجة المتكلمين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد  
 الغزالي الطوسي رحمه الله تعالى في كتابه المترجم بإحياء علوم الدين : أعلم أن الزهد  
 في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين . وينتظم هذا المقام من علم وحال  
 وعمل كسائر المقامات ؛ لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول  
 وعمل . وكأن القول لظهوره أُقيم مقام الحال ، إذ به يظهر الحال الباطن ، وإلا  
 فليس القول مراداً بعينه ؛ وإذا لم يكن صادرا عن حال سُمي إسلاما ولم يسم إيمانا .  
 والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر ، والعمل يجري مجرى الثمرة .

فأما الحال فنعني بها ما يُسمى زهدا ، وهو عبارة عن أنصراف الرغبة عن الشيء  
 إلى ما هو خير منه ؛ فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فلانما عدل

﴿١١٢﴾

عنه لرغبته عنه، وإنما عدل إلى غيره لرغبته فيه . فخاله بالإضافة إلى المعدول عنه  
يُسَمَّى [ زهدا، وبالإضافة إلى المعدول إليه <sup>(١)</sup> يسمّى ] رغبةً وحباً . فإذا استدعى  
حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه <sup>(٢)</sup> هو خير من المرغوب عنه . وشرط المرغوب  
عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه؛ فمن رغب عما ليس مطلوبا  
في نفسه لا يسمّى زاهدا، فتارك التراب والحجارة والحشرات لا يسمّى زاهدا، لأن  
ذلك ليس في مظنة الرغبة، وإنما يسمّى زاهدا تارك الدراهم والدنانير . وشرط  
المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة؛ فالبائع  
لا يُقَدِّم على البيع إلا والمُشْتَرَى عنده خيرا من المبيع، فيكون حاله بالإضافة إلى  
المبيع زهدا فيه، وبالإضافة إلى العوض رغبةً وحباً؛ ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ  
بِثَمْنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ وشَرَوْهُ بمعنى باعوه، ووصف  
إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طمعوا أن يخلّو لهم وجه أبيهم، وكان ذلك عندهم أحب  
إليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض . فإذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد  
في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهداً ولكن في الآخرة؛ ولكن  
العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن زهد في الدنيا؛ كما خصّص اسم الإلحاد بمن  
يميل إلى الباطل خاصة، وإن كان هو الميل في وضع اللسان . قال : ولما كان  
الزهد رغبةً عن محبوبٍ بالجملة لم يتصوّر إلا بالمعدول إلى شيء هو أحب منه،  
وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال . والذي يرغب عن كلّ ما سوى الله تعالى  
حتى الفردوس ولا يحبّ إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق . والذي يرغب عن كل  
حظّ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحُور العين

(١) زيادة عن الإحياء .

(٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : «إليه» .

- والتُصور والفواكه والأنهار فهو أيضا زاهد ولكنّه دون الأول . والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض ، كالذي يترك المال دون الجاه ، أو يترك التوسّع في الأكل ولا يترك التجمّل في الزينة ، فلا يستحقّ آسم الزهد مطلقاً ، ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين ، وهو زهدٌ صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة ؛ فإنّ التوبة عبارة عن ترك المحظورات ، والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظّ النفس . والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمّى زاهداً ، وإن كان زهد في المحظور وأنصرف عنه ، ولكنّ العادة تخصّص هذا الاسم بتارك المباحات . فإذا الزهد عبارة عن رغبة عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة أو عن غير الله عدولاً إلى الله ، وهي الدرجة العليا . وكما يُشترط في المرغوب فيه أن يكون خيراً عنده ، فيُشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدوراً عليه ، فإنّ ترك ما لا يُقدّر عليه محال ، وبالترك يتبيّن زوال الرغبة ؛ ولذلك قيل لأبْن المبارك : يا زاهد ؛ فقال : الزاهد عمر بن عبد العزيز ، إذ جاءته الدنيا راغمةً فتركها ، وأما أنا ففيم زهدتُ !



- وأما العلم الذي هو المثمر لهذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيراً بالإضافة إلى المأخوذ ، كعلم التاجر بأن العوض خيراً من المبيع فيرغب فيه ؛ وما لم يتحقّق هذا العلم لا يتصوّر أن تزول الرغبة عن المبيع ، فكذلك من عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى ، أي لذتها خير في نفسها وأبقى . فبقدر قوّة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة ؛ حتّى إن من قوَى يقينه ببيع نفسه وماله ، كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ۖ ٢٠

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « المرغوب اليه » .



وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ...) الآية، ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى: (فَأَسْتَبْشِرُوا  
بِيعْكُمْ الَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ) . فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن  
الآخرة خير وأبقى، وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا إماماً لضعف علمه  
ويقينه، وإماماً لاستيلاء الدنيا والشهوة في الحال عليه ولكونه مقهوراً في يد الشيطان،  
وإماماً لا غتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوماً فيوماً إلى أن يختطفه الموت،  
ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد الفوت . قال : وإلى تعريف حساسة الدنيا الإشارة  
بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَالِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، وإلى  
تعريف نفاسة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَا أَيُّهَا  
تَوَّابُ اللَّهُ خَيْرٌ لِّمَنِ آمَنَ﴾، فنبه على أن العلم بنفاسته هو المرغَّب عن عوضه . قال :  
ولمَّا لم يتصوّر الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في أحب منه قال رجل :  
اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الدُّنْيَا كَمَا تَرَاهَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لَا تَقُلْ هَذَا  
وَلَكِنْ قُلِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الدُّنْيَا كَمَا أَرَيْتَهَا الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكَ “ . وهذا لأن الله يراها  
حقيرة كما هي ، وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله حقير، والعبد يراها حقيرة في حق  
نفسه بالإضافة إلى ما هو خير له ، ولا يتصوّر أن يرى بائع الفرس وإن رغب عن  
فرسه كما يرى حشرات الأرض [ مثلاً ] ، لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس  
مستغنياً عن الفرس ، والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه ، فيرى الكل في درجة  
واحدة بالإضافة إلى جلاله ، ويراه متفاوتة بالإضافة إلى غيره ، والزاهد هو الذي  
يرى تفاوتها بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره .

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : ” إلى ما هو خير منه “ .



- وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك وأخذ، لأنه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى. فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع وإحراجه عن اليد وأخذ العوض، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلفة وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها، فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما أخرجه من القلب، ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف من الطاعات، وإلا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن. فإذا وفي شرط الحالتين في الأخذ والترك فليست بشر ببيعه الذي بايع به، فإن الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد، فمن سلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسمى في طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد. وما دام ممسكا للدنيا فلا يصح زهده أصلا، ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا: ﴿يُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾، وعزموا على إبعاده كما عزموا على إبعاد يوسف حتى شفع فيه أحدهم فترك، ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على إحراجه إلا عند التسليم والبيع. فعلامة الرغبة الإمساك، وعلامة الزهد الإخراج. فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط، وأنت زاهد مطلقا، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد، لأن ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه. وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتكم فأنت زاهد فيها، فلا ينبغي أن تدلى بحبل

(١) كذا بالإحياء. وفي الأصل: «هو بدل البيع».

(٢) زيادة عن الإحياء.

(١) [تستوثق و] تستظهر بموثق غليظ من الله تعالى؛ فإنك إذا لم تجرب  
 حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها؛ فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي  
 عند تعذرها فلما تيسرت له أسبابها من غير مُكَدِّر ولا مخوف من الخلق وقع فيها .  
 وإذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فإياك أن تثق بوعدها في المباحات .  
 والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة، فإذا  
 وقت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهراً وباطناً فلا بأس  
 أن تثق بها وثوقاً مائة، ولكن تكون من تغيرها على حذر، فإنها سريعة النقض للعهد،  
 قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع . وبالجمله فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة  
 إلى ما تركت فقط وذلك عند القدرة . قال: وليس من الزهد بذل المال على سبيل  
 السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع، فذلك كله من  
 محاسن العادات ولا مدخل له في العبادات، إنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك  
 بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة . [ فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور من  
 لا يؤمن بالآخرة<sup>(١)</sup> فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق، وحسن الذكر  
 وميل القلوب من حظوظ العاجلة، وهي ألد وأهنا من المال؛ بل الزاهد من أنه  
 الدنيا راغمة عفواً وصفوا وهو قادر على التمتع بها من غير نقصان جاه وقبح أسم  
 وفوات حظ للنفس، فتركها خوفاً من أن يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحباً لما  
 سوى الله، ويكون مُشركاً في حب الله غير الله؛ أو تركها طمعاً في ثواب آخر فترك  
 التمتع بأشربة الدنيا طمعاً في أشربة الجنة، وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعاً  
 في الحور العين، وترك التفرج في البساتين طمعاً في بساتين الجنة وأشجارها، وترك  
 التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعاً في زينة الجنة، وترك المطاعم اللذيذة طمعاً

❦

(١) زيادة عن الإحياء . (٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « بموثق عليك » .

في فواكه الجنة وخوفاً من أن يقال له : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ فأثر في جميع ذلك ما وُعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفواً صفواً ، لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى ، وما سوى هذه فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلاً . وحيث قدمنا هذه المقدمة من أحوال الزهد في الحال والعلم فلنذكر بيان فضيلة الزهد وذم الدنيا .

### ذكر فضيلة الزهد وبغض الدنيا

- قال الله تعالى : ﴿ نَخْرِجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ، فنسب الزهد الى العلماء ووصف أهله بالعلم ، وذلك غاية الثناء . وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ١٠
- جاء في التفسير : على الزهد في الدنيا . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ . قيل : معناه أيهم أزهد في الدنيا ، فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال . وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ ...
- إلى قوله : ﴿ وَرَزَقَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١٥
- ” مَنْ أَصْبَحَ وَهْمُهُ الدُّنْيَا شَتَّتَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ أَصْبَحَ وَهْمُهُ الْآخِرَةُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَحَفِظَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأُلْتَمَ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” إِذَا رَأَيْتَ الْعَبْدَ قَدْ أُوتِيَ مُنْطَقًا وَزَهْدًا فِي الدُّنْيَا فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَلْقَى الْحِكْمَةَ “ . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ، ولذلك ٢٠

(١) الذي في الإحياء : « إذا رأيتم العبد وقد أعطى صمتاً وزهداً في الدنيا فاقترَبوا منه فإنه يلقى الحكمة » .

قيل : من زهد في الدنيا أربعين يوماً أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأطلق بها لسانه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أردت أن يحبك الله فأزهد في الدنيا" فجعل الزهد سبباً للمحبة ، فمن أحبه الله فهو في أعلى الدرجات ، فينبغي أن يكون الزهد في أفضل المقامات . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ وقيل له : ما هذا الشرح ؟ قال : "إن النور إذا دخل القلب آنشرح له الصدر وأنفسح" . قيل : يا رسول الله ، هل لذلك من علامة ؟ قال : "نعم التجافي عن دار الغرور والإقامة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله" . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "استحيوا من الله حق الحياء" قالوا : إنا نستحي من الله ، فقال : " [ليس كذلك] تبشرون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون " . فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله . وقدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا مؤمنون . قال : "وما علامة إيمانكم ؟" فذكروا الصبر على البلاء ، والشكر على الرخاء ، والرضا بمواقع القضاء ، وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء . قال : "إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبشروا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون" ، فجعل الزهد تكمة إيمانهم . ورؤى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بإبل عشار حقل وهي الحوامل ، وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم ، لأنها تجمع بين اللحم والابن والوبر والظهور ، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره . فقيل له : يا رسول الله ، هذه أنفس أموالنا ، لم لا تنظر إليها ؟ فقال : قد نهاني الله عن ذلك ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ

(١) التكمة من الاحياء .

خَيْرٌ وَأَبْقَى) . وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله ، ألا تستطعم الله فيطعمك ؟ قالت : وبكيت لما رأيت به من الجوع . فقال : ” يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحرز الدنيا على فرحها يا عائشة إن الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد . يا عائشة إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال ( فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ) والله مالي بئد من طاعته وإني والله لأصبرت كما صبروا جهدي ولا حول ولا قوة إلا بالله “ .

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه حين فُتِحَ عليه الفتوحات قالت له أبنته حفصة : البس لئن الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومُرْ بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر . فقال : يا حفصة ، ألسيت تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ قالت بلى . قال : ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خير ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرَّبتم إليه (١) طعاماً على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرُفعت ووضِع الطعام على دون ذلك أو وُضِع على الأرض ؟ ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثَنَت له ليلة أربع

(١) زيادة عن الإحياء .

- طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال : ”منه تموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها بأثنتين كما كنتم تثنونها“ ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بالليل فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بنى ظفر كسائين إزاراً ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر ، فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلّى كذلك ؟ فما زال [يقول] حتى أبكاهما ، وبكى عمر رضى الله عنه وأنتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج . وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال : كان لى صاحبان سلكا طريقاً ، فإن سلكت غير طريقهما سلك بى طريق غير طريقهما ، وإني والله سأصير على عيشهما الشديد لعل أدرك معهما عيشهما الرغيد . وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”لقد كان الأنبياء قبل يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العباءة وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم“ .
- وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال“ . وفي حديث عمر رضى الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”تباً للدنيا ! تباً للدنيا ! تباً للدينار والدرهم !“ فقلنا : نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأى شيء ندنر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ”ليتخذ أحدكم لساناً ذا كرا وقلباً شاكراً وزوجةً صالحةً تعينه على أمر آخرته“ . وفي حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ”من أثر

- الدنيا على الآخرة آبتلاه الله تعالى بثلاث : همًّا لا يُفارق قلبه أبدًا وفقيرًا لا يَسْتَعْنِي أبدًا وحرصًا لا يشبع أبدًا . وقال صلى الله عليه وسلم : " لا يستكمل العبدُ الإيمانَ حتى يكون ألا يُعرفَ أحبُّ إليه من أن يُعرفَ وحتى تكون قلةُ الشيء أحبَّ إليه من كثرته " . وقال المسيح عليه السلام : الدنيا قنطرةٌ فأعبروها ولا تعمروها . وقيل له : يا نبيَّ الله ، لو أمرتنا أن نبتني بيتًا نعبدُ الله فيه ! قال : اذهبوا فأبنوا بيتًا على الماء . فقالوا : كيف يستقيم بُنيانٌ على الماء ! قال : وكيف تستقيم عبادةٌ مع حُبِّ الدنيا ! . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن ربي عَرَضَ عليّ أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبًا فقلت لا يا ربّ ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرّعُ إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدُك وأُثني عليك " .
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشي وجبريلُ معه فصعد على الصفا ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : والذي بعثك بالحق ما أَمسى لآل محمد كنفٌ سويق ولا سَفَةٌ دقيق . فلم يكن كلامه بأسرع من أن يسمع هُدَّةً من السماء أفطعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمر الله القيامة أن تقوم ؟ قال : لا ، ولكن هذا إسرائيليُّ قد نزل إليك حين سمع كلامك . فأتاه إسرائيليُّ فقال : إن الله عز وجل سَمِعَ ما ذكرت ، فبعثني بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعْرِضَ عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زُمُرَدًا وياقوتًا وذهبًا وفضة فعلت ، وإن شئت نبيأ مايكًا وإن شئت نبيأ عبدًا . فأومأ إليه جبريلُ أن تواضع لله فقال : " نبيأ عبدًا " ثلاثا . وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه " . وقال صلى الله عليه وسلم : " من أراد أن يؤتیه الله علما بغير تعلم وهُدًى بغير هداية فليزهد في الدنيا " .

(١) كذا في الإحياء ، وفي الأصل : « أن تسير ... » .



وقال صلى الله عليه وسلم : ” من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار هلك عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب“ . والأحاديث في ذلك كثيرة وفيما ذكرناه منها كفاية . فلنذكر ما جاء من ذلك في الأثر .

- ٥ قيل : جاء في الأثر : لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يسألوا ما نقص من دنياهم . وفي لفظ آخر : ما لم يؤثروا صفة دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا : لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين . وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال : تابعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد الدنيا . وقال بعض الصحابة لصدر التابعين : أنتم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيراً منكم . قيل : ولم ذاك؟ قال : كانوا أزهد في الدنيا منكم . وقال عمر رضي الله عنه : الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد . والآثار أيضاً في ذلك كثيرة فلا نطوّل بسردها .

## ذكر بيان ذم الدنيا وشيء من المواعظ

### والرقائق الداخلة في هذا الباب

- ١٥ وقد ورد في كتاب الله عز وجل كثير في ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة، وهو أيضاً مقصود الأنبياء، ولذلك بعثوا، فلا حاجة إلى الاستشهاد بالآيات لظهورها . فلنذكر نبذة من الأخبار والآثار الواردة في ذلك، وذلك من جملة ما اختاره الغزالي رحمه الله في كتابه المترجم بإحياء علوم الدين . فمن ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مرّ على شاة ميتة فقال : ” أَتَرَوْنَ أَنَّ الشاة هينّةٌ على أهلها“ ؟ قالوا : من هوأنيها عليهم ألقوها . قال : ”والذي نفسي بيده للدنيا أهون على

الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة [ماء] <sup>(١)</sup>. وقال صلى الله عليه وسلم : ”الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها“. وقال صلى الله عليه وسلم : ”حُبُّ الدنيا أُسُّ كُلِّ خَطِيئَةٍ“. وقال صلى الله عليه وسلم : ”يا عَجَباً كُلُّ الْعَجَبِ لِلْصَّدَقِ بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور!“ .

- وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى مَرْبَلَةٍ فَقَالَ : ”هَلُمُّوا إِلَى الدُّنْيَا وَأَخْذِ نَحْرَاقًا قَدْ بَلَيْتَ عَلَى تِلْكَ الْمَرْبَلَةِ وَعِظَامًا قَدْ نَخِرَتْ فَقَالَ هَذِهِ الدُّنْيَا“ وهذه إشارة إلى أن زيتها ستخلق مثل تلك الحرق، وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظاماً بالية . وقال عيسى بن مريم عليه السلام : لا تَتَّخِذُوا الدُّنْيَا رَبًّا فَتَتَّخِذَ كُمْ عِبِيداً ، اِكْتِزُوا كَثْرَتَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يُضِيعُهُ ، فَإِنَّ صَاحِبَ كَثَرِ الدُّنْيَا يَخَافُ عَلَيْهِ الْآفَةُ وَصَاحِبُ كَثَرِ اللَّهِ لَا يَخَافُ عَلَيْهِ الْآفَةُ . وقال أيضاً : يا معشر الحواريين ، إِنِّي قَدْ كَبَيْتُ لَكُمْ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِهَا فَلَا تُنْعِشُوهَا بَعْدِي ، فَإِنَّ مِنْ خَبِثِ الدُّنْيَا أَنَّ اللَّهَ عُصِيَ فِيهَا ، وَإِنْ مِنْ خَبِثِ الدُّنْيَا أَنَّ الْآخِرَةَ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِتَرْكِهَا . أَلَا فَاعْبُرُوا الدُّنْيَا وَلَا تَعْمُرُوهَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْلَ كُلِّ خَطِيئَةٍ حُبُّ الدُّنْيَا . وَرَبُّ شَهْوَةِ أَوْرَثَتْ حُرْنًا طَوِيلًا . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ مِنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا“ . وقال صلى الله عليه وسلم : ”أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ!“ . وقال صلى الله عليه وسلم : ”الدُّنْيَا دَارٌ مِنْ لَا دَارَ لَهُ وَمَالٌ مِنْ لَا مَالَ لَهُ وَلَهَا يَجْمَعُ مِنْ لَا عَمَلَ لَهُ وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ وَلَهَا يَسْعَى مَنْ لَا يَقِينَ لَهُ“ . وقال صلى الله

عليه وسلم : ”من أصبح والدنيا أكبر همّهم فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال همّا لا ينقطع عنه أبداً وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً وفقراً لا يبلغ غناه أبداً وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً“ . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعاً بما فيها“؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بيدي وأتى بى وادياً من أودية المدينة ، فإذا مزبلة فيها رءوس ناس وعذرات وخرق وعظام ، ثم قال : ”يا أبا هريرة هذه الرءوس كانت تحرّص كحرصكم وتأمل آمالكم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رماداً وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم آكسبوها من حيث آكسبوها ثم قدّفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت ريشهم ولباسهم فأصبحت الرياح تُصَفّقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكياً على الدنيا فليبك“ .

قال : فما برحنا حتى آشتد بكأؤنا . وقال صلى الله عليه وسلم : ”الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر إليها وتقول يوم القيامة : يارب آجعلنى لأدنى أوليائك نصيباً اليوم فيقول اسكّتى يالا شيء إنى لم أرضك لهم فى الدنيا أرضاك لهم اليوم“ ! وقال صلى الله عليه وسلم : ”لَيَجِيئنَّ أقوامٌ يوم القيامة وأعمالهم كجبال تِهامة فيؤمرُ بهم إلى النار“ . قالوا : يا رسول الله ، مصلين ؟ قال : ”نعم [كانوا] يُصَلُّون ويصومون يأخذون هَنَةً من الليل فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وَبَّوْا عليه“ . وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه : ”المؤمن بين مخافتين بين أَجَلٍ قد مضى لا يدرى ما الله صانعٌ فيه وبين أَجَلٍ قد بقى لا يدرى ما الله قاضٍ فيه فليتزود العبدُ من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لمَوْتِه ومن شبابه

لهَرَمَهُ فَإِنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ وَأَنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ“ .

قال صلى الله عليه وسلم: ”إِحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا أُسْحَرُ مِنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ“ .

وقال عليه السلام لأصحابه : ”هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يُذْهِبَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَمَى

- وَيَجْعَلَهُ بَصِيرًا إِلَّا إِنَّهُ مِنْ رَغْبٍ فِي الدُّنْيَا وَطَالُ أَمَلُهُ فِيهَا أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ ٥  
وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَقَصُرَ أَمَلُهُ فِيهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ عِلْمًا بَغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهُدًى بَغَيْرِ هَدَايَةٍ إِلَّا إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْمُلْكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالتَّجَبُّرِ وَلَا الْغِنَى إِلَّا بِالْفَخْرِ وَالْبُخْلِ وَلَا الْمَحَبَّةَ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْهَوَى إِلَّا فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ مِنْكُمْ فَصَبَرَ لِلْفَقْرِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْغِنَى وَصَبَرَ عَلَى الْبَغْضَاءِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَصَبَرَ لِلذُّلِّ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْعِزِّ لَا يَرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى أَعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ خَمْسِينَ صَدِيقًا“ .

(١١٨)

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : وَيْلٌ لِمُصَاحِبِ الدُّنْيَا ! كَيْفَ يَمُوتُ

- وَيَتْرُكُهَا ، وَيَأْمَنُهَا وَتَغْرُهُ ، وَيَتَّقُ بِهَا وَتُخَذِلُهُ ! ، وَيَلُغْتَرِينَ ! كَيْفَ أُرْتَهَمَ مَا يَكْرَهُونَ وَفَارَقَهُمْ مَا يُحِبُّونَ ، وَجَاءَهُمْ مَا يُوعَدُونَ ! وَيَلُغْتَرُونَ ! وَمِنْ الدُّنْيَا هَمُّهُ ، وَالْخَطَايَا عَمَلُهُ كَيْفَ يَفْتَضَحُ غَدًا بِذَنْبِهِ ! . وَقِيلَ لَهُ : عَلِمْنَا عِلْمًا وَاحِدًا يُحِبُّنَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَبْغَضُوا الدُّنْيَا يُحِبُّكُمْ اللَّهُ .

١٥

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكِكُمْ قَلِيلًا وَلَبَكِيَّتُمْ

كَثِيرًا وَلَهَانَتْ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا وَلَا تُثَرِّمُ الْآخِرَةَ“ .

ومن الآثار في ذلك ما حكاه داود بن هلال قال : مَكْتُوبٌ فِي صَحْفِ إِبْرَاهِيمَ

- عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا دُنْيَا ، مَا أَهْوَنَكَ عَلَى الْأَبْرَارِ الَّذِينَ تَصْنَعُ وَتَزِينُ لَهُمْ ! إِنْ قَذَفْتُ فِي قُلُوبِهِمْ بَغْضَكَ وَالصَّدُودَ عَنْكَ ، وَمَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَى مَنْكَ ، كُلُّ شَأْنِكَ صَغِيرٌ ، وَإِلَى الْفَنَاءِ تَصِيرِينَ ، قُضِيَتْ عَلَيْكَ يَوْمَ خَلَقْتُكَ إِلَّا تَدُومِي لِأَحَدٍ وَلَا يَدُومُ أَحَدٌ لَكَ ٢٠

وإن بخل بك صاحبك وشح عليك . طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا، ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة ! طوبى لهم ! ما لهم عندي من الخير إذا وفدوا إلى من قبورهم [ إلا <sup>(١)</sup> ] النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي .

٥ وقال عمار بن سعيد : مر عيسى بن مريم عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق ، فقال : يا معشر الحواريين ، إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا . فقالوا : ياروح الله ، وددنا أنا علمنا خبرهم ، فسأل الله تعالى فأوحى إليه : إذا كان الليل فنادهم يجهنم . فلما كان الليل أشرف على نشر ، ثم نادى ياهل القرية ، فأجابه مجيب : آبيك ياروح الله . فقال : ما حالكم وما قصتكم ؟ قال : يتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية . قال : وكيف ذاك ؟ قال : لحبنا <sup>(٢)</sup> الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي . قال : وكيف كان حبكم للدنيا ؟ قال : حب الصبي لأُمّه ، إذا أقبلت فرح بها ، وإذا أدبرت حزن وبكى عليها . قال : فما بال أصحابك لا يجهنمون ؟ قال : لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد . قال : فكيف أجبتني من بينهم ؟ قال : لأتني كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم ، فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أتكب فيها . فقال المسيح للحواريين : لَأَكُلُ الحبز الشعير بالملح الجريش ولُبَسُ المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

١٥ قيل : وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يا موسى لا تركنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها .

(١) زيادة عن الإحيا ، (ج ٣ ص ١٨٨)

(٢) في الأصل وفي الإحيا : « قالوا » والسياق يقتضى الإفراد .

وقال لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ وَقَدْ غَرِقَ فِيهِ نَاسٌ كَثِيرٌ ،  
فَلْتَكُنْ سَفِينَتُكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَحَشُّوْهَا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَشِرَاعُهَا  
التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَعَلَّكَ تَنْجُو وَمَا أَرَاكَ نَاجِيًا .

وقال بعض الحكماء : إِنَّكَ لَنْ تُصْبِحَ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ  
قَبْلَكَ وَيَكُونُ لَهُ أَهْلٌ بَعْدَكَ ؛ وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا عَشَاءُ لَيْلَةٍ وَغَدَاءُ يَوْمٍ ، فَلَا  
تَهْلِكُ فِي أَكْلَةٍ ، وَصُمَّ [عَنْ] الدُّنْيَا وَأَفْطِرَ عَلَى الْآخِرَةِ ، وَإِنْ رَأْسُ مَالِ الدُّنْيَا الْهَوَى  
وَرَبِّجْهَا النَّارَ .

وقيل لبعضهم : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ ؟ قَالَ : يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ ، وَيُجَدِّدُ الْأَمَالَ ،  
وَيُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ ، وَيُبْعِدُ الْأُمْنِيَّةَ . قِيلَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ ؟ قَالَ : مَنْ ظَفِرَ بِهِ تَعَبٌ ،  
وَمَنْ فَاتَهُ نَصَبٌ . وَفِي ذَلِكَ قِيلَ :

وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لَعِيشِ يَسْرِهِ \* فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَرِيبٍ يَلُومُهَا  
إِذَا أَذْبَرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً \* وَإِنْ أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيرًا هُمُومُهَا

وقال بعض الحكماء : كَانَتْ الدُّنْيَا وَلَمْ أَكُنْ فِيهَا ، وَتَذْهَبُ الدُّنْيَا وَلَا أَكُونُ  
فِيهَا ، فَلَا أَسْكُنُ إِلَيْهَا ، فَلِإِنْ عِشَّهَا نَكَدٌ ، وَصَفَوْهَا كَدَرٌ ، وَأَهْلَهَا مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ ،  
إِمَّا بِنِعْمَةٍ زَائِلَةٍ ، أَوْ بِلِيَّةٍ نَازِلَةٍ ، أَوْ مَنِيَّةٍ قَاضِيَةٍ .

وقال أَبُو حَازِمٍ : إِيَّاكُمْ وَالْدُّنْيَا ، فَإِنَّهُ بَلْغَنِي أَنَّهُ يُوقَفُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا  
كَانَ مُعْظَمًا لِلدُّنْيَا فَيَقَالُ : هَذَا عَظَمَ مَا حَقَّرَهُ اللَّهُ .

وقال أَبُو مَسْعُودٍ : مَا أَصْبَحَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ ضَيْفٌ وَمَالُهُ عَارِيَةٌ ،  
فَالضَّيْفُ يَرْتَحِلُ وَالْعَارِيَةُ مُرَدُودَةٌ . وَفِي ذَلِكَ قِيلَ :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ \* وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وزار رابعة العدوية أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها، فقالت : أمسكوا عن ذكرها ، فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ، ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره .

وقال رجل لعلّ رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين ، صِفْ لنا الدنيا ، فقال : وما أَصِفُ لكم مِنْ دارٍ مَنْ صَحَّ فيها ما أَمِنَ ، ومن سَقِمَ فيها نِدَمٌ <sup>(١)</sup> ، ومن آفَقِرَ فيها حَزَنٌ ، ومن آسْتَغْنَى فيها فُتِنٌ ؛ في حَلالِها الحِسابُ ، وفي حرامِها العذاب .

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ : من قال ذا ؟ مَنْ خَلَقَهَا مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِهَا . إِيَّاكُمْ وما شَغَلَ من الدنيا فَإِنَّ الدنيا كَثِيرَةُ الْأَشْغَالِ ، لا يَفْتَحُ رَجُلٌ على نَفْسِهِ بابَ شَغْلٍ إِلَّا أَوْشَكَ ذَلِكَ البابُ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ عَشْرَةَ أَبْوَابٍ . وقال أيضا : مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ رَضِيَ بِدارِ حَلالِها حِسابُ ، وحرامِها عذابُ ، إن أَخَذَهُ من حَلَلِهِ حُوسِبَ بِهِ ، وإن أَخَذَهُ من حَرَامٍ عُدِّبَ بِهِ . ابنُ آدَمَ يَسْتَقِلُّ ما لَه ولا يَسْتَقِلُّ عَمَلَهُ ، يَفْرَحُ بِمَصِيبَتِهِ في دِينِهِ وَيَجْزَعُ من مَصِيبَتِهِ في دُنْياه . وقال داود الطائي : يَا بَنَ آدَمَ ، فَرِحْتَ بِبُلُوغِ أَمْلِكَ ، وَإِنَّمَا بَلَغَتْهُ بِأَنْقِضَاءِ أَجْلِكَ ، ثُمَّ سَوِّفَتْ بِعَمَلِكَ ، كَأَنَّ مَنَفْعَتَهُ لَغَيْرِكَ .

وقال بشر : من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم : ما في الدنيا شيء يُسْرِكُ إِلَّا وَقَدْ أَلْصَقَ اللَّهُ إِلَيْهِ شَيْئًا يَسُوءُكَ وقال الحسن : أَهَيْنُوا الدُّنْيَا ، فوالله ما هِيَ لِأَحَدٍ بِأَهْنَأَ مِنْها لِمَنْ أَهَانَهَا . وقال أيضا : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً مِنَ الدُّنْيَا ثُمَّ يُمْسِكُ ، فَإِذَا نَفِدَ أَعَادَ عَلَيْهِ ؛ وَإِذَا هَانَ عَلَيْهِ عَبْدٌ بَسَطَ لَهُ الدُّنْيَا بَسْطًا .

٢٠ (١) كذا في الأصاين . وفي الإحياء (ج ٣ ص ١٩٢) : « من صح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم » .

قال الجُنَيْد : كان الشافعي رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدين ، وعَظَ أَخَالَه في الله تعالى وخوفه بالله فقال : يا أخى ، إِنَّ الدنيا دَحْصُ مَزِيلَةٍ ، ودار مَذَلَّةٌ ، عُمُرَانِهَا إلى الخراب صائرٌ ، وساكنها إلى القبور زائرٌ ، شملها على الفُرقة موقوفٌ ، وِغْنَاهَا إلى الفقر مصروفٌ ؛ إلا كُثَارٌ فيها إِعْسَارٌ ، وإِيعْسَارٌ فيها يَسَارٌ ؛ فَافْزَعِ إلى الله وأَرْضِ برزق الله . لا تَسْتَسْلِفْ من دار بقائك في دار فَنَائِكَ ، فإن عيشك في زائلٍ ، وجدارٌ مائلٌ ؛ أَكْثَرُ من عملك ، وقَصَرُ من أملك . وهذا من أبلغ المواعظ والترغيب .

ومن المواعظ ما قاله أبو الدرداء رضى الله عنه : والله لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصُّعْدَاتِ [تجارون و] <sup>(١)</sup> تبكون على أنفسكم ، ولتركتُم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل ، فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتُم كالذين لا يعلمون ، فبعضكم شرٌّ من البهائم التي لا تدع هواها مخافةً مما في عاقبته . ما لكم لا تتحَابُّون ولا تتَنَاصَحُونَ وأنتم إخوان على دين [الله] ؛ ما فترق بين أهوائكم إلا خُبْتُ سرائركم ، ولو اجتمعتم على البر لتعابتم . ما لكم تتَنَاصَحُونَ في أمر الدنيا ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يُحِبُّه ويُعِينُهُ على أمر آخرته ! ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم . لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتُم طلب الآخرة لأنها أملك بأموالكم . فإن قلتم : حبُّ العاجلة غالب ؛ فإننا نراكم تدعون العاجل من الدنيا لا جل مما تكُدُّون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمرٍ لعلكم لا تُدركونه .

(١) زيادة عن الإحياء . (٢) في الأصلين : « ما لكم لا تناصحون في أمر الدنيا » بدخول

لا النافية والسياق يقتضى حذفها . وفي الإحياء : « ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم ... » .



فبئس القوم أنتم ! ما حققتم إيمانكم بما يُعرف به الإيمان البالغ فيكم . فإن كنتم في شكٍّ مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فأتونا لنبين لكم ولنريك من النور ما تطمئن إليه قلوبكم . والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم ؛ إنكم لتبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم . ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تُصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم ، يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم ، وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآثم ، وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم بكم ! . إني لأرى الله قد تبرأ منكم . يلقى بعضكم بعضا بالسرور ، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله ، فأصطحبتم على الغل<sup>(١)</sup> ، ونبئت مراعيكم على الدمن ، وتصافيتم على رفض الأجل . ولو ددت أن الله أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ، ولو كان حيا لم يصابركم . فإن كان فيكم خير فقد أسمعتمكم ؛ وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا . والله أستعين على نفسي وعليكم .

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى :

أما بعد ، فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة ؛ فأحذرهما يا أمير المؤمنين ؛ فإن الزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها ؛ لها في كل حين قتل ؛ تُذل من أعزها ، وتُفقر من جمعها ؛ هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه . فكن فيها كالمداوى جراحته ، يحتذى قليلا مخافة ما يكره طويلا ، ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء . فأحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها ، وحلت بآمالها ، وسوف بخطاياها ؛

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصلين : « ثم لا يتبين ذلك في وجوههم » .

(٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « فأصبحتم على الغل ... » .

- فأصبحت كالعروس المجلوة<sup>(١)</sup>، فالعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلهم قالية؛ فلا الباقى بالماضى معتبر، ولا الآخر بالأول مزدجر، والعارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكراً، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فأغتر وطغى ونسى المعاد، فشغل لبه حتى زلت<sup>(٢)</sup> [به] قدمه، فعظمت ندامته، وكثرت حسرته، وأجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه، وحسرات القوت بغصته؛ وراغب فيها لم يدرك فيها ما طلب، ولم يروح نفسه من التعب؛ فخرج بغير زاد، وقدم على غير مهاد. فأحذرهما يا أمير المؤمنين، وكن أسراً ما تكون فيها أحذراً ما تكون لها؛ فإن صاحب الدنيا كلما أطمأن فيها إلى سرور شخصته إلى مكروه؛ السار فيها أهلها غار، والنافع فيها غدار ضار؛ وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى فناء، فسروورها مشوب بالأحزان. لا يرجع منها ما ولى وأدبر، ولا يدري ما هو آت فينتظر؛ أمانها كاذبة، وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وعيشها نكد، وآبن آدم فيها على خطر، ومن البلاء على حذر. فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبراً، ولم يضرب لها مثلاً، لكانت الدنيا أيقظت النائم ونهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ ! فما لها عند الله جل ثناؤه قدر، وما نظر إليها منذ خلقها. ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى أن يقبلها إذ كره أن يخالف على الله أمره، أو يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع ملىكه. فزواها عن الصالحين اختباراً. وبسطها

(١) فى الأصل : « المجلية » والفعل واوى كما فى القاموس . (٢) زيادة عن الإحيا .

(٣) كذا فى الإحيا . وفى الأصلين : « ومن راغب بزيادة « من » والسياق ياباها .

(٤) كذا فى الإحيا . وفى الأصلين : « والنافع فيها غدا ضار » .

(٥) زواه زياً وزوياً : نحاها .

لأعدائه آغترارا، فيظن المغرور المقتدر عليها أنه أكرم بها، ونسي ما صنع الله عز وجل  
 بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه . ولقد جاءت الرواية عنه عن  
 ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام: إذا رأيت الغنى مُقبلاً فقل: ذَنْبٌ عَجَلْتُ  
 عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل : مرحباً بشِعَارِ الصالحين . فإن شئت  
 اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فإنه كان يقول : إدامي  
 الجوع ، وشِعَارِي الخوف ، ولباسي الصوف ، وصلاحِي في الشتاء مشارق الشمس ،  
 وسراجي القمر ، ودأبِي رجلاي ، وطعامي وفاكحتي ما تُثبت الأرض ، أبيت ليس  
 لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض أغنى مني .

(١٢١)

وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحق الناس بدم الدنيا وقلاها من بُسِطَ له  
 فيها وأعطى حاجته منها ، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه ، أو على جمعه فتفرقه ،  
 أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد ، أو تدب إلى جسمه فتسقمه ، أو تفجعه بشيء  
 هو ضنين به من أحبابه . فالدنيا أحق بالدم ، هي الآخذة لما تُعطى ، الراجعة فيما  
 تهب . بينا هي تُضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره ، و بينا هي تبكي له إذ بكت  
 عليه ، و بينا هي تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد . تعقد التاج على رأس  
 صاحبها اليوم وتُعفره في التراب غداً ، سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي ، تجد  
 في الباقي من الذاهب خلفاً ، وترضى بكل من كل بدلاً .

وعن وهب بن منبه أنه قال :

لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال :  
 لا يرؤعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا ، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف  
 ولا يتنفس إلا بإذني ، ولا يُعجبكما ما مُتّع به منها فإنما هي زهرة الدنيا وزينة  
 المترفين . فلو شئت أن أزيّنكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته

تَعِجْزُ عَمَّا أُوتِيْتَا لِفَعَلْتِ ، وَلَكِنِّي أَرْغَبُ بِكَمَا عَنْ ذَلِكَ فَأَزْوِي ذَلِكَ عَنْكُمَا ، وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِأَوْلِيَائِي ، إِنِّي لِأَذُودَهُمْ عَنْ نَعِيمِهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاتِعِ الْمَلَايِكَةِ ، وَمَا ذَلِكَ لِهَوَانِهِمْ عَلَيَّ وَلَكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا نَصِيْبَهُمْ مِنْ كِرَامَتِي سَالِمًا مُوَفَّرًا .

إِنَّمَا يَتَرْتَّبُ لِي أَوْلِيَائِي بِالذَّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ وَالتَّقْوَى تَنْبُتُ فِي قُلُوبِهِمْ فَتُظْهِرُ عَلَى أَجْسَادِهِمْ ، فَهِيَ ثِيَابُهُمْ الَّتِي يَلْبَسُونَ ، وَدِثَارُهُمُ الَّذِي يُظْهِرُونَ ، وَضَمِيرُهُمُ الَّذِي يَسْتَشْعِرُونَ ، وَنَجَاتُهُمُ الَّتِي بِهَا يَفُوزُونَ ، وَرَجَائُهُمُ الَّذِي إِيَّاهُ يَأْمَلُونَ ، وَمَجْدُهُمُ الَّذِي بِهِ يَفْخَرُونَ ، وَسِيَامُهُمُ الَّتِي بِهَا يُعَرَفُونَ . فَإِذَا لَقِيْتَهُمْ فَأَخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَذَلِّلْ لَهُمْ قَلْبَكَ وَلِسَانَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَخَافَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمَحَارَبَةِ ، ثُمَّ أَنَا التَّائِرُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

- ١٠ . وَخَطَبَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا [خُطْبَةً<sup>(١)</sup>] فَقَالَ فِيهَا :
- إِعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ ، وَمُبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَمَوْقُوفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَمُجْزِيُونَ بِهَا ، فَلَا تُغَرِّزْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا بِالْبَلَاءِ مُحْفُوفَةٌ ، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَبِالْغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ ، وَكُلٌّ دَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ ، وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُولٌ وَسِجَالٌ ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا نَزَالُهَا ، بَيْنَا أَهْلُهَا فِي رَخَاءٍ وَسُرُورٍ ، إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَغُرُورٍ ، أَحْوَالُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٍ مُتَصَرِّفَةٌ ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ ، وَالرَّخَاءُ فِيهَا لَا يَدُومُ . وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا ، وَتُقْصِيهِمْ بِحِمَامِهَا ، وَكُلٌّ حَتْفُهُ فِيهَا مُقَدُّورٌ ، وَحِظُّهُ فِيهَا مُوَفَّرٌ . وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشًا وَأَعْمَرَ دِيَارًا ، وَأَبْعَدَ آثَارًا ، فَأَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ دَامِدَةً وَخَامِدَةً مِنْ بَعْدِ طُولِ تَقْلُبِهَا ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةٌ ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةٌ ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةٌ ، اسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ ، وَالسُّرُرِ وَالنَّارِقِ الْمَهْدَةِ ، الصَّخُورَ
- ٢٠ .

والأحجار المسندة ، في القبور اللاطئة الملحدة ، فحلَّتْها مُقْتَرِب ، وساكنها مُغْتَرِب ، بين  
 أهل عِمارةٍ مُوحِشِينَ ، وأهل مَحَلَّةٍ مُتَشَاغِلِينَ ، لا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْعُمَرَانِ ، ولا يَتَوَاصِلُونَ  
 تَوَاصِلَ الْخِيَرَانِ وَالْإِخْوَانِ ، على ما بينهم من قرب المِكانِ وَالْجَوَارِ ، ودنو الدار .  
 وكيف يكون بينهم تَوَاصِلٌ وَقَدْ طَحَنَهُم بِكَائِلِكِهِ الْبَلَى ، وأكلتهم الْجَنَادِلُ وَالْثَرَى ،  
 وَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْحَيَاةِ أَمْوَاتًا ، وبعد غَضَارَةِ الْعَيْشِ رُفَاتًا ، بَخَّعَ بِهِمُ الْأَحْبَابُ ، وسكنوا  
 التراب ، وظعنوا فليس لهم إِيَاب . هِيَّاتِ هِيَّاتِ ! كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ  
 وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، فَكَأَنُّ قَدْ صُرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَى وَالْوَحْدَةِ  
 فِي دَارِ الْمَثْوَى ، وَارْتَهِنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ ، فكيف بكم لو قد  
 عَايَنْتُمُ الْأُمُورَ ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ، وَوُقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ ، بين يَدَى  
 الْمَلِكِ الْجَلِيلِ ، فَطَارَتِ الْقُلُوبُ ، لِإِشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الذُّنُوبِ ، وَهَتَكَتْ عَنْكُمْ الْحُجُبَ  
 وَالْأَسْتَارَ ، وَظَهَرَتْ مِنْكُمْ الْعُيُوبُ وَالْأَسْرَارُ ، هُنَالِكَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ .  
 إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا  
 بِالْحُسْنَى ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ  
 يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا  
 حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ . جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَامِلِينَ بَكِتَابِهِ ، مُتَبِعِينَ لِأَوْلِيَائِهِ ،  
 حَتَّى يُحِلَّنَا وَإِيَّاكُمْ دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

ومما يلتحق بهذا الفصل ويدخل فيه ، خطبة قَطَرِيَّ بن الفجاءة وسترده  
 في كلام البلغاء في باب الكتابة .

وقال بعضهم : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اِعْمَلُوا عَلَى مَهَلٍ ، وَكُونُوا مِنَ اللَّهِ عَلَى وَجَلٍ ،  
 وَلَا تَغْتَرَوْا بِالْأَمَلِ وَنَسِيَانِ الْأَجَلِ ، وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ خَدَاعَةٌ ،

قد تزحرفت لكم بغرورها ، وفتنتكم بأمانيتها ، وتزينت لخطاياها ، فأصبحت كالعروس  
 المجلوة ؛ العيون اليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة . فكم من  
 عاشق لها قتلت ، ومطمئن إليها خذلت . فأنظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثرت  
 بوائقها ، وذمها خالقها ؛ جديدها يبلى ، وملكها يفنى ؛ وعزيزها يذل ، وكثيرها  
 يفل ؛ وحيها يموت ، وخيرها يفوت . فاستيقظوا من غفلتكم ، وأنتهوا من رقدتكم ؛  
 قبل أن يقال : فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل على الدواء من دليل ، أو على  
 الطبيب من سبيل ؛ فيدعى لك الأطباء ، ولا يرجى لك الشفاء ؛ ثم يقال : فلان أوصى ،  
 ولماله أحصى ؛ ثم يقال : قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه ؛  
 وعريق عند ذلك جبينك ، وتتابع أنينك ، وثبت يقينك ، وطمحت جفونك ،  
 وصدقت ظنونك ؛ وتلجج لسانك ، وبكى إخوانك ؛ وقيل لك : هذا أبوك فلان ،  
 وهذا أخوك فلان ، ومنعت الكلام فلا تنطق ؛ ثم حل بك القضاء ، وأتت رعت  
 نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها الى السماء ؛ فأجتمع عند ذلك إخوانك ، وأحضرت  
 أكفانك ، فغسلوك وكفنوك ؛ فأنقطع عوادك ، وأستراح حسادك ؛ وأنصرف أهلك  
 إلى مالك ، وبقيت مراثينا بأعمالك .

وقال بعض الحكماء : الأيام سهام ، والناس أغراض ، والدهر يرميك كل يوم  
 بسهامه ، ويتخترمك بلياليه وأيامه ، حتى يستغرق جميع أجزائك ؛ فكم بقاء سلامتك مع  
 وقوع الأيام بك ، وسرعة الليالي في بدنك ! لو كشفت لك عما أحدثت الأيام فيك من  
 النقص لأستوحشت من كل يوم يأتي عليك ، وأستثقلت ممز الساعات بك ؛ ولكن  
 تدبير الله فوق تدبير الاعتبار ؛ وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها ، وإنها

(١٢٣)

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصلين : « وثبت نفسك ... » .

(٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « لو كشفت عما ... » .

لأمر من العَلَمِ إذا عَجَمَهَا الحَكِيمُ ؛ وقد أُعِيت الوَاصِفَ لعيوبها بظواهر أفعالها ،  
وما تَأْتِي به من العجائب أكثر مما يُحِيط به الواعظ . اللهم أرشدنا للصواب .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال : أيها الناس ، إنكم خُلِقْتُمْ لِأُمُورٍ إن كنتم  
تَصَدِّقُونَ <sup>(١)</sup> [ به ] فإنكم حَقَّقَ ، وإن كنتم تكذبون به <sup>(٢)</sup> إنكم هَلَكْتُمْ ؛ إِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِلْأَبَدِ ، وَلَكِنْ كُنْتُمْ  
من دَارٍ إِلَى دَارٍ تُنْقَلُونَ . عباد الله ، إنكم في دَارٍ لَكُمْ فِيهَا مِنْ طَعَامِكُمْ غَصَصٌ ، وَمِنْ  
شَرَابِكُمْ شَرَقٌ ، لَا تَصِفُوا نِعْمَةً تُسْرُونَ بِهَا إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى تَكْرَهُونَ فِرَاقَهَا ، فَاعْمَلُوا  
لِمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ خَالِدُونَ فِيهِ . ثم غلبه البكاء ونزل .

### ذكر بيان الزهد وأقسامه وأحكامه

فأما درجاته فقد قال الغزالي رحمه الله : إنها تتفاوت بحسب تفاوت قوته على  
درجات ثلاث :

الأولى وهي السفلى منها : أن يزهد في الدنيا وهو لها مُشْتَهٍ ، وقلبه إليها مائل ،  
ونفسه إليها ملتهمةٌ وَلَكِنَّهُ يَجَاهِدُهَا وَيَكُفُّهَا ، وَهَذَا يُسَمَّى التَّزَهُدَ ، وَهُوَ مَبْدَأُ الزَّهْدِ  
فِي حَقٍّ مِنْ يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الزَّهْدِ بِالكسب والاجتهاد . والمتزهد يُذِيبُ أَوَّلًا نَفْسَهُ  
ثُمَّ كَسْبَهُ ، وَالزَّاهِدُ يُذِيبُ أَوَّلًا كَسْبَهُ ثُمَّ يُذِيبُ نَفْسَهُ فِي الطَّاعَةِ لَا فِي الصَّبْرِ عَلَى  
مَا فَارَقَهُ . والمتزهد على خَطَرٍ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ وَتَجْذِبُهُ شَهْوَتُهُ فَيَعُودُ إِلَى الدُّنْيَا  
وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير .

الثانية : الذي يترك الدنيا طَوْعًا لِأَسْتِحْقَارِهَا إِيَّاهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا طَمِعَ فِيهِ  
كَالَّذِي يَتْرُكُ دِرْهَمًا لِأَجْلِ دَرَاهِمِينَ فَإِنَّهُ لَا يُشْقُّ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ يَحْتَاجُ

(١) زيادة عن الإحياء . (٢) الذي في الإحياء : « وان كنتم تكذبون به فإنكم هلكى » .

(٣) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « طاعة » .

إلى أنتظار قليل . ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت إليه ، كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه ، فيكاد يكون مُعْجَبًا بنفسه و زهده ، ويظن بنفسه أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه ؛ وهذا أيضاً نقصان .

- الثالثة وهى العليا : أن يزهد طوعاً ويزهد فى زهده فلا يرى زهده ، إذ لا يرى أنه ترك شيئاً إذ عرّف أن الدنيا لا شيء ، فيكون كمن ترك خَرْفَةً وأخذ جوهرة .  
 فلا يرى ذلك معاوضةً ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً . [ والدنيا بالإضافة إلى الله ونعيم الآخرة أحسن من خرفة بالإضافة إلى جوهرة<sup>(١)</sup> ] ؛ فهذا هو الكمال فى الزهد ، وسببه كمال المعرفة . وأما أقسامه فمنها ما هو مضاف إلى المرغوب فيه والمرغوب عنه ؛ فأما المرغوب فيه فهو على ثلاث درجات :

- ١٠ الأولى وهى السفلى : أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدى العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار . وفى الخبر : ” إن الرجل ليُوقَف فى الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشاً على عرقه لصَدَرَتْ رِوَاءً “ ؛ فهذا زهد الخائفين وكأنهم رَضُوا بالعدم لو أُعْدموا فإنَّ الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم .

- ١٥ الدرجة الثانية : أن يزهد رغبةً فى ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة فى جنته من الحُور والقصور وغيره ، وهذا زهد الراجين ، فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعةً بالعدم والخلاص من الألم بل طمِعوا فى وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له .

الدرجة الثالثة وهى العليا : ألا يكون له رغبة إلا فى الله وفى لقائه ، فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ، ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها ،



بل هو مستغرق الهم بالله تعالى ، وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى ،  
لأن من طالب غير الله فقد عبده ؛ وكلّ مطلوب معبود ، وكلّ طالب عبد بالإضافة  
إلى مطلبه ، وطلب غير الله من الشرك الخفى ؛ وهذا زهد المحبين وهم العارفون ،  
لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه ؛ وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم  
أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار ، فكذلك من عرف الله تعالى وعرف  
لذة النظر إلى وجهه الكريم ، وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور  
العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن ، فلا يحب إلا لذة النظر  
ولا يؤثر غيره . قال : ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى  
للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم ، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم الجنة  
كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى  
الاستيلاء على عصفور واللعب به ؛ والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب  
القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك ، وذلك لقصوره عن  
إدراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق  
الملك على كافة الخلق .

وأما المرغوب عنه ، فقد كثرت فيه الأقاويل .

قال الغزالي رحمه الله : لعلها تزيد على مائة قول ، وأشار إلى كلام محيط  
بالتفاصيل فقال : المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل ، ولتفصيله مراتب بعضها  
أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمع للجمل .

أما الإجمال في الدرجة الأولى : فهو كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى  
تزهد في نفسه أيضا .

والإجمال في الدرجة الثانية : أن يزهد في كل صفةٍ للنفس فيها مُتعة ، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكِبَر والرياسة والمال والجاه وغير ذلك .

وفي الدرجة الثالثة : أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما ، إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس .

- وفي الدرجة الرابعة : أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم [ والجاه<sup>(١)</sup> ] ، إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم ، والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة . قال : وأعنى به كل علم وقدرة مقصودهما ملك القلوب ؛ إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها ، كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها . قال : فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فتكاد تُخرج ما فيه الزهد عن الحصر . وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال :
- ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . ثم رده في موضع آخر إلى اثنين فقال : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ . ثم رده الكل في موضع آخر إلى واحد فقال : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ ؛ فالهوى لفظٌ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا ، فينبغي أن يكون الزهد فيه .

قال : فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها .

وقال أبو سليمان الدارانيّ : سمعنا في الزهد كلاما كثيرا ، والزهد عندنا ترك كلّ شئ يشغلك عن الله عز وجلّ ، وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ، قال : هو القلب الذي ليس فيه غير الله . فهذا بيان أقسامه بالإضافة إلى المرغوب فيه وعنه .

وأما أحكامه فتقسم إلى فرض ونفل وسلامة . فالفرض هو الزهد في الحرام ، والنفل هو الزهد في الحلال ، والسلامة هو الزهد في الشهوات . فهذه درجاته وأقسامه وأحكامه على سبيل الاختصار .

### ذكر بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

قال الغزاليّ رحمه الله : اعلم أنّ ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهمّ ، فالفضول كالخيل المسوّمة — إذ غالب الناس إنما يقتنيها للترفيه بركوبها وهو قادر على المشي — وغير ذلك مما لا ينحصر . ثم حصر المهمّ الضرويّ فتميّز ما عداه أنّه فضول . قال : والمهمّ أيضا يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته على ما يشرحه من قوله . قال : والمهمّات ستّة أمور ، وهي : المطعم ، والملبس ، والمسكن وأثاثه ، والمنكح ، والمال ، والجاه يطلب لأغراض .

فالمهمّ الأول المطعم . ولا بدّ للإنسان من قوتٍ حلالٍ يُقيمُ صُلبه ، ولكن له طول وعرض ووقت . فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر فإن من يملك طعام يومه قد لا يقنع به ، وهو لا يقصّر إلا بقصر الأمل ، وأقلّ درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدّته وخوف المرض . ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه ، وهذه الدرجة العليا .

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « وحسنه ... » .  
(٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « ولم يدخر » بالواو .

والثانية : أن يدخر لشهر أو أربعين يوما .

والثالثة : أن يدخر لسنة فقط ، وهذه رتبة ضعفاء الزهاد . ومن آذخر لأكثر من ذاك فتسميته زاهداً محال ؛ لأن من أتمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس ، كداود الطائي فإنه ورث عشرين دينارا فأمسكها وأنفقها عشرين سنة ، فهذا لا يضاد الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد .

وأما عَرْضُه فبالإضافة إلى المقدار ، وأقل درجاته في اليوم والليله نصف رطل ، وأوسطه رطل ، وأعلاه مُدٌ — وهو ما قدره الله تعالى في إطعام المساكين في الكفارة — وما وراء ذلك فهو آتساع واشتغال بالبطن . ومن لم يقدر على الاقتصار على مُدٍ لم يكن له من الزهد في البطن نصيب .

وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله ما يقوت وهو الخبز من النخالة ، وأوسطه خبز الشعير والذرة ، وأعلاه خبز البر غير منخول ؛ فإذا مُيزت النخالة منه وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله .

وأما الأدم ، فأقله الملح أو البقل والخل ، وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان ، وأعلاه اللحم وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين ؛ فإن صار دائما أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا .

وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم واللييلة مرة وهو أن يكون صائما ثم يفطر في وقت الإفطار ؛ وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ، ويأكل ليلة ولا يشرب ؛ وأعلاه أن ينتهي إلى أن يطوى ثلاثة أيام وأسبوعا وما زاد عليه .

وأنظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الأدم واقتصارهم على ما يمسك الرمق . قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله

عنها : كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يُوقَد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباحٌ ولا نار . قيل لها : فبم كنتم تعيشون؟ قالت : بالأسودين التمر والماء . وجاء أهل قُبَاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشربة من لبن مَشُوبَةٍ بعسل ، فوضع القُدَح من يده وقال : "أَمَّا إِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُهُ وَلَكِنِّي أَتْرَكُهُ تَوَاضِعاً لِلَّهِ تَعَالَى" .  
 ٥ وَأَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِشَرِبَةٍ مِنْ مَاءٍ بَارِدٍ وَعَسَلَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَقَالَ :  
 أَعِزُّ لَوْ أَنَّ حَسَابَهَا . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ . الزَّاهِدُ الصَّادِقُ . قُوَّتُهُ مَا وَجَدَ ،  
 وَلِبَاسُهُ مَا سَـتَرَ ، وَمَسْكَنُهُ حَيْثُ أَدْرَكَ ، الدُّنْيَا سَجْنَةٌ ، وَالْقَبْرِ مُضْجَعُهُ ، وَالْخُلُوعُ  
 مَجْلِسُهُ ، وَالْإِعْتِبَارُ فِكْرَتُهُ ، وَالْقُرْآنُ حَدِيثُهُ ، وَالرَّبُّ أُنَيْسُهُ ، وَالذِّكْرُ رَفِيقُهُ ، وَالزَّهْدُ  
 قَرِينُهُ ، وَالْحُزْنُ شَأْنُهُ ، وَالْحَيَاءُ شِعَارُهُ ، وَالْجُوعُ إِدَامُهُ ، وَالْحِكْمَةُ كَلَامُهُ ، وَالزَّارِبُ  
 فِرَاشُهُ ، وَالتَّقْوَى زَادُهُ ، وَالصَّمْتُ غَنِيمَتُهُ ، وَالصَّبْرُ مَعْتَمِدُهُ ، وَالتَّوَكُّلُ حَسْبُهُ ،  
 ١٠ وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ ، وَالْعِبَادَةُ حِرْفَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ مَبْلَغُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

المهم الثاني الملبس . وأقل درجاته ما يدفع الحرَّ والبرد ويستتر العورة ، وهو  
 كساء يتغطى به ، وأوسطه قميصٌ وقلنسوة ونعلان ؛ وأعلاه أن يكون معه منديل  
 وسراويل . وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حدَّ الزهد . وشرط الزهد  
 ١٥ ألا يكون له ثوبٌ يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت ؛ فإذا صار  
 صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد . هذا من  
 حيث المقدار . وأما الجنس ، فأقله المُسَوِّحُ الخشن ، وأوسطه الصوف الخشن ،  
 وأعلاه القطن الغليظ .

وأما من حيث الوقت ، فأقصاه ما يستر سنةً ، وأقله ما يبقى يوماً ، وقد رقع  
 ٢٠ بعضهم ثوبه بورق الشجر [ وإن كان يتسارع الجفاف إليه <sup>(١)</sup> ] ، وأوسطه ما يتناسك

- عليه شهرا وما يقار به . فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل، وهو مضاد لازهد إلا إذا كان المطلوب خشونته وقد يتبع ذلك قوته ودوامه . فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به ، فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا . ولينظر إلى أحوال الأنبياء صلى الله عليهم والصحابة رضى الله عنهم كيف تركوا الملابس . قال أبو بردة : أخرجت لنا عائشة رضى الله عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين . وقال صلى الله عليه وسلم : ” إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي باليس “ . وفي الخبر : ” ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا “ .
- واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا ، واشترى سراويل بثلاثة دراهم ، وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد . وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين . ولبس صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيرا<sup>(١)</sup> من سندس قيمته مائتا درهم ، فكان أصحابه يلمسونه ويقولون : يا رسول الله ، أنزل هذا عليك من الجنة ! تعجبا ، وكان قد أهدها إليه الملقوقس ملك الإسكندرية ، فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزع وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به ، ثم حرّم لبس الحرير والديباج . وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نخمصة لها علم فلما سلم قال : ” شغلني النظر إلى هذه اذهبوا بها إلى أبي جهنم وأتوني بأنجانيته “ (يعنى كساءه) فأختار لبس الكساء على الثوب الناعم . وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى

(١) السيرا (بكسر السين وفتح النحنية ممدودا) : ضرب من البرود فيه خطوط صفر .

(٢) النخمصة : ثوب خز أو صوف معلم .

(٣) الأنجاني : نسبة إلى منبج (كجلس) موضع بالشام ، يقال في النسبة إليه منبجاني وأنجاني بفتح بائهما على غير قياس .

فيه ؛ فلما سلم قال : ”أَعِيدُوا الشَّرَاكَ الْخَلْقَ وَأَنْزِعُوا هَذَا الْحَدِيدَ فَإِنِّي نَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ“ . وعن جابر رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله عنها وهى تطحن بالرحا وعليها كساء من وبر الإبل ، فلما نظر إليها بكى وقال : ”يَا فَاطِمَةُ تَجْرَعِي مَرَارَةَ الدُّنْيَا لِنَعِيمِ الْأَبَدِ“ . فأنزل الله عليه (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) . [وقد أوصى أمته عامة بآتباعه إذ قال : ”مَنْ أَحْبَبَنِي فَلَيْسَتْ بِنُسْتَى“ . وقال : ”عَالِمُكُمْ بِنُسْتَى وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ“ . وقال الله تعالى : (قُلْ إِنِّي كُنْتُ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (١) . وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة وقال لها : ”إِنْ أُرِدْتِ الْحَقَّ بِي فَإِيَّاكَ وَمَجَالِسَةَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا تَنْزِعِي ثُوبًا حَتَّى تَرْقَعِيهِ“ . وعدَّ على قميص عمر رضى الله عنه اثنتان وعشرون رقعة بعضها من آدم . وفى الخبر : ”مَنْ تَرَكَ ثُوبَ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَعَالَى وَابْتِغَاءً لَوَجْهِهِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مِنْ عِبْقَرَى الْجَنَّةِ فِي أَتْحَافِ الْيَاقُوتِ“ . وقال عمر رضى الله عنه : اخْلَوْلِقُوا وَأَخْشَوْشُوا ، وَإِيَّاكُمْ وَزِيَّ الْعِجْمِ كَسْرَى وَقَيْصَرَ . وقال الثورى وغيره : الْبَسْ مِنْ الثِّيَابِ مَا لَا يُشْهَرُكَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَلَا يُحَقِّرُكَ عِنْدَ الْجُهَّالِ . وقال بعضهم : قُومْتَ ثُوبِي سُفْيَانٍ وَنَعْلِيهِ بَدْرُهُمْ وَأَرْبَعَةُ دَوَانِيقَ . والأخبار فى التَّقَلُّلِ مِنَ اللِّبَاسِ كَثِيرَةٌ فَلَا نَطُولُ بِسَرْدِهَا .

(١٢٧)

المهم الثالث المسكن . وللازهد فيه أيضا ثلاث درجات ، أعلاها ألا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصُّفَّةِ ، وأوسطها أن يطلب

(١) كذا فى الإحياء . وفى الأصلين : « من أجله الإبل ... » .

(٢) زيادة عن الإحياء .

(٣) كذا بالأصل . وفى الإحياء (ج ٤ ص ٢٢٣ طبع بلاق) : « اثنا عشرة رقعة » .

- موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سَعَف أو خُصَّ أو ما يشبهه ، وأدناها أن يطلب حُجرة مبنية إما بشراء أو إجارة . فإن كان قدرُ سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم تكن فيه زينةٌ لم يُخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد . فإن طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن . قال : والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأذى . وأقل الدرجات فيه معلوم ، وما زاد عليه فهو من الفضول ، والفضول كله من الدنيا ، وطالب الفضول والساعى له بعيد من الزهد . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في المساء والطين “ . وقال الحسن : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبه على قصبه . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : مرّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خُصّا فقال : ” ما هذا “ قلنا : خصّ لنا قد وهى ، قال : ” أرى الأمر أعجل من ذلك “ . وآتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب ، فقيل له : لو بنيت ! فقال : هذا كثير لمن يموت . وقال الحسن : دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه ، فقيل له : لو أصلحته ! فقال : كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” من بنى فوق ما يكفيه كُلف أن يحمله يوم القيامة “ . وفي الخبر : ” كل نفقة للعبد يُؤجر عليها إلا ما أنفقه في المساء والطين “ . وجاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ أنه الرياسة والتطاؤل في البُنيان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” كلُّ بناءٍ وبألٍ على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكنّ من حرّ وبرد “ . ونظر عمر رضى الله عنه

(١) كذا في كتابي الخلاصة والتهذيب في أسماء الرجال . وفي الأصلين : « محيرز » .



في طريق الشام الى صرح قد بُني بِحَصٍّ وَأَجْرٍّ ، فَكَبَّرَ وَقَالَ : مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ  
يَكُونَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَنِي بَنِيانِ هَامَانَ لِفِرْعَوْنَ . وَكَانَ آرْتِفَاعُ بِنَاءِ السَّلَفِ قَامَةً  
وَبَسْطَةً . قَالَ الْحَسَنُ : كُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ بَيْوتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
ضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى السَّقْفِ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ : إِذَا عَلَى الْعَبْدِ الْبِنَاءُ فَوْقَ سِتَّةِ  
أَذْرَعٍ نَادَاهُ مَلَكٌ : إِلَى أَيْنَ يَا أَفْسَقَ الْفَاسِقِينَ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : إِنِّي لَا أُعْجِبُ مَنْ  
بَنَى وَتَرَكَ وَلَكِنِّي أُعْجِبُ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَتَعَبَّرَ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يَأْتِي قَوْمٌ  
يَرْفَعُونَ الطِّينَ ، وَيَضَعُونَ الدِّينَ ، وَيَسْتَعْمِلُونَ الْبِرَازِينَ ، يَصَلُّونَ إِلَى قِبَلَتِكُمْ ، وَيَمُوتُونَ  
عَلَى غَيْرِ دِينِكُمْ .

المهم الرابع أثاث البيت . وللزهد فيه أيضا درجات ، أعلاها حال عيسى  
عليه السلام إذ كان لا يصحبه إلا مشطٌ وكوزٌ ، فرأى إنسانا يمشطُ لحيته بأصابعه ،  
فرمى بالمشط . ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز . وهذا حكم كل  
أثاث فإنه إنما يراد لمقصودٍ فإذا استغنى عنه فهو وبالٌ في الدنيا والآخرة . وما لا  
يُستغنى عنه فيُقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخَزَفُ في كل ما يكفي فيه الخَزَفُ ،  
ولا يُبَالَى أن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به . وأوسطها أن  
يكون له أثاثٌ بقدر الحاجة صحيحٌ في نفسه ، ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد  
كالذي معه قَصْعَةٌ يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها . وكان السلف  
يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف . وأعلاها أن يكون له بعدد كل  
حاجةٍ آلةٌ من الجنس النازل الحسيس ، فإن زاد في العدد أو في نفاسة الجنس خرج  
من جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول . ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وسيرة أصحابه رضي الله عنهم . قالت عائشة رضي الله عنها : كان

- (١) ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من آدم حشوها ليف . وقال النضيل : ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباءة مثنية ووسادة حشوها ليف . وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول<sup>(٢)</sup> بشريط ، بفلس فرأى أثر السرير في جنبه عليه السلام فدمعت عيناه . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ” ما الذى أبكاك يا بن الخطاب “ ؟ قال : ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط ! فقال صلى الله عليه وسلم : ” أما ترضى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة “ ! قال : بلى يا رسول الله . قال : ” فذلك كذلك “ . ودخل رجل على أبى ذرٍّ فجعل يقلب بصره في بيته فقال : يا أبا ذرٍّ ، ما أرى فى بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث ! فقال : إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا . فقال : إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا . فقال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه . ولما قدم عُمير بن سعد أمير حمص على عمر قال له : ما معك من الدنيا ؟ فقال : معى عصا أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها ، ومعى جرابي أحمل فيه طعامي ، ومعى قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ، ومعى مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة ، فما كان بعد هذا من

(١) كذا فى الأصاين والإحياء ، ولم نجده فى كتب اللغة التى بين أيدينا . وفى لسان العرب ونهاية ابن الأثير « ضجعة » وقالوا فى تفسيره : « الضجعة بالكسر من الاضطجاع وهو النوم كالجلسة من الجلوس وفتحتها المرة الواحدة ، والمراد ما كان يضطجع عليه فى الكلام مضاف محذوف تقديره كانت ذات ضجعته أو ذات اضطجاعه فراش آدم ... » . (٢) الرمل : النسج ، والسرير المرمول هو الذى ينسج له شريط ويجعل ظهره له (عن القاموس) . وقد ورد الحديث فى نهاية ابن الأثير وفى لسان العرب : « وإذا هو جالس على رمال سرير » وفى رواية أنزى « على رمال حصير » والرمال كطام وركام ما رمل أى نسج ، والمراد أن هذا السرير قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن عليه وطاء سوى الحصير .

الدنيا فهو تبع لما معي . فقال عمر : صدقت ، رحمك الله . وقدم رسول الله صلى الله وسلم من سفر ، فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها سترًا وفي يديها قلبيْن من فضة فرجع . فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي ، فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسأله أبو رافع فقال : ” من أجل الستر والسَّوارين “ : فأرسلت بهما بلائًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى . فقال : ” اذهب فبعه وأدفعه إلى أهل الضَّفة “ . فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم . فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ” بأبي أنتِ قد أحسنتِ “ . وقال الحسن : أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه ، وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبًا قط ، كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه .

المهم الخامس المنكح . قال الغزالي : وقد قال قائلون : لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في كثرتة ، وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال : قد حُبِّب إلى سيّد الزاهدين النساء فكيف زهد فيهن ! ووافقه ابن عُيَينة ، وقال : كان أزهد الصحابة على بن أبي طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سُرِّيَّة . قال الغزالي : والصحيح ما قاله أبو سليمان الدارانيّ إذ قال : كلُّ ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم . والمرأة قد تكون شاغلا عن الله . قال : وكشَّف الحق فيه أنه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الأحوال فيكون ترك النكاح من الزهد . وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد ! وإن لم يكن عليه آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك النكاح احترازًا عن ميل القلب إليهنّ والأنس بهنّ بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد . وإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازًا من لذة النظر والمضاجعة

- والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلاً ؛ فإن الولد مقصود لبقاء نسله ، وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربات . واللذة التي تليق الإنسان فيها هو من ضرورة الوجود لا تضره إذا لم تكن هي المقصد والمطلب ؛ وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازاً من لذة الأكل والشرب ، وليس ذلك من الزهد في شيء ؛ لأن في ترك ذلك فوات بدنه ، فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله ؛ فلا يجوز أن يترك النكاح زهداً في لذته من غير آفة أخرى . قال : وأكثر الناس تشغلهم كثرة النسوان ، فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله ، وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فليترك واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك . قال أبو سليمان :
- الزهد في النساء أن تختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة . وقال الجنيد : أحب للمريد المبتدى ألا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ، والتزوج . فقد ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل والشرب ، فما شغل عن الله تعالى فهو محذور فيهما جميعاً .

(١٢٩)

- المهم السادس : ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة وهو المال والجاه . [أما الجاه]<sup>(١)</sup> فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها أيتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض والأعمال . وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وأفتقر إلى من يخدمه أفتقر إلى جاه لا محالة في قلب خادمه ؛ لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يقدّم بخدمته . وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه . قال : وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما بللب نفع أو لدفع ضرر أو لخلاص من ظلم . فأما النفع فيُغنى عنه المال ؛ فإن من يخدم بأجرة خدم وإن لم يكن عنده للاستأجر قدر ، وإنما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم

بغير أجره . وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم إلا بحل له في قلوبهم أو محل له عند السلطان . وقدر الجاه فيه لا ينضبط . والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك . بل حق الزاهد ألا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلاً ، فإن اشتغاله بالدين والعبادة يمهّد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين .

وأما التوهمات والتقديرات التي <sup>(١)</sup>تُحوّج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة ، إذ من طاب الجاه لم يخل عن أذى في بعض الأحوال ، فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه . فإذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً ، واليسير منه داخ إلى الكثير ، وضراوته أشد من ضراوة الخمر ، فليحترز من قليله وكثيره .



وأما المال ، فهو ضروري في المعيشة أعنى القليل منه . فإن كان كسوباً ، فإذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب ، هذا شرط الزهد ، فإن جاوز ذلك إلى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حدّ ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعاً . وإن كانت له ضيعة ولم تكن له قوة يقين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة ، ولكن يكون من ضعفاء الزهاد .

قال : وأمر المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل . وقد قال أبو سليمان : لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه ، فإن أجابوا وإلا تركهم

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « تخرج ... » .

- وفعل بنفسه ما شاء . قال : والذي يُضطر الإنسان إليه من الجاه والمال ليس بمحدود؛ فالزائد منه على الحاجة سمٌّ قاتلٌ ، والاقتصار على قدر الضرورة دواءٌ نافعٌ ، وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سمًّا قاتلاً فهو مضرٌّ ، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواءً نافعاً لكنه قليل الضرر . والسمُّ محذورٌ شربه ، والدواءُ فرضٌ تناوله ، وما بينهما مشتبهُ أمره . فمن احتاط فإنما يحتاط لنفسه ، ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة . والمقتصر على [قدر] <sup>(١)</sup> الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا ، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين ، والشرط من جملة المشروط .
- وقد روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجةٌ فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يُقرضه فرجع مهموماً ؛ فأوحى الله تعالى إليه : لو سألت خليلك لأعطاك . فقال : يا رب ، عرفتُ مَقَّتَكَ للدنيا نَحِفْتُ أن أسألك منها شيئاً . فأوحى الله إليه : ليس الحاجة من الدنيا . فعلى هذا يكون قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة ؛ وهو أيضاً في الدنيا كذلك ، يعرفه من يخبرُ أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الدَّل فيه ؛ وغايةُ سعادته به أن يسلم لورثته فياً كلوه ، وربما يكونون أعداءً له ، وقد يستعينون به على المعاصي فيكون هو مُعِيناً لهم عليها . ولذلك شُبِّهَ جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز إذ لا يزال ينسج على نفسه حياً ثم يروم الخروج فلا يجد مُحَلَصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه ؛ فكذلك كلٌّ من اتبع شهوات الدنيا . قال الشاعر :
- (١) الزيادة عن الإحياء . (٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « ينسج على نفسه حتى

(١٣٠)

كُدُودُ كُدُودِ الْقَزِّ يَنْسُجُ دَائِمًا \* وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسَطَ مَا هُوَ نَاسِجُهُ

قال : ولما أنكشف لأولياء الله تعالى أن العبد مُهْلِكُ نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية ؛ حتى قال الحسن : رأيت سبعين بَدْرِيًّا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم . وفي لفظ آخر : كانوا بالبلاء أشد فرحاً منكم بالحُصْب والرُخاء ، لو رأيتوهم قلتُم : مجانين ، ولو رأوا خياركم قالوا : ما لهؤلاء من خَلَّاق ، ولو رأوا شراركم قالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب . وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول : أخاف أن يُفسد على قلبي . فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فسادهِ ، والذين أُمات حُبُّ الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم فقال : ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ، فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم الفكر . وقال بعضهم : ما من يوم ذرَّ شارقه إلا وأربعة أملاكٍ يُنادون في الآفاق بأربعة أصوات : ملكان بالشرق وملكبان بالمغرب يقول أحدهم بالشرق : يا باغى الخير هَلَمْ ، ويا باغى الشرِّ أَقْصِرْ . ويقول الآخر : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا . ويقول اللذان بالمغرب أحدهما : لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ ، ويقول الآخر : كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا لَطُولِ الْحَسَابِ .

### ذكر بيان علامات الزهد

قال الغزالي رحمه الله تعالى : إعلم أنه قد يُظَنُّ أن تارك المال زاهد ، وليس كذلك ؛ فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد ، فكم

(١) من الرهبان من ردوا أنفسهم كل يوم الى تَزْرِيسير من الطعام ولازموا ديراً لا باب له ، وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له ؛ فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة ؛ بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعاً حتى يكمل الزهد (٢) في جميع حظوظ النفس من الدنيا ؛ بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين إذ قال : وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من الثياب يموهون بذلك على الناس ليهدى إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحقرها فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لأنفسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأنت الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها ، وإنما يأخذون [ ما يأخذون ] بعلة غيرهم ؛ هذا إذا طوبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق . وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعواوها حالاً لهم ، فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى . هذا كلام الخواص .

قال الغزالي رحمه الله : فإذا معرفة الزهد أمرٌ مُشْكَلٌ ، [ بل حال الزهد على الزاهد مُشْكَلٌ ] ؛ فينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات :

العلامة الأولى : ألا يفرح بموجود ، ولا يحزن على مفقود ، كما قال الله تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ، بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن لوجود المال ويفرح لفقده .

العلامة الثانية : أن يستوى عنده ذاقه ومادحه ؛ فالأولى علامة الزهد في المال ، والثانية علامة الزهد في الجاه .

(١) الرهبان : جمع رهبان وهو الكثير الخوف . (٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « حتى يكمل الزهد بل في جميع ... الخ » . (٣) زيادة من الإحياء .



العلامة الثالثة: أن يكون أنسه بالله عز وجل، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة، إذ لا يخلو القلب من حلاوة المحبة، إما محبة الدنيا وإما محبة الله، وهما في القلب كالماء والهواء في القَدَح، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان؛ وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره. وقد قال أهل المعرفة: إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً وعمل لهما، وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا ولم ينظر إليها ولم يعمل لها. وقد ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي. وقال أبو سليمان: من شغل بنفسه شغل عن الناس، وهذا مقام العاملين. ومن شغل بربه شغل عن نفسه، وهذا مقام العارفين. والزاهد لا بد أن يكون في أحد هذين المقامين.

- ١٠ وبالجملة فعلامه الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم، وذلك لغلبة الأُنس بالله. ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخر مثل أن يترك الدنيا ولا يبالى من أخذها. وقيل: علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول: أبني رباطاً أو أعمر مسجداً، وهذا من كلام الأستاذ أبي علي الدقاق. وقال ابن خفيف: علامته وجود الراحة في الخروج من الملك. وقال الجُنَيْد: علامته خلوة القلب عما خلت منه اليد. وقال أحمد بن حنبل وسُفْيَان: علامة الزهد قصر الأمل. وقال رجل ليحيى بن مُعَاذ: متى أدخل حانوت التوكّل وألبس بُرد الزهد وأقعد مع الزاهدين؟ فقال: إذا صرت من رياضتك لنفسك في السرّ إلى حدّ لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك؛ فأما ما لم تبغ هذه الدرجة بخلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح. قالوا: ولا يتمّ الزهد إلا بالتوكّل؛ فلنذكّر التمسك.
- ٢٠

## ذكر ما ورد في التوكل من فضيلته وحقيقته

- أما فضيلته فقد قال الله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ . وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ، وناهيك بذلك مقاما . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أُرِيتُ الْأُمَمُ فِي الْمَوْسِمِ فَرَأَيْتُ أُمَّتِي قَدْ مَلَأُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ فَأَعْجَبْتَنِي كَثَرَتَهُمْ وَهَيْئَتَهُمْ فَقِيلَ لِي أَرْضَيْتِ قُلْتَ نَعَمْ قَالَ وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ قِيلَ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" . وقال صلى الله عليه وسلم : "مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَ مِائَةِ رِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا" .



- وأما حقيقة التوكل فقد قال الغزالي رحمه الله : التوكل مشتق من الوكالة يقال : وَكَّلَ أَمْرَهُ إِلَى فُلَانٍ أَيْ فَوَّضَهُ إِلَيْهِ وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ [فِيهِ] ، وَيُسَمَّى الْمُوَكَّلُ إِلَيْهِ وَكِيلاً ، وَيُسَمَّى الْمَفْوضُ إِلَيْهِ مُتَّكِلاً عَلَيْهِ وَمُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ مَهْمَا أَطْمَأْنَنَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَوَثِقَ بِهِ وَلَمْ يَتَّهِمْ فِيهِ [بِتَقْصِيرِهِ وَلَمْ يَعْتَقِدْ فِيهِ عَجْزاً وَلَا قِصُوراً] . ثم قال بعد أن ضرب لذلك أمثلة يطول شرحها : وأعلم أن حالة التوكل في القوة والضعف ثلاث درجات : الأولى : أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالاته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل .

(١) في الإحياء (ج ٤ ص ٢٤٢) : « كفاه الله كل مئونة ورزقه ... » .  
 (٢) الزيادة عن الإحياء . (٣) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « الموكل إليه ... » .  
 (٤) كذا في الأصل والإحياء ، ولعلها : « ما اطمأنت ... » . (٥) زيادة عن الإحياء .

الثانية وهى أقوى : أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل فى حق أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا إياها ؛ فإن رآها تعلق فى كل حال بها ، وإن نابها أمرٌ فى غيبتها كان أول سابق إلى لسانه : يا أمّاه ، وأول خاطر يخطر على قلبه أمه لو ثوقه بكفالتها وكفايتها وشفقتها .

٥ الثالثة وهى أعلاها : أن يكون بين يدى الله تعالى فى حركاته وسكناته مثل الميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير . قال : وهذا المقام فى التوكل يُثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقةً بكرمه وعنايته ، وأنه يُعطى ابتداءً أفضل مما يُسأل . وقد تكلم المشايخ فى التوكل وبيان حدّه وأختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حدّه .

١٠ قال أبو موسى الدبلى : قلت لأبى يزيد : ما التوكل ؟ فقال : ما تقول أنت ؟ قلت : إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك . فقال أبو يزيد : نعم هذا قريب ، ولكن أو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون ، وأهل النار فى النار يُعذبون ، ثم وقع بك تمييزٌ عليهما خرجت من جملة التوكل . وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل فقال : التعلق بالله تعالى فى كل حال . فقال السائل : زدنى ؛ فقال : ترك كل سبب يُوصّل إلى سبب حتى يكون [الحق] هو المتولى لذلك . وهذا مثل توكل إبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال له جبريل : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ؛ إذ كان سؤاله يُفضى إلى سبب فترك ذلك ثقةً بأن الله يتولى ذلك .

(١) كذا فى الإحياء . وفى الأصل : « يغتنم » .

(٢) زيادة عن الإحياء .

قال أبو سعيد الخزاز : التوكل اضطراب بلا سكون ، وسكونٌ بلا اضطراب .  
 أشار بالأقول إلى فزعه إلى الله تعالى وأبتهاله وتضرعه بين يديه كأضطراب الطفل  
 بيديه إلى أمه ، وبالثاني إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به <sup>(١)</sup> . وقال أبو عليّ  
 الدقاق : التوكل على ثلاث درجات : التوكل ثم التسليم ثم التفويض ، فالتوكل  
 يسكن إلى وعده ، وصاحب التسليم يكتفى بعلمه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه .  
 وقال : التوكل بداية ، والتسليم وسائط ، والتفويض نهاية . وقال : التوكل صفة  
 المؤمنين ، والتسليم صفة الأولياء ، والتفويض صفة الموحدين .

وسئل ابن عطاء عن حقيقة التوكل فقال : ألا يظهر فيك أنزعاج إلى الأسباب  
 مع شدة فافتك إليها ، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها .  
 وقال أبو نصر السراج : شرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشي وهو طرح البدن  
 في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمانينة إلى الكفاية ، فإن أُعطي شكرًا ، وإن  
 منعه صبر . وكما قال ذو النون : التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول  
 والقوة . وقال أبو بكر الدقاق : التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد .  
 وسئل ذو النون : ما التوكل ؟ فقال : خلع الأرباب ، وقطع الأسباب . فقال  
 السائل : زدني ، فقال : إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية . وقال  
 مسروق : التوكل الاستسلام لحرمان القضاء والأحكام . وقال أبو عثمان : التوكل  
 الاكتفاء بالله مع الاعتماد عليه . وقيل : التوكل الثقة بما في يد الله واليأس مما  
 في يد الناس . وقيل : التوكل فراغ السر عن التفكير في التقاضى في طلب الرزق .

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « وبالثاني إلى سكون القلب إلى التوكل وثقة به » .

(٢) في الأصلين : « سكن » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) في الأصل : « بجران » بالباء .

ولم نجد هذا الفعل يتعدى بالباء .

### ذكر بيان أعمال المتوكلين

قال الغزالي رحمه الله : قد يُظَنُّ أن معنى التوكل تركُ الكسب [بالبدن] وترك التدبير بالقلب ، والسقوطُ على الأرض كالحرقة المُلْقاة وكاللحم على الوَضَم ؛ وهذا ظنُّ الجهال ، فإن ذلك حرامٌ في الشرع ؛ والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف يُنال مقامٌ من مقامات الدِّين بمحظورات الدِّين ! بل إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده . وسعى العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب ، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالآذخار ، أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع ، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوى من المرض . فمقصود حركات العبد لا يعدو هذه الحالات الأربع اتى هى جلبُ النافع أو حفظه أو دفعُ الضار أو قطعه . ثم ذكر شرط التوكل ودرجاته في كل واحد منها ، وقرن ذلك بشواهد الشرع ، فقال ما مختصره ومعناه :



أمّا جلبُ النافع ، فالأسباب التى بها يجلب النافع على ثلاث درجات : مقطوع به ، ومظنون ظناً يوثق به ، وموهوم وهماً لا تثق النفس به ثقةً تامة ولا تطمئن إليه . فالدرجة الأولى : المقطوع به كالطعام إذا وُضع بين يدي الرجل وهو جائع محتاج إلى تناوله فامتنع من مَدِّ يده إليه وقال : أنا متوكل ، وشرط التوكل ترك السعى ، ومَدُّ اليد إليه سعىٌ وحركة ، وكذلك مضغه بالأسنان وآبَءَ بِلِطَباقِ أعالي الحنك على أسفله ؛ فهذا جنون وليس من التوكل في شيء ، فإنه إن آنَظَرَ أنَّ الله تعالى يخلق فيه شَبَعاً دون الخبز أو يسخر مَلَكاً يَمْضِغُه ويوصله إلى معدته فهذا رجلٌ جهل سنة الله

(١) الزيادة عن الإحياء (ج ٤ ص ٢٥٣ طبعة بلاق) . (٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل :

تعالى؛ وكذلك لو لم يزرع الأرض وطِيع أن الله تعالى يخلق نباتاً من غير بذر أو تلد زوجه من غير مباذعة كرميم، فكل ذلك جنون؛ بل يجب عليه أن يعلم أن الله تعالى خالق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة، وأنه الذي يُطعمه ويسقيه، وأن يكون قلبه وأعماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام، فليمتد يده ويأكل فإنه متوكل.

والدرجة الثانية: الأسباب التي ليست متعينة، ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وأحتمال حصولها دونها بعيد كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس إلا نادراً ويكون سفره من غير استصحاب زاد، فهذا ليس شرطاً في التوكل، بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأولين مع الاعتماد على فضل الله عز وجل لا على الزاد؛ ولكن فعل ذلك جائز، وهو من أعلى مقامات التوكل وهو فعل الخواص. قال الغزالي: فإن قلت: فهذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس إلى التهلكة، فأعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراماً بشرطين: أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها حتى صبرت عن الطعام أسبوعاً أو ما يقاربه بحيث إنه لا يناله ضيق قلب ولا تشويش خاطر. والثاني أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق من الأشياء الحسيسة، فإنه لا يخلو غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع أن يلقاه آدمي أو ينتهي إلى محلة أو قرية أو إلى حشيش يتقوت به؛ وعلى هذا كان يقول الخواص ونظرائه من المتوكلين. وقد كان الخواص مع توكله لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة، ويقول: هذا لا يقدح في التوكل.

وأما لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجاس متوكلاً فهو آثم به ساع في إهلاك نفسه.

وأما القاعد في البلد بغير كسب فليس ذلك حراماً، لأنه لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه . فإن أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام . فإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج له أولى ، ولكن ليس فعله حراماً إلا أن يشرف على الموت ، فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب . وإن كان مشغول القلب بالله غير متطلع إلى الناس ولا إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزق ، بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل ، فإن الرزق يأتيه لا محالة . فلو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل [فإنهم] <sup>(١)</sup> أجمعوا أن لا رازق ولا أُميت إلا الله تعالى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو توكلتم على الله تعالى حقَّ توكله لرزقكم <sup>(٢)</sup> كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال" . وقال عيسى عليه السلام : أنظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوماً بيوم ، فإن قلتم نحن أكبر بطونا ، فأنظروا إلى الأنعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الخلق [للرزق] . وقال أبو يعقوب السوسى : المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكوددون . وقال بعضهم : العبيد كلهم في رزق الله تعالى ، لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال ، وبعضهم يأكل بتعب كالتجارة ، وبعضهم بآمتنان كالصناع ، وبعضهم بعز كالصوفية ، يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة .

والدرجة الثالثة : ملابسة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة ، كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الآكتساب ووجوهه ،

(١) زيادة عن الإحياء . (٢) كذا في الإحياء . وفي الأصلين : «لرزقكم ...» .

وذلك يُخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها، وهو الذي الناس كلهم فيه من التكسب بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً لمالٍ مباح . هذا ملخص ما أورده رحمه الله تعالى في جلب النافع، وذكر لذلك أمثلة ونظائر تركناها اختصاراً .



وأما حفظ النافع فهو التعرض لأسباب الآذخار، فمن حصل له مال بإرث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب فله في الآذخار ثلاث أحوال :

- ٥ الأولى : أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل إن كان جائعاً، ويلبس إن كان عارياً، ويشتري مسكناً مختصراً إن كان محتاجاً، ويفرق الباقي في الحال ولا يدخر منه إلا ما أرصده لمحتاج؛ فهذا هو المؤوف بموجب التوكل تحقيقاً، وهي الدرجة العليا .
- ١٠ الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل : أن يدخر لسنة فما فوقها، فهذا ليس من المتوكلين أصلاً .

الحالة الثالثة : أن يدخر لأربعين يوماً فما دونها، فهذا يُوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين . وقال الخواص : لا يخرج بأربعين يوماً ويخرج بما زاد عليها .



١٥

وأما دفع الضرر عن النفس والمال فقد قال الغزالي رحمه الله : ليس من شرط التوكل ترك الأسباب الدافعة للضرر . أما في النفس فكالنوم في الأرض المسبعة أو في مجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المائل أو السقف المتكسر، فإن ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه إلى الهلاك بغير فائدة . وأما في المال فلا ينقص التوكل إغلاق باب البيت عند الخروج منه ولا أن يعقل البعير . فهذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى ، فقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه

٢٠



قال : جاء رجل على ناقة فقال : يا رسول الله ، أدعها وأتوكل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اعقلها وتوكل “ .



وأما إزالة الضرر فقد قال الغزالي رحمه الله تعالى : إن الأسباب المزيله للضرر تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع ، وإلى مظهر كالقصد والحجامة وشرب الدواء وسائر أبواب الطب ، وإلى موهوم كالكي والرقية .

أما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت .  
وأما الموهوم ، فشرط التوكل تركه ، إذ بتركه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لم يتوكل من استترقى وأكتوى “ .  
وقال سعيد بن جبير : لدغني عقرب فأقسمت على أمتي لتسترقين ، فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ .

وأما الدرجة الوسطى وهي المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعل ذلك لا يناقض التوكل بخلاف الموهوم ، وتركه ليس بمحذور بخلاف المقطوع به . وقد تداوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالتداوى وقال : ” ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام “ ، يعني الموت ، وتضافرت الأحاديث بالأمر بالدواء .

ومنهم من رأى أن ترك التداوى قد يُحمد في بعض الأحيان إذا اقترن به أحد أسباب ستة :

٢٠ الأول : أن يكون المريض من المكاشفين وقد كُشف بأنه آتتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه ، وتحقق ذلك إما برؤيا صادقة أو بحدس وظن أو بكشف محقق

كحال أبي بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرض موته : لو دعونا لك طبيباً !  
فقال : الطبيب نظر إلى وقال إني فعّال لما أريد . وكان رضى الله عنه من  
المكشّفين ؛ والدليل على ذلك أنّه قال لعائشة رضى الله عنها فى أمر الميراث : إنما  
هنا أختاك ؛ وما كان لها إلا أختٌ واحدة وكانت امرأته حاملاً فولدت أنثى ؛  
فلا يبعد أن يكون كوشف بآتماء أجله ؛ ومحال أن يُنكر التداوى وقد رأى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فعله .

الثانى : أن يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبته وأطّاع الله تعالى  
عليه ، فيُنسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرّغ قلبه للتداوى شغلاً بحاله ، كحال أبي ذر لما  
رمدت عيناه ، فقيل له : اوداويتهما ! فقال : إني عنهما مشغول . فقيل له : لو سألت  
الله أن يعافيك ! فقال : أسأل فيما هو أهمّ عليّ منهما . وكحال أبي الدرداء فإنه قيل له  
فى مرضه : ما تشكى ؟ قال : ذنوبى . قيل : فما تشتهى ؟ قال : مغفرة ربى . قالوا :  
ألا ندعوك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضى . ويكون حال هذا كالمصاب بموت  
عزيز من أحبّابه أو كالحائف من ملك فيشغله ذلك عن ألم الجوع .

(١٣٥)

الثالث : أن تكون العلّة مزمنة والدواء الذى يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم  
كالسكى والرقية ، فتركه للتوكل كالربيع بن خيثم فإنه أصابه فالج ، فقيل له : لوتداويت !  
فقال : لقد هممت ثم ذكرت عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً وكان فيهم الأطباء  
فهلك المداوى والمداوى ولم تُغنِ الرقى شيئاً . أى إن الدواء غير موثوق به .

الرابع : أن يقصد العبد ترك التداوى استيفاءً للرض لينال ثواب المرض بحسن  
الصبر على بلاء الله تعالى وليجرب نفسه فى القدرة على الصبر .

الخامس : أن يكون العبد قد سبق له ذنوبٌ وهو خائفٌ منها عاجزٌ عن  
تكفيرها فيرى المرض إذا طال تكفيراً ، وترك التداوى خوفاً من أن يُسرّع زوالُ

المرض ورغب في مضاعفة الأجر . فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
 ”حُمِّيَ يَوْمٌ كَفَّارَةٌ سَنَةٌ“ .

السادس : أن يستشعر العبد في نفسه مبادئ البَطَرِ والطُّغْيَانِ بطول مدّة الصّحّة ،  
 فيترك التداوى خوفاً من أن يُعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان  
 أو طول الأمل والتسويف في تدارك الفائت وتأخير الخيرات ؛ فإن الصّحّة تُحْزَنُ  
 الهوى وتبعث على الشهوات وتدعو إلى المعاصي ، وأقلّها أن تدعو إلى التّنعّم  
 في المباحات وهو تضييع الأوقات وإهمال الرّبح العظيم في مخالفة النفس وملازمة  
 الطّاعات . وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً لم يُخلِهِ عن التّنبية بالأمراض والمصائب ؛ ولذلك  
 قيل : لا يخلو المؤمنون من علة أو قلة أو ذلة . قال : فلما أن كثرت فوائد المرض  
 رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها ، إذ رأوا لأنفسهم مزيّداً فيها لا من حيث رأوا  
 التداوى تُنصّنا ، وكيف يكون ذلك نقصاناً وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! .  
 فهذه نبذة كافية في مقامى الزهد والتوكل . فلنذكر الأدعية .

## الباب الرابع

من القسم الرابع من الفن الثّانى  
 فى الأدعية

وهذا الباب — يقبل الله منا ومنك وفيك صالح الدعوات ، وجعلنا وإياك ممن  
 أعتمد على كرمه ومنته فى الحركات والسكنات ؛ ووقفنا للتضرع والسكون إلى فضله ،  
 وعاملنا بما هو من أهله لا مانح من أهله — هو مشرّع الظمآن إلى موارد الكرم العذبة ،  
 ومفزع الحيران إذا ألمّت به الضائقة وحصرته الكربة ؛ فبه يُتَوَسَّلُ إلى الله تعالى  
 فى مطالب الدنيا والآخرة ، ويُتَوَصَّلُ إلى النعم الوافية والخيرات الوافرة ؛ كيف لا وقد

أمرنا الرب العظيم بالدعاء والإجابة ، ووعدنا وهو الوفي الكريم بالقبول والإجابة ، وترادفت بفضلله الأخبار الصحيحة ، وجاءت بشرفه الآثار الصريحة ، على ماستقف على ذلك إن شاء الله تعالى واضحا ، وتعول عليه مقيا وظاعنا وغاديا ورأحا . فلازمه في سائر أحوالك ، وتعااهده في بركك وأصالك ، فستجنى إن شاء الله منه ثمار غرسك ، وتجود حلاوة ذلك في قلبك وأنسه في نفسك .

٥

- وأعلم أن للدعاء ، كما قال ابن عطاء ، أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا . قال : فإن وافق أركانه قوى ، وإن وافق أجنحته طار في السموات ، وإن وافق مواقيته فاز ، وإن وافق أسبابه أنجح . فأركانه حضور القلب والرقعة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب . وأجنحته الصدق . ومواقيته الأسمار . وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” يقول الله تعالى للعبء يوم القيامة أكنت ترى لبعض دعائك الإجابة ولا ترى لبعضه فيقول نعم فيقول له أما إنك مادعوتني بدعوة إلا وقد استجبتُ لك فيها أليس دعوتني يوم كذا وكذا فرأيت الإجابة فيقول نعم ويقول ودعوتني يوم كذا وكذا فلم تر الإجابة فيقول نعم فيقول فإنني آذنتها لك في الجنة فلا يبقى له دعوة إلا بينها له حتى يتمنى المؤمن أن دعواته كلها كانت ذخائره في الآخرة“ .
- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إن الدعاء هو العبادة“ قال : وقرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” ليس شيء أكرم على الله من الدعاء“ . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إن الدعاء ينفع

مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء“ . وعن أنس رضى الله عنه قال ، قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”إن الله عز وجل حيٌّ كريم يستحي إذا بسط  
 الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء“ . وعن أبي سعيد الخدري  
 رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”دعوة المسلم لا تُرد إلا بإحدى  
 ثلاث ما لم يدعُ بآثم أو قطيعة رَحِمَ إِمَّا أن يستجيبَ الله له فيما دعا أو يتخرله  
 في الآخرة أو يصرف عنه من السوء بقدر ما دعا“ . وعن أنس رضى الله عنه قال :  
 قيل يا رسول الله : إنا ندعو بدعاء كثير منه ما نرى إجابته ومنه ما لا نرى إجابته  
 فقال : ”والذى نفسى بيده ما من أحد يدعو بدعوة إلا استجيب له أو صُرف عنه  
 مثلها شراً“ . قالوا : يا رسول الله ، إذا نُكثِر؟ قال : ”الله أكثر وأكثَر“ ثلاث مرات .  
 وعنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ”دعوة في السر تعدل سبعين دعوة  
 في العلانية“ . وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : ”إن الله عز وجل في الليل والنهار عُمَّاء من النار ولكل مسلم ومسلمة  
 في كل يوم ليلة دعوة مستجابة“ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال : ”إن لله تعالى يقول من ذا الذى دعانى فلم أجبه وسألنى فلم أعطه  
 وأستغفرنى فلم أغفر له وأنا أرحم الراحمين“ . وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال : ”إذا فتح الله على عبد باب الدعاء فليكثر فإن الله يستجيب  
 له“ . وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”من  
 فُتِحَ له بابٌ في الدعاء فُتِحَتْ له أبواب الإجابة“ . وعن أبي هريرة عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم أنه قال : ”من لم يسأل الله يغضب عليه“ . وعن جابر بن عبد الله  
 رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي  
 فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية فقال صلى الله عليه وسلم : ”اللهم إنك

أمرت بالدعاء وتوكلت بالإجابة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك أشهد أنك فردٌ أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنتك تبعث من في القبور“. هذا مما ورد في الحث على الدعاء .



- وأما ما ورد في نفع الدعاء ودفعه للبلاء؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ”إن أنواع البرِّ كلها نصفُ العبادة والنصف الآخر الدعاء“. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”لا ينفع حذرٌ من قدرٍ والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن الدعاء ليلقي البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة“. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”الدعاء ينفع مما نزل ومما لم لا ينزل وإن الدعاء ليرد القضاء المُبرم وإن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض فلا يزال أحدهما يدفع صاحبه إلى يوم القيامة“. وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البرّ“. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”الدعاء سلاحُ المؤمن وعمادُ الدين ونورُ السموات والأرض“.



- وأما ما ورد في الإلحاح في الدعاء وهيئة الدّلة والإجابة؛ قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”إن الله يحبُّ المُلحِّين في الدعاء“. وعن أبي هريرة

- رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة وأعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاءً من قلب ساهٍ لاهٍ" . وعن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض<sup>(١)</sup> إبطيه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا جعل باطن كفيه إلى وجهه . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "سلموا الله ببطون أكتفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم" . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن ربكم عز وجل حي كريم يستحي أن يرفع العبد يديه فيردّهما صفراً لا خيراً فيهما فإذا رفع أحدكم يده فليقل يا حي لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين ثلاث مرات ثم إذا رده فليفرغ ذلك الخير على وجهه" . وعن عمر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مَدَّ يديه في الدعاء لم يردّهما حتى يمسح بهما وجهه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الإخلاص هكذا ورفع إصبعاً واحداً من اليد اليمنى والدعاء هكذا وجعل بطونهما مما يلي السماء والأتها هكذا ومدَّ يديه شيئاً وجعل ظهر الكتف مما يلي السماء" . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أقرب ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء" .



- وأما ما ورد من كراهية استعجال الإجابة ورفع البصر والسجّع في الدعاء قال تعالى : ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل" .

(١) في الأصلين هكذا : « بيان » والتصحيح عن الإحياء ( ج ١ ص ٢٨٧ ) .

فيقول قد دعوت فلم يُستجب لي“ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ”لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل“ . قالوا : وكيف يستعجل ؟ قال : ”يقول قد دعوت الله مرارا فلا أراه يستجيب لي“ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ“ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إِيَّاكَ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ فَإِنِّي شَهِدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ .



- وأما ما ورد فيمن تجاب دعواتهم . قال الله عز وجل : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَآهُ﴾ . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”خمس دعوات لا ترد دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازی حتى يرجع ودعوة المظلوم حتى ينتصر ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة الأخ لأخيه بالغيب وأسرع هؤلاء الدعوات إجابة دعوة الأخ لأخيه بالغيب“ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة الوالد ودعوة المسافر ودعوة المظلوم“ .
- وفي حديث آخر : ”دعوة الصائم بدل دعوة الوالد“ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : ”إنك تأتي قوماً أهل كتاب فأتق دعوة المظلوم“ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ”الإمام العادل لا ترد دعوته“ . وقال صلى الله عليه وسلم : ”ثلاثة لا ترد دعوتهم إمام مقسط ودعوة الصائم ودعوة المظلوم تفتح لها أبواب السماء ويقول الله عز وجل لأنصرك ولو بعد حين“ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ”دعاء الوالد لولده مثل دعاء النبي لأُمته“ . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :



”وَأَسْرَعُ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دَعْوَةً غَائِبٌ لَغَائِبٌ“ . وعن أبي الدرداء ، رضى الله عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”دَعْوَةُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ تَعْدِلُ سَبْعِينَ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً وَيُؤْتِكُلُ اللَّهُ عَنْ وَجَلٍ مَلَكًا يَقُولُ آمِينَ وَلَكَ مِثْلُ مَا دَعَوْتَ“ . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ لَهُ مَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ وَمَلَكٌ عَنْ شِمَالِهِ وَلَكَ مِثْلُهُ“ . وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”حَامِلُ الْقُرْآنِ لَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ“ . وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”إِذَا دَخَلْتَ عَلَى الْمَرِيضِ فَسَلِّهِ يَدْعُو لَكَ فَإِنْ دَعَاكَ الْمَلَائِكَةُ“ . وعن أنس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”مَنْ أَلْهِمَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وَمَنْ أَلْهِمَ التَّوْبَةَ لَمْ يَحْرَمِ الْقَبُولَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ وَمَنْ أَلْهِمَ الشُّكْرَ لَمْ يَحْرَمِ الزِّيَادَةَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وَمَنْ أَلْهِمَ الْاسْتِغْفَارَ لَمْ يَحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ وَمَنْ أَلْهِمَ النِّفْقَةَ لَمْ يَحْرَمِ الْخَلْفَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾“ .

(١٣٨)

### ذكر الأوقات التي تُرجى فيها إجابة الدعاء

قال الله عز وجل : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ . وقال تعالى : ﴿إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يَنْزِلُ اللَّهُ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ وَمَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ“ . وعن الله عليه وسلم : ”تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيُسْتَجَابُ دَعَاؤُ الْمُسْلِمِ عِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَعِنْدَ

- نزول الغيث وعند زحف الصفوف في سبيل الله وعند رؤية الكعبة“ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”إذا فأت الأفياء وهبت الرياح فأرفعوا إلى الله حوائجكم فإنها ساعة الأوابين إنه كان للأوابين غفورا“ . وعن أبي أمامة قال قلت : يا رسول الله ، أى الدعاء أسمع ؟ قال : ”جوف الليل وأدبار المكتوبات“ . وعن ابن عمر قال : أفضل الساعات مواقيت الصلاة فادعوا فيها . وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ”خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة إن فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ يصلي يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه“ . وقد اختلف في ابتداء وقت هذه الساعة ف قيل : أول ساعة من طلوع الشمس ، وقيل : آخر ساعة من غروبها ، وقيل : عند جلوس الإمام على المنبر ، وقيل : من الزوال إلى ابتداء الصلاة ، وقيل : من بعد العصر إلى الغروب ، وقيل : إنها تنتقل في ساعات اليوم كما تنتقل ليلة القدر في شهر رمضان . روى عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال : قال لى عبد الله بن عمر رضى الله عنهم : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة يقول : ”هى ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقضى الصلاة“ . وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥ ورضى عنها عن أبيها صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه“ . فقلت : يا أبت ، أى ساعة هى ؟ قال : ”إذا تدلى نصف الشمس للغروب“ . فكانت فاطمة رضى الله عنها إذا كان يوم الجمعة تأمر غلاما لها يقال له زيد يرصد لها الشمس ، فإذا تدلى نصف الشمس للغروب أعلمها ، فتقوم فتدخل المسجد فتدعو حتى تغرب الشمس وتصلى . ٢٠
- وحيث ذكرنا هذه المراتب فلنذكر الأدعية المنصوص عليها .

## ذكر دعوات ساعات الأيام السبعة ولياليها

قد أورد الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف القرشي البوني رحمه الله تعالى دعوات الساعات في اللعة النورانية<sup>(١)</sup> فبدأ بيوم الأحد وذكر دعاء كل ساعة منه ، ثم ذكر يوم الاثنين فقال : ساعة كذا يدعى فيها بدعاء ساعة كذا من يوم الأحد ، ثم ذكر يوم الثلاثاء فقال : ساعة كذا يدعى فيها بدعاء ساعة كذا من يوم الاثنين وكذلك في بقية ساعات الأيام والليالي ، يذكر كل ساعة ويُحِيل في دعائها على ساعة من اليوم أو الليلة التي قبلها ؛ فرأيت أن الراغب في الدعاء يحتاج في معرفته إلى كشف طويل وتحقيق إلى أن يصل إلى تلك الساعة من يوم الأحد ، وربما تعذر ذلك على كثير من الناس ، فرتبت الأدعية على ما ستقف إن شاء الله تعالى عليه ليسهل على المتناول طريقها ويدنو من المحاول تحقيقها ؛ فقلت وبالله التوفيق :

(١٣٩)

دعاء يُدعى به في الساعة الأولى من يوم الأحد ، وفي الثامنة من ليلة الاثنين ، وفي العاشرة من يوم الاثنين ، وفي الخامسة من ليلة الثلاثاء ، وفي السابعة من يوم الثلاثاء ، وفي الثانية من ليلة الأربعاء وفي الرابعة من يوم الأربعاء ، وفي الحادية عشرة من ليلة الخميس وفي الأولى من يوم الخميس ، والحادية عشرة من ليلة الجمعة والعاشرة من يوم الجمعة ، وفي الثامنة من ليلة السبت وفي السابعة من يوم السبت ، وفي الخامسة من ليلة الأحد ، وهو :

”رب اغمسنى في بحر [من] نور هيبتك حتى أخرج منه وفي وجهي شعاعات هبية  
تخطف أبصار الحاسدين من الجن والإنس فتعميهم عن رمي سهام الحسد في قرطاس

(١) في الأصلين : ”اللعة النورانية“ وصحة الاسم ما ذكرناه . وفي دار الكتب المصرية منه نسختان

خطبتان تحت رقمي (١٩٩٣ و ٨٥ م تصوف) .

(٢) زيادة عن اللعة النورانية .

نعمتي، وآجُبني عنهم بحجاب النور الذي باطنه النور وظاهره النار . أسألك باسمك النور وبوجهك النور يا نور النور أن تحجُبني في نور آسمك بنور آسمك حجاباً يمنعني من كل نقص يُمازج مني جوهراً أو عَرَضاً إنك نور الكل ومنور الكل بنورك .

- قال البُوني : تدعو بهذا الدعاء ثمانيا وأربعين مرة في هذه الساعة على وضوء بعد صلاة ركعتين فيما يتعلق بسؤال الهيبة وإقامة الكلمة وقهر العدو . ويناسب هذا الدعاء من القرآن قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية ، قال : من قرأ هذه الآية هذا العدد المتقدم في بيت مظلم وعيناه مغلفتان شاهد أنوارا عجيبة تملأ قلبه ، وإن استدام ذلك تشكّلت له في عالم الحس . وهو ذكر يصلح لأرباب الهمم وأهل الحلول ، وكاتبه وحامله تظهر له زيادات في قوى نفسه وقهر عدوه وخصمه لم يكن يعهدها من قبل ، ومن أمكنه أن يداوى به العلل الكائنة في الرأس خصوصا من البرودة وجد تأثير ذلك لوقته .

- دعاء يدعى به في الساعة الثانية من يوم الأحد والتاسعة من ليلة الاثنين وفي الحادية عشرة من يوم الاثنين ، وفي السادسة من ليلة الثلاثاء وفي الثامنة من يوم الثلاثاء ، وفي الثالثة من ليلة الأربعاء وفي الخامسة من يوم الأربعاء ، وفي الثانية عشرة من ليلة الخميس وفي الثانية من يوم الخميس ، وفي الحادية عشرة من يوم الجمعة ، وفي التاسعة من ليلة السبت وفي الثامنة من يوم السبت ، وفي السادسة من ليلة الأحد وهو :

- « ربّ فترحني بما ترضى به عني فرحاً يُبهجني بجميل المسارّ ، حتى لا ينبسط شيء من وجودي إلا بما بسطه جودك العليّ . ربّ فترحني بنيل المراد منك بفناء إرادتي مني حتى لا يكون في كوني إرادةٌ إلا إرادتك محفوظةً من عوارض التكوين ، وأبهج

بذلك في سرّ سماء الأفراح في الوجودين برزق الباطن والظاهر ، إنك باسط الرزق  
والرحمة يا ذا الجود الباسط يا ذا البسط والجود .

هذا الذكر من ذكره في ساعة من هذه الساعات تسعاً وأربعين مرة أذهب الله  
تعالى عن قلبه الحزن وعن صدره الحرج والضيق ، ونفى عنه كل هم وغم ، وبه  
يدعو المسجونون والمأسورون والمحزونون فيفتح الله تعالى عنهم ، وذلك بعد صلاة  
تسليمتين ، والآيات المناسبة لهذا القسم <sup>(١)</sup> ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ الآية ،  
﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ الآية . قال البوني : ويقدم على ذكر هذه الآيات :  
﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ الآية . <sup>(٢)</sup>

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْفَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، يقول ذلك بعد الذكر الأول  
مثل العدد المذكور ، فيرى المهموم من فضل الله تعالى به عجباً ، ويزداد <sup>(٣)</sup> [به]

ذو السرور سرورا لا يعرف سببه . ويصلح هذا الذكر لأرباب الفيض من أهل  
الخلوات فإنهم يَسْتَرَوِحُونَ منه أنسا في خلواتهم ومخاطبات بالفاظ مختلفة بقدر الفيض  
والمقام والسبب ، يعرف ذلك من كانت له إحاطة بكشف أسرار الدعوات والأسماء .

دعاء يُدْعَى به في الساعة الثالثة من يوم الأحد ، والعاشرة من ليلة الاثنين  
وفي الثانية عشرة من يوم الاثنين ، وفي السابعة من ليلة الثلاثاء وفي التاسعة من يوم  
الثلاثاء ، وفي الرابعة من ليلة الأربعاء وفي السادسة من يوم الأربعاء ، وفي الأولى  
من ليلة الخميس وفي الثالثة من يوم الخميس ، وفي الأولى من ليلة الجمعة وفي الثانية عشرة  
من يوم الجمعة ، وفي العاشرة من ليلة السبت وفي التاسعة من يوم السبت ، وفي السابعة  
من ليلة الأحد . وهو :

(١) كذا في اللغة النورانية . وفي الأصل : « والآية » .

(٢) الذي في اللغة النورانية : « يضاف بعد الذكر الأول مثل هذا العدد المذكور » .

(٣) زيادة من اللغة النورانية .

«رَبِّ قَلْبِي فِي أَطْوَارِ مَعَارِفِ أَسْمَائِكَ تَقْلِيْبًا تُشْهَدُنِي بِهِ فِي ذَرَآتِ وُجُودِي  
 مَا أُوْدَعْتَهُ ذَرَآتِ وُجُودِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ حَتَّى أَعَايِنَ سَرَيَانَ سِرِّ قَدْرِكَ فِي مَعَالِمِ  
 الْمَعْلُومَاتِ، فَلَا يَبْقَى مَعْلُومٌ إِلَّا وَبِيْدِي سِرِّ دَقِيقَةٍ مِنْهُ مَجْذُوبَةٌ بِبِدِ الْكَمَالِ وَنُورِ الطُّلُوعِ؛  
 وَأَذْهَبُ ظِلْمَةَ الْإِكْرَاهِ حَتَّى أَتَصَرَّفَ فِي الْمُهْجِ بِمُهِجَاتِ الْحُبَّةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْمَحَبِّ الْمَحْبُوبِ  
 يَا مَقْلَبَ الْقُلُوبِ» .

قال : من دعا بهذا الاسم والذكر ست عشرة مرة بعد صلاة ثلاث تسليمات  
 قلب الله قلبه عن كل خاطر فيه نقص<sup>(٤)</sup> إلى كل خاطر فيه كمال<sup>(٥)</sup> [في حقه]، ويصلح  
 لأرباب الاستخارات، وفيه لسرعة قضاء الحاجات معنى بديع . والآيات المناسبة له  
 ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ [وَلَهُ الْمُلْكُ] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ،  
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الْآيَةَ ؛ وَمَا يَنَاسِبُ ذَلِكَ  
 مِنَ الْقُرْآنِ .

وهو ذكر يصلح لأرباب القلوب من تكرار الخواطر والوساوس، وله في تقلب  
 الأحوال أمور عجيبة عظيمة لمن فهم ذلك؛ وكذلك من كتب الذكر كله وعلقه عليه  
 عصمه الله في تقلباته من الآفات حتى في أمور دنياه وآخرته .

- ١٥ (١) كذا في اللعة النورانية . وفي أحد الأصلين : «ما أودعته في دورات» وفي الأصل الآخر:  
 «ما أودعته من ذوات ...» .  
 (٢) في إحدى نسخ اللعة المخطوطة «سر قدرتك ...» .  
 (٣) كذا في اللعة النورانية : وفي الأصلين : «مجدوبة بيد كمال يبدو الكمال ونور الطلوع أذهب» الخ  
 (٤) كذا في اللعة النورانية . وفي الأصلين : «قلب الله قلب كل من خاطره فيه نقص ...» .  
 (٥) زيادة من اللعة النورانية .  
 ٢٠ (٦) كذا في اللعة النورانية : وفي الأصلين : «والآية ...» .

دعاء يدعى به في الساعة الرابعة من يوم الأحد، وفي الحادية عشرة من ليلة الاثنين  
وفي الأولى من يوم الاثنين، وفي الثامنة من ليلة الثلاثاء وفي العاشرة من يوم الثلاثاء،  
وفي الخامسة من ليلة الأربعاء وفي السابعة من يوم الأربعاء، وفي الثانية من ليلة  
الخميس وفي الرابعة من يوم الخميس، وفي الثانية من ليلة الجمعة والأولى من يوم  
الجمعة، وفي الحادية عشرة من ليلة السبت وفي العاشرة من يوم السبت، وفي الثامنة  
من ليلة الأحد . وهو :

«رَبِّ قَابِلْنِي بِنُورِ اسْمِكَ مُقَابِلَةً تَمَلُّا وَجُودِي ظَاهِرًا وَبَاطِنًا حَتَّى تَمَحْوُ مِنِّي حُظُوظَ  
الْأَشْكَالِ كُلِّهَا فَيَبْدُو لِي فِي وَجُودِي وَمِنْ وَجُودِي سِرٌّ مَا كَتَبَهُ قَلَمُ تَقْدِيرِكَ مِنْ كُلِّ  
مُسْتَوْدَعٍ فِي مُسْتَقَرٍّ وَمُسْتَقَرٍّ فِي مُسْتَوْدَعٍ فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ مَا غَابَ عَنِّي فَأَنْظِرْنِي بِكَ  
وَأَنْظِرْ مَنْ سِوَايَ بِنُورِ اسْمِكَ فَارَى الْكَمَالَ الْمَطْلُوقَ فِي الْمُلْكِ الْمَطْلُوقِ، يَا مُودِعَ الْأَنْوَارِ  
قُلُوبَ عِبَادِهِ الْأَبْرَارِ يَا سَرِيعُ يَا قَرِيبُ» .

قال : من دعا بهذا الدعاء في ساعة من هذه الساعات ست عشرة مرة ثم قصد  
أى حاجة أراد، أسرع الله تعالى قضاءها ونمى له ما يملكه من مال أو جاه أو حال  
أو مقام . ومن خاصة هذا الذكر وضع البركة في أى شىء وضع عليه . ويصالح هذا  
الذكر لطالبي المكاشفات من أرباب الخلوات فإنهم اذا داوموا هذا الذكر ألقى اليهم  
الخطر الصحيح . قال : وإن أضيف له يا سريعُ يا قريبُ يأمين ظهر له ما يريد  
من كشف العواقب في الأفعال المرتبطة بعالم الغيب والشهادة .

دعاء يدعى به في الساعة الخامسة من يوم الأحد، وفي الثانية عشرة من ليلة  
الاثنين وفي الثانية من يوم الاثنين، وفي التاسعة من ليلة الثلاثاء وفي الحادية عشرة

(١) كذا في اللغة النورانية . وفي الأصل : «أنيك» .

(١٤١)

من يوم الثلاثاء، وفي السادسة من ليلة الأربعاء وفي الثامنة من يوم الأربعاء،  
وفي الثالثة من ليلة الخميس وفي الخامسة من يوم الخميس، وفي الثالثة من ليلة الجمعة  
وفي الثانية من يوم الجمعة، وفي الثانية عشرة من ليلة السبت وفي الحادية عشرة من  
يوم السبت، وفي التاسعة من ليلة الأحد . وهو :

- «رب أسألك مدداً روحانياً تقوى به قواي الكلية والجزئية حتى أقهر بمبادئ  
نفسى كل نفس قاهرة فتنبض لى رقابها أنقباضاً تسقط به قواها ، فلا يبقى  
فى الكون ذور روح إلا ونار القهر أحمدت ظهوره ، يا شديد يا ذا البطش يا قهار  
يا جبّار أسألك بما أودعته عزرائيل من قوى أسمائك القهرية فأنفعلت له النفوس  
بالقهر أن تكسونى ذلك السرّ فى هذ الساعة حتى أليّن به كل صعب، وأذلّ به كل  
منيع بقوتك يا ذا القوة المتين» .

١٠

قال : من دعا بهذا الدعاء فى ساعة من هذه الساعات تسعا وثمانين مرة، ثم دعا  
على ظالم أخذ لوقته ، وذلك بعد صلاة خمس تسليمات بالفاتحة لا غير . ويناسب  
هذا الدعاء من آى القرآن العظيم ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ  
أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ . قال : فى هذا الذ كر قمع الجبابة، وقطع دابر الظالمين، ونحرب  
ديار الماردین ، وما شابه ذلك . وهو ذ كر يليق بالسالكين فى مبادئ الرياضات  
والمنتهين فى مقامات التجلّى إلى الخلوة ، وهو من الأسرار العجيبة، ولا يذكره من  
غلبته الشيخوخة إلا وجد فى قلبه خفقانا بالخاصية ، ولا يذكره محموم إلا برئ من  
حمّاه لوقته، وإن كتبه وعلّقه عليه دامت صحته .

١٥

دعاء يدعى به فى الساعة السادسة من يوم الأحد، وفى الأولى من ليلة الاثنين  
وفى الثالثة من يوم الاثنين، وفى العاشرة من ليلة الثلاثاء وفى الثانية عشرة من يوم

٢٠

(١) كذا فى إحدى نسخ اللمعة النورانية . وفى الأصلين : ”واكسنى ...“ .



الثلاثاء ، وفي السابعة من ليلة الأربعاء وفي التاسعة من يوم الأربعاء ، وفي الرابعة من ليلة الخميس وفي السادسة من يوم الخميس ، وفي الرابعة من ليلة الجمعة وفي الثالثة من يوم الجمعة ، وفي الأولى من ليلة السبت وفي الثانية عشرة من يوم السبت ، وفي العاشرة من ليلة الأحد . وهو :

”رب صَفَّنِي [ من كدرات الأغيار <sup>(١)</sup> ] صفاء من صَفَّته يدُ عنايتك من نقص <sup>(٢)</sup> التكوين حتى ينجلي في مرآة قلبي ومستوى نفسي كلَّ أسم أنطبع في قُوَّة جبرائيل فقوى به على كشف ما في اللوح من أسرار أسمائك ومجامع رسائلك ، فكلَّ نفس منفوسة أمتدت لها من دقائقه دقيقة <sup>(٣)</sup> طرفها منه والثاني لمن هو به ، ومجامع هذه الدقائق في دقيقة <sup>(٣)</sup> الأسم الجبرائيل العالم العليم العلام ، يا ذا الكرم الذي علم بالقلم ، فمواد الوحي والإلهام والتحديث والفهم تسرى بنفحة منه في هذه الساعة إلى مثلها . إلهي مَنَظِّفَنِي بالدقيقة العظمى منه حتى أتلقَّ عنك بما به تلقَّ [ عنك جبرائيل <sup>(١)</sup> ] مما أملأ به وجودي بلا ميلٍ لغلبة حتى أتلذذ بمصافاتك تلذذ جبريل برسائلك ، إنك علام الغيوب“ .

قال : من دعا به خمسا وعشرين مرة في ساعة من هذه الساعات ألهم رشده في عواقب أموره . والأسم اللائق بهذا الدعاء يا علام الغيوب يا عالم الخفيات وما شا كل هذا النمط من الأسماء ، ومن القرآن العظيم ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ الآية . قال : وهو من الكبريت الأحمر وبعضه من الدرياق الأكبر . وهذا الذكر للذي فُتِحَ عليه بابٌ من المعارف فإنه مهما استدامه ألهم قلبه إلى علوم جليلة ، ويُخاطب

(١) زيادة من اللغة النورانية .

(٢) كذا في إحدى نسخ اللغة النورانية . وفي الأصلين : « من نقص التلوين ... »

(٣) كذا في الأصلين بالدال في هذه الكلمات . وفي اللغة النورانية بالراء فيها جميعا .

٥

١٠

١٥

٢٠

في نفسه بإلقاءات<sup>(١)</sup> من وحي الإلهام ، ويخاطبه الحيوان بمعنى يفهمه فيستفيد علوما عظيمة ، يعرف ذلك أرباب المنازل لفهم الحديث .

دعاء يدعى به في الساعة السابعة من يوم الأحد ، وفي الثانية من ليلة الاثنين وفي الرابعة من يوم الاثنين ، وفي الحادية عشرة من ليلة الثلاثاء وفي الأولى من يوم الثلاثاء ، وفي الثامنة من ليلة الأربعاء وفي العاشرة من يوم الأربعاء ، وفي الخامسة من ليلة الخميس وفي السابعة من يوم الخميس ، وفي الخامسة من ليلة الجمعة وفي الرابعة من يوم الجمعة ، وفي الثانية من ليلة السبت وفي الأولى من يوم السبت ، وفي الحادية عشرة من ليلة الأحد . وهو :

« رب أوقمني موقف العز حتى لا أجد في ذرة ولا رقيقة ولا دقيقة إلا وقد غشاها من عز عزتك ما منعها من الدّل لغيرك ، حتى لا أشهد ذلّ من سواي لعزتي بك مؤيدا برقيقة من الرعب يخضع لها كل شيطان مرّيد ، وجبار عنيدي ، وأبق على ذلّ العبودية في العزة بقاء يسط لسان الاعتراف ، ويقبض لسان الدعوى ، إنك العزيز الجبار المتكبر القهار » .

قال : من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة أو في ساعة من هذه الساعات ست عشرة مرة بعد صلاة وحضور قلب نصّر على أيّ عدوّ قصده ظاهرا وباطنا .

دعاء يدعى به في الساعة الثامنة من يوم الأحد ، وفي الثالثة من ليلة الاثنين وفي الخامسة من يوم الاثنين ، وفي الثانية عشرة من ليلة الثلاثاء ، وفي الثانية من يوم

(١) كذا في اللغة النورانية . وفي الأصل : « بالقاب » .

(٢) كذا في إحدى نسخ اللغة النورانية . وفي نسخة أخرى منها : « حتى يخضع له ... » . وفي الأصلين :

« حتى يخضع به ... » .

(٣) في هامش إحدى نسخ اللغة النورانية : « ثلاث تسلمات ... » وكتب عليها كلمة « صح » وأشار

إلى موضعها بعد كلمة « صلاة » .

الثلاثاء ، وفي التاسعة من ليلة الأربعاء وفي الحادية عشرة من يوم الأربعاء ،  
وفي السادسة من ليلة الخميس وفي الثامنة من يوم الخميس ، وفي السادسة من ليلة  
الجمعة وفي الخامسة من يوم الجمعة ، وفي الثالثة من ليلة السبت وفي الثانية من يوم  
السبت ، وفي الثانية عشرة من ليلة الأحد . وهو :

«إلهي أطلع على وجودي شمس شهودي منك في الأكوان والألوان حتى أمشي  
بما أشهدتني في آفاق الملكوت فأكشف منه معنى كلمة التكوين فينفعل لي كلُّ  
مَكُونٍ أنفعاله للكلمة بإذنك الذي سخّرت به ما في الوجودين بلا ظلمةٍ وُضِعَ ولا ظلمة  
طبع ، إنك منور الكلّ بكلك ومنور الأنوار بنورك الذي صدوره عن آسمك النور  
والظاهر والحي والقيوم ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» الآية .

قال البوني : لا يذكر أحدٌ هذا الذكر في ساعة من هذه الساعات تسعاً وأربعين  
مرة إلا كساه الله نوراً يجد ذلك في نفسه ، ويُسرّ عليه المقسوم من الرزق ، وتسرى  
كلمته في الأسباب سرّاً عجيباً . وهو ذكر يصلح لأرباب المكاشفات يُثبت لهم  
ما يكشفون .

دعاء يدعى به في الساعة التاسعة من يوم الأحد ، وفي الرابعة من ليلة الاثنين  
وفي السادسة من يوم الاثنين ، وفي الأولى من ليلة الثلاثاء وفي الثالثة من يوم  
الثلاثاء ، وفي العاشرة من ليلة الأربعاء وفي الثانية عشرة من يوم الأربعاء ، وفي السابعة  
من ليلة الخميس وفي التاسعة من يوم الخميس ، وفي السابعة من ليلة الجمعة  
وفي السادسة من يوم الجمعة ، وفي الرابعة من ليلة السبت وفي الثالثة من يوم السبت ،  
وفي الأولى من ليلة الأحد . وهو :

«سيدي أدخلني في بواطن رياض آسمك من الباب الخاص الذي لا يُحجّب بنور  
ولا بظلمة ولا بشيء منه ولا بشيء خارج عنه ، وأطلق يد قواي في نيل النعمة ،

وألهمني تحقيق ذوق كلٍّ مَذُوقٍ منه حتى أكون بك فيه وأكون فيه بك مبتهجاً منك وبك، ربّ إنك لطيفٌ عَطُوفٌ رحيمٌ رحمنٌ .

قال : هذا الذكر بخاصية فيه يجلب الفرح ويذهب الحزن ويُطيب الوقت ويجلو الكرب ؛ ومن دعا به أربعين مرة في ساعة من هذه الساعات على طهارة<sup>(١)</sup> وأستقبال فرّج به كربّه وأنجلي غمّه .

٥

دعاء يدعى به في الساعة العاشرة من يوم الأحد، وفي الخامسة من ليلة الاثنين وفي السابعة من يوم الاثنين ، وفي الثانية من ليلة الثلاثاء وفي الرابعة من يوم الثلاثاء، وفي الحادية عشرة من ليلة الأربعاء وفي الأولى من يوم الأربعاء، وفي الثامنة من ليلة الخميس وفي العاشرة من يوم الخميس ، وفي الثامنة من ليلة الجمعة وفي السابعة من يوم الجمعة ، وفي الخامسة من ليلة السبت وفي الرابعة من يوم السبت ، وفي الثانية من ليلة الأحد . وهو :

(١٤٣)

١٠

« يا مَنْ نسبةُ العلوم إلى علمه نسبةُ لاشيءٍ لشيءٍ لا يتناهى ، أظهرت الحروف بالقلم فكان لها صريف في ألواح الملكوت قام لها مقام مخارج الحروف من الحلق والصدر واللها واللسان ، كل جنس صدر عنه أسمٌ لا يعلم تركيبه سوى ملك قلمك ؛ وكل نوع صدر عنه مرجّأ ، فلوح إسرائيل أظهره بقوة ما في آحاد كليّاته من جزئيات تراكيبه ، أسألك بهذا السرّ الخفيّ الذي وقف العقل دونه وتقدّم إليك السرّ بسرٍّ أودعته فيه يوم إمكان وجوده ، أسألك كشف حجاب الغيب حتى أعاين الغيب بما به حيّ الرُّوح الباقي ، يا حيّ ، يا هـ يا هو ، يا أنت يا مهيمنُ يا خالقُ يا باريء أنت هو » .

١٥

(١) في هامش إحدى نسختي اللعة النورانية : « وصلاة ثلاث تسليمات » وكتب عليها كلمة « صح »

وموضعها بعد كلمة « طهارة » .

٢٠

(٢) في اللعة النورانية : « المغيب » .

قال البونى : هذا الذكر من ذكره في ساعة من هذه الساعات مائة مرة يُسرّ له قضاء أى حاجة قصدها بغير مشقة .

دعاء يدعى به في الساعة الحادية عشرة من يوم الأحد ، وفي السادسة من ليلة الاثنين وفي الثامنة من يوم الاثنين ، وفي الثالثة من ليلة الثلاثاء وفي الخامسة من يوم الثلاثاء ، وفي الثانية عشرة من ليلة الأربعاء وفي الثانية من يوم الأربعاء ، وفي التاسعة من ليلة الخميس وفي الحادية عشرة من يوم الخميس ، وفي التاسعة من ليلة الجمعة وفي الثامنة من يوم الجمعة ، وفي السادسة من ليلة السبت وفي الخامسة من يوم السبت ، وفي الثالثة من ليلة الأحد . وهو :

« يا من لوجوده العلى<sup>(١)</sup> باعتبار حكمته إلى كل موجود حصل من وجوده اسم يليق به هو مفتاحه الخاص ، ومعناه المغيب ، وحقيقته الوجودية وسره القابل ، فما في الأكوان جوهر فرد من جواهر آحاد العالم العلوى<sup>(٢)</sup> والسفلى<sup>(٣)</sup> إلا ومقاليد أحكامه متعلقة باسم من أسمائه ، واجتماعها برقائقها بيد اسمك الذى آسئت أثرت به عن جميع خلقك فلم يظهر لهم إلا ما ناسب الأفعال ، فأسمائك إلهى لا تُحصى ، ومعلوماتك لا نهاية لها ، أسألك غمسة في بحر هذا النور حتى أعود إلى الكمال الأول فأصرف في الكون باسم الكمال تصرفاً ينهى النقص بالوقوف على عبودية النقص ، إنك المعز المذل اللطيف الخبير العدل المحيب » .

قال : من ذكر هذا الذكر ست عشرة مرة في ساعة من هذه الساعات ثم سأل الله تعالى فيها رزقا ، وتيسير أسباب ، وسكون بحر هائج ، وسلطان غاصب ، ونفيس

- (١) كذا في إحدى نسخ اللغة النورانية . وفي الأصلين : « من جوده ... » .  
(٢) كذا في اللغة النورانية . وفي الأصل : « ثم سأل الله تعالى فن سأل في رزقا ... » .  
(٣) كذا في إحدى نسخ اللغة النورانية . وفي الأصلين : « بحر هائل » .

متمردة من شيطاني الإنس والجن وما ناسب ذلك إلا أجيب له لوقته ، وذلك على طهارة وصلاة<sup>(١)</sup> وجمع همة في موضع خال من الأصوات .

دعاء يدعى به في الساعة الثانية عشرة من يوم الأحد ، والسابعة من ليلة الاثنين والساعة من يوم الاثنين ، وفي الرابعة من ليلة الثلاثاء وفي السادسة من يوم الثلاثاء ، وفي الأولى من ليلة الأربعاء وفي الثالثة من يوم الأربعاء ، وفي العاشرة من ليلة الخميس وفي الثانية عشرة من يوم الخميس ، وفي العاشرة من ليلة الجمعة وفي التاسعة من يوم الجمعة ، وفي السابعة من ليلة السبت وفي السادسة من يوم السبت ، وفي الرابعة من ليلة الأحد . وهو :

« تعاليت يا من تقاصر كل فكر<sup>(٢)</sup> عن حصر معنى من معاني أسمائه ، فكل علو ورفعة فمن ذلك العلو والرفعة صدوره ظاهرا وباطنا ، تقدس مجدك يا من أستار<sup>(٣)</sup> عرشه أظهر فيها كبرياءه ومجده ، أسألك بالصفات التي لا تعلق لها بموجود ، يا ذا العظمة والكبرياء والجلال والجمال والبهاء ، أسألك الأنس بمقابلات سر القدر أنسا يحو آثار وحشة الفكر حتى يطيب وقتي بك فأطيب بوقتي لك ، فلا يتحرك ذو طبع لمخائفتي إلا صغر لعظمتك وقصم بكبريائك ، إنك جبار الأرض والسماء ، وقاهر الكل بقهرك يا مجيب » .

قال البوني : من ذكر هذا الذكر سبعا وعشرين مرة في ساعة من هذه الساعات ودعا [ بما يريد ]<sup>(٣)</sup> كفى لوقته [ شر ما يحاذره ]<sup>(٣)</sup> . فهذه دعوات ساعات الأيام والليالي .

(١) في إحدى نسخ اللعة بعد كلمة « صلاة » بين الأسطر : « ثلاث تسليمات » .

(٢) كذا في اللعة النورانية . وفي الأصلين : « فمن دون ذلك العلو » الخ .

(٣) الزيادة عن إحدى نسختي اللعة النورانية .

ذكر ما يدعى به في المساء والصباح، والغدق والرواح،  
والصلاة والصوم، والجماع والنوم، والورد والصدّر،  
والسفر والحضر، وغير ذلك .

فأما ما يقال عند المساء والصباح؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد سأله فقال : يا رسول الله مرّني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . فقال : ” قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ربّ كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شرّ نفسي وشرّ الشيطان وشركه قلّهن إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعتك“ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح يقول : ” أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد <sup>(٢)</sup> صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين“ . وكان صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال : ” أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر، والليل والنهار وما سکن فيهما من شيء لله وحده لا شريك له اللهم آجعل أول هذا النهار لنا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا أسألك خير الدنيا وخير الآخرة يا أرحم الراحمين“ . وكان صلى الله عليه وسلم يقول إذا أصبح : ” اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور“ . وإذا أمسى قال : ” اللهم بك أمسينا وبك نحيا وبك نموت“ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” من قال حين يصبح أو يمسي اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوءُ

(٢) في كتاب الأذكار للنووي (ص ٣٩) : « كذا وقع في كتاب ابن السني ، ثم قال هو غير متبع .

ولعله صلى الله عليه وسلم قال ذلك جهرا ليسمعه غيره فيتعلّمه » اهـ .

- (١) [لك] بنعمتك [عليك] وأبوء بذنبي فأغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فمات من يومه أو من آياته دخل الجنة". وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير بعد ما يصلي الغداة عشر مرّات كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكن له عدل رقبتين من ولد إسماعيل وكن له حجاباً من الشيطان حتى يمسي فإن قالها حين يمسي كان له مثل ذلك وكن له حجاباً من الشيطان حتى يصبح"، وفي رواية : "من قالها في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ومن قال سبحان الله وبجمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر". وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قال حين يمسي أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم تضره لدغة عقرب حتى يصبح". وعنه صلى الله عليه وسلم : "من قال حين يصبح في أول يومه أو في أول ليلته بآسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثاً لم يضره شيء في ذلك اليوم أو تلك الليلة". وعنه صلى الله عليه وسلم : "من قال إذا أصبح باسم الله العليّ الأعلى الذي لا ولد له ولا صاحبة ولا شريك أشهد أن نوحاً رسول الله وأن إبراهيم خليل الله وأن موسى نبي الله وأن داود خليفة الله وأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وأن محمداً رسول الله وخاتم النبيين لا نبي بعده لم تلسه حية ولا عقرب ولم يخف من سلطان ولا كاهن ولا ساحر حتى يمسي وإذا قالها إذا أمسى لم يخف شيئاً من ذلك حتى يصبح".



وأما ما يقال عند النوم؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
 ”وإذا أخذت مضجعت فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل  
 أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رهبةً ورغبةً إليك  
 لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي  
 أرسلت فإن مت من ليلتك مت على فطرة الإسلام وأجعلهن آخر ما نتكلم به“ .  
 قال البراء بن عازب : فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما باغت اللهم آمنت  
 بكتابك الذي أنزلت قلت : ورسولك قال : ”ونبيك الذي أرسلت“ . وعن  
 عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من  
 الليل يقول : ”اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت قيّام  
 السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق  
 والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليت توكلت  
 وإليك أنبت وإليك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت<sup>(١)</sup>  
 وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت“ .



وأما ما يقال عند دخول المنزل والمسجد والخروج منهما؛ روى عن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”إذا وُجَّح الرجل بيته فليقل باسم الله اللهم  
 إني أسألك خير المواجه وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا  
 ثم ليسلم على أهله“ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ”إذا دخل الرجل بيته فقال بآسم الله  
 قعد الشيطان على الباب وقال ما من مقيم فهل من غداء فإذا أتى بغدائه فقال بآسم الله

(١) كذا في رواية الأذكار للنوري من رواية الصحيحين . وقد ورد في الأصل بدون ما الموصولة  
 إلا في الفعل الأول دون الأفعال الباقية .

- قال ما مِنْ غَدَاءٍ وَلَا مَقِيلٍ “ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ” إذا خرج الرجلُ من بيته فقال سبحان الله قال الملك هَدَيْتَ وإذا قال لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله قال الملك وَقَيْتَ فإذا قال توكلت على الله يقول الملك كُفَيْتَ يقول الشيطان عند ذلك كيف أعمل بمن كُفِي وهُدِيَ ووُقِيَ “ . وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته صباحاً قط إلا قال : ” اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَزِلَ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ “ . وعنه صلى الله عليه وسلم : ” ما من مسلم خرج من بيته يريد سفراً أو غيره فقال حين يخرج باسم الله آمنتُ بالله اعتصمتُ بالله توكلت على الله لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله إلا رُزِقَ خيرَ ذلك المخرج وصُرف عنه شرُّ ذلك المخرج “ . وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال فضيل بن مرزوق — أحسبه رفعه — قال : ” من قال حين يخرج إلى الصلاة اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِنِّي لَمْ أَنْجِرْ أَشْرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً خَرَجْتُ خَوْفَ سَخَطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَأَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ “ . وعن فاطمة رضي الله عنها قالت : ٥
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال : ” باسم الله والسلام ١٥ على رسول الله اللهم آغفر لي وآفتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج قال باسم الله والسلام على رسول الله اللهم آغفر لي ذنوبي وآفتح لي أبواب فضلك “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم آفتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ “ .

٢٠ (١) وضع على حاشية إحدى النسخ « اعلمها بنت قيس » ووضعت هذه الزيادة في نسخة أخرى في صلب الكتاب . والظاهر أنها فاطمة الزهراء رضي الله عنها ؛ فقد روى هذا الحديث الإمام النووي في كتاب الأذكار عن عبد الله بن الحسن عن أمه عن جدته هـ وجدته هي فاطمة الزهراء .



وأما ما يقال عند النداء؛ فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
 "إذا كان عند الأذان فُتِحت أبواب السماء وأستجيب الدعاء وإذا كان عند الإقامة  
 لم تُردِّ دعوة". . وعنه صلى الله عليه وسلم : "من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد  
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيتُ بالله رباً وبمحمد  
 رسولاً وبالإسلام ديناً غُفر له ذنبه". . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من سمع  
 المؤذن فقال اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة  
 وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة". . وعنه صلى الله عليه  
 وسلم : "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا علىّ فإنه من صلى علىّ مرة  
 صلى الله عليه بها عشراً". .

### معين التاريج لأهل التاريج



وأما ما يقال عند دخول الخلاء؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 إذا دخل الخلاء قال : "اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث" وإذا خرج قال  
 "غفرانك". . وفي لفظ إذا خرج قال : "الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني". .  
 وعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال :  
 "اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم"، وإذا  
 خرج قال : "الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني". .



وأما ما يقال عند الوضوء وغسل الأعضاء؛ قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : "لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه". . وعن عليّ  
 ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا عليّ

- إذا توضأت فقل بآسم الله والصلاة على رسول الله“ . وعن محمد بن الحنفية قال : دخلت على والدي علي بن أبي طالب — رضى الله عنهما — وإذا عن يمينه إناء من ماء ، فسمي ثم سكب على يمينه ثم تمضمض فقال : اللهم حصن فرجى وأستر عورتى ولا تُسمِت بى الأعداء ، ثم تمضمض وأستنشق وقال : اللهم لقنى حجتى ولا تحرمنى راحة الجنة . ثم غسل وجهه وقال : اللهم بيض وجهى يوم تسود الوجوه ولا تسود وجهى .
- يوم تبيض الوجوه . ثم سكب على يمينه فقال : اللهم أعطينى كتابى يمينى والخلد بشمالى . ثم سكب على شماله وقال : اللهم لا تعطينى كتابى بشمالى ولا تجعلها مغلولة إلى عنق .
- ثم مسح برأسه وقال : اللهم غشنا برحمتك فلأنا نخشى عذابك ، اللهم لا تجمع بين نواصينا وأقدامنا . ثم مسح عنقه فقال : اللهم نجنا من مقطعات النيران وأغلاها . ثم غسل قدميه فقال : اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل فيه الأقدام .
- ثم استوى قائما فقال : اللهم كما طهرتنا بالماء فطهرنا من الذنوب ، ثم قال بيده هكذا ، يقطر الماء من أنامله ، ثم قال : يا بئى ، أفعلى كفعلى هذا فإنه مامن قطرة تقطر من أناملك إلا خلق الله منها ملكا يستغفر لك إلى يوم القيامة . يا بئى من فعل كفعلى هذا تساقطت عنه الذنوب كما يتساقط الورق عن الشجر يوم الريح العاصف .
- وعن علي رضى الله عنه قال : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ” يا علي إذا توضأت فقل اللهم إنى أسألك تمام الوضوء وتمام مغفرتك ورضوانك“ . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ”من توضأ فأحسن وضوءه ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صادقا من قلبه فتح الله له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء“ . وعن

(١) المقطعات من الثياب : شبه الجباب ، وفى التنزيل : ( قطعت لهم ثياب من نار ) أى قطعت وخيطة وجعلت لبوسا لهم . ( عن لسان العرب ) .

على رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى عليه وسلم : ”يا على“ إذا فرغت من وضوءك فقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله اللهم آجعلنى من التوايين وآجعلنى من المتطهرين تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك وتفتح لك ثمانية أبواب الجنة فيقال أدخل من أيها شئت“ .



وأما ادعية الصلاة، فهي إما أن تقع قبلها أو فيها أو بعدها . فأما ما يقال قبلها فقد روى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بأى شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة إذا قام من الليل ؟ قالت : إذا قام يفتتح صلاته يقول : ”اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما آخلت فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم“ .

وأما ما يدعى به فى نفس الصلاة، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه ثم يقول : ”سبحانك اللهم وبحمدك تبارك أسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك“ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كبر فى الصلاة سكت هنية قبل أن يقرأ . فقلت : يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، ما تقول فى سكوتك بين التكبير والقراءة ؟ قال : ”أقول اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم تقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد“ . وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه أنه رأى

- النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قال : فكبر فقال " الله أكبر كبيرا ثلاث مرات والحمد لله كثيرا ثلاث مرات وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاث مرات اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه " . قال راويه عمرو بن مرة : نفخه : الكبر، ونفثه : السحر، وهمزه : الموتة، وهي الجنون . وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفتتح الصلاة كبر ثم قال : " وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي وأعترف بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب إلا أنت وأهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وأصيرف عني سيئها لا يصيرف سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك [ والشر ليس إليك ] وأنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك " . فإذا ركع قال : " اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي " . فإذا رفع رأسه قال : " سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد " . فإذا سجد قال : " اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين " . فإذا فرغ من الصلاة وسلم قال : " اللهم آغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت " . وقد ورد في لفظ آخر أنه يقول : اللهم آغفر لي إلى آخر الدعاء بين التشهد والتسليم . وعن حذيفة رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله

- صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول في ركوعه : ”سبحان ربّي العظيم“، وفي سجوده : ”سبحان ربّي الأعلى“ . وفي لفظ أنه كان يقول ذلك ثلاث مرات . وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده وركوعه : ”سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ“ . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال : ”ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجحَد منك الجَدُ“ . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : ”من قال وهو ساجد ثلاث مرات رب اغفر لي لم يرفع رأسه حتى يُغفر له“ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، وكان يقول : ”التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلامٌ عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلامٌ علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله“ . وروى : ”السلام“ في الموضعين . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلامُ على الله السلام على فلان . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم : ”إن الله هو السلام فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإذا قالها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم يتخير في المسألة ما شاء“ . وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الصلاة عليه . وقد سأله كعب بن عُجرة عنها فقال : ”قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ وبَارِكْ

- على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد“ . وعن  
أبي هريرة رضى الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إذا فرغ أحدكم  
من التشهد فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة الحيا والممات  
وشر المسيح الدجال “ . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق  
رضى الله عنه ال : قلت يا رسول الله : علمنى دعاء أدعوه به فى الصلاة وفى بيتى قال :  
” قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فأغفرلى مغفرةً  
من عندك إنك أنت الغفور الرحيم “ . وروى بعد قوله من عندك : ” وأرحمنى  
إنك أنت التواب الرحيم “ .



- وأما ما يدعى به بعد التسليم ؛ فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما  
قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ : ” لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير اللهم لا مانع  
لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد “ . وعن عبد الله  
ابن الزبير رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من  
صلاته يقول بصوته الأعلى : ” لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد  
وهو على كل شىء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله  
الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون “ .  
وفى طريق آخر : ” له الدين وهو على كل شىء قدير “ . وعن أم سلمة رضى عنها أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الصبح قال : ” اللهم إنى أسألك علماً نافعا  
ورزقا طيباً وعملاً متقبلاً “ . وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم :



”من قال حين ينصرف من صلاته سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثلاث مرات فإنه مغفور له“ . وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت“ . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”ما من عبد بسط كفيه في دبر صلاته ثم يقول إلهي إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إله جبريل وميكائيل وإسرافيل أسألك أن تستجيب دعوتي وتعضمني في ديني فأني مبتلي برحمتك فأني مذنب وتنفي عني الفقر فأني مستمسك إلا كان حقاً على الله ألا يرد يديه خائبتين“ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”من قال دبر كل صلاة الحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة وتنام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ ولو كانت أكثر من زبد البحر“ . وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره : ”اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذُ بمعافتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك“ . وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر، وفي لفظ : في قنوت الوتر : ”اللهم أهديني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتوأنني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت“ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقال : ”اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأثنانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فأحيه على الإيمان ومن توفيته منا فتوفه على

- الإسلام اللهم لا تحرِّمنا أجره ولا تُضِلِّنا بعده“ . وعن عليّ رضي الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ”يا عليّ اذا صليت على جنازة رجلٍ فقل اللهم هذا عبدك ابن عبدك ابن أمتك ماضٍ فيه حكمك خلقتَه ولم يكن شيئاً مذكوراً نزل بك وانت خير منزولٍ به اللهم لقنه حُجَّتَه وألحِقْه بنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم وثبته بالقول الثابت فإنه آفتقر إليك وأستغثت عنه كان يشهد أن لا إله إلا الله ٥
- فاغفر له وآرِمْه ولا تحرِّمنا أجره ولا تفتِننا بعده اللهم إن كان زاكياً فزكّه وإن كان خاطئاً فأغفر له . وإذا صليت على جنازة امرأةٍ فقل اللهم أنت خلقتها وأنت أحييتها وأنت أمّتها تعلم سرّها وعلايتها جئناك شفعا لها فأغفر لها وأرحمها ولا تحرِّمنا أجرها ولا تفتِننا بعدها . وإذا صليت على جنازة طفل فقل اللهم آجعله لوالديه سلفاً وآجعله لها ذخراً وآجعله لها رشداً وآجعله لها نوراً وآجعله لها فرطاً ١٠
- وأعقب لوالديه الجنة ولا تحرِّمنا أجره ولا تفتِننا بعده“ . وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم وصليّ على جنازة يقول : ”اللهم آغفر له وأرحمه وأعف عنه وعافه وأكرم نزلَه ووسع مدخله وأغسله بماءٍ وتلج وبرد وثقه من الخطايا كما ينقى الثوبُ الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجته وقِه فتنة القبر وعذاب القبر وعذاب النار“ . قال عوف رضي الله عنه : فتمنيت لو كنت أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .



- وأما ما يقال عند رؤية الجنازة والتلقين والدفن ، وما في ذلك من الأجر ؛ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من رأى جنازةً فقال الله أكبرُ صدق الله ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله اللهم زدنا إيماناً وتسليماً كُتِبَ له عشرون ٢٠

حسنة في كل يوم من يوم يقولها إلى يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم :  
 ” لَقَنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” إذا وضعتُم مَوْتَكُمْ  
 في القبر فقولوا بِأَسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ “ . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه  
 كان إذا سُويَ على الميت الترابُ قال : ” اللَّهُمَّ أَسَلِّمْهُ إِلَيْكَ أَهْلُ الْمَالِ وَالْعَشِيرَةِ  
 وَذَنْبُهُ عَظِيمٌ فَأَغْمِرْ لَهُ “ . وعن سعيد بن عبد الله الأودي قال : شهدت أبا أمامة  
 وهو في النَّزْعِ فقال : إذا أُنْمِيتُ فَأَصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا ، أَمَرَنَا فَقَالَ : ” إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم الترابَ على قبره  
 فليقيم أحدكم على رأس قبره فليقل يا فلان بن فلانة فإنه يسمعه ولا يُجيبه ثم يقول  
 يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعدًا ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا  
 رحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل أذكركم ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله  
 إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنتك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً  
 وبالقرآن إماماً فإن مُنْكَراً وَنَكِيراً يأخذ كل واحدٍ منهما بيد صاحبه ويقول أنطلق  
 بنا مانقعد عند من لُقِنَ حُجَّتَهُ فيكون الله حجيجَهُ دونهما “ . فقال رجل : يا رسول الله  
 فإن لم يعرف أمه ؟ قال : ” فينسبه إلى حواء يا فلان ابن حواء “ .



وأما ما يقال عند زيارة القبور ، عن عائشة رضي الله عنها أنها تبعَت النبيَّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى زيارة البقيع فقال لها : ” قولي السَّلامُ على أهل الديار من  
 المؤمنين والمؤمنات ويرحمُ اللهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ  
 لَاحِقُونَ “ . وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتى المقابر قال : ” السَّلامُ  
 عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ  
 وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ “ .



- وأما ما يقال عند الإفطار من الصوم، والأكل والشرب؛ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أفطر قال: "اللهم لك صُمتنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم". وعنه صلى الله عليه وسلم: "من قال اللهم لك صُمتُ وعلى رزقك أفطرتُ وعليك توكلتُ كتبتَ له من الأجر بعدد من صام ذلك اليوم". وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أحدكم لتوضع مائدة بين يديه فما تكاد أن ترفع حتى يغفر له". قيل يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: "لأنه يُسمى الله إذا وضعت المائدة وأكل ويحمد الله إذا رُفعت". وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا نسي أحدكم أن يذكر اسم الله في أول طعامه فليقل بسم الله أوله وآخره". وعنه صلى الله عليه وسلم: "من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه بغير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه". وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل قال: "الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوَّغ وجعل له مخرجاً". ومن رواية أنس: "الحمد لله الذى أطعمنى وسقانى وهدانى وكلّ بلاء حسن أبلانى الحمد لله الرازق ذى القوة اللهم لا تنزع منا صالحاً أعطيتناه ولا صالحاً رزقناه وأجعلنا لك من الشاكرين". وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل قال: "الحمد لله الذى أطعّمنا وسقانا وأشبعنا وآوانا وكفانا". وعن عليّ رضى الله عنه قال: دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا علىّ إذا شربت ماءً فقل الحمد لله الذى سقانا ماءً عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاباً بذنوبنا تُكتب شاكرًا". وكان صلى الله عليه وسلم إذا أفطر عند أهل بيتٍ قال لهم: "أفطر عندكم

الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم الملائكة“؛ ورؤى : ”وصلت عليكم الملائكة وذكركم الله فيمن عنده“ .



وأما ما يقال عند لباس الثوب ولباسه ؛ وعند النظر في المرأة والتسريح  
وفي المجلس ؛ روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كان إذا استجد ثوبا - سماه بأسمه قيصا أو إزارا أو عمامة - يقول : ”اللهم لك  
الحمد أنت كسوتنيه اللهم إني أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره  
وشر ما صنع له“ . وعن علي رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : ”يا علي إذا لبست ثوبا فقل بآسم الله الحمد لله الذي كساني ما أوارى به  
عورتى وأستغنى به عن الناس لم يبلغ الثوب رقبتك حتى يغفر لك يا علي من ليس  
ثوبا جديدا وكسا أسماله عريانا أو مسكينا كان في جوار الله وأمنه وحفظه ما دام  
عليه منه سلك“ . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”من لبس ثوبا فقال  
الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم  
من ذنبه وما تأخر“ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله  
عليه وسلم إذا نظر في المرأة يقول : ”الحمد لله رب العالمين الذي خلقني وسوى  
خليقي وجعلني بشرا سويا ولا حول ولا قوة إلا بالله“ . قال ابن عباس رضي الله  
عنهما : فما تركتها منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : لا يمس

(١) الذي في أذكار النوى ؛ «أسألك خيره ...» بدون كلمة «من» .

(٢) في الأصول «أو كسا أسماله ...» وظاهر أن السياق يقتضي الوارد دون «أو» . وقد ورد ما يشبه

هذا الحديث في أذكار النوى (ص ١١) وأداة العطف فيه «ثم» . (٣) السلك : الخيط .

(٤) في الأصل : «إلا غفر له» بزيادة «إلا» وهي غير موجودة في أذكار النوى .

(٥) كلمة «وما تأخر» غير موجودة في أذكار النوى .

وجه من قالها سوء أبدا . وعن علي رضي الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا علي إذا نظرت في المرأة فقل اللهم كما حسنت خاقي فأحسن خاقي وآرزقني " . وعن الرضا علي بن موسى عن أبيه عن آبائه إباباً فأباً رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أمر المشط على رأسه ولحيته في كل يوم سبع مرات وقال في كل مرة سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لم يقارنه ذنب " . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من جلس في مجلس كثر لغطه فيه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك " .

١٠

وأما ما يقال في المرض والرق والوسواس والحريق ؛ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض : " باسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا " . وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني وجع قد كاد يبطلني فقال لي صلى الله عليه وسلم : " أجعل يدك اليمنى عليه ثم قل باسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع مرات " ، ففعلت ذلك فشفاني الله تعالى . وعنه صلى

١٥

٣٠

(١) كذا في الأصول . وفي صحيح مسلم : « باسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا وقال ابن أبي شيبة : يشفى وقال زهير : يشفى به سقيمنا » . وفي أذكار النووي ( ص ٦١ ) : « وروينا في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وغيرها ، إلى أن قال : باسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا ، وفي رواية تربة أرضنا وريقة بعضنا » اهـ . فاف في الأصول هنا يوافق بعض الروايات .

(٢) الذي في صحيح مسلم : « عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضع يدك على الذي تألم من وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

الله عليه وسلم : ”مَنْ عاد مريضًا لم يحضرْ أجلُهُ فقال عنده سبعَ مرات أسألُ الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يَشْفِيكَ إلا عافاه الله من ذلك المرض“ . وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض وضع يده اليمنى على خَدِّه وقال : ”أذهبِ البَاسُ ، ربَّ النَّاسِ وآشِفِ أنت الشافي شفاءً لا يغادر سَقَمًا“ . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنَّه قرأ في أُذُنِ مُبْتَلًى فأفاق ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ”ما قرأت في أذنه“ ؛ قال : قرأت (أَخْسَبْتُمْ أَيْمًا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) إلى آخر السورة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ”لو أنَّ رجلاً مُوقِنًا قرأ بها على جبلٍ لزال“ . وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”من رأى صاحب بلاءٍ فقال الحمد الذى عافانى مما آبتلاك به وفضلنى عليك وعلى كثيرٍ ممن خلق الله عافاه الله من ذلك البلاء كأنَّ ما كان أبدا ما عاش“ . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أرقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين فأضعُ يدي على صدره وأقول : أَذْهِبِ البَاسُ ، ربَّ الناس ؛ بيدك الشفاءُ ولا كاشف له إلا أنت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفع الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”هذه الكلمات دواءٌ من كلِّ داء أعوذُ بكلمات الله التامة وأسمائه كلها عاتمة من السامة والهامة وشرُّ العين اللَّامة ومن شرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ ومن شرِّ أبى قِترَةٍ وما وَلَدَ ثلاثون<sup>(١)</sup> من الملائكة أتوا ربَّهم عز وجل فقالوا وَصَبُّ بَارِضُنَا فقال خُذُوا تَرَبَةً من أرضكم وامسحوا بوضبكم رُقِيَةً محمد صلى الله عليه وسلم من أخذ عليها صَفْدًا<sup>(٢)</sup> أو كَتَمَهَا أَحَدًا فلا أَفْلَحَ أبدا“ . وعن علي رضى الله عنه قال : من أَشْتكى ضَرْسَه فليأخذ الترابَ من موضع سجدته ثم يمسح يده على الموضع الذى يشتكى ، ثم يقول : بِأَسْمِ الله ، والشافي الله ، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله . وعن أبي الدرداء رضى الله عنه أنه أتاه رجل فذكر له أن

(١) أبوقرة : إبليس . (٢) الصفد (بفتحين) : العطاء .

- أباه آحتبس بولهُ وأصابته حصاةٌ منعتهُ البول فعَلِمَهُ رُقِيَّةٌ سمعها من النبيّ صلى الله عليه وسلم وهى : ”رَبَّنَا اللهُ الَّذِى فى السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فى السَّمَاءِ والأَرْضِ كَمَا رَحِمْتِكَ فى السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فى الأَرْضِ وَاغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ فَأَنْزِلْ شِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ وَرَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ عَلَى الْوَجَعِ فَيَبْرَأُ“؛ فأمره برُقيهِ بها فرقاه بها فبرئ . وعن علىّ رضى الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فوافقه مُغْتَمًّا، فقال : يا محمد، ما هذا الغم الذى أراه فى وجهك؟ قال : ”الحسن والحسين أصابتهمَا عَيْنٌ“ . فقال : يا محمد، صدّق العينَ فإن العينَ حقّ . ثم قال : أَفَلَا عَوِذْتُمَا بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ فقال : ”وما هنّ يا جبريل“؛ فقال : ”قُلِ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ، ذَا الْمَنْ الْقَدِيمِ، ذَا الْوَجْهِ الْكَرِيمِ، وَالْكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ، وَالِدَعَوَاتِ الْمُسْتَجَابَاتِ عَافِ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ مِنْ أَنْفُسِ الْجَنِّ وَأَعْيُنِ الْإِنْسِ“ . فقالها النبيّ صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ”عَوِذُوا أَنْفُسَكُمْ بِهَذَا التَّعَوُّذِ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَعَوَّذِ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِ“ . وعن علىّ رضى الله عنه قال : دعانى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : ”أَمَّا نُّ لَكَ مِنَ الْحَرَقِ أَنْ تَقُولَ سُبْحَانَكَ رَبِّىَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ“ . وعنه أيضا رضى الله عنه قال : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ”يَا عَلِىُّ أَمَّا نُّ لَكَ مِنَ الْوَسْوَاسِ أَنْ تَقْرَأَ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ . ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فى الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾“ .



- وأما ما يقال عند دخول السوق وشراء الجارية والدابة؛ روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل السوق قال : ”اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ



﴿١٥٢﴾

هذه السوق وأعوذُ بك من الكفر والفُسوق“ . وعن عليّ رضي الله عنه قال : قال  
لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يا عليّ إذا دخلت السوق فقل حين تدخل  
بأسم الله وبالله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يقول الله  
عز وجل عبدى هذا ذكركنى والناس غافلون أشهدوا أننى قد غفرتُ له“ . وعن عمر  
أبن الخطاب رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : ”من دخل السوق فقال  
لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يُحيى ويميت وهو حي لا يموت  
بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ورفع له ألف ألف  
درجة“ أو قال : ”وبنى له بيتاً فى الجنة“ . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
”إذا أفاد أحدكم الجارية أو المرأة أو الدابة فليأخذ بناصريتها وليدع بالبركة وليقل  
اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذُ بك من شرّها وشر ما جبلت  
عليه فإن كان بغيراً فليأخذ بذروة سنامه“ .

✱ ✱

وأما ما يقال عند هبوب الرياح وفى الرعد والمطر؛ عن أبيّ بن كعب  
رضى الله عنه أن الريح هاجت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبها رجلٌ  
فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : ”لا تسبها فإنها مأمورة ولكن قل اللهم إنى أسألك  
خيرها وخير ما فيها وخير ما أمرت به وأعوذُ بك من شرّها وشر ما فيها وشر ما أمرت  
به“ . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا  
سمع الرعد أو البرق قال : ”اللهم لا تقتلنا غضباً ولا تقتلنا بغتةً وعافنا قبل ذلك“ .  
وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع الرعد  
والصواعق قال : ”اللهم لا تُهْلِكنا بغضبك ولا تقتلنا بعذابك وعافنا قبل ذلك“ . وعن  
أنس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان لا يرفع يديه فى شيء من الدعاء إلا فى الاستسقاء

- حتى يرى بياض إبطيه . وعن كعب بن مرة السلمي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، أستمسك الله لمضراً ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال : ”اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً مريئاً عاجلاً غير رائيث نافعاً غير ضار“ . قال : فما جمعوا حتى أحيوا<sup>(١)</sup> . فأتوه فشكوا إليه المطر فقالوا : يا رسول الله قد تهدمت البيوت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
- بيديه : ”اللهم حوالينا ولا علينا“ ، فجعل السحاب يتقطع يميناً وشمالاً . وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى ناشئاً في أفق السماء ترك العمل وإن كان في صلاة ، ثم يقول : ”اللهم إني أعوذ بك من شرها“ ؛ فإن رأى مطراً قال : ”اللهم صيباً هنيئاً“ . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى المطر قال : ”اللهم صيباً نافعاً“ .



- وأما ما يقال في الخوف والشدائد ؛ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”إذا تخوف الرجل من السلطان فليقل اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لي جاراً من فلان بن فلان يسمي الذي يريد وشر الحن والإنس وأحزابهم وأتباعهم أن يفترط على أحد منهم أو يطغى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك“ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : ”من خاف من السلطان أو غيره فليفرغ إلى هذه الدعوة الله أكبر وأعز من خلقه جميعاً الله أكبر وأعز مما أخاف وأحذر وأعوذ بالله الذي لا إله إلا هو ممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه من شر فلان

٢٠ (١) جمعوا : شهدوا الجمعة .

(٢) أحيوا : حيث ما شئهم وحسن حالها أو صاروا في الخصب . (عن القاموس) .

آبْنِ فُلَانٍ يَا رَبِّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِ عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ يَقُولُهُنَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ شَرِّ ذَلِكَ. . . وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ”يَا عَلِيُّ إِذَا أَشْتَدَّ بِكَ أَمْرٌ فَكَبِّرْ ثَلَاثًا وَقُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَعِزُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَعِزُّ مِنْ خَلْقِهِ وَأَقْدَرُ وَأَعِزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ اللَّهُمَّ أَدْرَأْ بِكَ فِي نَحْرِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ فَإِنَّكَ تُكْفِي بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ“ .



وَأَمَّا مَا يُقَالُ فِي الْغَضَبِ وَالْفَزَعِ ؛ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :  
 (١٥٣) أَشْتَبَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَعْلٍ أَحَدُهُمَا تَحَمَّرَ عَيْنَاهُ وَتَنَفَّخَ أُودَاجُهُ .  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” إِنِّي لَا أَعْرِفُ كَلِمَةً أَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي  
 يَجِدُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ “ . وَعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” إِذَا فَزَعَ  
 أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعَذَابِهِ وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ  
 هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ فَإِنَّهَا لَمْ تَضُرَّهُ “ . قَالَ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْلَمُهَا مِنْ بَلْعٍ  
 مِنْ وَلَدِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ وَعَلَّقَهَا عَلَيْهِ . وَفِي لَفْظٍ : ” إِذَا فَزَعَ أَحَدُكُمْ  
 فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ ... “ يَعْنِي الْكَلِمَاتُ ؛ وَفِي طَرِيقٍ : كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَجُلًا يَفْزَعُ فِي نَوْمِهِ  
 ١٥ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : ” إِذَا أَضْطَجَعْتَ لِلنَّوْمِ فَقُلْ ... “  
 يَعْنِي الْكَلِمَاتُ ، فَقَالَهَا فَذَهَبَ ذَلِكَ عَنْهُ .



وَأَمَّا مَا يُقَالُ فِي السَّفَرِ وَرُكُوبِ الدَّابَّةِ وَالسَّفِينَةِ وَدُخُولِ الْقَرْيَةِ ؛ عَنْ  
 ٢٠ عَلِيشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا تَوَضَّأَ

(١) ذكر هذا الحديث في أذكار النوى مرات ولم تذكر فيه كلمة «وعذابه» .

- فأسبغ وضوءه وصلى ركعتين ، ويقول وهو في مجلسه مستقبل القبلة : ”الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا رب أعنى على أهوال الدنيا والآخرة ومن مصيبات الليالى والأيام فى سفرى فأحفظنى وفى أهلى فأخلفنى“ . وعن النبى صلى الله عليه وسلم :
- ”ما استخلف العبد فى أهله إذا هو شد عليه ثياب سفره خيراً من أربع ركعات يصليهن فى بيته يقرأ فى كل واحدة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إنى أتقرب بهن إليك فأجعلهن خليفتى فى أهلى ومالى قال فهو خليفته فى أهله وماله وولده ودور حول داره حتى يرجع إلى داره“ . وعن أنس رضى الله عنه قال :
- لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم سفرًا قط إلا قال حين ينهض من جلوسه : ”بك أنتشرت إليك وجهت وبك اعتصمت أنت ثقتى ورجائى اللهم أكفنى ما يهمنى وما لا أهتم به وما أنت أعلم به منى اللهم زدنى التقوى وأغفر لى ذنبى ووجهنى إلى الخير أينما توجهت“ . وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”إذا ركبتم الإبل فتعوذوا بالله وأذكروا اسم الله عليه فإن على سنام كل بعير شيطاناً“ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على بعيره يريد السفر كبر ثلاثاً ثم قال : ”سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون لنا سفرنا هذا وآطو عنا بعده اللهم أنت

(١) كذا فى شرح الإحياء طبع المطبعة الميمنية (ج ٦ ص ٤٠٣) . وفى الأصل « يضعهن » .

(٢) ورد هذا الحديث فى كتاب منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال الموضوع بهامش الجزء الثالث من مسند الامام أحمد بن حنبل طبع مصر سنة ١٣١٣ هـ (ج ٣ ص ٣٩) مع شىء يسير جداً من النقص أو الزيادة . وفيه « فأجعلهن خليفتى فى أهلى ومالى فهن خليفة » الخ .

(٣) كذا فى الأصلين . وقد روى هذا الحديث فى منتخب كنز العمال : « اللهم لك انتشرت إليك توجهت وبك اعتصمت اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى اللهم أكفنى ما أهتمنى وما لا أهتم له وما أنت أعلم به اللهم زدنى التقوى » الخ .

- الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل والمال والولد“ ، وإذا رجع صلى الله عليه وسلم قالهن وزاد فيهن : ”آبُونَ تَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ“ . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من حج أو عمرة فأشرف على شرف كبر ثلاثا ثم قال : ”لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آبُونَ تَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ“ صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وكل شيء هالكٌ إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون اللهم إني أعوذ بك من وَعَثَاءِ السفر وكَاَبَةِ المُنْقَلَبِ وسوءِ المنظر في الأهل والمال“ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أَمَانٌ لِأُمَّتِي مِنَ الْغَرَقِ إِذَا رَكِبُوا السُّفُنَ أَنْ يَقُولُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرسَاها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ“ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : ”يا أرضُ ربِّي وربِّكَ اللهُ أعوذُ بالله من شرِّك وشرِّ ما فيك وشرِّ ما يدبُّ عليك أعوذُ بالله من أسدٍ وأسودٍ ومن الحية والعقرب ومن ساكني البلد ومن والد وما ولد“ . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يا علي إذا نزلت منزلاً فقل بسم الله اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين تُرزقُ خيرَه ويُدفعُ عنك شره“ . وقال صلى الله عليه وسلم : ”مَنْ نَزَلَ مَنْزَلاً ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ“ . وعن علي رضي الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ”إذا أردت الدخول إلى مدينة أو قرية فقل حين تُعَايِنُهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ مَا كَتَبْتَ فِيهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا كَتَبْتَ فِيهَا اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَيْرَهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا

وَحَبَّبْنَا إِلَى أَهْلِهَا وَحَبَّبَ أَهْلُهَا إِلَيْنَا“ . وعن صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرْقُرِيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ : ”اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَّيْنِ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا“ . وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ فَأَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ قَرْيَةً عَدَلَ إِلَيْهَا وَقَالَ : ”اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا اللَّهُمَّ آرِزُقْنَا خَيْرَهَا وَأَصْرِفْ عَنَّا وَبَاءَهَا وَحَبَّبْنَا إِلَى صَالِحِ أَهْلِهَا وَحَبِّبْهُمْ إِلَيْنَا“ .



وَأَمَّا مَا يُقَالُ فِي الزَّوْاجِ وَالْجَمَاعِ ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي أَهْلِي وَبَارِكْ لِأَهْلِي فِيَّ وَآرِزُقْنِي مِنْهَا وَآرِزُقْهَا مِنِّي وَاجْمَعْ بَيْنَنَا مَا جُمِعَتْ فِي خَيْرٍ وَإِذَا فَرَّقْتَ بَيْنَنَا فَفَرِّقْ فِي خَيْرٍ“ . وعن أَبِي عُبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنِي فَإِنْ قُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ“<sup>(١)</sup> ، أَوْ قَالَ : ”لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ“ .



وَأَمَّا مَا يُقَالُ فِي قَضَاءِ الدَّيْنِ وَنَجَاحِ الْحَوَاجِ ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنْ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَفِي أَذْكَارِ النَّوَرِيِّ (ص ١٢٥) عَنْ رِوَايَةِ صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ : «لَوْ أَنَّ

أَحَدُكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ» . وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ : «... لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» .

الأنصار يقال له أبو أمانة ، فقال : ” يا أبا أمانة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة“؟ قال : همومٌ لَزِمَتْنِي وديونٌ يارسول الله . قال : ”أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك عنك وقضى عنك دينك“! قال : بلى يارسول الله . قال : ”قل إذا أصبحت وأمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال“؛ قال : ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني . وعن معاذ ابن جبل رضى الله عنه أنه تخلف عن صلاة من الصلوات فمقده النبي صلى الله عليه وسلم . فلما جاءه قال : ”ما خلفك عن الصلاة يامعاذ“؟ قال : ليوحنا اليهودي على دين نخشيت إن خرجت أن يلزمني فلا أنا وصلت إليك ولا أنا كنت في أهلي . فقال صلى الله عليه وسلم : ”ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن“ <sup>(١)</sup> قضى الله عنك دينك ولو كان مثل الأرض أو مثل صير ذهباً أو ورقاً قضاه الله عنك“! قلت : بلى يا رسول الله قال : ”قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزعج الملك ممن تشاء وتزعج من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . تولى الليل في النهار وتولى الليل في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب . رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطى منهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء أسألك بعزتك ورحمتك أن تقضى عني ديني“ . وعن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”من كانت له

(١) كذا في أذكار النورى (ص ٣٩) . وفي الأصلين : «... من الجبن والحزن...» .

(٢) كذا في نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار طبع مطبعة الجوائب (ص ٢٦٤) .

٢٠ وفي الأصلين : «ألا أكلبك ...» .

(٣) صبر (بفتح فكسر) : جبل من جبال اليمن مطل على قلعة «نعز» المدينة المشهورة بها . (عن تاج

العروس) .

(١٩٩)

- حاجة إلى الله أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليُحسِن الوضوء وليصل ركعتين ثم ليُثنِ على الله عز وجل ويصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا إله إلا الله الحكيم الكريم سبحانه الله ربَّ العرش العظيم والحمد لله رب العالمين أسألك مُوجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل برٍّ والسلامة من كل ذنب لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ولا همّاً إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها“ . وعن علي رضي الله عنه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ” يا علي إذا خرجت من منزلك تريد حاجة فاقرا آية الكرسي فإن حاجتك تُقضى إن شاء الله تعالى “ . وعنه رضي الله عنه قال : ” إذا أراد أحدكم الحاجة فليُبكر في طلبها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من بيته آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وإنا أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فإن فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة “ .

\* \*

- وأما ما يقال في رد الضالة ؛ عن مكحول رضي الله عنه أنه كان يدعو في الضالة : اللهم هادي وراد الضوال أردد علي ضالتي ولا تُعني بطلبها ولا تفجعني بمصيبتها فإنها من رزقك وعطائك . وكان يقول في الآبق : اللهم ضيق عليه البلاد وأجعل في أضيق من ضرورة الحمل حتى ترده .

\* \*

- دعاء الاستخارة ؛ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أراد الأمر : ” اللهم خزلي وأختزلي “ . وعن جابر

- (١) كذا في الأصل . وقد راجعنا كثيرا من كتب الحديث والأدعية فلم نوفق له . وفي كتاب الفوائد في الصلوات والعوائد المطبوع بالمطبعة الكاسطية سنة ١٢٩٦ هـ (ص ٢٨) وردت العبارة الآتية في عزيمة العبد الآبق وهي : « اللهم إني أسألك يا مالك السموات والأرض ومن فيهن أن تجعل اللهم السماء والأرض وما فيهما على عبد فلان بن فلانة أضيق من حلقة حتى يرجع الى مولاه برحمتك يا أرحم الراحمين » .



أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: ”إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي — أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ — فَاقْدُرْهُ لِي [وَيُسْرِهِ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ] وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي — أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ — فَأَصْرِفْهُ عَنِّي <sup>(١)</sup> وَأَصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ وَيُسَمِّ حَاجَتَهُ“ .

### ذكر ما ورد في أسماء الله الحسنى والأسم الأعظم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ”إِنَّ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ أَسْمَاءً مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ إِنَّهُ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ ، الرَّحِيمُ ، الْمَلِكُ ، الْقُدُّوسُ ، السَّلَامُ ، الْمُؤْمِنُ ، الْمُهِيمُنُ ، الْعَزِيزُ ، الْجَبَّارُ ، الْمُتَكَبِّرُ ، الْخَالِقُ ، الْبَارِئُ ، الْمَصْصُورُ ، الْغَفَّارُ ، الْقَهَّارُ ، الْوَهَّابُ ، الرَّزَّاقُ ، الْفَتَّاحُ ، الْعَلِيمُ ، الْقَابِضُ ، الْبَاسِطُ ، الْخَافِضُ ، الرَّافِعُ ، الْمُعِزُّ ، الْمُذِلُّ ، السَّمِيعُ ، الْبَصِيرُ ، الْحَكَمُ ، الْعَدْلُ ، اللَّطِيفُ ، الْخَبِيرُ ، الْحَلِيمُ ، الْعَظِيمُ ، الْغَفُورُ ، الشَّكُورُ ، الْعَلِيُّ ، الْكَبِيرُ ، الْحَفِيفُ ، الْمُقِيتُ ، الْحَسِيبُ ، الْجَلِيلُ ، الْكَرِيمُ ، الرَّقِيبُ ، الْمَجِيبُ ، الْوَاسِعُ ، الْحَكِيمُ ، الْوَدُودُ ، الْمَجِيدُ ، الْبَاعِثُ ، الشَّهِيدُ ، الْحَقُّ ، الْوَكِيلُ ، الْقَوِيُّ ، الْمُتَيْنُ ، الْوَلِيُّ ، الْحَمِيدُ ،

المُحْصِي ، المُبْدِي ، المُعِيد ، المُحْيِي ، المُمِيت ، الْحَيِّ ، الْقَيُّوم ، الْوَاحِد ، الْمَاجِد ،  
الوَاحِد ، الصَّمَد ، الْقَادِر ، الْمُقْتَدِر ، الْمُقَدِّم ، الْمُؤَخَّر ، الْأَوَّل ، الْآخِر ، الظَّاهِر ،  
الْبَاطِن ، الْوَالِي ، الْمُتَعَال ، الْبَرَّ ، التَّوَاب ، الْمُنتَقِم ، الْعَفْو ، الرَّءُوف ، مَالِك الْمُلْك ،  
ذَو الْجَلَال وَالْإِكْرَام ، الْمُقْسِط ، الْجَامِع ، الْغَنَى ، الْمُغْنَى ، الْمَانِع ، الضَّار ، النَّافِع ،  
النُّور ، الْهَادِي ، الْبَدِيع ، الْبَاقِي ، الْوَارِث ، الرَّشِيد ، الصَّبُّور .

وقد نبّه البونى رحمه الله فى اللّعة النورانية على كيفية العلم والعمل بأسماء الله  
الحسنى وخاصيّة كل اسم منها، ورتّب ذلك وجعله عشرة أنماط فقال :

### النمط الأول

مِنْ نَظْمِ الْأَسْمَاءِ آسْمُهُ اللَّهُ ، وَالْإِلَهُ ، وَالرَّبُّ ، وَالْخَالِقُ ، وَالْبَارِئُ ، وَالْمُصَوِّرُ ، وَالْمُبْدِئُ  
وَالْمُعِيدُ ، وَالْمُحْيِي ، وَالْمُتِمِّتُ . قال البونى : هذا النمط عشرة أسماء لا تكون إلا أذكاراً  
لِلذَّاكِرِينَ [على اختلاف<sup>(١)</sup> أحوالهم . فإلهُ والإلهِ ذِكْرُ الْأَكْبَرِ وَالْمُوَلِّهِينَ فى الغالب .  
وَالرَّبُّ ، وَالْخَالِقُ ، وَالْبَارِئُ ذِكْرُ الْأَكْبَرِ مِنَ السَّالِكِينَ الْمُرِيدِينَ . وَالْمُصَوِّرُ ،  
وَالْمُبْدِئُ ، وَالْمُعِيدُ ، وَالْمُحْيِي ، وَالْمُتِمِّتُ ذِكْرُ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُتَبَصِّرِينَ .

### النمط الثانى

الْأَحَدُ ، الْوَاحِدُ ، الصَّمَدُ ، الْفَعَّالُ ، الْبَصِيرُ ، السَّمِيعُ ، الْقَادِرُ ، الْمُقْتَدِرُ ، الْقَوِيُّ ،  
الْقَائِمُ . قال : هذه الأسماء العشرة سِلْكٌ وَاحِدٌ فى تقارب الأذكار ، وهذا القسم  
فيه أذكار السالكين المتعلقين بأسرار التوحيد ذكرهم الأحد والواحد . وأما الصمد

(١) الزيادة عن اللعة النورانية .

(٢) فى إحدى نسخى اللعة النورانية : من المسلكين المربين :

(٣) فى إحدى نسخى اللعة : ”المعتبرين والمتبصرين“ .

فذكر يصلح للتراضين بالجوع، فذا كره لا يُحسّ بألم الجوع البتّة ما لم يُدخل عليه  
 ذكر غيره. <sup>(٢)</sup> والفعّال آسم للغلوين بالخواطر والوساوس وكثرة الأفكار وأغتمام القلب  
 [بهذا السبب] <sup>(٣)</sup>، فهما ذكره من هذه صفته <sup>(٤)</sup> تقلّبت أفكاره إلى ما يقع له به سرور وفرح.  
 وأما السميع والبصير فتزويه جليل، وهو ذكر يصلح للّحين في الدعاء فإنه ربما أسرعت  
 لهم الإجابة. وأما القادر، والمقتدر، والقوى، والقائم فذكر يصلح لأصحاب  
 الإعياء والحرف الثقيلة، ولو علم سرّه من يعانى الأثقال وأستدامه لم يحسّ بثقل فيما  
 يتعاطاه البتّة <sup>(٥)</sup>، ومن نقشها في فص خاتم وتختّم به أدرك ذلك لوقته، ومن ضعف  
 عن شيء ما وعلقه عليه وذكره قوى لوقته.

### النمط الثالث

الحى، القيوم، الرحمن، الرحيم، الملك القدير، العلى، العظيم، الكبير،  
 المتعال. قال: هذا القسم من الأسماء يحتوى على أذكّار المراقبين، وفيه أعمال  
 جليّة البرهان. فالحى القيوم اسمان جليّان، ذكر لأهل الحضرة، وهو من  
 أذكّار إسرافيل وملائكة الصّور أجمعين، يصلح أن يُذكر من مبادئ الفجر إلى  
 طلوع الشمس، يجد ذا كره من الزيادة والخشية والتطّلع إلى طلب الفضائل ما لم

(١) فى نسخى اللغة النورانية: "للتراضين".

(٢) كذا فى إحدى نسخى اللغة. وفى الأخرى والأصلين: "ما لم يدخل عليه ذكر غيره".

(٣) الزيادة عن اللغة النورانية.

(٤) فى نسخى اللغة النورانية: "نقلت".

(٥) فى الأصلين ونسخى اللغة النورانية: "ومن نقشهم" بميم الجمع. وظاهر أن قواعد اللغة لا تقتضيا

(٦) كذا فى إحدى نسخى اللغة. وفى الأصلين وفى نسخة أخرى من اللغة: "ياحى ياقيوم الرحمن" الخ

(٧) كذا فى إحدى نسخى اللغة. وفى نسخة أخرى منها وفى الأصلين: "القدوس" ووجد بأحد

الأصلين كلمة "القدير" فوق كلمة القدوس.

- يعهده قبل ؛ ومن نقش الآسمين عند طلوع الشمس<sup>(١)</sup> [من يوم الجمعة] مستقبل القبلة  
على ذكر<sup>(٢)</sup> وأمسكه عنده أحيا الله ذكره إن كان حاملا ، وأحيا رزقه إن كان قليلا .  
وأما الرحمن الرحيم فأذكار شريفة للضطرين وأمان للخائفين لا ينقشه أحد في خاتم  
في يوم الجمعة آخر النهار فيرى ما يكرهه مادام عليه . ومن أكثر من ذكره كان  
ملطوفا به في كل أمره . وأما الملك والقدير<sup>(٣)</sup> [ذكر] يذكرك عند كل ذي ملك وقدره .  
فإنه ما من ملك يستديم هذا الذكر في عموم أوقاته إلا ثبت ملكه وأنبسطت قدرته ؛  
وبصلح للسالك الذي تغلبه شهوات نفسه ؛ فإنه ما يستديم ذكره من هذا مقامه إلا  
بعث الله إليه قوة ملكية تؤيده وتنصره على من يخالفه من عوالمه . وأما العليّ  
العظيم فالتنزيه . والكبير المتعال مناسب للتنزيه أيضا ، وهما آسمان لا ثقان بأهل  
التعظيم من أرباب الأحوال ليس للعامة في الذكر بهما قسم .

### النمط الرابع

- المهيمن ، المقيت ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، المحيط ، الحفيظ ، الفاطر ، المجيد  
ذو الجلال . قال البوني : أما المهيمن ، والمقيت فللعلم والاستيلاء والمراقبة<sup>(٦)</sup>  
في الجزئيات والكليات . والعزيز ، والجبار ، والمتكبر فمن أسماء صفات الذات  
اللازمة للخوف والرهبة والعظمة ، لا يذكرها ذليل إلا عز ، ولا حقير إلا ارتفع ،  
ولا بين يدي جبار إلا ذل وخضع ، ولا يذكرها ملك من ملوك الأرض إلا وجد<sup>(٧)</sup>

(١) هذه الكلمة ساقطة من نسختي اللعة .

(٢) كذا في نسختي اللعة . وفي الأصلين : "أحيا الله ذكره وإن كان حاملا وأحيا رزقه وإن كان قليلا" .

(٣) زيادة عن نسختي اللعة النورانية .

(٤) كذا في نسختي اللعة النورانية . وفي الأصلين : « وهما اسمان يليق » .

(٥) في الأصلين : « بهم » . (٦) في نسختي اللعة النورانية : « فللعلم بالأشياء » .

(٧) في الأصلين ونسختي اللعة بميم الجمع ، وقواعد اللغة تقتضي ما وضعناه .

في نفسه ذلّةً وأنكسارا . وأما الحفيظ فإنه أسم سريع الإجابة للخائفين  
في الأسفار. وأما المحيط، والمجيد، والفاطر، وذو الجلال، فأسماء التنزيه وزيادات  
في التوحيد .

### النمط الخامس

٥. العليم، الحكيم، البديع، النور، القابض، الباسط، الأول الآخر، الظاهر،  
الباطن . قال : هذا القسم من الأسماء جليل القدر عظيم الشأن . فأما العليم، والحكيم  
فالتوحيد الخاص، لا يصلحان إلا لمن أُبهِمَ عليه أمرٌ من كشف سرٍّ من أسرار الله  
تعالى يعسرُ على الفكر إدراكه، فإنه إذا استدام ذكرُ العليم الحكيم يسر الله عليه علم ما سأل<sup>(١)</sup>  
وعرفه الحكمة فيه، ومنه أسمه البديع أيضا [مثل ذلك] . وأما النور، والباسط،  
والظاهر، فذكر أرباب المكاشفات . ومن أراد أن ينظر شيئا في منامه فليذكر هذه  
الأسماء على طهارة وهو في فراشه إلى أن ينام على هذا الذكر، ويعمل همته فيما يريد  
فإنه يمثّل له في نومه كشف ذلك . وأما القابض، والأول، والآخر، والباطن،  
فكلها أسماء للتعظيم والتوحيد .

### النمط السادس

١٥. الحليم، الرؤوف، المنان، الكريم، ذو الطول، الوهاب، الغفور، الغافر، العفو،  
المحيب . قال : هذا النمط من الأسماء عليه مدار إبقاء الوجود ودفع الأضداد وجمع  
المتفرق . أما الحليم، والرؤوف، والمنان، فذكر للخائفين، ما داومه من يخاف شيئا<sup>(٢)</sup>  
إلا أوجده الله تعالى برّد الطمأنينة وسكن روعه . قال البوني : وذكر [لى] من له

(١) هكذا في الأصلين . والذي في نسختي اللمعة : "علمه فيما يناله، وعرفه الحكمة فيما سأل" .

(٢) زيادة عن اللمعة النورانية . ٢٠

أُطْلِعَ أَنَّهُ مِنْ آسْتِدَامِ هَذَا الَّذِي كَرَّ إِلَى أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِ حَالُ مَنْهُ عَلَى خَلْقٍ مَعْدَةٍ ثُمَّ أَمْسَكَ النَّارَ لَمْ تَعُدْ عَلَيْهِ، وَلَوْ تَنَفَّسَ حِينَئِذٍ عَلَى قَدَرٍ تَغْلِي سَكَنَ غَلِيَانُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَكْتُبُهَا أَحَدٌ وَيُقَابِلُ بِهَا مَنْ يَخَافُ مِنْهُ إِلَّا أَطْفَأَ اللَّهُ شَرَّهُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ، وَلَا يَسْتَدِيمُ هَذَا الذِّكْرَ مَنْ غَلَبَتْهُ شَهْوَتُهُ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْهُ الزُّرْعَ إِلَيْهَا فِي أَثْنَاءِ ذِكْرِهِ . وَأَمَّا الْكَرِيمُ، الْوَهَّابُ، وَذُو الطَّلَوِّ؛ فَلَا يَسْتَدِيمُ عَلَى هَذَا الذِّكْرِ مَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَمُسْتَهْ حَاجَةٌ ه إِلَّا يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، وَمَنْ نَقَشَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ وَعَلَّقَهَا عَلَيْهِ لَمْ يَدِرْ كَيْفَ يُسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَطَالِبَ مِنْ غَيْرِ عُسْرٍ . وَأَمَّا الْغَفُورُ، وَالْغَافِرُ، وَالْعَفْوُ، فَتَنْظُمٌ مُتَقَارِبٌ لِسُؤَالِ دَفْعِ الْمُؤَلِّمِ خُصُوصًا مِنْ آلَامِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا . وَأَمَّا الْمَجِيبُ، فَيَذْكُرُ فِي آخِرِ الدَّعَوَاتِ .

### النمط السابع

١٠

١٥٨

الكَافِي، الْغَنِيُّ، الْفَتْاحُ، الرِّزَاقُ، الْوَدُودُ، اللَّطِيفُ، الْوَاسِعُ، الشَّهِيدُ، نِعْمُ الْمَوْلَى وَنِعْمُ النَّصِيرُ . قَالَ : هَذَا النَّمْطُ مِنَ الْأَسْمَاءِ جَلِيلِ الْقَدْرِ، بِهِ يُنَزَّلُ اللَّهُ الرِّغَائِبَ مِنْ كُلِّ مَفْضُولٍ بِهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ . فَاسْمُهُ الْكَافِي، وَالْغَنِيُّ، وَالْفَتْاحُ، وَالرِّزَاقُ لَا يَذْكُرُ أَحَدٌ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الْأَرْبَعَةَ وَهُوَ يَتَمَتَّى شَيْئًا لَمْ تَبْلُغْهُ أُمْنِيَّتُهُ إِلَّا بَلَّغَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جِهَةٍ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِهِ . لَا يَذْكُرُ أَحَدٌ هَذَا الذِّكْرَ عَلَى الْقَلِيلِ إِلَّا كَثَرَهُ اللَّهُ وَلَا عَلَى طَعَامٍ إِلَّا ظَهَرَتْ فِيهِ زِيَادَةٌ، وَلَا يَذْكُرُهُ مَنْ هُوَ فِي رَتْبَةٍ وَهَمَّتْهُ طَالِبَةٌ أَعْلَى مِنْهَا إِلَّا يَسِّرَ اللَّهُ لَهُ الْوَصُولَ إِلَيْهَا . وَأَمَّا الْوَدُودُ، وَاللَّطِيفُ، وَالوَاسِعُ، وَالشَّهِيدُ، فَتَنْظُمٌ جَلِيلُ النِّظْمِ لِأَرْبَابِ الْمَهْجُوعِ وَالْخَلْوَةِ، وَاللَّطِيفُ خُصُوصًا لِتَفْرِيجِ الْكَرْبِ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ لَا يُضَافُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ؛ لَا يَذْكُرُهُ مَنْ يُؤَلِّهِ شَيْءٌ فِي نَفْسِهِ وَبَدَنِهِ إِلَّا أَزَالَهُ اللَّهُ عَنْهُ أَثْنَاءَ الذِّكْرِ .

٢٠

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَسَخْتُ اللَّعَّةَ : «وَلَا يَكْتُبُهُمْ أَحَدٌ وَيُقَابِلُ بِهِمُ الْخُ» .

## النمط الثامن

الشديد، ذو القوة، المتين، السريع، الرقيب، المقتدر، القاهر، الوارث،  
 الباعث، القوي<sup>(١)</sup>. هذا النمط من الأسماء عظيم الشأن. فأما الشديد، وذو القوة،  
 والقاهر، والمقتدر، فهي أسماء القهر لا يذكرونها كرها ضعيف الهمة إلا قويت نفسه، ولا يدعو<sup>(٢)</sup>  
 بها أحد على ظالم في أحترق<sup>(٣)</sup> الشهر في السابعة من الليل في بيت مظلم حاسر الرأس  
 على الأرض لا حائل بينه وبينها مائة مرة يقول في آخرها: يا شديد خذ لي<sup>(٤)</sup>  
 بحق من فلان، ولا يشخص شيئا فالله أعلم بما يعمل. قال: وقد جرب مئين من<sup>(٥)</sup>  
 المرات. ولا ينقشها أحد في خاتم ويتختم به إلا ألبسه الله تعالى مهابة يدركها من<sup>(٦)</sup>  
 نفسه ويدركها غيره منه، ويرتاع منه كل جبار عنيد عند رؤيته، حتى كأن الجبال  
 على كاهله ما دام ينظر إلى من هو معه. وأما السريع، والرقيب، والمتين، فذكر  
 لأرباب المراقبة في الأفعال تنفتح لهم بذلك مكاشفات وأسرار. وأما الوارث،  
 والباعث، فلحكمة الاعتبار والتصديق بآثار القدرة.

(١) في إحدى نسخي اللغة النورانية بدل اسم القوى بين السطور اسم «الشكور». ولم يرد في نسخة  
 اللغة الثانية شيء بعد كلمة الباعث.

(٢) في الأصلين ونسخي اللغة: «لا يذكروهم... ولا يدعويهم»، وكذلك ما عليه رقم (٢).  
 (٣) في المخصص (ج ٩ ص ٣١): وامتحاق القمر احتراقه يوم المحاق آخر الشهر لأن الشمس تمحق  
 الهال فيه ولا تبينه.

(٤) كذا في إحدى نسخي اللغة. وفي نسخة أخرى والأصلين: «لا حائل بينه وبينها يقول في آخرها  
 مائة مرة: يا شديد خذ لي الخ».

(٥) في الكلام حذف بدل عليه السياق بأن يقدر: «إلا استجيب له».  
 (٦) كذا في الأصلين وإحدى نسخي اللغة. وفي أخرى: «ولا تنجسني».

## النمط التاسع

التَّوَابُ، الشَّاكِرُ، الْوَلِيُّ، الْحَسِيبُ، الْوَكِيلُ، الْقَرِيبُ، الصَّادِقُ، الْبَرُّ، الْبَاقِي،  
الْخَلَّاقُ. قال: هذا القسم مرتَّبٌ على سلوك مقامات السالِّكين؛ فالتَّوَابُ للتَّائِبِينَ،  
وَالشَّاكِرُ لِلشَّاكِرِينَ، وَالْوَلِيُّ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَالْحَسِيبُ لِأَهْلِ الْكَفَايَةِ، وَالْوَكِيلُ لِلْمُتَوَكِّلِينَ،  
وَالْقَرِيبُ مِنْ أَهْلِ الْقَرَبِ، وَالصَّادِقُ مَعَ الصَّادِقِينَ، وَالْبَرُّ مَعَ أَهْلِ الْبِرِّ، وَالْبَاقِي مَعَ  
الشَّهَدَاءِ، وَالْخَلَّاقُ لَذَوِي الْأَعْتَابِ. وَلِلْمُشَايِخِ فِي هَذَا الْمِيدَانِ مَجَالٌ رَحْبٌ بِحَسَبِ  
أَخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ.

## النمط العاشر

الْهَادِي، الْخَبِيرُ، الْمُبِينُ، عَلَامُ الْغُيُوبِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْقُدُّوسُ،  
السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، وَيَنْتَظِمُ فِي ذَلِكَ الْمُعِزُّ، وَالْمُذِلُّ، وَمَا فِي آخِرِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ. قال: ١٠  
فَالْهَادِي، وَالْخَبِيرُ، وَالْمُبِينُ، لِمَنْ أَرَادَ كَشْفَ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ مُجُوعٌ وَسَهَرٌ، وَيَذْكُرُ  
هَذِهِ الْأَسْمَاءَ وَعَلَى رَأْسِ مِائَةِ مِنْ أَعْدَادِ الذِّكْرِ يَقُولُ: أَهْدِنِي يَا هَادِي، وَخَبِّرْنِي  
يَا خَبِيرَ، وَبَيِّنْ لِي يَا مُبِينَ، وَيَسْمِي مَا يَرِيدُهُ وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَدْرَكَهُ النَّوْمُ  
مَثَّلَ لَهُ كَشْفُ مَا أَرَادَهُ مِنْ أَيْ نَوْعٍ شَاءَ. هَذَا مُخْتَصَرُ مَا قَالَهُ الْبُونِيُّ فِي تَرْتِيبِ الْأَسْمَاءِ  
اللَّهِ الْحَسَنِيِّ. ١٥

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ؛ فَقَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ  
الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؛ فَقَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَ  
اللَّهَ بِالْأَسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ". وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَجُلٌ مِنْ ٢٠



الأنصار يقال له أبو عيَّاش<sup>(١)</sup> الزُّرْقِيُّ يَصَلِّي ، فدنوت منه ، فدعا في صلاته : اللهم إني أسألك — بأن لك الحمد لا إلهَ إلا أنت المَنَّانُ بديعُ السموات والأرض ذو الجلال والإكرام — أن تغفرَ لي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لقد دعا الله بأسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى “ . وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” آسم الله الأعظم في هاتين الآيتين وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ” وفاتحة سورة آل عمران ﴿ اَلَمْ اَلَلّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ . وعن أبي أمّامة وآسمه صدى بن عجلان الباهلي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إن آسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن في البقرة وآل عمران وطه “ . قال فآلمستها فوجدت في البقرة آية الكرسي ﴿ اَللّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ، وفاتحة آل عمران ﴿ اَلَمْ اَلَلّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ، وفي طه ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ . والأدعية المختارة كثيرة وقد أتينا منها بما فيه كفاية لمن توجه إلى الله تعالى وسأله . ولنختم هذا الباب بما ختم به البخاري كتابه : كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

(١) في أحد الأصلين : « أبو العباس » وفي الآخر : « أبو عيَّاش » بالسين المهملة وهو محرف عن أبي « عيَّاش » الزُّرْقِيُّ الأنصاري وهو صحابي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صلاة الخوف بعسفان كما في تهذيب التهذيب .

جُرُوبُ  
مَعِينُ التَّارِخِ  
لَأَهْلِ التَّارِخِ

صورة ما ورد بآخر الجزء الخامس في أحد الأصلين الفتوغرافيين :

تمّ الجزء الخامس من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ،  
والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبيّ بعده محمد وآله وسلم  
يتلوه إن شاء الله الجزء السادس .

صورة ما ورد بآخر الجزء الخامس في الأصل الثاني الفتوغرافي :

كل السفر الخامس من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، على يد  
مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكريّ  
التيّميّ القرشيّ ، عُرِفَ بالنوَيَرِيّ ، عفا الله عنهم .

ووافق الفراغ من كتابته في يوم الأحد المبارك لثمان بقين من شهر  
ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بالقاهرة المعزّية .

يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء السادس القسم الخامس  
من الفن الثاني في الملك وما يحتاج إليه وما يجب له على الرعية وما يجب  
للرعية عليه إن شاء الله تعالى .

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه ، وسلم  
تسلّيا كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

( مطبعة الدار ٦٣ / ١٩٣٣ / ٥٠٠ )